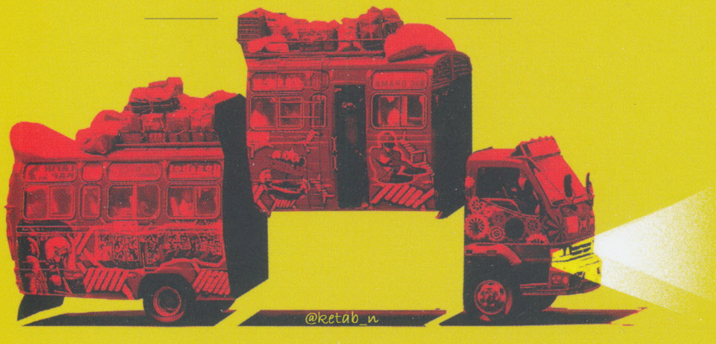




نغوغي وا ثيونغو





شيطان على الصليب

ترجمة: تهاني فجر

نغوغي وا ثيونغو

شيطان على الصّليب

ترجمة تهاني فجر

شيطان على الصّليب

شيطان على الصّليب

تأليف: نغوغي وا ثيونغو
ترجمة: تهاني فجر

الترقيم الدولي (ISBN): 978-9948-34-508-4



إصدارات روايات (إحدى شركات مجموعة كلمات)
الطبعة الأولى 2022

القصباء - مبنى D
هاتف: 5566696 6 971+ فاكس: 5566691 6 971+
ص. ب. 21969 الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
info@rewayat.ae
www.rewayat.ae

تمت الموافقة على المحتوى من قبل المجلس الوطني
للإعلام / المرجع: MC-02-01-7614139
التصنيف العمري: +21



إلى كلّ الكينيين الذين يناضلون ضدّ
استعمار الإمبريالية الحديثة.

الفصل الأول

1

أخبرني بعض الناس في بلدتنا إيلموروغ، بأنّ هذه الحكاية مخزية ومخجلة، لذا يجب إخفاؤها في أغوار الظلمة إلى الأبد.

وقال آخرون إنها محزنة ومؤسفة، لذلك يجب كتمانها حتى لا نذرف الدموع مرّة أخرى.

طرحت عليهم سؤالًا: هل بإمكاننا أن نغطّي الحفر الكبيرة الموجودة في فناء الدار بأوراق الأشجار والعشب، ونقول لأنفسنا إن أعيننا لا تستطيع رؤية تلك الحفر، وإنه يمكن لأطفالنا أن يتقافزوا في الفناء كما يشاؤون؟

يا لسعادة الشخص الذي يستطيع تمييز العثرات التي تعترض سبيله لكي يتجنّبها.

يا لسعادة الرّحّالة الذي يستطيع رؤية أعقاب الأشجار المقطوعة في طريقه لكي يقتلعها أو يتفاداها حتى لا يتعثر.

إنّ الشيطان الذي سيودي بنا إلى عمى القلوب وصمم العقول يجب أن يُصلَب، كما يُلزَم أخذ الحذر بألّا يقوم أتباعه بإنزاله من الصليب ليواصل عمله في بناء جهنّم للناس على الأرض...

حتى إنّني، لكوني رسولًا للعدالة، شعرت بأنّ هذا الحمل ثقيل جدًّا عليّ في البداية وقلت: إنّ غابة القلوب لا تجرَّد من جميع أشجارها، وإنّ أسرار الوطن لا يجب أن تبلغ مسامع الغرباء، إيلموروغ هي وطننا.

عند بزوغ الفجر جاءتني والدة وارينغا تبكي وتتوسل إليّ: يا جيكاندي بلاير، احك لي قصة الطفلة التي عشقتها كثيرًا، سلّط الضوء على كلّ ما حدث لكي يصدر كلّ الأشخاص الحكم بعد معرفة الحقيقة الكاملة، يا جيكاندي بلاير، اكشف كلّ المستور.

تردّدت في البداية وطرحت على نفسي هذا السؤال: من أنا - الفم الذي أكل نفسه؟ ألم يقولوا إن الظبي لا يكره من يراقبه بقدر كراهيته لمن يصرخ معلنًا عن مكان وجوده؟

في تلك اللحظة سمعت الكثير من صرخات الاستغاثة: يا جيكاندي بلاير، يا رسول العدالة، اكشف لنا كلّ ما هو مستور.

ولأنّ قلبي تأثّر كثيرا جرّاء تلك الأصوات التي تطلق صرخات الاستغاثة، صِمْت، بقيت سبعة أيام بلا طعام أو شراب، وبالرغم من ذلك طرحت على نفسي هذا السؤال: هل من الممكن أن يكون ما أراه مجرد سراب لا أساس ماديَّ له، أم إنني أُسمع أصداء الصمت؟ من أنا؟ هل أنا الفم الذي أكل نفسه؟ ألم يقولوا إن الظبي لا يكره من يراقبه بقدر كراهيته لمن يصرخ معلنًا عن مكان وجوده؟

وبعد مرور سبعة أيام زلزلت الأرض ولمع البرق في أرجاء السماء، ورُفِعتُ إلى الأعلى، وحُمِلتُ إلى سطح المنزل، وعرض علي الكثير من الأشياء، وسمعت أحد الأصوات، مثل دوي الرعد القوي، عاتبني قائلًا: من قال لك إن النبوءة لك وحدك، لكي تحتفظ بها لنفسك؟ لماذا تبحث لنفسك عن

أعذار واهية؟ لو فعلت ذلك، فلن تفارقك الدموع وصرخات الاستغاثة أبدًا.

عندما صمت ذلك الصوت، أُلقي القبض عليّ، رُفِعتُ إلى الأعلى، ثم أُسقِطت في رماد المدفئة، أخذت الرماد ولطّخت به وجهي وقدميّ وصرخت:

أقرّ
أقرّ
أخرسوا صرخات القلب.
امسحوا دموع القلب.
هذه الحكاية هي ملخّص ما رأيته أنا، كوني رسول العدالة، وما سمعته أذناي عندما حُملت إلى سطح المنزل.
أقرّ
أقرّ
بأنّ صوت الشعب هو صوت الله
لهذا السبب أقرّ
لهذا السبب أقرّ
لكن لماذا أتسكّع على ضفة النهر؟
لكي أسبح يجب أن أتجرّد من كلّ ثيابي
لكي أسبح يجب عليّ أن أغطس في النهر
إنه أمر جيد جدًّا.
تعالَ
تعالَ يا صديقي
تعالَ لنفكّر معًا

تعالَ لنفكّر معًا الآن

تعالَ لنفكّر معًا

بجاكينتا وارينغا قبل إصدار الحكم على أطفالنا...

الفصل الثاني

1

ظهر الشيطان لوارينغا جاكينتا في ملعب الغولف يوم الأحد في بلدة إيلموروغ، بمقاطعة ايسيسيري، وقال لها - مهلًا، إنني أستبق أحداث القصة، فمشاكل وارينغا لم تبدأ في إيلموروغ، هيا بنا نقتفي أثر خطواتنا...

لقد أثّر سوء الطالع والمشاكل على وارينغا قبل مدّة طويلة من مغادرة نيروبي، حيث كانت تعمل سكرتيرة (الطباعة على الآلة الكاتبة والاختزال) في مكاتب شركة تشامبيون للإنشاء[1] في شارع توم مبويا بالقرب من مبنى الأرشيف الوطني.

كان سوء الطالع أسرع من أسرع شبح، حيث كلّ مشكلة تنتج مشكلة أخرى.

في صبيحة أحد أيام الجمعة، أُقيلت وارينغا من عملها لأنها رفضت ممارسة الجنس مع رئيسها في العمل كيهارا، وهو مدير الشركة أيضًا، وفي أمسية ذلك اليوم أيضًا، هجرها حبيبها، جون كيموانا، الذي اتّهمها بكونها عشيقة لرئيسها كيهارا.

---

1 ترجم المؤلف هذا العمل إلى الإنجليزية من لغة كيكويو. في العمل الأصلي الذي كتب بلغة كيكويو كانت بعض الكلمات مكتوبة بالإنجليزية والفرنسية واللاتينية والسواحيلية، في هذه الترجمة الإنجليزية التي نترجم عنها كُتبت كلّ تلك الكلمات والجمل بالحروف المائلة. المترجمة.

في صبيحة يوم السبت، زار وارينغا مالك المنزل الذي تقطن فيه، في أوفافا جيريشو في نيروبي، حيث كانت تستأجر غرفة، (هل كان منزلًا أم عش عصفور؟ كانت الأرضية مليئة بالحفر، والجدران بالشقوق، والسقف ينزّ ماء)، أخبر المالك وارينغا بأنه ينوي زيادة في أجرة الغرفة، رفضت تلك الزيادة، فأمرها بالرحيل من السكن في الحال، اعترضت على ذلك وقالت إنه يجب عرض المسألة على محكمة الإيجار للنظر فيها، استقلّ مالك المنزل سيارته المرسيدس بنز ثم انطلق، وقبل أن يرتدّ طرف وارينغا، عاد المالك مرة أخرى مع ثلاثة حراس يرتدون نظارات شمسية سوداء، وقف على بعد مسافة من وارينغا، وهو يضع ذراعيه على خصره، ويحدّثها بسخرية، "لقد أحضرت لك محكمة الإيجار". ألقوا بأغراض وارينغا خارج الغرفة وأغلقت الغرفة بقفل جديد، ثم ألقى أحد الحراس ورقة في وجه الفتاة كُتب عليها:

نحن زبانية الشيطان: رجال أعمال نافذون.

حاولي تبليغ السلطات بما حدث وسنقوم بإرسالك إلى ملكوت الله أو ملكوت الشيطان بتذكرة - ذهاب بلا عودة - إلى الجنة أو الجحيم.

استقلّ الجميع سيارة المرسيدس بنز ثم اختفوا.

نظرت وارينغا إلى الورقة للحظة، ثم دسّتها في حقيبة يدها، جلست فوق أحد الصناديق وهي تضع رأسها بين يديها وتتساءل: لماذا يجب أن أكون أنا دائمًا؟ أيّ ربّ أسأت إليه؟ أخرجت مرآة صغيرة من حقيبتها ونظرت إلى وجهها بنوع من اللامبالاة وهي تقلّب مشاكلها المتعددة في ذهنَها، وجدت نفسها مخطئة، ولعنت اليوم الذي وُلدت فيه، سألت نفسها، يا وارينغا المسكينة، إلى أين ستذهبين الآن؟

في تلك اللحظة، قرّرت الذهاب إلى والديها، وقفت وجمعت أغراضها وكدّستهم على شكل كومة في الغرفة المجاورة لإحدى السيدات من مكامبا وبدأت تستعد للرحلة، وقِدْر من المخاوف يغلي في ذهنها.

اقتنعت وارينغا بأن مظهرها هو السبب الأساسي وراء كلّ مشاكلها، في كلّ مرة تنظر إلى نفسها في المرآة، تظنّ بأنّها قبيحة الشكل، والأمر الذي كرهته أكثر هو سواد بشرتها، لذلك تشوّه جسدها بكريمات تفتيح البشرة مثل آمبي وسنوفاير متجاهلة المقولة التي تفيد: كلّ شخص ولد أسود، لن يصبح أبيض أبدًا، الآن أصبح جسدها ممتلئا بالبقع الفاتحة والغامقة مثل الدجاج الحبشي، ومن كثرة تسريحها لشعرها بالمشط الحديدي الساخن صار متقصّفًا وباهتًا مثل لون فروة الرأس، كانت وارينغا تكره أسنانها أيضًا بسبب بعض البقع عليها؛ لم تكن بيضاء بالشكل الذي أحبّته، لذلك اعتادت أن تخفيها، ونادرًا ما كانت تضحك على الملأ، وعندما تضحك من دون أن تنتبه وتتذكّر أسنانها، سرعان ما تتوقف عن الضحك أو تقوم بإخفاء شفتيها بيديها، كان الرجال يستفزونها دائمًا وينادونها بـ وارينغا أيتها المرأة الغاضبة، بسبب شفتيها التي كانت تطبقهما بإحكام على الدوام.

لكن عندما تكون سعيدة ومتجاهلة لبياض أسنانها وسواد جلدها، تضحك من أعماق قلبها، وتلك الضحكة كانت تُشعر الآخرين بالراحة كثيرًا، كان صوتها ناعمًا مثل زيت عطري، وعيناها تشعّان مثل النجوم في الليل، وجسدها يسرّ عيون الناظرين، في أغلب الأحيان، عندما تمشي على طول الطريق، بلا وعي ذاتي يهتزّ نهداها بلطف مثل فاكهتين ناضجتين، فتوقِف الرجال عن السير إلى سبيلهم.

لكنها لم تكن تقدّر روعة جسدها، كانت تتوق إلى تغيير مظهرها سعيًا منها وراء جمال الأخريات. في الغالب، تفشل في ارتداء ما ينسجم

مع جسدها، ويعود ذلك لتهافتها على تقليد طريقة الأخريات في اللباس، وإلى تحكّم الموضة في اختيارها لما ترتديه سواء أكان يناسب لون بشرتها وقوامها أم لا، وفي بعض الأحيان، تشوه مظهرها عندما تقلّد طريقة إحداهن في مشيتها. لقد نسيت الحكمة التي تقول: تقليد الآخرين يكلّف الضفدع ردفيه.

كان انعدام الثقة بالنفس والشفقة على الذات الواضحان يشكّلان عبئًا ثقيلًا حملتهما وارينغا في ذلك السبت وهي تسير في شوارع نيروبي باتّجاه موقف الحافلة لكي تستقل حافلة الماتاتو[2] إلى منزل والديها في إيلموروغ.

حتى مع مرور عدّة أيام، ومع تغيّر حياتها بطريقة لم تكن تحلم بها من قبل، لم تتمكن وارينغا من إيجاد أيّ تفسير للطريقة التي تمكّنت بها من المشي على طول شارع "ريفر" وعبور شارع رونالد نغالا لتجد نفسها واقفة على حافة شارع رائسكورس بين كنيسة القديس بطرس كليفرز ومحلّ بيع ماكينات الخياطة في موقف حافلات فندق كاكا.

قدمت حافلة المدينة مسرعة باتّجاهها، أغلقت وارينغا عينيها، ارتعش جسدها، ابتلعت ريقها، وبدأ قلبها ينبض كما لو أنه يدقّ لإيقاع يشبه الصلاة: يا أبانا في أوقات الشدّة لا تنظر إلى الجهة الأخرى، لا تخفِ وجهك عني في وقت البكاء هذا، الآن، تقبّلني.

فجأة، سمعت وارينغا صوتًا في رأسها: لماذا تحاولين قتل نفسك مرة أخرى؟ إن أخبرك بأنّ عملك على الأرض قد انتهى؟ من قال لك إن عمرك انتهى؟

فتحت وارينغا عينيها بسرعة، حدّقت من مكان لآخر، لم تتمكّن من رؤية صاحب ذلك الصوت، الآن، أحسّت برعشة من قمة رأسها إلى أخمص

---

2 الماتاتو: حافلة صغيرة خاصّة بسعة تتراوح ما بين أربعة عشر إلى أربعة وعشرين شخصًا، وهي الشكل الأكثر شيوعا للنقل في نيروبي. م.

قدميها عندما تذكّرت ما أوشكت على القيام به.

في تلك اللحظة أحسّت بالدّوار، بدت نيروبي بكلّ ما فيها من بنايات، وناس، وسيارات، وشوارع تدور أمام عينيها، أغلقت أذنيها، اختفت كلّ أصوات الضجيج عندما حلّ الصمت في البلدة، تراخت ساقاها عند الركبتين؛ خارت قواها من المفصلين؛ أحست وارينغا بأنّها أوشكت على فقدان وعيها وتوازنها، لكن عندما أوشكت على السقوط أحسّت بأنّ شخصًا ما يمسك بذراعها اليمنى لكي يسندها.

قال الرجل الذي كان يمسكها "لقد كدت تسقطين، تعالي واجلسي في ظلّ البناية، ابتعدي عن أشعة الشمس".

لم يكن بمقدور وارينغا رفض أو اكتشاف الشخص الذي يتحدّث إليها، تركته يقودها إلى سلّم بناية صالون هيفنلي كاكا للتدليك وحلاقة الشعر، كان باب الصالون مغلقًا. جلست وارينغا على الدرجة الثانية من السلّم، تحمل رأسها بين يديها المغلقتين، وأصابعها تلامس شحمتَي أذنيها، اتّكأت إلى الخلف على الجدار، فجأة خارت قواها وانزلقت في أعماق الظلام، عمّ الصمت، سمعت بعد ذلك صوت صفير، ثم أصواتًا من دون صافرات، كانت تبدو كأصوات تغني من مسافات بعيدة، أصوات غناء تحملها موجات الرياح:

أنوح على جسدي

الجسد الذي منحه لي الرّب القادر

أسأل نفسي:

متى سيدفنونني؟

مع من سأشارك قبري؟

بعد مدّة لم يعد ذلك الصوت يشبه الغناء، ولم يعد بالإمكان تمييز تلك الأصوات، لقد أصبحت غير متناسقة، مجموعة من الأصوات المتنافرة والفارغة من المعنى.

لقد عاود زيارة وارينغا ذلك الكابوس الذي كان يأتيها عندما كانت تتردّد على كنيسة المسبحة الوردية وهي طالبة في مدرسة ناكورو، رأت في البداية الظلام وبعض النور في أحد الجوانب لكي يكشف عن الصليب الذي عُلِّق في الهواء، بعد ذلك رأت مجموعة من الأشخاص يرتدون ملابس بالية يمشون في النور، يقودون الشيطان نحو الصليب، كان الشيطان يرتدي بدلة حريرية، ويحمل عكازًا يشبه المظلة المطوية، وعلى رأسه سبعة قرون وسبعة مزامير لعزف أنشودة المجد والثناء الشيطانية. كان لذلك الشيطان فَمَان، فم على جبينه، وآخر خلف رأسه، أما كرشه فقد تدلّى كأنه سَيَلِد شرور العالم بأسره، كما كان لون بشرته أحمر مثل جلد الخنزير. بدأ يرتعش بالقرب من الصليب، وأشاح عن النور الذي بدا أنه سفع عينيه وأدارهما نحو الظلام. كان ينوح ويتوسّل إلى الناس بألّا يصلبوه، ويقسم أنه وأتباعه لن يقوموا ببناء جهنم ثانية للناس على الأرض.

لكن الناس صرخوا بصوت واحد: الآن صرنا على دراية بأسرار تلك الأردية التي تخفي مكرك، ترتكب جريمتك ثم ترتدي أردية الشفقة وتذهب لكي تمسح الدموع من على وجوه الأيتام والأرامل، تسرق الطعام من متاجر الناس في منتصف الليل، وعند حلول الفجر تزور الضحايا في حلّة العمل الخيري وتقدّم لهم يقطيناً يابسًا مملوءًا بالحبوب التي سرقتها. تحثّ على المجَون، فقط، لإرضاء نزواتك، وبعدها ترتدي رداء التقوى وتحثّ الناس على التوبة وعلى اتّباعك لكي تقودهم إلى سبل الاستقامة.تصادر ثروات الناس

وتلبس رداء الصداقة وتحثّهم على مساعدتك لمطاردة الشخص الذي نهبهم.

وفي ذلك الزمان والمكان صلب الناس الشيطان على الصليب، ثم ابتعدوا وهم ينشدون أهازيج النصر.

بعد مرور ثلاثة أيام، يأتي أشخاص آخرون آثروا البقاء بالقرب من جدار الظلام وهم يرتدون البدلات وربطات العنق، وينزلون الشيطان من على الصليب، ثم يركعون له ويصلّون بأصوات عالية، ويتوسلون له لكي يتصدّق عليهم بجزء من أردية مكره، بعد ذلك بدأت بطونهم بالانتفاخ، ووقفوا وتوجّهوا نحو وارينغا، لكي يسخروا منها، ويربتون على بطونهم التي ورثت كلّ شرور هذا الكون.

جفلت وارينغا، ثم حدّقت حولها كأنّها في رحلة طويلة، وبدأت تستعيد وعيها الآن. اكتشفت أنها لا تزال في شارع ريسكورس، وأنها لا تزال بالقرب من موقف حافلات فندق كاكا بالقرب من كنيسة القديس بطرس كليفرز، وأنّ الأصوات التي سمعتها لا تعدو كونها هدير سيارات متسارعة، سألت نفسها: كيف وصلت إلى هنا؟ أيّ رياح أخذتني إلى هنا؟ ما زلت أذكر بأنني ركبت في الحافلة رقم 78 القادمة من أوفافا جيريشو، لقد مرّت عبر عقارات القدس وباهاتي، وانعطفت إلى شارع جوغو، مرورًا بمحطة حافلات ماكاكو. آه، أجل، لقد كنت في طريقي إلى الجامعة من أجل زيارة حبيبي جون كيموانا، لأراه للمحة أخيرة، ونزلت عند موقف الحافلة خارج مبنى الأرشيف الوطني بالقرب من محلّات التنظيف وايت روز، ومشيت عبر شارع توم مبويا ومرورًا بمسجد كونجا عبر حدائق جيفانجي مرورًا بفندق غاردن، ثم توقّفت عند منعطف شارعَي هاري ثوكو والجامعة المقابلة لمركز الشرطة العام، هل هذا هو المكان الذي عدت إليه؟ لأنني عندما نظرت إلى مبنى الجامعة، خاصّة إلى قسم الهندسة، تذكّرت أحلام طفولتي، عندما

كنت في مدرسة البهاريني الابتدائية ومدرسة ناكورو الثانوية، وتذكّرت كيف تحوّلت أحلامي إلى غبار بسبب ذلك المسنّ الثري من نغوريكا. عندما اندمجت تلك الذكريات مع الأفكار المتعلّقة بجون كيموانا الذي تخلّى عني ليلة أمس، وعندما كنت أغرق في مشاكلي، فجأة أحسست بأن قلبي وعقلي يحترقان من شدّة الألم، وأنّ الغضب الذي أشعر به بدأ يخنقني، الآن ماذا فعلت بعد ذلك؟ إلى أين ذهبت؟

آه، يا إلهي، أين هي حقيبتي؟ أين تركتها؟ كيف سأحصل على أجرة تذكرة لحافلة متوجهة إلى إيلموروغ؟

مرة أخرى، حدقت وارينغا حولها، في تلك اللحظة وقعت عيناها على عينَي ذلك الشخص الذي أمسكها من يدها اليمنى، وقادها للجلوس على درج صالون التدليك.

قال الرجل: "هذه حقيبتك"، وهو يمد ذراعه لكي يعطيها حقيبة سوداء مزخرفة في أحد الجوانب بجلد الحمار الوحشي.

أخذت منه وارينغا الحقيبة وهي لا تزال جالسة. نظرت إليه وهي تتساءل: يبدو فتى يافعا رغم أن وجهه يوحي بأنه راشد، لديه شعر أسود كثيف، ولحية تشبه شعر الجدي، كانت عيناه السوداوان تشعّان بنور الحكمة التي ترى العديد من الأشياء الخفية على بعد مسافة، وكان يرتدي بنطالًا من الجينز الخاكي وكنزة جلدية بنية، ويحمل تحت ذراعه اليسرى حقيبة جلدية سوداء، شرح لها كيف حصل على حقيبتها.

"لقد أسقطتها في شارع ريفر، بالقرب من المقهى، عند موقف حافلات نيري ومورانغ، وقد قمت بالتقاطها لك وتبعتك، أنت محظوظة جدًّا اليوم، كانَ من الممكن أن تدهسك إحدى المركبات بكلّ سهولة، كنت تعبرين الشوارع وتتجاهلين السيارات المارّة مثل الرجل الضرير الذي دخّن الأفيون

وتغمره الشجاعة المفرطة والطائشة. أمسكت بك عندما كنت تتأرجحين على الرصيف، ثم أخذتك من يدك وقدتك إلى الظلّ، منذ تلك اللحظة وأنا أقف هنا مكتوف اليدين، أنتظر رجوعك من العالم الذي نقلك إليه عذاب الذاكرة".

سألته وارينغا: "كيف علمت بأنني شاردة الذّهن؟ "

أجاب الرجل الشابّ: "الأمر واضح من وجهك، من عينيك، وشفتيك"، قالت وارينغا: "أشعر بالراحة لأنني استرجعت حقيبتي، لم أدرك أنني أوقعتها، وليس لديّ حتى نصف سنت في محفظتي".

قال الرجل الشاب: "افتحيها وتأكدي من وجود كلّ أغراضك، خاصّة المال".

قالت بكلّ أسف: "لم يكن الكثير من المال بداخلها".

"ومع ذلك، من الأفضل أن تتحقّقي، ألا تعلمين بأنّ السارق الذي يسرق خمسة وعشرين سنتًا يشنق عادة؟".

فتحت وارينغا حقيبة يدها، نظرت بداخلها بقليل من الاكتراث، ثم قالت: "كلّ شيء موجود"، لكن ثمة سؤال كان يزعجها، هل كان هذا هو الشخص الذي أمسك بها عندما أوشكت أن تلقي بنفسها على الطريق؟ كيف فطن لأفكارها؟ كيف علم بأنها ليست المرة الأولى التي حاولت فيها الانتحار؟ سألته: "هل أنت الرجل الذي حدّثني قبيل أن أغيب عن الوعي تمامًا؟ "

هزّ رأسه: "وصلت عندما أوشكت على السقوط، هل أنت مريضة؟ "

أجابت وارينغا بسرعة: "لا، مجرد تعب نفسي وجسدي من نيروبي".

قال الرجل الشاب: "لديك كلّ الحق في تعبك، نيروبي مدينة واسعة بلا حيوية وفاسدة"، اقترب من وارينغا واتّكأ على الجدار وواصل قائلًا:

"ليست نيروبي وحدها هي التي تأثّرت بأمور كهذه، يمكن قول الشيء نفسه على كلّ المدن في الدول التي اقتلعت جذور الاستعمار حديثًا. تلك

الدول تجد صعوبة كبيرة في القضاء على الفقر لسبب بسيط هو إنّها قطعت عهدًا بأن تتعلم من الخبراء الأمريكيين كيفية إدارة اقتصادها، لذلك تعلّم سكّانها نظام ومبادئ المصلحة الشخصية ومبادئها، وطُلب منهم نسيان الترانيم القديمة التي تمجّد مفهوم المصلحة العامة، لقد تعلموا ترانيم جديدة، أناشيد جديدة تحتفل باكتساب الأموال، لذلك نيروبي تدرّس اليوم:

الاعوجاج للمستقيمين
والوضاعة لأصحاب الكياسة
الكراهية للأحبّاء
والشرّ لأصحاب الخير
كما تدعو أغنية الرقص اليوم إلى:
الشأن الذي يعلو لشخص ما لن يعلو لآخر
والشيء الذي يسرق لن يسرق لآخر
والشيء الذي يرحل لن يرحل لآخر
فأين هو الباحث الذي يبحث عن شخص آخر؟

قلّبي هذه الأمور في ذهنك واسألي نفسك: هذا النوع من الأناشيد، إلى أين سيقودنا؟ أيّ نوع من القلوب ينبض بداخلنا؟ ذلك النوع الذي يجعلنا نضحك أكثر عندما نرى أطفالنا يتعاركون مع الكلاب والقطط من أجل فتات الطعام في سلال المهملات؟ يمكن تعليم الحكمة للعاقل أيضًا، ولذلك دعيني أخبرك:

قال شعب الكيكويو إنّ الكلام هو السبيل للود.
وإنّ اليوم الحاضر هو كنز الغد.

والغد هو حصاد ما نزرعه اليوم.
لذلك، فلنسأل أنفسنا.
ما الطائل من وراء النواح والأنين؟
غيّروا البذور، فاليقطينة لا تحوي على أكثر من نوع واحد من البذور.
غيّروا الخطوات، فالأغاني لها أكثر من إيقاع واحد.
رقصة مومبوكو تتألف من خطوتين واستدارة في هذه الأيام.

صمت الفتى بشكل مفاجئ، لكن صوته وكلماته ظلا يرنّان في أذنَي وارينغا. لم تفهم كلّ الكلمات التي ألمح لها الفتى بلغته الغامضة، لكن بين الفينة والأخرى كانت تشعر بأنّ كلماته تلامس الفكر، حيث إنّها كانت تستعمل اللغة نفسها في وقت من الأوقات. تنهّدت وقالت: "لكلماتك معانٍ خفية، لكن ما تقوله صحيح، لقد تجاوزت هذه المشاكل حدود التحمّل، من سيرفض التغيير في سبيل التخلّص منها؟"

شعرت وارينغا وهي تتحدث بأنّ لسانها بدأ يرتخي، راحت تتحدّث كما لو أنها ترفع حملًا ثقيلًا عن قلبها، تحدثت بصوت معتدل، لا خافتًا ولا مرتفعًا، لا لاهثًا ولا متسارعًا، وليس متقطعًا ولا متأتئًا، لقد كان صوتًا يحمل الألم والأسى والدموع.

2

قالت وارينغا: "خذ فتاة مثلي"، وهي تحدّق في نقطة واحدة كأنّها تتحدث مع نفسها "أو خذ أيّ فتاة أخرى في نيروبي، دعنا نسمّها ماهوا كاريندي، لنفترض أنها ولدت في قرية أو في قلب الريف، ولنفترض أن تعليمها محدود،

أو دعنا نقُل إنّها حصلت على شهادة التعليم المتوسط وذهبت إلى الثانوية، دعنا نفترض أنها مدرسة جيدة وليست مثل مدارس هارامب حيث يدفع الفقراء مبالغ طائلة في قاعات بلا معلمين.

قبل أن تصل كاريندي إلى الصف الثاني الثانوي، تكون قد وقعت في المأزق، إنها حامل، من المسؤول؟

لنقل إنه أحد الطلبة، وهذا الطالب لا يملك سنتًا واحدًا في جيبه. كانت صداقتهما تتمثل في إعارة الروايات لبعضهما، تلك الروايات التي كتبها جيمس هادلي تشيس، تشارلز منغوا أو ديفيد مايلو، كما كانت صداقتهما تتمثل في ترديد بعض الأغاني من ألبوم جيم ريفز أو د.ك. أو لورنس ندورو، إلى أين ستذهبين الآن يا كاريندي؟

من ناحية أخرى، يمكن القول إن الرجل المسؤول عن الحمل هو أحد المتسكّعين من القرية، وهذا المتسكّع كان عاطلًا عن العمل، لا يمتلك مكانًا لوضع رأسه حتى.

وقد عزّز علاقتهما عزف القيثارة وأوقات الرقص المسائية في القرية، كانا يمارسان الجنس في أكواخ مستأجرة أو في الحقول المفتوحة بعد حلول الظلام، يا كاريندي الصغيرة، إلى أين ستذهبين؟ الطفل سيكون بحاجة إلى طعام وملبس.

من المحتمل أن يكون لذلك المتسكّع عمل في القرية، لكن راتبه لا يتعدى خمسة شلنات في الشهر، تطوّر حبهما بسبب أفلام بروس لي وجيمس بوند، في غضون خمس دقائق داخل فندق رخيص أو في طريقهما إلى المنزل بسيارة أجرة صغيرة، من سيمسح دموع كاريندي الآن؟

لَنقل إنّ والد الطفل رجل غني، أليس هذا النوع من العلاقات هو السائد في هذه الأيام؟ ذلك الرجل الغني لديه زوجة، والعلاقة لا تعدو كونها

لقاء بسيارة مرسيدس بنز يوم الأحد، دعّمها القليل من النقود التي أخذتها كاريندي مصروف جيب قبل عودتها إلى المدرسة، وتعزّزت تلك العلاقة بمشروب كحولي قوي يرتشفانه في الفنادق على مسافة بعيدة من القرية.

سواء كان طالبًا أو متسكعًا، أو رجلًا غنيًا، ستكون ردّة فعل كل واحد منهم متشابهة عندما تحدّثهم كاريندي عن وضعيتها، ماذا؟! من تعتقدين أنه المسؤول عن حملك؟ أنا؟ كيف وصلت إلى هذه النتيجة؟ اذهبي واستفزّي شخصًا آخر بأوهامك، كاريندي يا صاحبة الأفخاذ الرخوة، يا كاريندي الرخيصة، بإمكانك أن تبكي حتى تملأ دموعك براميل الزيت، لن يحدث ذلك أيّ فرق، يا كاريندي لا يمكنك أن تحملي من أيّ شخص، ثم تضعين حملك عند باب منزلي لمجرد أني قمت بمغازلتك في أحد الأيام.

لنقل إنّ كاريندي ليست بحاجة إلى أيّ شخص يتحدّث باسمها، كانت تقف هناك وهي تضع يديها على خصرها، وتنتقد حبيب الأمس "تعتقد بأنّك السكر بعينه؟ من الأفضل أن أحتسي الشاي من دون سكر. هل تظنّ بأنّك حافلة؟ من الأفضل أن أسير على قدمَيّ. إذا كنت تعتقد بأنك منزل، سأفضّل النوم في الهواء الطلق، أو ربما تعتقد أنك السرير نفسه؟ سأختار النوم على الأرض، فأنا فقدت الثقة بأصحاب الكلام المعسول ممن يعيشون عالات على المومسات الراقصات"، لكن كاريندي كانت تحاول مواجهة تلك الأمور بشجاعة، برغم أنّ في داخلها قلبًا يستشيط غضبًا.

لنقل إنّ كاريندي رفضت تناول أقراص الإجهاض، إنه لأمر مروع عندما نضطر إلى إخراج الأجنة من أرحام أمهاتهم جثثًا هامدة. كاريندي لديها رضيعة، ولم تقم برميها في المرحاض، كما أنها لم تتركها بجانب الطريق أو في الحافلة، ولم تتخلّ عنها في الغابة أو في حاوية قمامة. كاريندي ألقت على والدتها أو جدتها مسؤولية تربية الطفلة التي جاءت إلى الدنيا برغم

حقيقة أنّ والديها لم يرحّبا بقدومها، لكن والدتها وجدّتها قامتا بتحذيرها من ألا تعتاد على فعل مثل هذا الأمر: "احذري من الآن فصاعدًا يا كاريندي، لا تنسي بأنّ الرجال لديهم إبر تلسع، إبر ضارة ومزعجة لا تترك أيّ أثر على أجساد ضحاياهم".

أصبحت كاريندي تدرك الآن فقط أن لا أحد يتوب نيابة عن ذنوب الآخرين، لا يوجد أيّ شخص يندم على الذهاب بمقدار ندمه على العودة، عندما يبتسمون لك، لا يعني أنك محبوب، ولهذا تعضّ كاريندي على شفتيها بحسرة وشدة وتعود إلى المدرسة. كانت تتقدم بثبات ووصلت إلى الصف الرابع، ثم تقدّمت للحصول على شهادة المدرسة أو كامبريدج وهي شهادة تثبت أنها نجحت في اللغة الإنجليزية والسواحيلية والدين.

الأمور على ما يرام إلى الآن.

لكن ليس للمشاكل أجنحة لكي تطير بعيدًا، مرة أخرى، كان على والدَيْ كاريندي البحث في جيوبهما من جديد لإخراج القروش التي كانا يدخرانها، والتي كانت كأنّها العصا المتروكة جانبًا استعدادا لملاقاة جرذ محتمل ولقد ظهر ذلك الجرذ الآن. بكلّ سرعة، سجّلا كاريندي في كلية نيروبي للسكرتارية لكي تتعلم الطباعة والكتابة المختزلة، بعد مرور تسعة شهور، أصبحت كاريندي قادرة على الطباعة باحترافية، وبمعدل خمس وثلاثين كلمة في الدقيقة، وأصبحت الآن خبيرة في الكتابة المختزلة، حيث وصلت إلى سرعة ثمانين كلمة في الدقيقة الواحدة، فلغة العين مختلفة عن لغة الأذن، كانت شهادتا بيتمان في مهارتي الطباعة والكتابة المختزلة بحوزة كاريندي.

اَلآن، كاريندي تجوب جميع أنحاء نيروبي بحثًا عن وظيفة، مسلّحة بمهارات بيتمان في الطباعة والكتابة المختزلة، كانت تدخل المكتب تلو

الآخر. وجدت في أحد المكاتب مديرًا يتمدد إلى الخلف على كرسيه في مكتبه من أجل المزيد من الراحة، نظر إلى كاريندي من رأسها إلى أخمص قدميها، وسألها: "ماذا تريدين؟ وظيفة؟ لا بأس، لكني مشغول جدًّا الآن، سأقابلك عند الساعة الخامسة. كانت كاريندي تنتظر قدوم الموعد بفارغ الصبر، أسرعت عائدة إلى المكتب وهي تلهث. الآن، المدير يبتسم لها، ويقدّم لها كرسيًا، ويسألها عن اسمها، اسمها عند الولادة، والاسم الإنجليزي الذي مُنح لها، ثم سأل عن الأمور التي تستفزها، وأنصت لها بكلّ إمعان، بعد ذلك نقر المدير المكتب بطرف أصبعه أو بقلمه، وقال "من الصعب الحصول على وظائف هذه الأيام، لكن فتاة مثلك، ليس من الصعب أن أجد لها عملًا تقوم به، لكن، يا كاريندي، أمر كهذا لا يمكن إتمامه في المكتب، هيا بنا نذهب إلى حانة وفندق "الحب الحديث" لكي نناقش المسألة بعمق،" لكن كاريندي مازالت تتذكر اللدغات السامة للسنين الماضية، من رأى مرة يتعلم، ومن شرب من وعاء القرع اليابس يمكنه أن يقيس حجمه، لذلك رفضت كاريندي كلّ الدعوات التي تعرض عليها الالتقاء في الفنادق المخصصة لممارسة الجنس، سواء أكانت حديثة أم قديمة، في اليوم التالي، كانت لا تزال تجوب المدينة بحثًا عن وظيفة.

تدخل من مكتب إلى آخر، فتجد مديرًا آخر، كانت الابتسامات متشابهة، والأسئلة نفسها وموعد اللقاء نفسه، والهدف هو الوصول إلى فخذي كاريندي. أصبح فندق وحانة الحب الحديث هو مكتب التوظيف الخاص بالفتيات، وأصبحت أفخاذ السيدات هي الطاولات التي توقع عليها عقود العمل، فتاة عذراء غاصت ذات مرة في بحر من الحب والعذوبة. إن بلادنا الجديدة كينيا تغني لكاريندي أغنية واحدة فقط على أيّ حال، يا أخت كاريندي، إنّ قضية الأحمق تستغرق وقتًا، كلّ جلسة محاكمة تفتتح

بالاحتفال، يا أخت كاريندي لا أحد يلعق اليد الفارغة، اعتني بي وسأعتني بك، المشاكل الحديثة تُحَلّ بمساعدة الأفخاذ، الشخص الذي يرغب في النوم عليه أن يكون متحمسًا لإعداد الفراش.

لقد قررت كاريندي عدم إعداد الأسرّة، فهي تفضل إبقاء مشكلتها بلا حلّ، ولأنّ الرّب لا يأكل العصيدة في الحقيقة، ففي إحدى الصباحات، حصلت كاريندي على عمل من دون أن تزور أيّ فندق للجنس الحديث. كيهارا هو المدير التنفيذي للشركة، كان في منتصف العمر، متزوج ولديه عدة أطفال، فضلًا عن ذلك هو عضو في الهيئة التي تدير كنيسة "هيفن"، كانت كاريندي تقوم بواجباتها المهنية بكلّ دقة.

بعد انقضاء شهر واحد فقط، تعرّفت كاريندي على "كامونغوني"[3] وهو شابٌّ طالبٌ في الجامعة، ولديه آراء عصرية تقدمية، عندما اعترفت له كاريندي بأنّ لديها طفلة في المنزل، أخرسها كامونغوني بقبلات الحبّ، ثم قال لها: "طفلة لا تعني نمرًا متوحشًا يلحق الأذى بالآخرين، فضلًا عن ذلك، إنجابك للطفلة يعني أنك لست بغلًا". بعدما سمعت كاريندي هذه الكلمات، ذرفت دموع السعادة، وبين الفينة والأخرى كانت تقسم بالإخلاص له، من أعماق قلبها قائلة: لأنني محظوظة وبحثت جيّدًا ووجدت كامونغوني، شابًّا يتبنّى آراء عصرية، وأنا كاريندي أقسم أنني لن أغضبه أبدًا ولن أجادله أو أخالف رأيه في أيّ قضية، لو صرخ في وجهي، سألوذ بالصمت، سأغضّ طرفي مثل فهْد خجول أو مثل حَمَل يأكل العشب، سأساعده لكي يكمل تعليمه من دون تأخير أو أيّ مشاكل لكي نتمكن معًا من بناء منزل ذي أساسات متينة، لن أنظر أبدًا إلى شخص غيره.

---

3 كامونغوني هو شخصية في أغنية كيكويو الشعبية التي تتحدث عن فتاة يرغب والدها أن يزوجها من وايغوكو، رجل مسن ثري، ذو شعر كثيف في صدره، لكنها تفضل كامونغوني الشاب الفقير الذي اختارته. م.

كانت صديقات كاريندي يحسدْنها، ويقدمْن لها بعض الآراء: يا كاريندي، من الأفضل أن تغيّري طريقة تعاملك، بذور اليقطين اليابس ليست جميعها من النوع نفسه". أجابتهم كاريندي "الطفلة القلقة تغادر المنزل بحثًا عن الطعام تمامًا مثل الشاة وهي على وشك الذبح"، لكن الفتيات قلن لها: "أيتها الصديقة، هذه كينيا الجديدة، يجب على الشخص أن يدّخر شيئًا ليسد حاجيات الغد، الشخص الذي يدّخر بعض الطعام لن يشعر بالجوع أبدًا"، أجابت: "التّخمة تدمّر المعدة"، سخروا منها: "الحمية القاسية تكون مملة"، لم توافقهن كاريندي وقالت: "العقد المستعار قد يفقدك عقدك".

الآن، بدأت كاريندي تعتقد بأنّ حياتها تسير بشكل سلس. بدأ المدير يسمعها كلمات ينتقيها بعناية، ثم جاء إلى مكتبها في يوم من الأيام، وقف بجانب آلتها الكاتبة، وتظاهر بأنّه يفحص الورقة التي طبعتها، ثم قال: "بالمناسبة، يا آنسة كاريندي، ما هي خططك لهذا الأسبوع؟ أودّ منك أن ترافقيني في رحلة برية قصيرة، ما رأيك في ذلك؟ رفضت كاريندي بطريقة مهذّبة، طريقة رفض مغلّفة بأدب لا يولّد أحاسيس سيئة. يتريّث المدير كيهارا، وهو يأمل أن تستسلم كاريندي في نهاية الأمر، ففي العجلة الندامة. بعد مرور شهر آخر، عاد للحديث معها من جديد في المكتب "آنسة كاريندي، توجد حفلة مشروبات في نادي براديس هذا المساء"، مرة أخرى اعتذرت كاريندي بعبارات مهذبة.

جاء اليوم الذي فكّر فيه المدير كيهارا بالموضوع بهذه الطريقة، إنّ القناص الذي يطارد طريدته خلسة من الممكن أن يخيفها وتبتعد عنه في نهاية المطاف، التسوّل يتطلب التغيير المستمر في الخطط، الاستحمام يتطلّب خلع كلّ الثياب، لذلك واجه كاريندي بكلّ جرأة، "بالمناسبة، آنسة

كاريندي، لديّ الكثير من العمل يتوجّب عليّ القيام به اليوم، توجد حزمة من الرسائل يجب الردّ عليها، جميعها في غاية الأهمية ومستعجلة، أودّ منك البقاء في المكتب بعد الساعة الخامسة تمامًا، ستدفع لك الشركة أجرة العمل الإضافي". انتظرت كاريندي، أزفت الساعة الخامسة، كان المدير كيهارا لا يزال في مكتبه، يكتب الرسائل ربما، دقّت الساعة السادسة الآن، انصرف الجميع وذهبوا إلى منازلهم، نادى المدير كيهارا على كاريندي، طلب منها أن تجلس حتى يتمكّنا من الحديث، بعد دقيقة أو اثنتين وقف كيهارا وجلس على حافة مكتبه، كان يبتسم بطريقة ماكرة، عثرت كاريندي على كلماتها الآن قائلة: رجاءً سيد كيهارا، قم بإملاء الرسائل عليّ الآن لأنني أنوي الخروج هذا المساء، والظلام بدأ يعمّ.

"لا تقلقي كاريندي، إذا حلّ الظلام سأقلّك بسيارتي إلى منزلك".

"شكرًا لك، لكنني لا أريد أن أربك جدول أعمالك"، أجابت كاريندي بصوت هادئ حتى لا تظهر انزعاجها.

"آه، لن يكون هناك أيّ إزعاج على الإطلاق، بإمكاني أيضًا أن أتّصل بالمنزل لكي أبلغ سائقي الخاص ليقوم بتوصيلك إلى مسكنك".

"أفضّل التنقل بالحافلة، أين هي الرسائل رجاءً؟ ".

انحنى المدير كيهارا قليلًا نحو كاريندي، كان نور معين يشعّ من عينيه، خفض صوته:

" عزيزتي كاريندي، رسائلي يُمليها القلب".

قالت كاريندي بسرعة: "هل قلت عن ظهر قلب؟"، وهي تتظاهر بأنّها لم تفهم مغزى عبارته، "هل ترى أنه من المنطق أن تملي مثل تلك الرسائل على أحد موظفيك؟ أليس من الأفضل أن تقوم بكتابتها بنفسك لكي لا تكشف أسرار قلبك لشخص غير معني بها؟".

"جميلتي كاريندي، يا زهرة قلبي، لا أحد غيرك يستطيع كتابتها، لأنّني أودّ أن أرسلها إلى عنوان قلبك بالذات، عن طريق بريد قلبك، ولتقرئيها بعينَي قلبك، ثم تحفظيها داخله وتحتميها هناك إلى الأبد، وعندما تتلقين الرسائل، أتوسّل إليك لا تكتبي عليها يعاد إلى المرسل، يا عزيزتي، يا زهرة قلبي، انظري كيف أضناني حبي لك؟".

"سيدي المدير، يا سيدي، أرجوك"، حاولت كاريندي أن تقول شيئًا. كان جزءًا منها يشعر بالرعب وهي ترى المدير كيهارا كيف يتحدث بأنفاس تتسارع، لكن الجزء الآخر منها يودّ الضحك حين تقارن الكلمات التي تخرج متعثرة من فمه مع الرقعة البيضاء اللامعة والمضيئة في رأسه، وكانت تبحث كاريندي تبحث عن الكلمات التي تجعل المدير كيهارا يخجل من نفسه: "لنفترض أن زوجتك سمعتك وأنت تقول هذه الكلمات، ماذا عساك أن تفعل؟ ".

"هذا لا يعنيها، فالمرء لا يضع عطرًا عديم الرائحة عند الذهاب للرقص، أرجوك يا كاريندي، يا فاكهة قلبي الصغيرة، أنصتي لي جيّدًا لأحكي لك أشياءً جميلة، سوف أستأجر لك منزلًا في حي فوراها ليو، أو في وسط المدينة، في شارع كينياتا، أو في أيّ جزء من المدينة، اختاري أيّ شقة أو منزل ترغبين به، سأزيّن المكان بالأثاث، والسجاد، والمرتبات، والستائر من باريس، ولندن، وبرلين، وروما، ونيويورك وطوكيو، وستوكهولم، أو من هونغ كونغ، سيكون أثاثًا وأغراضًا منزلية مستوردة، سأشتري لك الثياب أودّ أن أراك تلبسين آخر صيحات الموضة من شارع أوكسفورد في لندن، أو محلات الموضة الرفيعة في باريس، أمّا الأحذية ذات الكعب العالي والأحذية المنبسطة فسوف تأتي من روما في إيطاليا، عندما تخرجين بتلك الأحذية التي يلقّبها الناس بـ"لن أتّجه إلى مكان محدد فلمَ العجلة؟"، أودّ من جميع

الأشخاص في نيروبي أن يلتفتوا إليك فيصفّرون من الحسد، ويقولون "تلك معشوقة المدير كيهارا الحسناء". وإذا ما دامت هذه المتعة، وإذا ما أسعدتني بكل مسرّات الدنيا، سأشتري لك سيارة صغيرة من أجل التسوق، أو من أجل التنزّه يوم الأحد، أعتقد أن سيارة ألفا روميو هي التي تناسب العروسة، كاريندي يا فاكهتي الصغيرة، يا برتقالتي الصغيرة، يا نوارة قلبي، تعالي إليّ وقولي وداعا للفقر".

كتمت كاريندي ضحكتها بصعوبة بالغة، وقالت له: "سيدي المدير هل بإمكاني أن أطرح عليك سؤالًا؟ ".

"اطرحي ألف سؤال وسؤال".

"هل تعني بأنك سوف تتزوجني؟ ".

"آه، لماذا تتظاهرين بعدم فهم الأمور كما هي؟ ألا تفهمين ذلك؟ يا فاكهتي الصغيرة، كوني لي، كوني معشوقتي".

"لا، لا أرغب القيام بعلاقات غرامية مع رؤسائي في العمل".

"مِمَّ أنت خائفة يا فاكهتي الصغيرة؟ ".

"ثم إني لا أودّ أن أدمّر أسرتك، العقد المستعار قد يُفقد المرء عقده الخاص".

"ألم أقل لك إن المرء لا يذهب إلى الرقص بثياب بالية وبعطر عديم الرائحة؟ كاريندي، يا عقدي الجديد، يا حبة الطماطم التي تنمو في تربة خصبة في أرض مهجورة، ممَّ أنت خائفة؟ ما الخطب؟".

"لديّ كامونغوني، أنا عاشقة".

"ها! لا تجعليني أضحك يا كاريندي، هل أنت من الطراز القديم حقًّا؟ أتتحِدثين عن أولئك الأولاد الذين يتظاهرون بأنهم رجال؟ أولئك الأولاد، هل خُتنوا؟".

"البطاطا التي يقتلعها المرء لنفسه لا تكون ملطخة بالوحل، قصب

السكر الذي يقطفه المرء لنفسه ليس له أطراف غير ناضجة، الأشخاص الذين يحبّهم المرء لا ينظرون بعينين نصف مغمضتين، الرجل الشاب الذي تدّعي بأنه غير مختون هو حبيبي الذي اخترته".

قال لها المدير كيهارا وهو يلهث "كاريندي، دعيني أقُل لك شيئًا"، ابتعد عن الطاولة واقترب منها، "في هذه الأيام مسألة الاختيار بين وايغوكو ذي الصدر كثيف الشعر، وبين كامونغوني، العاشق الشاب، لم تعد تجدي نفعًا، فقد تمّ حلق صدر وايغوكو كثيف الشعر بالمال، لكن في الحقيقة بما أن القلب يتوق إلى الشيء الذي يختاره، لن أجبرك على أن تكوني عشيقتي، لقد رفضت منزلًا رائعًا، وثيابًا باهظة الثمن ورفضت سيارة، حسنًا، كما تشائين، لكن اسمحي لي بطلب واحد، لا ترفضيني".

"ألست عضوًا في كنيسة هيفن؟ هل تقرأ الإنجيل؟ عندما تذهب إلى المنزل، قم بقراءة إنجيل رومانز الفصل الثالث عشر، السطر الرابع عشر: لنسلك بلياقة كما في النهار لا بالبطر والسكر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد، بل البسوا الرّب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيرًا للجسد لأجل الشهوات. "

"لكن في الكتاب نفسه يوجد أيضًا: اسأل وسوف تُعطى؛ ابحث وسوف تجد؛ اطرق وسوف يُفتح لك، كل شخص يسأل سوف يُعطى، وكلّ شخص يبحث سوف يجد؛ وأيّ شخص يطرق سوف يُفتح له. يا فاكهتي الصغيرة، يا حبيبتي الصغيرة، نحن لا نحتاج أن نزعج أنفسنا بوسائل الراحة والتسلية وأرضية هذا المكتب ملائمة جدًّا، لو تستطيع هذه المكاتب أن تتحدث، فسوف تحكي لك الكثير من الحكايات، الأرضية الإسمنتية الملساء هي بمنزلة السرير الرائع، إنها تقوّم الظهر وكلّ عظام العمود الفقري من الأسفل وحتى الرقبة".

قالت كاريندي وهي ترجع إلى الخلف ولم تعد تخفي غضبها: "أنا لا أريد أن أقوّم ظهري".

يحاول المدير كيهارا أن يحضن كاريندي، كادا يسقطان على الكرسي، نهضت كاريندي، علقت حقيبة يدها على كتفها وبدأت تمشي مبتعدة إلى الخلف، لحق بها المدير كيهارا، كانا يسيران في المكتب بشكل دائري كما لو أنهما يرقصان رقصة القناص والطريدة، لقد تخلّى المدير كيهارا عن التظاهر بالشرف.

وفجأة، انقضّ عليها، كانت إحدى يديه تمسكها من خصرها، والأخرى كانت تتحسس جسدها. حاولت كاريندي أن تحرّر نفسها من قبضته، وفي الوقت نفسه تضرب بقبضة يدها على صدره وتحاول أيضًا، من دون جدوى، أن تفتح حقيبتها بحثًا عن السكين المطوية التي تحملها عادة. كان صوت أنفاسهما الثقيلة يملأ المكتب، أحست كاريندي بأنه أوشك على تكبيلها، فجأة نسيت بأنه رئيسها وصرخت: "إن لم تتركني أذهب، فسوف أصرخ طلبًا للنجدة".

توقف المدير كيهارا لأنه تذكّر زوجته وأطفاله، تذكّر أنه في أغلب الأحيان يقوم بقراءة الإنجيل يوم الأحد في فناء كنيسة هيفن، وأنه بين الفينة والأخرى يلقي الخطابات في مناسبات الزواج، ويعظ الأزواج الجدد عن حاجة الأبوين والأطفال للعيش معًا في انسجام ومودّة. تذكّر كلّ هذه الأشياء دفعة واحدة، تخيّل التوبيخ الذي سوف يتعرّض له من كلّ أهل البلاد لو قام باغتصاب سكرتيرته، فجأة، انطفأت النيران، وتلاشت الحماسة، أطلق سراح كاريندي، أخرج منديلًا من جيبه ومسح العرق، نظر إلى كاريندي، حاول أن يقول شيئًا لكنه عدل عن ذلك، إنّه يحاول أن يجد الكلمات المناسبة لحفظ ماء وجهه، حاول أن يضحك، لكن الضحكة خانته، ولكي يقول أيّ شيء سألها: "هل هذا يعني، يا كاريندي، بأنّه لم يقم أحدهم بمداعبتك أو

مغازلتك في المنزل؟ على أيّ حال لا تقومي باستنتاجات متسرعة، كانت هذه مجرد مزحة بين أب وابنته، اذهبي إلى المنزل الآن، من الأفضل أن تطبعي الرسائل غدًا صباحًا".

ذهبت كاريندي إلى المنزل وهي لا تزال تتذكر مزحة الأب مع ابنته، إنّها تعرف تلك المزحة حقًّا، إنها مزحة بين فهْد وعنزة.

في الصباح، عادت كاريندي كعادتها إلى العمل الذي تأخّرت عنه خمس دقائق، وجدت أن المدير كيهارا وصل إلى المكتب قبل مدة، دعاها إلى مكتبه فدخلت، أحسّت ببعض الحرج قليلًا عندما تذكّرت الصراع الذي دار بينهما ليلة أمس، لكن المدير كيهارا لم يقم برفع عينيه من على الجريدة.

"آنسة كاريندي، يبدو لي أنك أصبحت رئيسة نفسك هذه الأيام".

"أعتذر يا سيدي، لقد تأخرت الحافلة".

رفع المدير كيهارا عينيه من الجريدة الآن، استند إلى الخلف على كرسيه، صوّب إلى كاريندي نظرة تملأها المرارة.

"لماذا لا تعترفين بأنّ السبب هو ركوبك مع الشباب؟ آنسة كاريندي، يبدو لي بأنّك لا تهتمين بالعمل، أشعر بأنه يتوجّب عليّ أن أدعك تتبعين دوافع قلبك، أعتقد أنه من الأفضل لك المكوث في المنزل لفترة من الزمن، وعندما تشعرين بأنّك بحاجة إلى العمل، كما تعمل باقي الفتيات، فلن أغلق في وجهك الباب، ستحصلين على راتب هذا الشهر والشهر القادم كنهاية خدمة".

أصبحت كاريندي الآن بلا عمل، مرة أخرى تجوب الشوارع من أجل البحث عن عمل، تذهب إلى منزلها وتتحسر بصمت، تجلس في غرفتها حتى حلول الليل، وهي تنتظر حبيبها الشاب. كان قلبها ينبض على إيقاعات السعادة عندما تتذكر صوت عاشقها الشاب وكلماته، كلّ شخص يهتمّ

بالشخص الذي يعشقه، سيمنحها حبيبها كامونغوني القوة لكي تتجاوز هذه المحنة عن طريق عبارات الحب، في النهاية يعود كامونغوني إلى المنزل، وتقوم كاريندي بسرد كلّ حكاية وايغوكو الذي حُلق شعر صدره بفضل المال، لا يوجد حبّ أعظم من هذا، فكيف لفتاة معاصرة أن ترفض أموال وايغوكو من أجل حبها لكامونغوني، تنهي كاريندي حكايتها، وتنتظر منه تنهيدة المواساة والقبلات التي ستمسح دموعها.

لكن، لا، "كامونغوني" هو الشخص الذي يخفض عينيه مثل فهْد خجول أو مثل حَمَل يرعى على العشب، لكنه متحمس جراء النفاق ليقدم محاضرات لكاريندي، يصارحها بأنّه يعرف جيّدًا بأنها قد نامت على سرير وايغوكو كيهارا، وأن كيهارا ليس الشخص الأول الذي يلتهم فخذيها، وأن الفتاة التي ارتشفت ملذات المال لن تتوقف عن الشرب منها أبدًا، من يتذوق شيئًا يصبح معتادًا على التذوق، الحرباء تبقى حرباء إلى الأبد، الفتاة التي تمشي مع رجال بعمر والدها وتنجب أطفالًا وهي لم تزل طالبة في المدرسة، كيف تستطيع أن توقف نفسها عن فعل ذلك؟ أخبريني عن هذا، يا كاريندي يا ذات الأفخاذ الرخوة، إذا قمتِ بالسماح لوايغوكو بحكِّ جلده الأسود على فخذيك، هل يجب عليك أن تخبريني بذلك؟ لا، أنت تلفقين هذه الحكاية لي لأنّ وايغوكو رفض أن تستمري في إعداد فراشه في فنادق الجنس.

كانت كاريندي صامتة.

بدأت الدموع تنهمر على وجنتيها، ولم تقم بمسحها، المرارة تحتدم في قلبها. طرحت كاريندي العديد من الأسئلة على نفسها من دون العثور على أجوبة، البقرة الجيدة توقفت عن درّ الحليب، فهل هذا يعني أنها لا تصلح إلا للذبح الآن.

بالنسبة لكاريندي احترق السهم من كلا طرفيه، لقد عادت من

حيث أتت.

إذن أخبرني، يا من أمسكت بيدي لكي لا أقع أرضًا: هل هذا يعني أن كلّ فتيات كينيا الحديثة اللواتي على شاكلة كاريندي لديهن عضو واحد فقط؟ ما الذي سيثني كاريندي عن التجول في الشوارع كأنها أخت قابيل الأسطوري؟.

لأن كاريندي اتضح لها اليوم أنها لا تعرف الفرق بين:

أن تقوم وأن تنحني.
أن تبلع وأن تبصق.
أن تصعد وأن تنزل.
أن تذهب وأن تعود.

نعم، من اليوم فصاعدًا لن تكون قادرة على التمييز بين:

المحتال والنزيه.
السفيه والحكيم.
الظلام والنور.
الضحك والبكاء.
الجنة والنار.
مملكة الشيطان وملكوت الرّب.

من الذي قال إنّ حياة الإنسان على الأرض يومان فقط؟
يومان:
من العسل والحامض.

من الضحك والبكاء.
من الولادة والموت.

إلى كل فتيات كينيا الحديثة اللواتي يشبهن كاريندي، أليس كلّ يوم هو نسخة لباقي الأيام الأخرى؟ لأنّ اليوم الذي ولدن فيه هو اليوم الذي ستدفن فيه كلّ أعضائهن باستثناء عضو واحد، إنهن يبقين بعضو واحد فقط، إذن، متى ستقوم فتيات كينيا الحديثة اللواتي على شاكلة كاريندي بمسح دموعهن من على وجوههن؟ متى سيكتشفن الضحك في حياتهن؟

3

عندما انتهت كاريندي من سرد حكايتها، نظرت إلى الأعلى لكي تتحقّق من وجه الرجل الشاب، بعد ذلك حدّقت على مسافة بُعد نظرها إلى شارع ريسكورس، ولاحظت أن الناس لا يزالون منشغلين بالذهاب إلى أعمالهم، وأنّ السيارات لا تزال تطلق أبواقها لكي تجتاز بعضها بعضا، وأن نيروبي لم تتغير قيد أنملة منذ أن طُردت خارج منزلها في أوفافا جيريشو.

في تلك اللحظة بدأت أجراس كنيسة القديس بطرس كليفرز تدقّ لتذكّر المؤمنين بصلاة التبشير الملائكي قبل غروب الشمس، التفتت وارينغا والرجل الشاب إلى جلجلة الجرس، كما لو أن الأجراس تنشد بنفسها:

تعالوا، تعالوا
تمسكّوا جيّدًا بمحراثكم
ولا تنظروا إلى الخلف
تعالوا، تعالوا

سألت نفسها: من أين تأتي هذه الأصوات التي اعتادت على سماعها؟

إلى أين ستقودني؟ بالرغم من أنّها لم تدخل إلى الكنيسة منذ وقت طويل، وجدت نفسها تتمتم بالصلاة:

أيّتها القديسة المقدسة يا مريم العذراء، يا والدة الرّب وأمنا
وأنت أيها القدّيس يوسف
وأنت، يا ملاكي الحارس
وأنتم يا كلّ القديسين
صلّوا من أجلي
لأتخلّى
عن إثم الرغبة في وضع حدّ لحياتي
قبل أن أكمل عمري على الأرض
انظروا إليّ واحموني اليوم
وفي كلّ أيام حياتي
إلى يوم وفاتي
آمين.

عندما سكتت أجراس كنيسة القدّيس بطرس، نظرت وارينغا إلى الرجل الشاب وقالت: "شكرًا على إصغائك لي بكلّ صبر، أشعر براحة في قلبي، تمامًا مثل تلك الراحة التي أشعر بها بعد اعترافي للقسيس الكاثوليكي".

"ربما أنا قسيس لم يرسّم بعد، لكنني أنتمي لمنظمة تدعو إلى خدمة فقراء كينيا، قصتك تلك أقصد عن كاريندي، ووايغوكو وكامونغوني جرحت قلبي، كأنه طعن برمح. يوجد الكثير من الفتيات مثل كاريندي في كينيا، كما أسلفت الذكر، لكن لا أتّفق معك بأنّ أطفالنا لن يعرفوا

الضحك مطلقًا، يجب ألا نشعر باليأس أبدًا، اليأس هو الإثم الوحيد الذي لا يمكن أن يُغتفر، إنه الإثم الذي لا يمكن أن تغفره لنا الأمة والأجيال القادمة. إلى أين ستذهبين الآن؟ إلى أين ستكون وجهتك؟"

"إلى إيلموروغ".

"إيلموروغ؟ هل هي مسقط رأسك؟".

"نعم إيلموروغ مسقط رأسي، لماذا؟".

"لأنه، أمم، لا يوجد سبب محدد، كنت أسأل فحسب، لكن الحافلات التي تتجه إلى إيلموروغ لا تقف هنا، موقف كاكا هذا مخصص للحافلات المتوجهة إلى كياميو، وندومبيري، وتينغانغا، ونجيموا، وايكونو، وكريا إيني، وغيتونغوري، أما الحافلة إلى إيلموروغ فتتوقف في الموقف نفسه للحافلات المخصصة لناكورو، هناك في موقف نياماكيما".

"أعرف ذلك، إنه المكان الذي سوف أتوجّه إليه، لا أعلم أيّ رياح ساقتني إلى هذا الجانب من الطريق".

وقفت وارينغا كالشخص الذي استيقظ من حلم يقظة مميت، وعلّقت حقيبة يدها على أحد كتفيها، ثم قالت للرجل الشاب "حسنًا، اعتنِ بنفسك"، كانت سعيدة لكنها خجولة قليلًا.

قال لها الرجل الشاب "اعتني بنفسك، وآمل ألا يصيبك الدوار مرة أخرى".

عندما استدارت وارينغا لكي تشقّ طريقها إلى نياماكيما ناداها ذلك الرجل قائلًا: "انتظري للحظة".

توقّفت وارينغا ونظرت إلى الخلف، وهي تسأل نفسها: هل من الممكن أن يكون كامونغوني آخر يعتقد أنه وجد كاريندي أخرى ذات أفخاذ رخوة؟

فتح الرجل الحقيبة التي كان يحملها، بحث بداخلها، ثم أخرج بطاقة وأعطاها لوارينغا، وشرح لها: "لقد أخبرتك بأنّ قصتك، أو الحكاية الرمزية

التي تتعلق بكاريندي ووايغوكو وكامونغوني آلمت قلبي، إن كنت تودين معرفة المزيد عن الظروف التي تولّد العديد من الأشخاص الحداثيين على شاكلة كاريندي ووايغوكو فاذهبي إلى الاحتفالية المعلنة في هذه البطاقة عندما تصلين إلى إيلموروغ.

سار الرجل بعيدًا، نزلت وارينغا مع شارع ريسكورس، عبر مساحات محطة الوقود ايسو، وعبر شارع ريفر، ثم إلى نياماكيما، لم تنظر خلفها سوى مرة واحدة فقط كي تتحقّق ما إذا كان الرجل يلاحقها أم لا، لم تشاهده، لم تسأل عن اسمه أبدًا، ثم فكّرت وارينغا، من الممكن أن يكون اسمه مدونًا على البطاقة التي أعطاني إياها، لكن الرجال، بكل أصنافهم، هم مصّاصو دماء ظرفاء. يطلب مني الذهاب للاحتفالية، لا أرغب في الذهاب إلى أيّ احتفال، لا أرغب في المزيد من العلاقات، سواء أكانت مع رجال على شاكلة وايغوكو، أولئك الرجال المسنّين الذين لديهم صدور كثيفة الشعر أو مع رجال على شاكلة كامونغوني، من العشّاق الشباب.

في نياماكيما، لا توجد أيّ حافلات مخصّصة للسفر إلى إيلموروغ أو ناكورو، اتّكأت وارينغا على جدار أحد المحلات التي تبيع الخضراوات، بالقرب من حانة نياماكيما.

بعد لحظة، وجدت وارينغا نفسها تتلمّس البطاقة التي أعطيت لها وهي في جيبها، تذكّرت أنها لم تقرأها حتى، توقّفت ثم أخرجتها وتفحّصتها عن قرب، ثم قرأت:

احتفالية الشيطان!

تعال وشاهد بنفسك.

منافسة يرعاها ويساندها الشيطان

لاختيار سبعة خبراء في النهب والسرقة.
العديد من الجوائز.
جرّب حظك.
منافسة لاختيار أمهر سبعة
خبراء في النهب والسرقة في إيلموروغ.
جوائز عديدة.
فرقة زبانية جهنم الموسيقية في انتظاركم.
التوقيع: الشيطان
ملك جهنم
برعاية عرين اللصوص وخبراء النهب
في مرتفعات غولدن إيلموروغ

أحسّت وارينغا كما لو أنها طُعنت بشفرة حلاقة في معدتها، نظرت حولها، من جانب لآخر، ومن أمامها وخلفها، لتتأكّد ما إذا كان جسدها في نياماكيما أم إنّها تحلم مرة أخرى، هاجمت الأسئلة عقلها الباطن مثل خلية من النحل وهي في حالة الحركة والتنقل، ومثلما يترك النحل إحدى النحلات في الخلف، بقي أحد الأسئلة عالقًا في ذهن وارينغا: من هو ذلك الشاب الذي أمسك بيدها؟ وهل هذا يعني أنها استعادت حقيبة يدها عن طريق أحد اللصوص؟ ارتعشت، وتلمّست البطاقة مرة أخرى، استندت على جدار محلّ الخضراوات لكي تتجنب الوقوع على الأرض.

لكن قلبها كان ينبض بسرعة، احتفالية شيطان في إيلموروغ، في يوم أحد؟ من يصدّق أن هذه المعجزات ممكنة الحدوث؟,

الفصل الثالث

1

كان موقف نياماكيما مثل العديد من مواقف الحافلات الصغيرة والحافلات الكبيرة في نيروبي، مكتظًّا بالسيارات والبشر، أناس قادمون أو عائدون من وإلى وادي غروغان التي يقال إنّها منطقة يستطيع المرء أن يحصل فيها على جميع أنواع قطع الغيار لكلّ أنواع المركبات؛ بشر قادمون وعائدون من وإلى شارع ريفر، الشارع الذي يقال إن العمّال والفلاحين، خاصة أولئك الذين يسكنون في المناطق القروية، يذهبون للتسوّق منه أيام السبت والأحد، بعضهم مجرّد أناس يشترون البطاطا والبصل وخضروات سوكوما ويكي؛ بينما يرغب آخرون في زيارة الحانات والمطاعم لشرب الجعة ولملء بطونهم قبل الذهاب إلى منازلهم في هذه الأماكن، كاريكور، ايستلاي، باموانى، شوري مويو، باهاتي، ماكاندارا، أوفافا جيريشو، كاريوبانغي وداندورا، غير أن غالبيتهم مسافرون ينتظرون الحافلات الصغيرة المتوجّهة إلى نيفاشا، جيلجيل، أولكالو، نياهورورو، ناكورو، رؤوايني وإيلموروغ، أمّا نياماكيما، عندما تعجّ بالناس والسيارات، فإنّها تكون صاخبة وتعادل ضجيج سبعة أسواق.

في ذلك السبت لم يكن هناك العديد من المركبات المتجهة إلى رؤوايني وإيلموروغ، كلّما سمعت صوت حافلة صغيرة وهديرها، كانت وارينغا تلتفت بترقب تحسبًا لظهورها، لكنّها عندما تسمع المناداة على المسافرين نحو ناكورو ونياهورورو، تشعر بالإحباط. عندما أشارت الساعة إلى السادسة، بدأت تشعر بالشفقة على نفسها فقامت بالصلاة سرًّا: يا مريم العذراء، يا أمّ الرّب، اشفقي عليّ، فأنا لا أرغب في قضاء ليلة أخرى في نيروبي، ساعديني لأجد حافلة حتى وإن كانت عربة يجرّها حمار، أيّ شيء بإمكانه أن ينقلني بعيدًا عن نيروبي ويأخذني إلى مسقط رأسي في إيلموروغ، الحمد لله على الأب، والابن، والروح القدس، وكما كان الحال في البدء، سيكون الآن وسيظل إلى الأبد.. آمين".

لم تكد تختم صلاتها حتى وصلت إحدى الحافلات الصغيرة المتوجّهة إلى إيلموروغ، لكن عندما نظرت إليها أصيبت وارينغا بالدهشة، هل جُمعت هذه الحافلة من مكبّ القمامة في وادي غروغان؟ بالتأكيد كانت قديمة، لكن المالك حاول جاهدًا أن يخفي عمرها برسم العديد من الإعلانات التي تأسر العين والعقل: إذا كنت ترغب في النميمة أو الحصول على الإشاعات، اركب في حافلة مواؤرا ماتاتو ماتاتا ماتامو، وجهتك هي وجهتي، في العجلة الندامة، ازحف لكن ابلغ وجهتك بأمان، ما أحلى العودة إلى البيت.

قبيل أن تنتهي من قراءة كلّ الإعلانات، شاهدت السائق يتدخّل ويقوم بالثناء على حافلته الصغيرة، ليلفت الانتباه إليها بالعبارات والأغاني لكي تثني أعين الناس عن حالة الحافلة المزرية.

"اصعدوا، اصعدوا إلى حافلة ماتاتو ماتاتا ماتامو فورد ت، وستجدون أنفسَكم في ليمورو، منطقة محطة الأقمار الصناعية، نيفاشا، رؤوايني، وإيلموروغ، قبل أن ترمشوا مرتين، في إحدى المرات سمعت فتية يغنّون:

لو كان ملكوت الرّب قريبًا
سوف آخذكن أيتها العاهرات إلى المحكمة
لقد منح الرّب لكنّ شيئًا بلا مقابل
الآن تبعنه بعشرين شلن

أيها الشباب، دعوني أخبركم شيئًا: ملكوت الرّب صار قريبًا بفضل حافلة مواؤرا ماتاتو ماتاتا ماتامو فورد-ت، حتى السفر إلى مكان الشيطان لا يعني شيئًا بالنسبة لحافلة مواؤرا، اصعدوا، اصعدوا، هنا إيلموروغ، فهي لا تبعد مسافة العين عن الأنف.

عند سماع كلمة "شيطان" أحسّت وارينغا مرة أخرى بإحساس غريب مخيف، تذكّرت دعوتها إلى احتفالية الشيطان ومنافسة خبراء السرقة والنهب، وسألت نفسها ثانية: "أيّ نوع من الاحتفالات هذه؟ ممّ تتكوّن المنافسة؟"، شخص ما كان جيّدًا معي، كيف له أن ينضم إلى عصابة اللصوص والسارقين؟ لماذا لم يسرق حقيبتي؟ لكنها عندما سمعت الكلمات التي تخرج عن لسان مواؤرا، نسيت للحظة العبء الذي تحمله في قلبها.

في هذه اللحظة، خرج عشرات الأشخاص من الحانات والمحلات، ووقفوا على الرصيف لكي ينظروا إلى صاحب حافلة الماتاتو بأنفسهم ويحضّونه على المواصلة بقولهم "نعم، نعم، أخبرنا عن كلّ شيء".

2

بدت حافلة الماتاتو ماتاتا ماتامو فورد-ت، لوحة التسجيل 333 م م م كأنّها أول مركبة صُنعت على وجه الأرض، كان المحرك يئنّ ويزعق مثل مئات من الفؤوس التي تضرب الأرض في آن واحد.

كان هيكل السيارة يهتزّ مثل قصبة تهزّها الرياح، كما كانت الحافلة تتهادى على الطريق مثلما تتهادى بطة وهي تصعد إلى قمة جبل.

في الصباح، وقبل تشغيل الحافلة كانت قد قدّمت متعة بصرية رائعة للمشاهدين.

كان المحرك يهدر ثم يسعل كما لو أن قطعة من المعدن انحشرت في حنجرته، بعد ذلك أحدث صفيراً كأنه يعاني من الربو، في تلك اللحظات، كان مواؤرا يفتح غطاء محرك السيارة بقوّة، ينظر هنا وهناك، يلمس هذا السلك وذلك السلك، ثم يغلق غطاء المحرّك بقوة قبل العودة إلى عجلة القيادة، يضغط على المسرّع برفق بقدمه اليمنى، فيئنّ المحرك كما لو أنّ أحدهم قد دلّك بطنه، إلا أنّ للحافلة مسؤول علاقات عامة يتمثّل بشخص مواؤر فيسأله الناس: مواؤرا، هل هذه المركبة تنتمي إلى عهد النبي نوح؟ كان مواؤرا يضحك، ويحرّك رأسه ويستند إلى الخلف على سيارته، بعد ذلك يحاول أن يخدّر المستمعين بالبرهنة على خصائص المركبة المميزة.

"بكلّ أمانة وصدق، لا توجد مركبة حديثة تضاهي الهندسة الأنيقة لفورد ت. لا تقارنوا لمعان هيكل السيارة فقط، الجمال ليس غذاءً، الحديد الذي تصنع منه السيارات الحديثة من طراز بيجو، وتويوتا، وكانترز وحتى فولفو ومرسيدس بنز قد تتحوّل إلى فتافيت بسهولة مثل الورق المنقوع تحت المطر، لكن الأمر يختلف مع مركبات فورد ت. أوه، لا! إنّ معدنها من النوع الذي يقال إنه قادر على حفر ثقوب في المركبات الأخرى، أنا أفضّل أن أحتفظ بهذا النوع من المركبات القديمة، إنّ الصخرة التي تصبح صلبة مع مرور الزمن لا تؤثر بها الأمطار، إنّ العقد المستعار يفقد المرء عقده الخاص، الماَركات الحديثة تأتي من اليابان، وألمانيا، وفرنسا وأمريكا، تتميز بالقوّة لمدة شهرين فقط، لكن بعد ذلك تتلاشى وتترك فورد ت. وحدها وسط الطريق.

لكن مع ذلك كانت غاية مواؤرا هي الحصول على المال بأقصى سرعة ممكنة لكي يشتري مركبة كبيرة تستطيع نقل أعداد أكبر من المسافرين، ولكي يتدفّق المزيد من المال إلى جيوبه.

كان مواؤرا أحد أولئك الأشخاص الذين يتعبّدون المال ويعتبره في مقام الإله، اعتاد أن يردّد بأنّه سيجوب أنحاء العالم، وسيعبر جميع الأنهار، ويتسلّق جميع الجبال، ويرتكب جميع الجرائم كطاعة عمياء لربّ المال المتوهج.

لكن من الواضح أن صلاته لم تجد آذانًا صاغية، ولم يتمّ استقبالها بلطف، لأنّ مواؤرا لم يمتلك أيّ مركبة أخرى سوى حافلة الماتاتو هذه التي تركها له أحد الأوروبيين الذي أطلق عليه اسم نيانغويكو، بين الفينة والأخرى، كان مواؤرا يشعر بالأسى على نفسه ويتساءل: هل كنت أقود على الطريق طوال هذه المدة، وثمار النجاح كانت تتدلى هنا فوق عينَيَّ، وحين لا يكون عليّ سوى مدّ يدي لكي أقطفها، أراها تتراجع بعيدًا إلى الخلف، حيث لا يمكنني الوصول إليها حتى وإن وقفت على أصابع قدميّ؟

كان مواؤرا يقول للناس: "هذه الأموال التي جلبها الأوروبيون إلى هنا هي شرّ بمجملها، عندما تفكّر وتجد أن المال هو السبب وراء صلب ابن مريم على الصليب، على الرغم من أنه هو أول مولود لربّ اليهود، ماذا عساك أن تقول أكثر من هذا؟ بالنسبة لي سأبيع أمي عندما أتأكّد أنها ستجلب لي ثمنًا باهظًا. كان الناس يعتقدون بأنّ هذه مفخرة سخيفة لرجل الأعمال الطيب، ثمة شخص واحد يعلم بأن مواؤرا لا يمزح عندما يتعلّق الأمر بالمال، لكنّه لم يعد أبدًا لسرد الحكاية، لقد تشاجر مع مواؤرا على خمسة شلنات، رفض الرجل أن يدفع، حتى إنّه استفز مواؤرا قائلًا: "ستتنقل دائمًا مثل الخنفساء في الروث الذي يمتصّ مياه الأمطار، ولن تصبح ثريا أبدًا"، ردّ عليه مواؤرا: "لقد رفضت أن تدفع لي خمسة شلنات، بالرغم من أننا اتّفقنا

على تأجير السيارة مقابل خمسة وسبعين شلن لمجرد أني نقلت مسافرين إضافيين، أكنت تستأجر مقعدًا واحدًا أم السيارة بأكملها؟ أتحداك أن تنعم بنقودي، إنّ مواؤرا الذي تراه الآن ليس حادًّا من طرف واحد فقط مثل الساطور".

في أحد الصباحات، عُثر على ذلك الرجل مشنوقًا في منزله، بجانب الجثة، عُثر على ورقة مكتوب عليها بخط غير واضح: لا تعبثوا أبدًا بأملاك الآخرين، نحن زبانية الشيطان، رجال أعمال نافذون.

غير أن قيادة حافلة ماتاتو ماتاتا ماتامو فورد ت، لوحة التسجيل رقم 333 م م م، هي الوظيفة التي كان يشتهر بها مواؤرا.

3

ثمة قول مأثور يقول إن الطير الذي أتعبه الطيران يحطّ على أقرب شجرة، وعندما أدركت وارينغا أنه لا توجد أيّ مركبة متوجّهة إلى إيلموروغ، استقلّت سيارة مواؤرا، وعندما مواؤرا وارينغا تدخل إلى سيارته أضاف المزيد من الزخرفة إلى أغانيه وكلماته:

أنت أيتها الصبية العذراء، إن كان عليّ التوسل

لا تقولي إنك ستحملين

لأنني أعرف كيف أكبح الدراجة النارية

هل تتخيلين أنني لا أستطيع استخدام الفرامل عندما يتعلّق الأمر بك؟

توقف، ثم تنهّد، تفحّص الناس الذين تجمعوا من حوله الآن، تبسّم ووقف مطوقًا خصره بيديه، ثم حرّك رأسه وقال: فرامل المتسكع هي فرامل مَزيفة، لا توجد فرامل تضاهي قوة فرامل حافلة الماتاتو ماتاتا ماتامو فورد ت.

بدأ الناس بالصفير والضحك بصوت عالٍ، وبدأ مواؤرا ينادي على

المسافرين: "ليمورو، نيفاشا، رؤوايني، إيلموروغ، هيا نذهب الآن، تذكّروا وجهتكم هي وجهتنا ".

في ذلك السبت، قطع مواؤرا طريق ليمورو- نيروبي ذهابًا وإيابًا وهو يقلّ عددًا قليلًا من الركّاب من دون أن يغطي حتى ثمن الوقود، في وقت متأخر من تلك الظهيرة، قرّر الذهاب إلى نياماكيما لكي يرى إن كان بإمكانه أن يقلّ عددًا قليلًا من المسافرين لتغطية مصاريف الوقود إلى إيلموروغ، لذلك كان يصيح بشدّة الآن: "تذكروا هذه بلادكم، وهذه حافلتكم الماتاتو، تجاهلوا كلّ سيارات البيوجو التي تهتزّ أثناء الطريق، والتي تسبّب لنسائنا الإجهاض، ازحف لكنك ستصل إلى وجهتك. "

صعد راكب آخر إلى المركبة، كان يرتدي بدلة عامل زرقاء مهترئة عند الركبتين والمرفقين، وكان حذاؤه ملطخًا بغبار رمادي، وجلس قبالة وارينغا، صعد مواؤرا أيضًا إلى المركبة، ثم جلس خلف المقود وأدار المحرك قليلًا، بعد ذلك تركه يعمل بشكل عادي، ثم ذهب خارج المركبة ثانية، أحسّ بأنّ كلّ جهوده ذهبت سدى، فليس هناك سوى مسافريْن اثنين فقط.

تساءل بكلّ عصبية: "هل حقًّا سأموت، وأنا أثغو مثل الخراف؟ ألن يأتي الوقت الذي أمتلك فيه المال الكافي لاقتناء سيارة جديدة مثل الآخرين؟ اليوم الأشخاص الذين يدفعون العربات وأصحاب العربات المجرورة بالحمير، وملمّعو الأحذية، أولئك الأشخاص الذين يطهون الذرة، والأشخاص الذين يبيعون الأرانب والفواكه وجلود الماشية للسيّاح بجانب الرصيف يكسبون أموالًا أكثر مني، ماذا سيحلّ بي في نهاية المطاف أنا روبن مواؤرا؟ من الأفضل أن أتخلّى عن هذه الرحلات الليلية، سأستأجر غرفة في نيروبي وأذهب إلى إيلموروغ غدًا صباحًا".

أحس مواؤرا بأن سكينا حادة تخترقه عندما تذكر الخسارة التي لحقته

فيما يخص الوقود . لقد كان أحد الرجال الذين لا يتركون شلنًا لامعًا مُلقى في طريقهم حتى لو كان الأمر يتعلّق بخمسة سنتات، فإنه سيحاول رمي نفسه في حفرة من أجل التقاطها، قال لنفسه: هل أضحّي بأجرة هذين المسافرين؟ لا، قبل أن أصل إلى ليمورو سوف أجد المزيد من المسافرين تائهين على جنبات الطريق في الليل أو بعض الأشخاص الذين ينتظرون بطبيعة الحال حافلات "أو تي سي" في محطة موتاراكوا، وبإمكاني أن أقنعهم بالركوب معي باستخدام الكلمات الرنانة، فضلًا عن ذلك، أودّ قضاء الليلة في إيلموروغ لأكون من أوائل المسافرين هناك في الغد، المرء الذي يبحث جيّدًا سيعثر على شيء دائمًا. ومرة أخرى انتعش أمله في أن يصبح من الأغنياء، وبدأ قلبه ينبض بقوة فصرخ بأعلى صوته: إنّكم على وشك أن تتخلفوا، لقد أوشكت حافلة ماتاتو ماتاتا ماتامو أن تفوتكم، أنا خادمكم، أعطوني الإشارة لكي أقودكم بسرعة إلى ملكوت الرّب أو ملكوت الشيطان، ليعمّ السلام، من الأفضل أن ننطلق، يجب أن تكونوا في إيلموروغ ولا تصدّقوا الإشاعات، يجب أن تكونوا في إيلموروغ لتشاهدوا بأعينكم وتسمعوا بآذانكم، يمكن أن تكون الثروة مخفية في الجانب الآخر من الغابة، دعوا هذه الماتاتو ماتاتا ماتامو تأخذكم في جولة حول الغابة التي تحول بينكم وبين الثروة، الآن هو الوقت المناسب، يجب أن ننطلق إلى إيلموروغ لأنّ الطالع الجيد قد يتحوّل إلى طالع سوء، والحظ السعيد لا يزور المرء باكرًا مرتين.

سأل الرجل صاحب بدلة العامل الزرقاء: "هل سينطلق بنا؟ أم سيبقينا هنا ليواصل سرد حكاياته طوال الليل؟".

أجابت وارينغا: "حافلة الماتاتو هي بيت النميمة والإشاعات والكلام التافه".

صعد مواؤرا إلى الحافلة، وأدار المحرك فأخرجت الحافلة الدخان ثم بدأت في الحركة.

فجأة، بدأت الحشود في كلّ جانب بالصفير بشكل جماعي، وبأصوات مرتفعة، وأخرى منخفضة لتنبيه السائق بالتوقف، أوقف مواؤرا المركبة.

ركض رجل شابٌّ يحمل حقيبة ملابس إلى المركبة، كان يلهث، قفز إلى الداخل ليلتحق بوارينغا وبصاحب بدلة العامل الزرقاء "هل سيتوجّه إلى إيلموروغ؟"، سأل وهو يلتقط أنفاسه.

قال مواؤرا بطريقة تعبّر عن الانتشاء: "نعم، نعم، إلى بلدة إيلموروغ"، قال الرجل صاحب الحقيبة: "كادت تفوتني الحافلة"، لكن لم يأبه أحد لما قاله، فقد عمّ الصمت لبرهة.

سأل مواؤرا: "هل كنت مع مسافر آخر؟ ".

أجاب صاحب الحقيبة: "لا".

وضع الرجل الحقيبة بين ركبتيه، نظرت إليه وارينغا نظرة سريعة ولاحظت أن غطاء الحقيبة يحمل كلًّا من اسميه (الأول والثاني) وعنوانه: السيد غاتويريا، قسم الدراسات الأفريقية، جامعة نيروبي.

يعمل في الجامعة! أحسّت وارينغا بإحساس سيئ وعميق في بطنها.

انطلق مواؤرا بالمسافرين الثلاثة، وارينغا، غاتويريا وصاحب بدلة العامل الزرقاء، اجتاز موقفَي حافلات ماكاكو والسكك الحديدية من دون أن يعثر على مسافرين آخرين، سار عبر شارع هايلي سيلاسي، ثم انعطف إلى شارع نغونغ، لقد فقد الأمل في العثور على أيّ مسافرين آخرين.

أخرج الشاب الذي يدعى غاتويريا من حقيبته ثلاثة كتب، حياة أعظم المؤلفين للكاتب هارولد س. شومبرغ، وكتاب مقدمة موسيقا كامبا للكاتب كافيو، أمّا الكتاب الأخير فكان بعنوان الآلات الموسيقية لشرق أفريقيا، للكاتب غراهام هيسكوب، ألقى نظرة إلى كلّ واحد منهم، ثم بدأ يقرأ كتاب حياة أعظم المؤلفين.

الشيء الذي قدّر لك لن يستطيع أيّ أحد أن يأخذه منك. وعندما وصل مواؤرا إلى منعطف داغوريتي، بالقرب من ساحة واني كلان، أوقفته سيدة حافية القدمين ترتدي ثوبًا كتانيًا وتحمل سلة ليفية مغطاة.

سألته "إلى إيلموروغ؟"

"اصعدي إلى الداخل"، قال مواؤرا بسعادة: "هيا يا أمّاه، ادخلي، نحن ذاهبون، هل يوجد معك شخص آخر؟"

قالت السيدة وهي تدخل إلى المركبة: لا. وحين جلست في الداخل وضعت يدها حول ذقنها بحركة تشبه الكوب، وسار مواؤرا وهو يصفّر.

عند موقف الحافلات الخاص بسيغونا بالقرب من نادي الغولف، حصل مواؤرا على مسافر آخر، وأصبح عدد المسافرين الآن خمسة. كان الرجل يرتدي بدلة رمادية وربطة عنق مزيّنة بزهور حمراء، ويحمل بيده اليمنى حقيبة جلدية صغيرة سوداء ذات جوانب من الألمنيوم اللامع، أما عيناه فكانتا مخفيتين بنظارات سوداء.

أحسّ مواؤرا بأنّ قلبه يتضخّم سعادة، بعد أن نقطع مسافة أبعد، من الممكن أن أحصل على خمسة مسافرين ليصبح العدد عشرة، وذلك سيوفر المبلغ الكافي لتغطية تكلفة الوقود، كان يحدّث نفسه.

لكنه عندما وصل إلى موتاراكوا، في ليمورو، أحس باليأس إذ لا يوجد أيّ شخص يرغب في التوجّه نحو الغرب. انتابته الشكوك والريبة فقال يحدّث نفسه: هل يجب عليّ الذهاب إلى إيلموروغ في الليل بخمسة مسافرين فقط؟ هل يجب عليّ أن أكذب عليهم، وأخبرهم بأنّ المركبة تعطّلت عن العمل، وبذلك علينا النوم في كاميرياثو ونستأنف الرحلة في الغد؟ لكن صوتًا آخر يقول له: مواؤرا لا تزدر حسن الطالع، إذا خلدت للنوم، فسوف يغيّر الطالع رأيه، لا تحتقر أيّ جزء من أيّ قطعة معدنية، يجعل المقعد

صوت الضرطة عاليًا، وفي المعدة، تتجمع لقمة مع الأخرى لكي تشكّل وجبة، سنت مع سنت آخر يتجمعان فيصبحان مجموعة من الشلنات في جيوب الباحثين عن الثروة.

وضع مواؤرا قدمه على المسرّع وتوجّه إلى إيلموروغ بركابه الخمسة، وارينغا، غاتويريا، وصاحب بدلة العامل الزرقاء، والسيدة ذات الثوب "الكتاني" والسلة، وصاحب النظارات السوداء.

السفر هو الذي يصنع الرحلة.

4

كانت المرأة ذات الثوب الفضفاض التي تحمل السلة هي أول من تحدث، وفي حين تجاوزت حافلة الماتاتو نغيروبي وأوشكت على الوصول إلى كينيني، تنحنحت السيدة ونادت: "أيها السائق".

قال لها مواؤرا مداعبًا: "نادني روبن مواؤرا".

"يا صديقي، دعني أحكي لك مشكلتي قبل أن نجتاز مسافة بعيدة".

أجاب مواؤرا: "اطرقي الباب وسيفتح لك"، معتقدًا أن السيدة ستبدأ محادثة كالتي تدور عادة في حافلة الماتاتو، وأضاف: "الحكمة المخفية في القلب لن تكسب أيّ دعوى قانونية على الإطلاق".

قالت السيدة بحزن: "ذلك هو المغزى يا صديقي، في هذا العالم لا يوجد شيء أهم من مساعدة الآخرين، أركب حافلتك الصغيرة، لكن ليس لديّ ما يكفي من السنتات لأدفع لك الأجرة".

صاح مواؤرا: "ماذا؟ "

"لا أستطيع دفع الأجرة"

ضغط مواؤرا على الكابح بشكل مفاجئ، كانت الأبواب مفتوحة في الجهة

التي يجلس فيها الرجل صاحب النظارات السوداء.

لكن ردّة الفعل المنعكسة للرجل الذي يرتدي بدلة العامل الزرقاء هي التي أنقذت الرجل صاحب النظارات السوداء من الوقوع خارج المركبة على منحدرات كينيني، لأنّه هو الذي انتبه للخطر المحدّق بالرجل وأسرع للإمساك به.

توقّف مواؤرا على جانب الطريق، سأل الرجل الذي يرتدي بدلة العامل الزرقاء: "لماذا تريد أن تأخذ هذا السيد إلى نغونغ؟"[4]، ثم أضاف: "هل دفع لك أعداؤه؟"،لم تتح الفرصة للرجل صاحب النظارات السوداء لقول أيّ شيء سواء لتوبيخ مواؤرا أو لشكر الرجل صاحب بدلة العامل الزرقاء.

قال مواؤرا بسرعة: "إنّها غلطة هذه السيدة"، ثم التفت إليها وقال: "أنا لا أريد أن أتشاجر معك، هذه المركبة لا تسير على البول".

"عندما أصل إلى إيلموروغ سأجد من يقرضني ثمن الأجرة".

"لا يوجد شيء مجاني في كينيا، وكينيا ليست تنزانيا أو الصين".

"أيّها العجوز، أنا لم أعش بعرق أيّ شخص آخر، لكن لو علمت بالأمور التي رأيتها والتي كابدتها في نيروبيتكم هذه...".

اختصر مواؤرا لها القصة وقال: "لا أريد أن أسمع أيّ حكايات عن الغول الأعور، ادفعي الأجرة، أو عليك النزول من المركبة".

"هل تريد حقًّا تركي في هذه البرية الموحشة؟ ".

"أيّتها السيدة، يجب عليك النزول من المركبة ومتابعة السفر إلى إيلموروغ سيرًا على الأقدام، أكرّر هذه المركبة لا تسير بالبول".

"صدّقني أنا أقول الحقيقة عندما أقول إنني حاربت بيديّ هاتين من

---

4 يعني: "لماذا تريد أن تقتل هذا الرجل؟" هذه العبارة استخدمت بعد اغتيال عضو البرلمان جوزيا موانغي في تلال نغوغ سنة 1975. م.

أجل استقلال هذا الوطن، هل يفترض بي الآن أن أقضي الليلة هنا، وأشارك الوحوش المفترسة الغابة المظلمة؟"، سألت السيدة بكلّ ثقة في النفس كما لو أنها تطرح مسألة مألوفة، لكنّها فشلت في إيجاد أيّ جواب لها حتى الآن.

قال لها مواؤرا: "في هذه الأيام، البلاد لا تكافئ من حرّرها بل تكافئ من يأتون بعد تحريرها. الاستقلال ليس حكايات حول الماضي بل هو صوت المال في جيوب الفرد. لا تمزحي معي، عليك النزول من المركبة، أو دعيني أسمع صوت العملات المعدنية اللطيف لكي نكمل المسير".

لقد كان الرجل الذي يرتدي بدلة العامل الزرقاء هو الذي فضّ الشجار: "دعنا نواصل مسيرنا أيها السائق، لا يصرخ الحيوان ألمًا إلا إذا كان مجروحًا، سوف أدفع عنها الأجرة".

تحدّث الشخص المدعو غاتويريا: "نعم، أدر المحرك، ودعنا نسِرْ، سأساهم أنا أيضًا ببعض السنتات لتسديد الأجرة عنها".

قالت وارينغا بسرعة: "أودّ أن أساهم أنا أيضًا"، عندما تذكّرت أنها كانت ستكون مكانها وبلا نقود لدفع ثمن الأجرة لو لم تسترجع حقيبة يدها التي أسقطتها في شارع ريفر.

قال الرجل الذي يرتدي بدلة العامل الزرقاء: "من الممكن أن نقسّم المبلغ على ثلاثة لكي نجعل الحمل أخفّ، يمكن أن يصبح الحمل الكبير عبئًا عندما يرفض الناس المشاركة به".

أدار مواؤرا محرك السيارة وسار بعيدًا عن كينيني.

ساروا لمسافة قصيرة بصمت، وكانت تلك السيدة نفسها هي التي كسرت الصمت بعبارات الامتنان.

"أنا سعيدة جدًّا، لكنني لا أستطيع أن أقوم بأيّ شيء لكي أجعلكم تدركون مشاعري إزاء مساعدتكم، اسمي وانغاري، لقد جئت من بلدة

إيلموروغ، من قرية نجيروكا، عندما نصل إلى إيلموروغ سأحاول بطريقة ما إعادة نقودكم، لكنني أنفث على صدري، أصلّي من أجلكم ليجعلكم الرّب تحرثون الحقول الخصبة دائمًا".

قال لها الرجل الذي يرتدي بدلة العامل الزرقاء: "لا تقلقي بخصوص نصيبي، إن لم نعمل على مساعدة بعضنا بعضا، فسوف نكون مثل الوحوش، ذلك ما دفعنا لأداء القسم في عهد الماو ماو، وكان قسمُنا هو: إنني لن آكل وحدي على الإطلاق. "

قال غاتويريا: "حتى نصيبي، نصيبي أنا من الأجرة، لا تهتمي له، آسف أقصد لا تقلقي بشأن نصيبي"، كان غاتويريا دائمًا يشعر بالخجل عند الخلط بين الإنجليزية وعبارات كيكويو ويحاول جاهدًا ألا يقوم بذلك، وأضاف: "بالنسبة لي، أنا أتّفق مع الأمور التي قالها هذا الرجل، لكن ما هو اسمك؟ لكي أتوقف عن مناداتك بهذا الرجل، اسمي... أقصد أنا اسمي غاتويريا"، أجاب الرجل صاحب بدلة العامل الزرقاء "وأنا موتوري، أنا عامل، أختصّ بأعمال النجارة والنحت والسمكرة، أنا نجّار، ونحّات وسمكري، وبإمكاني أن أقوم بأيّ شيء يتطلب استخدام اليدين، العمل هو الحياة".

سألت وانغاري وارينغا: "وأنت أيّتها الصبية؟ "

"أنا أدعى وارينغا، جاكينتا وارينغا، وأنا من إيلموروغ".

سألت وانغاري: "من أيّ قرية؟ "

أجابت وارينغا: "من قرية تدعى نغارينديثيا بالقرب من القدس الجديدة".

"كما تعرف، ما كنت تقوله..." بدأ غاتويريا موجّهًا حديثه لموتوري، توقّف عن الكلام وتنحنح، ثم سأله موتوري: "هل بإمكانك أن تخبرني رجاءً، أقصدَ، هل بإمكانك أن تخبرني؟"، توقف مرة أخرى كما لو أنه لا يعرف تمامًا ما الذي يودّ أن يسأل عنه، حاول مرة أخرى: "هل بإمكاني أن أقول إن

فكرة الاتّحاد تتجذّر في أهداف وغايات الماو ماو؟"

قال موتوري وهو يضحك قليلًا: "الاتّحاد"، وضحك قليلًا: "الاتّحاد، ألم تسمع ما يغنّيه راقصو نياكينيوا؟

الاتّحاد الذي ترونه الآن
الاتّحاد الذي ترونه الآن
ليس للنمّامين والذين يروّجون الشائعات

لذلك ليس بالأمر الجيد أن أوقع بين الناس أو أنشر الشائعات عن أيّ شيء له علاقة بالاتّحاد الحديث، الاتّحاد الحديث؟

همم، سوف أسكت، لأنه يقال إن الناس الذين يأتون من أرض الصمت نجوا ذات مرة بواسطة الصمت، لكن إذا ما طلبوا مني النصح، فسأطلب من راقصي نياكينيوا أن ينشدوا:

اتّحاد المال
اتّحاد المال
هو من أجل الأغنياء وأصدقائهم

عندما كنّا نحارب من أجل الاستقلال، الاتّحاد ولنسمِّه الاتّحاد المنظّم أخذ نوعين من الأشكال، كانت هناك منظمة الحرس الوطني والإمبرياليين، وهناك منظمة الوطنيين بقيادة الماو ماو، وقد اعتادت منظمة الوطنيين إنشاد هذه العبارات:

وجدت حبًّا عظيمًا هناك
بين النساء والأطفال
سقطت حبة فاصولياء على الأرض
واقتسمناها فيما بيننا

أمّا منظمة الحرس الوطني والإمبرياليين فقد اعتادت أن تنشد كالآتي:

حبّ الذات وحب الخيانة
بين خونة الوطن
حبة الفاصولياء التي نسرقها من الناس
نكافح لكي نرى من سيفوز بها كلّها

أنتم أيّها الناس، كان اتّحاد الحرس الوطني والامبرياليين منظمة تهدف إلى تشجيع العدوانية والوحشية، إذ ترى المرء يرمي الأطفال والمعاقين في النيران سعيًا وراء فتات وبقايا الإمبرياليين، أمّا اتّحاد الماو ماو فهو منظمة تنشر مبادئ الإنسانية، لأنّ أعضاءها اعتادوا أن يهبوا أرواحهم دفاعًا عن الأطفال والعاجزين. كانت منظمة الحرس الوطني تهدف إلى بيع الوطن إلى الأجانب، بينما هدف الماو ماو هو حماية البلاد. أنت، أيّها الفتى، أخبرتك بأنني لن أتحدّث عن الاتّحاد الحديث.

الاتحاد الحديث لديه مناصروه".

توقّف موتوري بشكل مفاجئ، ضرب ذبابة كانت تزحف فوق معطفه، خيّم الصمت داخل السيارة مرة أخرى، تمكن مواؤرا من التغلّب على المنعطفات ومنحدرات كينيني عندما وصل إلى قعر الوادي المتصدّع، بدأ

الظلام يشتدّ فأشعل مواؤرا الأضواء الأمامية.

طقطقت وانغاري لسانها، وتنحنحت لتبدأ بالحديث بصوت مشبّع بالمرارة: "تقول عندما تسقط حبة فاصولياء على الأرض فإنّنا نتقاسمها فيما بيننا؟ وإننا سفكنا الكثير من الدماء بسبب الحركة العظيمة التي ننتمي إليها، لشعب كينيا، حركة الماو ماو، حركة الشعب، لكي يتمكّن أطفالنا من الأكل حتى الشبع، ويرتدوا الملابس التي تقيهم من البرد، وينام في أسرّة خالية من البق؟ ولكي يتعلم أبناؤنا فنّ إنتاج الثروة لشعبنا؟ أجبني عن هذا السؤال: من هو الشخص الذي لن يضحّي بدمه من أجل هذه الأهداف العظيمة سوى الأحمق والعميل، وأنا، وانغاري، التي تراها أمامك، كنت طفلة صغيرة آنذاك، غير أن هاتين الساقين حملتا العديد من الذخيرة والعديد من البنادق لمقاتلينا في الغابات، ولم أكن خائفة بتاتًا، حتى عندما أنسلّ عبر خطوط العدو وحلفائهم من الحرس الوطني، يا أبناء أمتي، اليوم، عندما أتذكّر تلك الأشياء يضعف قلبي وأرغب في البكاء، ماذا قلت يا موتوري؟ إنّ الاتّحاد الحديث هو للأغنياء ولأصدقائهم؟

لقد قلت قولًا حسنًا
لقد قلت قولًا حسنًا
لو كنت أملك حليبًا
لغسلتك به

لا يهم، لا يهم، لكن يا أبناء قومي، أطرح على نفسي هذا السؤال باستمرار: هذا المال، آلاف الآلاف من الشلنات يتمّ التبرع بها يومًا بعد يوم، من أيّ أعماق بحرية أتت؟ الفرد الذي يستطيع أن يتبرّع بمئات الآلاف،

كم يدّخر لنفسه ولأبنائه؟ هذه الحدائق من الثروات اللا متناهية، أيّ نوع من الحدائق هي؟ هذا النبع الذي لا ينضب ماؤه، أيّ نوع من الينابيع هو؟ وأصدقاء هذا الرجل؛ الأصدقاء الذين لم يخرجوا أبدًا للعلن لكي تتمّ مشاهدتهم من هم هؤلاء الأصدقاء؟ هؤلاء الأصدقاء الذين لم تُكشف أسماؤهم أبدًا للعلن، من هم؟ هؤلاء الأشخاص الذين يحبّون التبرع تحت جنح الظلام فقط، من هم؟ لكن كلّ فعل سرّي غامض سوف يُفضح فوق رؤوس الأشهاد في يوم من الأيام، على مرأى من الناس، دعوني أقول لكم: عندما حاربنا من أجل الاستقلال، لم تكن الأموال هي التي قامت بالكفاح، بل كان الحبّ، حبّ كينيا، وطننا، هو الذي زوّد رجالنا الشباب بالشجاعة لمواجهة الموت الجماعي المحتمل برصاص العدو، لم يسلّموا تراب وطنهم أبدًا. عندما حاربنا من أجل الاستقلال لم نكن ننظر إلى طريقة لباس الأشخاص ونقول: هذا الشخص يرتدي ثيابًا بالية، فليُلقَ في السجن، في الحقيقة، إنّ من يرتدي الأسمال كان يدافع في الخطّ الأمامي، ولا يعرف كلمة تراجع، لكن من يرتدي ربطة العنق كان يهرع ليلتقط قبعة الإمبريالي التي أسقطتها رصاصة من خطّنا الأمامي وقوات الاحتياط، وعندما تسمعونني أتحدّث بهذه الطريقة، يا أبناء أمتي، لا تعتقدوا بأنني ثملة أو أنني دخنت الحشيش، لا، فأنا أتحدّث بهذه الطريقة بسبب ما عانيت منه في نيروبي التي تركتها ورائي، الاتّحاد الحديث، لا أعلم إلى أين يقودنا نحن الشعب الكيني".

توقفت وانغاري، أحسّ كلّ من موتوري، ووارينغا وغاتويريا بالتعاطف بسبب المرارة والأسى الذي خيّم على صوتها، أما صاحب النظارات السوداء فقد انكمش بشكل أكبر في الزاوية التي جلس فيها. ضغط مواؤرا بقدمه على المسرّع وهو يأمل بأن تزحف بهم المركبة جميعًا بعيدًا عن حكاية وانغاري.

سألها موتوري "ماذا فعلت بك نيروبي لتثقل قلبك بهذا الشكل؟ "

أجابت وانغاري بسرعة: "لا أدري، هل أصف الأمر بأنه مدهش؟ أم مرعب إلى درجة تجعل الجسد والقلب يرتجفان؟".

بعد ذلك أخبرتهم وانغاري عن الرعب الذي يصعب وصفه والذي عاشته في نيروبي، عاصمة كينيا.

"نيروبي تلك... لا أدري حتى الآن أية روح نقلتني من إيلموروغ إلى نيروبي؟ هل ثمة زاوية في الأيام الحاضرة؟ حتى الأماكن النائية البعيدة المترامية من كينيا يستطيع المرء أن يذهب إليها هروبًا من الفقر. إيلموروغ، مومباسا، نيروبي، ناكورو، كيسومو- صارت المياه في كلّ هذه المناطق لها طعم مرّ بالنسبة لنا نحن الفلاحين والعمّال.

عرض مصرف كينيا للتقدّم الاقتصادي قطعة الأرض الصغيرة التي أملكها، وهي بمساحة فدّانين، في المزاد العلني لأنني لم أتمكّن من دفع القرض الذي أثقل كاهلي من أجل الاحتفاظ بالبقرة الحلوب، كان القرض يبلغ 5000 شلن. اشتريت الأعمدة والسياج وبقرة حاملًا في شهرها السادس، بعد ذلك، أنفقت جزءًا من القرض في دفع رسوم المدرسة الخاصّة بابني، ولدت تلك البقرة عجلًا، كانت مداخيل الحليب بالكاد تكفي لتغطية مصاريف الفوائد الشهرية للبنك، أصيبت البقرة بالحمى الصفراء، ولم يصل الطبيب البيطري إلّا بعد وفاة البقرة ودفنها، لم أسدّد حتى ربع قيمة الدين.

ولذلك عندما بيعت قطعة الأرض، واكتشفت أنه لم يبقَ أيّ أرض يمكن زراعتها، وأنني لن أعثر على أيّ عمل في إيلموروغ، فكّرت في الذهاب إلى عاصمة كينيا من أجل البحث عن عمل، لماذا؟ لأنه عندما تقترض المال من الدول الأجنبية، فهذه الأموال تذهب لبناء نيروبي وبقية

المدن الكبرى الأخرى، وفيما يتعلّق بنا نحن الفلاحين، فإن كلّ أتعاب عملنا تذهب لبناء نيروبي، إذن، قلت لنفسي وأنا في كوخي وحيدة: لن أفشل في العثور على عمل في نيروبي. وإذا اضطررت فلن أمانع من كنس المكاتب أو غسل مؤخرات الأطفال، لا يهمّ أيّ وظيفة أقوم بها لأنّ المرء الذي تمنح له قطعة من اللحم لا يطمع في الحصول على الشحم أيضًا، ومن المحتمل ألا يكون هناك لصوص وناهبون في نيروبي مثل أولئك الذين يزعجون عمال إيلموروغ ويقمعونهم ليل نهار.

وهكذا، ربطت بعض السنتات في ثوبي وانطلقت، في الحقيقة لم يسبق لي أن شاهدت العديد من السيارات تسير فوق الطرق المعبدة مثل السيول التي تجري في السهول، والأبنية أطول من قابيل الأسطوري الذي استطاع ملامسة الغيوم كما يقال، نيروبي تشبه حديقة كبيرة من الصخور والإسفلت والسيارات، عندما شاهدت المتاجر والفنادق والسيارات، قلت لنفسي: بلدنا كينيا تقدّمت تقدمًا ملحوظًا بالتأكيد، من المؤكد أنني سأجد عملًا هنا، لذلك ذهبت إلى أول متجر مررت إلى جانبه، وكانت الملابس تشعّ بكلّ ألوان قوس قزح، حيث وجدت شخصًا هنديًا يدير المتجرفسألته إن كان هناك إمكانية لأعمل لديه كأن أقوم بكنس المتجر وتنظيفه، لكنه أخبرني بأنه لا يحتاج إلى أيّ شخص ليقوم بتلك المهمة في متجره، توسّلت إليه لكي يسمح لي بترتيب الفوضى التي يسبّبها أبناؤه في المنزل، قال لي إنه لا يستطيع أن يقدّم لي تلك المهمة أيضًا. خرجت إلى الشوارع مرة أخرى أبحث عن البنايات العالية جدًّا فقط، في ذلك الوقت دخلت إلى أحد الفنادق، كان فندقًا كبيرًا، بحجم جبل كينيا، هناك على الطاولات لا يجلس سوى الأوروبيين. ذهبت إلى أحد المكاتب ووجدت أحد الأوروبيين الذي أخبرني بأنه لا توجد وظائف، أخبرته بأنني لا أمانع بمسح أحذية هذه الأسراب

الكبيرة من البيض مهما كانت أعدادهم التي تجاوزت أعداد الجراد، ضحك وقال لي إنّ ذلك الأمر مستحيل. وماذا عن مسح المراحيض التي تخصّ الأشخاص البيض؟ رفض، وبقيت عاطلة عن العمل".

بعد ذلك تنقّلت من متجر لآخر بحثًا عن مكان يوظّف السود، لا يمكن للفرد أن يختار عائلته وفئته العمرية. نحن السود، ألسنا من قبيلة وسلالة واحدة؟ دخلت إلى أحد المتاجر الذي يبدو أنه متخص في الأواني المنزلية وأدوات البستنة، المعاول، والمناجل، والمجارف، والصحون والأباريق والمقالي كانت مكدسة في الرفوف، وكان هناك رجل أسود داخل المتجر، أحسست بالأمل، أخبرته عن كلّ همومي، وسألته: هل تصدّقها؟ فانفجر ضاحكًا، قال لي إن الوظيفة الوحيدة التي يمكن أن يقدمها لي هي فتح رجلي، إنّها الوظيفة التي تقوم بها النساء الصغيرات في السن باحترافية، أحسست بعدها بدمعتي وهي تسقط على الأرض.

جبت الشوارع ولا أعلم ما هو الأمر الذي سوف أقوم به أو إلى أين أتوجّه، بعد ذلك رأيت فندقًا آخر، فدخلت إليه مباشرة، سألت عن مكتب الإدارة، ووجدت رجلًا أسود، سألته عن إمكانية وجود وظيفة شاغرة، قال لي: "أنت، أيتها المرأة ألم تكوني هنا قبل قليل؟ وأخبرك أحد الأوربيين بأنّه لا توجد وظائف لأمثالك؟".

شعرت بالصدمة وبالرعب، لقد مشيت بشكل دائري، وإذ بي أعود إلى الفندق الذي سبق لي أن سألته في بادئ الأمر. هممت بالرحيل، فطلب مني ذلك الرجل العودة والجلوس على أحد المقاعد بينما قام بالاتّصال هاتفيًا بأحد الأماكن التي يعلم أنّها لا تخلو من الوظائف لأشخاص على شاكلتنا، بدأ قلبي ينبض فرحًا، لقد حصلت بلادنا على الاستقلال الحقيقي، انتظرت حظي وأنا أتحلّى بصبر صياد السمك، آه، يا أبناء أمتي، ماذا عساي أن أقول

لكم؟ قبل أن أعطس مرتين، رأيت رجال الشرطة يدخلون إلى المكتب، سلّمني الرجل الأسود إلى الشرطة الذين كانوا سودًا مثلي، وأخبرهم بأنني كنت أراقب الفندق. وعندما استدعى الرجل الأوروبي مالك الفندق، أيد كلامه وأضاف: أنني قضيت النهار بأكمله وأنا أدور حول الفندق مرات عديدة بطريقة لا مجال للشك فيها بأنني أرتب لسرقة الفندق، ثم ربّت على كتف الرجل الأسود وقال له، بصوت بدا كأنه يصدر من أنفه: "أحسنت عملًا، مغواتي، أحسنت عملًا"، أو شيئًا من هذا القبيل، وواصل مفتش الشرطة القول "نعم، نعم، إنّ اللصوص والناهبين يوظّفون النساء على شاكلة هذه للتجسس على المتاجر والفنادق والبنوك".

زُجّ بي بعد ذلك داخل مركبة الشرطة، ثم قادوني إلى إحدى الزنزانات، لكن هل كانت فعلًا زنزانة أم مخبأ للبعوض والقمل والبراغيث والبق؟ نمت في تلك الزنزانة ثلاث ليالٍ متتاليات. أنا وانغاري التي لم تسرق أبدًا حتى حبة بطاطا من أيّ شخص! أنا وانغاري التي وهبت نفسها فداء للوطن! أنا وانغاري التي ترونها الآن ترتدي ثوبًا من الكتان وتحمل سلة، قضيت ثلاث ليالٍ أختنق برائحة البول والغائط النتنة!

نُقلت إلى المحكمة صباح هذا اليوم حيث وُجّهت لي تهمة نية سرقة الفندق والتجوّل في نيروبي من دون أن أكون إحدى قاطني المدينة بلا عمل وبلا منزل وبلا تصريح بذلك. يسمّونها تهمة التشرّد أو شيئًا من هذا القبيل، ذلك ما يسمّونه، لكن، يا أبناء وطني، فكّروا: أنا، وانغاري، المولودة في كينيا، كيف أكون متشرّدة في وطني؟ كيف لهم أن يتهموني بالتِشرد في وطني كما لو أنني أجنبية؟ أنكرت كلتا التهمتين، البحث عن عمل لا يعد جريمة.

كان القاضي أوروبيًا ذا بشرة حمراء تشبه لون جلد الخنزير، وكانت جلدة

أنفه متقشّرة كجسد السحلية، ويرتدي نظارات ذات أذرع طويلة.

كان الأوروبي صاحب الفندق هو الشاهد، والسيد مغواتي الذي هو عبد من عبيد الأجانب، الشاهد الآخر.

سألني القاضي: "هل لديكِ أيّ شيء تودين قوله للمحكمة قبل إصدار الحكم في حقك؟".

حتى اللحظة، لا أستطيع أن أقول من أين حصلت على الشجاعة التي تملكتني فجأة، (هل كانت شجاعة أم ألمًا؟!)، قلت للقاضي: انظر إليّ جيّدًا، أنا لست أجنبية هنا مثلك، ولست متشرّدة هنا في كينيا. ولن أكون متشردة أو أجنبية في يوم من الأيام هنا في كينيا، كينيا هي وطننا، لقد ولدنا هنا، لقد منحنا الرّبّ هذه الأرض، وحررناها من أيدي الأعداء بدمائنا، اليوم ترانا نرتدي الأسمال، لكن نحن، العمّال والفلاحون، هو الشعب نفسه الذي كان هنا وهناك حول كيماثي، والآن، انظر إليّ جيّدًا مرة أخرى، أنا لست سارقة، لست لصّة، إذا كنت تريد أن تعرف من هم اللصوص والناهبون الحقيقيون، اتبعني وسوف أكشف لك مخابئهم وكهوفهم في إيلموروغ، أعطني بعضًا من أفراد الشرطة وسوف نقوم باعتقال اللصوص والناهبين الذين يزعجوننا حالًا، لا أعرف شيئًا عن نيروبي أو الأماكن الأخرى، لكن في إيلموروغ، إيلموروغ بلدنا، لا يكلف اللصوص والناهبين أنفسهم حتى بالاختباء، ثم جلست.

خلع القاضي نظاراته، مسحها بمنديله الأحمر، ثم أعادها فوق أنفه المتقشر، نظر إليّ مرة أخرى، واصلت الحديث بداخلي قائلة: نعم انظر إليّ جيّدًا إن لم يسبق لك أن سمعت صوت وانغاري الفلاحة، لو كنا نعيش في ذلك الزمن الآخر لرأيت فوهة المسدس أيّها الشيطان. طلب مني أن أعيد ما قلته حول لصوص إيلموروغ وناهبيها، فقلت له: حقًّا! لماذا سأكذب

عليك، من سيكون أكثر سعادة أنت أم أنا عندما نسمع أن أولئك اللصوص والناهبين يصرّون أسنانهم في السجن؟ أعطني بعض أفراد الشرطة وسوف أدلّهم أين يستريح اللصوص والناهبون.

قال القاضي: بما أنني تعاونت معه لكي نقوم باجتثاث النهب والسرقة من البلاد، فلن تقوم المحكمة بسجني، سوف أقوم بدفع غرامة لأنني كنت أجوب نيروبي بلا تصريح وبذلك خرقت قوانين التشرّد.

هل تصدقون ذلك، فكّروا جيّدًا في الأمر، هل من المعقول أن أكون في حاجة إلى تصريح لكي أجوب نيروبي، كما كان عليه الوضع في حالة الطوارئ عندما كان مستعبدونا الأوربيون يجبروننا على حمل بطاقة المرور.

أبلغ القاضي الشرطة بأن تقوم بجميع الترتيبات اللازمة للقبض على اللصوص والناهبين في إيلموروغ، استعدادي للتعاون هو الأمر الذي أنقذني من ستة أشهر في السجن.

نُقلت من قاعة المحكمة أولًا إلى مركز الشرطة بداية وأؤكد لكم أنهم بدأوا باسترضائي بالألسنة المعسولة، ثم الثناء عليّ، قالوا لي: لو أن كلّ المواطنين على شاكلتي وتعاونوا مع الشرطة مثل شتلة البطاطا والشجرة التي تساندها، فإنه سيتمّ تنظيف البلاد من السرقة والنهب والجرائم المشابهة، ومن يقوم بذلك سيكون قادرًا على التنعم برزقه في سلام وينام بلا خوف.

اتفقنا على بأنّه يجب أن أعود إلى إيلموروغ أولا وحدي كي أعرف متى يجتمع اللصوص والناهبون عادة وأين، وسأبلغ تلك المعلومات عندما أجمعها لشرطة إيلموروغ، وهو المشرف العام غاكونو، عن سير الأمور، وسوف يزوّدونه باسمي لكي يؤتي تقريري أكله بشكل فعّال.

وهكذا تركوني وتركتهم، لكنهم لم يعطوني نصف سنت من أجل ثمن الأجرة.

قلت لكم إنّ كل ما أملكه 200 شلن تركتها في المحكمة، وأجبرت على

العودة إلى إيلموروغ سيرًا على الأقدام، أما الآن، لولا أن الرّب أرسلكم في طريقي، أين كنت سأنام هذه الليلة؟ وماذا كنت سآكل؟

في هذا اليوم، هذا اليوم بالذات، أنا وأنتم نجلس هنا معًا، ماذا لو هبط شخص من السماء وطلب مني أن أغني الأغاني التي تثني على اتّحاد المال، سأقول له كلمتين أو ثلاثاً لن ينساها أبدًا. "

توقفت وانغاري بشكل مفاجئ، كما لو أن أفكارها ما زالت تقبع في أقبية الشرطة، وقاعات المحاكم، والقضاة ورجال الشرطة.

حركت وارينغا يديها لفتح حقيبتها وإخراج البطاقة التي أعطيت لها في موقف كاكا للحافلات، هل تعلم وانغاري عن احتفالية الشيطان المقامة على شرف اللصوص والناهبين في إيلموروغ؟ دفع هذا السؤال وارينغا إلى التوقف، ونظرت إلى وانغاري وسألتها بصوت مرتعش قليلًا: "اخبريني، هل أنت صادقة بشأن وجود أوكار وكهوف للصوص والناهبين في إيلموروغ؟".

"ماذا؟ وتدّعين أنك من نجيروكا من إيلموروغ! في أيّ حيّ أنتِ؟" أجابت وانغاري بطرح سؤال.

أجابت وارينغا بتردّد: "إنني...لم أكن على دراية بذلك...".

قالت وانغاري لوارينغا: "الآن، تعرفين الحقيقة"، ثم صمتت.

5

التزم بقية المسافرين الصمت أيضًا، وكأنْ ليس لديهم ما يضيفونه على حكاية وانغاري أو لسؤال وارينغا، لكن بعد سفرهم في صمت لمسافة قصيرة، بدأ موتوري الحديث.

"هذه البلاد بلادنا نحن، بلاد حبلى، والرب وحده يعلم ماذا ستلد، فتخيلوا! قدر أطفالنا نحن العمّال والفلاحون هو البقاء في الشمس، جياعًا،

وعطاشى، وعراة وحفاة ينظرون إلى الفاكهة التي تنضج على الأشجار ولا يستطيعون قطفها لسدّ رمق بطونهم الفارغة، مقدّر لهم أن يشاهدوا بخار الطعام وهو يُطهى في القدور لكنهم لا يستطيعون ملء وعاء (اليقطين اليابس) حتى لغرف جزء يسير، مقدّر لهم السهر ليلًا وهم يحكون لبعضهم قصصًا عن الدموع والأسى، ويطلبون من بعضهم أيضًا فكّ الألغاز نفسها يومًا بعد آخر، كم نتمنى الحصول على هذا!".

أجابت وانغاري: "الموز الناضج"، وكأن موتوري سألها لغزًا حقيقيًا.

قال موتوري: "أوه، ليتنا نحصل على بعض منه!".

أجابت وانغاري مرة أخرى: "ماء عذب وبارد في كهف يمتلكه شخص آخر".

"يا وانغاري، حكايتك توضّح أنه كان من الأفضل لهذه البلاد، بلادنا، أن تنجب ذريتها منذ زمن طويل"، كان موتوري يكرر ما قاله سابقا ، ثم أضاف قائلا: الأمر الذي نقص الآن هو "القابلة" أما السؤال فهو: من هو المسؤول عن الحمل؟ "

دخل روبن مواؤرا في النقاش بشكل مفاجئ: "إنّه الشيطان يقوم بعمله".

أحسّ مواؤرا بقليل من الحرج بسبب سوء النية التي أظهرها في كينيني، منذ اللحظة التي اتّفق كلٌّ من موتوري، وورارينغا، وغاتويريا على دفع ثمن الأجرة لصالح وانغاري، كان مواؤرا يحاول أن يجد طريقة لتغيير الموضوع، ويوجّهه بعيدًا عن وانغاري ومشاكلها، بدأ يغنّي الآن:

سأضرب الشيطان ضربة
سأضرب الشيطان ضربة
سأقول له دعني وشأني
فأنا لا أنتمي لعالم الشياطين

أحسّت وارينغا بحرارة في كلّ جسدها عندما تذكّرت كلّ الأمور التي وقعت في ذلك اليوم، سألت نفسها: "لماذا تعيد الأحداث نفسها اليوم؟ أم كان هذا مجرد حديث؟"

نظر غاتويريا إلى السائق نظرة خاطفة، نظرة ترغب منه في أن يكمل الأغنية، كان غاتويريا يشعر بالانزعاج من قصة وانغاري التي جعلته يسأل نفسه مرات عديدة: هل من الممكن أن تقع مثل هذه الأشياء في كينيا اليوم؟ بعد ذلك، تذكّر أنه توجد فعلًا قوانين تشرّد في كينيا، ولذلك صدّق قصة وانغاري، لكن ما جعله يرغب في أن يستمر مواؤرا في الغناء هو شيء يخصّ العبء الذي يحمله داخله، والعبء الآخر الذي يحمله في حقيبته.

بقي صاحب النظارات السوداء منكمشًا في زاويته كأنه يخشي أن يهاجمه الآخرون، لأنه كان يظن أنّهم يشكّلون مجموعة مع بعضهم.

توقّف مواؤرا عن الغناء بشكل مفاجئ تاركا الأغنية معلقة في الهواء.

سأله موتوري: "ماذا؟ هل قطعت خيط الأغنية؟".

أجاب مواؤرا: "لا، أنا أرمي الخيط لك".

قال موتوري: "نحن بأنفسنا كنا نغني الأغنية بهذه الطريقة، أو كنا نغني اللحن نفسه باستعمال هذه الكلمات".

سأضرب الأشخاص البيض ضربة
سأضرب الأشخاص البيض ضربة
سأقول لهم: اذهبوا إلى وطنكم الآن
كينيا ليست للإمبرياليين

عندما بدأ موتوري في غناء المقطع التالي، انضمّت إليه وانغاري، وراح الاثنان يغنّيان معًا بصوتين امتزجا بشكل جميل، مثل مزيج الزيوت العطرية التي تنتمي لنوع واحد.

كينيا ليست لكم، أيها الإمبرياليون
كينيا ليست لكم، أيها الإمبرياليون
احزموا حقائبكم وارحلوا
فأصحاب البيت قادمون في طريقهم إليه.

أنهى موتوري ووانغاري الثنائي الذي كوناه معًا، مثل المحترفين.

قال مواؤرا: "بالنسبة لي، لا توجد أيّ أغنية لا أرغب في بغنائها، فهذا العالم مستدير، عندما يميل باتّجاه معين، فإني أميل معه أيضًا، وإن تعثّر سأتعثّر معه، وإن انحنى سأنحني معه، وإن استقام، فسأستقيم معه، وإن دمدم سأدمدم معه، وإن صمت فسأصمت أيضًا، أول قانون لولايات الضباع: لا تكن انتقائيًا، تناول أيّ شيء متاح، لو وجدت نفسي بين طائفة أكورنيو، سأصبح واحدًا منهم؛ وعندما أكون واحدًا من بين الناجين، سأكون واحدًا منهم أيضًا؛ وعندما أكون مع المسلمين، سأعتنق الإسلام؛ وعندما أكون بين الوثنيين، سأكون وثنيًا".

قال كيكويو: لا أحد يستطيع أن يطبخ قدرين من الطعام في وقت متزامن من دون أن يحترق أحدهما، قال موتوري: "لكنك، أنت مواؤرا، يبدو أنه بمقدورك أن تطبخ حوالي ألفي قِدْر من الطعام في الوقت نفسه! هل بإمكانك فعلًا أن تراقب الطعام في كلّ القدور معًا أم أنك ستحصل في نهاية الأمر على بقايا متفحمة؟ "

قال مواؤرا ضاحكا: "الفم الذي أكل نفسه"، لقد أحسّ بخفة وسعادة منذ اللحظة التي سمع فيها حديثًا مختلفًا عن وانغاري ومشاكلها، يبدو أننا نحن، سائقي الماتاتو من يصدر هذه المقولات المأثورة، نحن مشهورون بالأصوات العالية وعباراتنا الفكاهية، لماذا؟ لأنّ صياد السمك لا يعلم بالضبط في أيّ جانب من النهر سيحصل على صيده لذلك يرمي خيطه هنا وهناك، لأننا، نحن سائقو الماتاتو، ألسنتنا هي صنّارتنا ".

اختصر له موتوري القصة: "من أجل اصطياد المال".

وافق مواؤرا على الفور: "نعم، من أجل اصطياد المال، والناس، ولنقل إنّ ألسنتنا هي طعم للكائنات البشرية وأموالهم، لأنّ المال يأتي عن طريق الناس، ولذلك، لو انتبهت كثيرًا لما نقوله، من الممكن أن تتعرّض للضياع في عزّ النهار، خذ مثالًا على ذلك السيدة التي معنا هنا، ربما ظنّت فعلًا أنني قصدت أن أتركها لتنهشها الوحوش في الغابة، لا، أردت أن أخيفها فقط، يجب علينا أن نتّخذ موقفًا غاضبًا لأنه يوجد بعض المسافرين الذين يريدون أن يخدعونا، في العادة أحمل حقيبتين، واحدة للأشياء الحلوة، والأخرى للأشياء المرّة.

تدخّل موتوري بنبرة من السخرية في صوته: "للحياة والموت".

"لقد أصبت"، أجاب مواؤرا بكلّ بساطة من دون أن ينتبه إلى السخرية: "في نظرك، ما هو الشيء الذي يجعلنا ننجو على هذه الطرقات؟".

قال موتوري: "أعتقد أن الشيء الذي قلته يمكن أن يكون صحيحًا"، ثم أضاف بجدّة: "لكن عندما كنّا في نياماكيما، كنت تنشد بصوت مرتفع هناك بأنّه لا يوجد مكان ترفض أن تقلّ المسافرين إليه بقصد الحصول على المال، سواء كان إلى جنة الرّب أو نار الشيطان. لكن أخبرني، أنت مع أيّ جانب؟".

أجاب موتوري: "هذا هو السؤال، جانب الرّب أم جانب الشيطان؟".

في الأمور التي تتعلق بالوطن، أنا مع الجانبين بشكل متساوٍ، ألم تقل قبل قليل بأنني شخص أطبخ قدرين في آن معًا؟ كنت على صواب تمامًا، لكنني لا أريد أن أحرق الطعام في أيٍّ من القدرين. لنعُد مرة أخرى لمسألة الرّبّ والشيطان، لم يسبق لي أن رأيت أيًّا منهما، لكن دعنا نتفق أن كليهما موجود، وأن كلًا منهما يملك قواه الخاصة، في الحقيقة، كلاهما كانا يبحثان عن الأصوات المؤيدة لهما على الأرض، تلك الأصوات المعلّقة في قلوب الرجال، ألا تلاحظ، أنهما قادران على تحسين أو تدمير حظوظكم على الأرض؟ تمامًا كما تشاهد المرشحين يتنافسون مع بعضهم التماسًا للأصوات في الانتخابات، فهكذا، نحن رجال الأعمال نلعب دور الرّب والشيطان ضد بعضنا، لا نودّ أن نغضب أيًّا منهما، نصلّي من أجلهما.

أنت تتحدث مثل مسافر ضيّع وجهته، ألم تسمع الحكمة القائلة إن المرء لا يستطيع أن يخدم سيدين في وقت واحد؟ حتى المقترع يمنح صوته لمرشح سياسي واحد فقط.

لدى رجل الأعمال عدة أسياد، ويجب عليه أن يقدّم لهم الولاء والطاعة جميعًا، لو ناداني هذا السيد، سأجري إليه، لو ناداني ذلك السيد، سأجري إليه أيضًا".

سكتا كلاهما، كان مواؤرا يقود بحذر لأنه أحسّ بالانزعاج من المنحنيات والمنعطفات في الطريق، كانت الشاحنات الطويلة والشاحنات الصغيرة والشاحنات المحمّلة بالفحم والبطاطا والخضروات، تستعمل الطريق بشكل مكثّف.

اجتازوا الطريق المؤدّي إلى كيجابي ميشن والكنيسة التي بناها السجناء الإيطاليون خلال الحرب العالمية الثانية، والآن يقومون بالنزول إلى أسفل

الوادي المتصدّع.

حشر موتوري مواؤرا بسؤال آخر: "ألا تؤمن بأيّ شيء آخر؟ ألا يوجد أيّ شيء يعتبره قلبك بأنّه جيد أو سيئ؟ ".

كان مواؤرا صامتًا في البداية، كأنه لم يسمع السؤال جيّدًا، سأل نفسه: "هل أقلّ معي رجل دين متعصب، واحدًا من الأشخاص الذين يكرّرون شعار يسوع هو مخلّصي؟".

انتظر المسافرون الآخرون في صمت، ردّ مواؤرا لأنهم كانوا يديرون سؤال موتوري في قلوبهم.

كان مواؤرا يدرك أن المسافرين ينتظرون ردّه بكل شغف، تنحنح، سألتني عن معتقداتي، هل هذا صحيح؟ أحوال القلب[5] من الصعب تخيلها، قلوب الرجال لا تنفتح على بعضها على شاكلة جحور الخلد، إنّ شؤون القلب تشبه الغابة الكثيفة، لا أحد يستطيع اختراقها. في البداية، اسأل نفسك هذا السؤال: "ما هو القلب؟ أين يقع؟ هل القلب عضو مخلوق من اللحم، أو إنّه مجرد همسة؟ ذات مرّة، عندما كنت طفلًا، حكت لي جدتي قصة تتعلق بأسد مريض، وشفي بعدما التهم قلب حمار، كنت حزينًا سألت جدتي: ماذا سيفعل ذلك الحمار عندما يأتي المسيح لكي يوقظ الموتى؟ قالت لي جدتي: لا تزعجني بالثرثرة الفارغة؛ لن تبعث الحيوانات التي تهتم لأمرها من جديد".

يمكن للمرء أن يعود إلى الوطن الذي هجره ذات مرة، في اليوم التالي عدت إلى طرح السؤال نفسه الذي سألته عندما كنت طفلًا عندما قرأت صحيفة (تايفاليو) أنه في هذه الأيام من الممكن أن ننزع قلب شخص ما ونقوم بزرعه بجسد شخص آخر.

---

5 يجب التذكير بإنه في كيكويو كلمة (قلب) تعني العديد من الأشياء: النفس، الروح، الضمير، الذهن، المرء من الداخل، الجوهر.. إلخ. م.

يصبح السؤال هكذا: هل ذلك الشخص هو نفسه الذي كان قبل عملية الزرع، أم إنّه صار الآن شخصًا جديدًا لأنه حصل على قلب جديد؟ وحين يأتي يوم البعث، ماذا سيفعل هذان الاثنان عندما يدّعي كلا الجسدين ملكية القلب نفسه؟ فكر في القلب الذي يتقاسمه الجسدان، لنفترض أن القلب كان مستقيمًا، ومطيعًا ونظيفًا، ماذا سيمنع كلا الجسدين من التهافت عليه؟

يملؤني الشكّ عندما يتعلق الأمر بنقل قلب من جسد إلى آخر، هل ينتقل بكلّ نزاهة الجسد الأول أو زيغه ، أم أنه سيكتسب انحراف الجسد الجديد وشروره؟

دعونا الآن، نتخيل أرضًا مأهولة بالمواطنين الأغنياء والفقراء، يمكن للرجل الغني أن ينغمس في كلّ أنواع الآثام، لكنه عندما يوشك على الموت يذهب إلى إحدى المستشفيات ويشتري قلب أحد الفقراء المستقيمين، وهكذا سيذهب الرجل الغني إلى الجنة بسبب استقامة الرجل الفقير، ويذهب الرجل الفقير إلى جهنم بسبب زيغ الرجل الغني ولأنه بلا روح الآن.. ها! ها! ها!

قطع مواؤرا الحوار بالضحك، ضحك ثم ضحك كمن يستعدّ ليقول شيئًا مرحًا لكن، وهو يحاول أن يقوله، أدهشته روح الفكاهة، لا يزال يضحك، تابع مواؤرا وهو يضحك "أودّ أن أبدأ مشروعًا يتعلق ببيع القلوب، سوقًا للقلوب البشرية، سوقًا متميزًا للقلوب البشرية، مزادًا دائمًا، أتساءل كم يبلغ ثمن قلب كقلبي في السوق؟".

هذا الأمر جعل مواؤرا ينهار من شدّة الضحك.

لكن لم يشاركه أيّ مسافر آخر الضحك، أثناء هذا الوقت كانوا قد اجتازوا طريق نير نغير وناروك، كانت منطقة محطة الأقمار الصناعية على

يسارهم، وتلال كيجابي على يمينهم، وجبل لونغونوت أمامهم. هبط الظلام على المنطقة بأكملها، لكن أضواء سيارة مواؤرا فورد ت. وتلك الخاصة بالمركبات الذاهبة من الاتجاه نفسه أو من الاتجاه المعاكس كانت تضيء ممرًّا، فتقسم بذلك الظلام إلى نصفين، وكان بعض السائقين لا يطفئون أنوار مركباتهم، وعندما تسلّط هذه الأضواء على عينَي مواؤرا، كان يقسم بوالدته أنه سيستعمل عبارات طويلة ويصعب ذكرها لسبّ السائقين، حيث قال: رخص القيادة التي تباع في السوق تشكّل خطرًا على الطرقات! هل تصدق الآن بأنّه حتى الرضيع الذي يحمل بين الذراعين بإمكانه الحصول على رخصة قيادة مقابل 500 شلن؟ على الرغم من أنه لم يشاهد عجلة القيادة أبدًا!

قال له موتوري: "لقد صار الماء حامضًا ".

وأضافت وانغاري: "وصارت قلوب البشر فارغة".

بدأ موتوري وانغاري يغنيّان معًا:

تفاقمت المجاعة في بلادنا
لكنهم أعطوها أسماء أخرى
حتى لا يكتشف الناس
المكان الذي يُخبّأ فيه الطعام
سيدتان برجوازيتان
التهمتا لحم أطفال الفقراء
لا تستطيعان إدراك آدمية الأطفال
لأن قلبيهما فارغان
بيوت عديدة، وفدادين من الأرض
وأكوام من النقود المسروقة

هذه لا يمكن أن تجلب السلام لأيّ شخص
لأنها اختلست من الفقراء
الآن تجاهل الأغنياء
وانظر إلى الفقراء، وإلى الأطفال
كلّهم يترنّحون على قارعة الطريق
لأن قلوبهم فارغة

علّق موتوري: "يترنّح الأغنياء لأنهم أفرطوا في الأكل".
وأضافت وانغاري: "والفقراء لأنهم يتضورون جوعًا"
ثم أنشدوا بصوت واحد: "لأنّ قلوبهم فارغة".

سأل موتوري مرة أخرى: أيّ نوع من المتعصبين هؤلاء الذين يثقلون كاهلي بأسئلتهم؟ هل من الممكن أن يكونوا أعضاء في طائفة ديب وترز؟ "

"هل عدتم لموضوع القلب البشري؟"، سأل مواؤرا بصوت أظهر ضيقه مع موتوري ووانغاري، "قلوب، قلوب، قلوب! ما هو القلب؟ نسمة، هبّة ريح، أم صوت؟ لا! القلب غيمة عابرة وحسب، حوّلتها أحلام إنسان سحقه الفقر إلى سلّم ذهبي يصل إلى جنة الرّب، أو سلم من الحجر صُنع لتوجيه وإنزال أعدائه في الجحيم، أين هو السوق الذي بإمكاني أن أبيع فيه قلبي لأيّ شخص أحمق وبأيّ مبلغ يعرضه".

أجاب موتوري بشكل سريع: "القلب البشري؟ هل هو نسمة، أم هبّة ريح، أم غيمة عابرة؟ هل هو حلم في ذهن الشخص الذي لا ينام بسبب الفقرَ؟ لا! القلب البشري هو لحم وليس لحمًا كذلك، القلب هو الذي يصنع الإنسان، وهو بدوره صنعة الإنسان. القلب يحمله الجسد ويصبح بدوره هو

الجسد. لدى الإنسان عضو يسمى القلب، وذلك العضو هو عبارة عن جهاز يقوم بضخّ الدم في الأوردة والشرايين التي تحمل الغذاء إلى كلّ خلايا الجسد ويزيل الفضلات من كلّ أطراف الجسد، يتعاون العضو مع جميع أعضاء الجسد، وتعمل هذه الأعضاء مع بعضها لكي تجعل الإنسان يرى، ويلمس، ويسمع، ويشم، ويتكلّم، ويتذوّق، ويحرّك ذراعيه، ويمشي ويبدأ ببناء حياته.

الشيء الذي يقوم ببنائه، وبنفسه، هو بناء القلب الآخر، ذلك القلب الآخر هو الإنسانية التي نشكّلها نحن بأيدينا، يساعدهما على ذلك أعيننا، وآذاننا، وأنوفنا، وأفواهنا، ذلك القلب الآخر هو نتاج أعمالنا وأفعالنا التي توجّهها أدمغتنا، الأعمال والأفعال التي من شأنها تغيير الطبيعة لجعل الأشياء تلبّي حاجياتنا، مثل بناء مأوى للاحتماء من المطر، والملابس للاحتماء من البرد والشمس، والطعام لنمو الجسد والعديد من الحاجيات الأخرى.

تلك الإنسانية هي الأخرى نتاج تعاون الكثير من الأيادي الأخرى التي تعمل معًا، لأنّه كما قال كيكويو ذات مرة: إصبع واحد لا يمكنه أن يقتل القملة؛ قطعة واحدة من الخشب لا يمكن أن توقد النار لليلة كاملة؛ شخص واحد، مهما كان قويًّا، لا يستطيع أن يبني جسرًا فوق النهر؛ لكن العديد من الأيدي من الممكن أن ترفع حملًا مهما كان ثقيلًا. اتّحاد قوتنا هو الأمر الذي يجعلنا قادرين على تغيير قوانين الطبيعة، وقادرين على تسخيرها للاستجابة لحاجياتنا الحياتية بدلًا من أن نبقي حياتنا خاضعة لقوانينها الطبيعة، وذلك هو ما جعل كيكويو أيضًا يقول: تغيّروا، لأن بذور اليقطينة ليست كلّها من النوع نفسه.

تلك الإنسانية هي ثمار عمل أيدينا وعقولنا التي تكافح معًا لإخضاع الطبيعة، بل هي ما يميّز الكائن البشري عن الحيوان والشجر وسائر المخلوقات التي توجد في مملكة الطبيعة.

أجبني عن هذا: هل يوجد أيّ مخلوق قادر على حبس الرياح وشدّها، والمياه، والبرق والبخار من يقدر على ربط أرجلها وأذرعها بالسلاسل وحبسها، وجعلها مسجونة، خاضعة ومطيعة لحاجياته؟ لا، تختلف الطبيعة البشرية عن الطبيعة الحيوانية اختلافًا جذريًا، فالحيوانات تطأطئ رؤوسها إلى الأسفل أمام الطبيعة البشرية، ويسمح لها بتوجيهها إلى هذا الاتّجاه أو إلى ذلك الاتّجاه، مثلما يقلّب الصبية الصغار السجق فوق النار، لكن الكائن البشري يتصارع مع الطبيعة ويكافح للتحكم بها.

انظر إلى ثمار العمل الجماعي لأيدينا: الطرق، والسكك الحديدية، السيارات والقطارات، والعديد من أنواع المركبات الأخرى التي تسمح للإنسان بالجري أسرع من الأرنب البري الذي يعد أسرع حيوان في الغابة؛ والطائرات التي تمنح للإنسان أجنحة أقوى وأسرع من أيّ طائر في السماء؛ والصواريخ الأسرع من الصوت والبرق؛ والسفن الثقيلة التي تطفو بشكل عجيب في البحار العميقة من دون أن تغرق بالطريقة نفسها التي غرق بها بطرس في بحر الجليل؛ وأجهزة الهاتف والمذياع والتلفاز، والأجهزة التي تمكّن الكائن البشري من التقاط صورة له بحيث إنّ صورته وصوته يبقيان حتى بعد وفاته ودفنه وتحلّل جثته، أيّ عظمة أكبر من تلك؟! انظر إلى المدن التي بنيناها بأيدينا، مومباسا، نيروبي، ناكورو، إيلدوريت، كيتالي، كيسومو، رؤوايني وإيلموروغ، انظر إلى القهوة، والشاي، وقصب السكر والقطن والأرز والفاصولياء والذرة التي أنتجناها بحفنة من البذور، انظر إلى النار التي احتجزناها في الأسلاك الحديدية التي تمتدّ من أنهار روثيرو، أوثي، وساغان، حتى نحصل على شموس وأقمار ونجوم في مدننا وفي منزلنا بعد أن تخلدَ شمس وقمر ونجوم الطبيعة إلى النوم، إن لم تدرك عشيرة الطفيليين ثمار التعاون، في رأيك أين مكاننا نحن، عشيرة المنتجين، اليوم؟ هل سنعرف

معنى للعطش والجوع والبرد والعري؟

تلك الإنسانية هي قلب الإنسان لأنّ قلب الإنسان مرتبط بشكل لا رجعة فيه مع نموّ طبيعته الإنسانية، هل يمكنك أن تخبرنا عن ثمن القلب الآن، أنت أيّها التاجر الأحمق الرخيص؟"

كان موتوري يلهث قليلًا بسبب حماسة جداله والأفكار التي تدور في ذهنه، كان يقوم دائمًا بتدوير تلك الأفكار في رأسه، لكن لم يسبق له أن أخرجها، لقد تفاجأ من نفسه، لأنّه لا يعرف مصدر تلك الأفكار الفلسفية.

استغاث مواؤرا براكبه، قال مخاطبًا موتوري: حسب رأيك، لا توجد قلوب طيبة وأخرى خبيثة، فهي كلّها جزء من إنسانيتنا إذا كنت تذكر، لأنّه ذكر بأننا كنا نتحدث عن الخير والشر، الآن، أصبح رأيك ورأيي متطابقين، في هذا العالم لا يوجد خير وشرّ، في هذا العالم لا توجد قلوب طيبة وأخرى شريرة، القلب هو القلب، إنّ الحديث عن الجنة والنار ما هو إلّا مجموعة من القصص التي كان القصد من ورائها إخافة الأطفال، ما هو الشيء الذي نتجادل من أجله؟ دع السلام يعمّ؟ أو ليكن هناك أموال".

حشر موتورى مرة أخرى نفسه في النقاش: "الجنة والنار، كلاهما موجود، وهناك فرق بينهما، كما يوجد فرق بين الخير والشر، القلب الطيب والقلب الشرير، حيواتنا عبارة عن ساحة معركة تدور عليها حرب مستمرّة بين القوى التي تكفّلت بتأكيد إنسانيتنا، وبين أولئك الذين يعملون على تعريتها؛ والقوى التي تناضل من أجل بناء سور حماية حولها والقوى التي ترغب في جرّها إلى الأسفل؛ والقوى التي تسعى إلى تأطيرها، والقوى التي تعمل على تحطيمها؛ بين القوى التي تسعى لفتح أعيننا، لنتمكّن من رؤية النور واستشراف الغد، متسائلين عن مستقبل أطفالنا، والقوى التي تهدّدنا لنغضّ طرفنا، وهي تشجعنا اليوم على الاهتمام ببطوننا فقط، من

دون التفكير في مستقبل بلادنا.

إنها حرب بلا جمهور، لأنّ كلّ إنسان هو جزء من القوى التي جُندت لخلق وبناء وحثّ إنسانيتنا على النمو والازدهار لتغذية طبيعتنا الإنسانية وخلق جنتنا الخاصة، بالتالي تأخذ الطبيعة الإلهية، وهذه هي قوى زمرة المنتجين؛ أو أن يكون الإنسان جزءاً من قوى التخريب، والتفكيك والجور على البنّائين والمبدعين وقمعهم، تلك القوى تعمل على كبح إنسانيتنا، وتعمل على تحويلنا إلى وحوش لكي تفرض علينا العيش في جهنم خاصة بنا، وبالتالي نأخذ الطبيعة الشيطانية، وهذه هي قوى زمرة الطفيليات، كلّ من تلك القوى تعمل على تكوين قلب يعكس طبيعة زمرتها، وبالتالي، يوجد هناك قلبان: قلب شكّلته زمرة الطفيليات، وهو قلب شرير، وقلب شكّلته زمرة المنتجين، وهو القلب الطيب.

إنّ أفعالنا هي التي توضّح في أيّ جانب نحن، وبالتالي أيّ نوع من القلبين نشكّل، لأنّ أيدينا، وأعضاءنا، وأجسادنا، وطاقتنا مثل سيف حادّ، وهذا السيف، في يد المنتج، يمكنه أن يحرث، ويجعل المحاصيل الغذائية تنمو، ويمكن أن يدافع عن الفلّاحين حتى تتمّ مصادرة نِعَم وثمار عرقهم منهم؛ والسيف الحادّ نفسه، في أيدي أحد الطفيليين، يمكن أن يستعمل لتدمير المحاصيل أو لحرمان المنتجين من ثمار صناعتهم.

في يدَي المنتج، للسيف الحادّ القدرة على فعل الخير، أما في يدَي الطفيلي، للسيف الحادّ القدرة على فعل الشرّ، أفعال السيف توضّح كلاً من طبيعته الخيّرة والشريرة، الحقيقة نفسها يمكن إسقاطها على عمل أجسادنا.

قال كيكويو في إحدى المرات: لم يكن الفهْد يعرف كيف يخدش بل تعلّم ذلك، نعم، إنّ لديه دائمًا المخالب والقوة لكي يخدش، هل يخدش لكي يقتل أشباله؟ أم إنّه يخدش لكي يقتل أعداءه؟

شيء واحد مؤكّد، الشيء الذي وقع لا يمكنه إلغاؤه، أفعالنا هي عبارة عن لبنات نستخدمها لتشكيل قلبٍ طيبٍ أو شرير.

يصبح القلب بدوره المرآة التي يمكن أن ننظر بها إلى أنفسنا وعملنا على الأرض، إن كنت لا ترغب في مرآة تعكس الخير والشر فلن يكون لك أيّ مكان هنا على الأرض، كن سريعًا في ذلك، اركض بقلبك إلى السوق، وسوف تصبح مجرد قالب إنسان. في تلك الأيام التي تعرفونها جميعًا، كنا نغنّي أغنية معروفة، كانت على الشكل الآتي:

حتى وإن بكيت ونحبت
بسبب ذنوبك
إلى أن تنخرط في الخدمة الوطنية لمساعدة الأمة
لن تجد السلام أبدًا
عندما تتوه ولا تستطيع رؤية طريقك
إلى الحياة
كان الدليل يشير إلى الطريق الوحيد
وحدة الشعب المنظمة

أيّها السائق، هناك طريقان، طريق يقود الناس إلى الموت، وطريق يؤدّي إلى الحياة، دلّني على طريق الموت، وسأدلّك على طريق الحياة، دلّني على طريق الحياة، سأدلّك على طريق الموت، لأنّهما يلتقيان في أفعال كلّ إنسان عندما يشكّل القلب الذي يرغب فيه، يا مواؤرا، لقد أخبرتنا للتوّ عن أول قانون للضباع، أليس هذا الأمر صحيحًا؟ دعني أسألك: الضبع الذي حاول أن يسلك الطريقين معًا في الوقت نفسه، أين سينتهي به الأمر؟ يا مواؤرا، اختر طريقًا واحدًا وتمسّك به"، بهذه النصيحة انتهى موتوري من كلامه.

أجابه مواؤرا: "لقد اخترت طريقي منذ وقت طويل مضى ".

سأله موتوري: " أيّ طريق هي؟ "

أجاب مواؤرا: "الطريق إلى الموت!" وضحك قليلًا، كما لو أنه يمزح، سأل مواؤرا ساخرًا: "في رأيك إلى أين نتّجه الآن؟ "

عمّ الصمت المطبق حافلةَ الماتاتو.

6

سمعت وارينغا طنينًا في رأسها، وكأن بعوضة علقت في داخله، وكان قلبها ينبض مثل قلب شخص ظلّ طوال النهار يدور ثم يدور حول سياج متغو وابانيا في حديقة المدينة وسط نيروبي، بحثًا عن مخرج للخلاص، فهي لم تتابع السجال الذي دار بين مواؤرا وموتوري بوضوح، من أين نبع هذا السّجال وإلام أفضى؟! لأنّها في وسط الإنصات وجدت نفسها تعود إلى مشاكلها الخاصة، جون كيموانا، المدير كيهارا والوظيفة التي فقدتها، وطردها من مسكنها، ومحاولتها للانتحار، والشاب الذي أمسكها من يدها، والدعوة إلى احتفالية الشيطان، والمنافسة على السرقة والنهب، والآن كلّ هذا النقاش حول الموت والحياة والروح، تتساءل الآن: متى سأصل إلى المنزل لكي أريح هذا الرأس وهذا الجسد؟ هل ستنتهي مشاكلي في يوم من الأيام؟ متى بدأت كلّها؟ أين؟ ومع من؟

تذكّرت وارينغا العجوز الثري من نغوريكا، ناكورو، منذ مدة طويلة، وأحسّت بأنّ كلّ ما في جسدها يمتلئ بالمرارة.

في هذه اللحظة قطع غاتويريا تدفّق أفكار وارينغا وقال بصوت عالٍ "رجاءً، انتظروا لحظة".

نظر كلٌّ من موتوري، وانغاري ووارينغا والرجل صاحب النظارات

السوداء إليه، أدار مواؤرا رأسه قليلًا، ثم نظر مرة أخرى إلى مقود السيارة وإلى الطريق.

خفض غاتويريا صوته: "اسمحوا لي أن أسألكم سؤالًا "

تردّد غاتويريا كشخص يتحرّق للوصول إلى لبّ أحد الأشياء المهمة، لكن لا يدري من أين يبدأ.

شجّعه مواؤرا قائلًا: "هيا، ابدأ، لا أحد يُعتقل بسبب طرح الأسئلة".

دمدم موتوري بتساؤل: "آه، ولكن في كينيا الحديثة..؟".

مواؤرا شجع غاتويريا: "لا تقلق عندما تكون في حافلة مواؤرا الصغيرة ماتاتو ماتاتا ماتامو فورد ت. أنت في قلب الديمقراطية".

ساندته وانغاري: "أوه، نعم، أنت على صواب، الحافلات الصغيرة هي المكان الوحيد المتبقّي لكي يناقش فيها الناس الأمور بكلّ حرية، في حافلة الماتاتو بإمكانك أن تطلق العنان لأفكارك من دون النظر إلى جانبك لكي تتأكّد من الأشخاص الذين يستمعون إليك".

"عندما تكون في حافلتي الصغيرة، هذا يعني أنك في ما يشبه السجن أو الكهف، ليس هناك ما لا تستطيع قوله".

أوقفه غاتويريا مرة أخرى: "إنّ نقاشكم، عفوًا، جدالكم، عذرا"، توقف غاتويريا من جديد عن الحديث.

كان غاتويريا يتحدّث بلهجة كيكويو مثل العديد من الأشخاص المثقفين في كينيا، الناس الذين يتأتئون مثل الرضّع عندما يتحدثون لغتهم الوطنية لكنهم يتحدثون بطلاقة باللغات الأجنبية، الفرق الوحيد هو إنّ غاتويريا على الأقل يدرك جيّدًا بأنّ استعباد اللغة هو استعباد للفكر، وهو أمر لا يجب الافتخار به، لكن مع حرارة النقاش، كان غاتويريا قادرًا على التحدث بلغته من دون توقف، أو تردّد أو الاستعانة بالإنجليزية.

"يقال إنّ الاختلاف في الآراء يولّد الكراهية، لكن أينما وجد الاختلاف، تنبت براعم الحقيقة"، قالت وانغاري لغاتويريا على سبيل التشجيع.

تنحنح غاتويريا وتحدّث مرة ثانية: "لا أستطيع أن أرى الاختلاف جيّدًا، المعذرة، أقصد، دعوني أطرح عليكم هذا السؤال، هل تعتقدون بوجود الرّب والشيطان؟ أقصد هل هما على قيد الحياة، مثلكم ومثلي؟".

أسرع مواؤرا قائلًا: "إذا كان الرّب موجودًا، فإنّ الشيطان موجود أيضًا، لكنّي شخصيًا، لا أعلم".

ألحّ غاتويريا بالسؤال "لكن ماذا عن الاعتقاد؟ ماذا تعتقد أنت؟".

"أنا، أيها الشاب، لا أنتمي إلى كنائسك، التجارة هي معبدي، والمال هو إلهي، لكن إن وجدت بعض الآلهة الأخرى، فلا بأس بذلك في بعض الأحيان، أقوم بصبّ بعض الخمر لأجله حتى لا يفعل بي ما فعله بأيوب ذات مرة، أنا لا أتفحّص العالم تفحّصًا دقيقًا، ماذا قلت من قبل؟ إذا مال فسأميل معه، الأرض كروية وتتغير، لهذا يقول كيكويو إن الشمس لا تشرق بالطريقة التي تغرب بها، فالحذر ليس علامة على الجبن، ليس لديّ العديد من الأسئلة لطرحها، أرني أين يوجد المال وسوف آخذك إلى هناك".

سأل غاتويريا مواؤرا: "ماذا عنك؟"، بعدما فرغ مواؤرا من حديثه.

"أنا أؤمن".

"بماذا؟ "

"إنّ الرّب موجود".

"وإنّه على قيد الحياة؟ ".

"نعم".

"والشيطان؟ ".

"نعم، إنّه موجود أيضًا".

"وهل هو على قيد الحياة؟ ".

"نعم، إنه حي".

"هل تؤمن بهذه الأشياء حقًّا؟ ".

"نعم، أؤمن بذلك".

مواؤرا سأل موتوري: "لكن لم يسبق لك أن شاهدت أيّ واحد منهما بعينيك؟"

أجاب موتوري: "هذا الرجل الشابّ يسأل عن الاعتقاد، أعتقد أنّ الرّبّ والشيطان هما صورتان عن أعمالنا في أذهاننا عندما نصارع الطبيعة بصفة عامة، ونصارع الطبيعة البشرية بشكل خاصّ، في سعينا وراء شيء نأكله، أو نلبسه للاختباء والاحتماء من الشمس، ومن البرد والرياح، إنّ طبيعة الرّب هي صورة الخير الذي نقوم به هنا على الأرض

وطبيعة الشيطان هي صورة الشرّ الذي نقوم بفعله هنا على الأرض، السؤال المهم هو: ما هي أفعال الشرّ؟ وما هي أفعال الخير؟ أيها الشابّ، إنك تجعلني أكرّر العبارات التي سبق لي أن قلتها وتركتها خلفي، ثمة نوعان من الناس: إنسان يعيش بعرق جبينه، وإنسان يعيش على عرق الآخرين، اللغز يكمن هناك، إذن، أوجد حلًّا لهذا اللغز، لأنّه يبدو أنك على اطّلاع بالكتب، وستحصل على مكافأة (فورفي)[6]".

"من عرق جبينك"، قالت وانغاري بصوت كأنّها تقرأ في إنجيل مفتوح أمامها: "من عرق جبينك يمكن لك أن تأكل الخبز، حتى تعود إلى الأرض"، أغلقت وانغاري الإنجيل المفتوح في ذهنها والتفتت إلى غاتويريا: "هذا لغز آخر، ويجب أن تجد حلًّا له أيضًا، لكي نتمكّن من معرفة الجواب جميعًا،

---

6 المكافأة (كيفاكاوا) هي قطعة أرض خيالية يهبها شخص معين فشل في حلّ أحد الألغاز إلى الشخص الذي قام بحلّ هذا اللغز. م.

خذ مكافأة مني أيضًا".

أجاب غاتويريا: "لن آخذ منك المزيد من المكافآت، أنت سيدة من عشيرتي"، وهو يضحك.

قالت له وانغاري بطريقة ممازحة: "آه، أنت تتحدث لغة الكيكويو بطريقة جيدة، كنت أعتقد أنك تعرف لغة "good morning" [7] فقط".

أحسّ غاتويريا بنوع من الارتياح.

ردّ غاتويريا: "كنت أنصت إلى مسابقات الألغاز قبل وقت طويل مضى، لكن الآن لا أستطيع أن أجد حلًّا لأبسط الألغاز، وإذا قمت أنت وأنا بالتنافس، فسوف تفوزين بكلّ المكافآت إلى أن تحصلي على كلّ ممتلكاتي، لكن دعينا نعُدْ إلى أساس الموضوع، لابدّ من قول أنّ سؤالك ولّد الشكوك والصراعات التي كانت في داخلي منذ وقت طويل، أقصد أنّه لدي عقدة في قلبي وسوف أكون ممتنًا لك إذا ساعدتني في فكّها أو حلحلتها قليلًا".

توقّف غاتويريا مرة أخرى.

أحسّت وارينغا أن صوت غاتويريا قد تغيّر، أحسّت بنوع من القلق فجأة، كأنّها سمعت ذلك الصوت في مكان آخر، قبل وقت طويل، لكن لم تتمكّن من تحديد موقعه، ثم أدركت أن ذلك القلق تطوّر بسبب الرغبة الجامحة لمعرفة ما نوع العقدة التي كانت تزعج غاتويريا.

كان جميع الركاب الآخرين يجلسون بانتباه بالغ، يتوقون لسماع الحكاية، كأنّهم يخشون أن تكون مشكلة غاتويريا تشبه مشاكلهم وهمومهم التي يحملونها.

تنحنح غاتويريا مرة أخرى، نظر إلى موتوري وقال: "تتحدث كأنك تعلَم بأنّني جئت من الجامعة، وهذا أمر صحيح، أنا من هناك، أنا طالب

---

7 تعني اللغة الإنجليزية. م.

باحث في الثقافة، وباحث مبتدئ في الثقافة الأفريقية. إنّ ثقافتنا، المعذرة، أقصد، أقصد أن الثقافة الغربية الإمبريالية طغت على ثقافتنا، ذلك ما نسمّيه بالإنجليزية بالثقافة الإمبريالية، الثقافة الإمبريالية أم استعباد العقل والجسد. إنّ الثقافة الإمبريالية هي التي تتسبّب بالعمى والصمم الذهني اللذين يقنعان الناس بالسماح للأجانب بإملاء ما عليهم فعله في بلادهم، ويجعلون من الأجانب أذانًا وأفواهًا لشؤونهم وقضاياهم القومية متناسين القول المأثور: الشخص الذي يعيش في البرية يعرفها حق المعرفة، وبالتالي، لا يمكن للأجنبي أن يكون المرشد الحقيقي لشعب آخر، إنّ الأمر يتعلق بجيلنا الذي غنّى عنه المغنّي الآتي:

الأصم، الأصم
الأصم هو الذي لا يستطيع أن يسمع من أجل وطنه
الأعمى، الأعمى
الأعمى هو الذي لا يستطيع أن يرى من أجل وطنه

لننظر حولنا، أين هي لغاتنا الوطنية الآن؟ أين الكتب التي كتبت بلغاتنا الوطنية؟ أين هو أدبنا الخاص؟ أين هي حكمة آبائنا ومعرفتهم الآن؟ أين فلسفة آبائنا الآن؟ إنّ مراكز الحكمة التي اعتادت حراسة مدخل بلدنا دُمّرت؛ وسُمح لشعلة الحكمة أن تنطفئ؛ والمقاعد بجانب النار أصبحت كومة من الرماد؛ محطّات المراقبة دُمّرت، وعلّق شباب الوطن دروعهم ورماحهم على أذرعتهم، إنّها مأساة حينما لا تجد مكانًا تستطيع أن تدرس فيه تاريخ بلادنا، ما الذي يمنع طفلًا يتيمًا ليس لديه من يقدّم له النّصح والاستشارة من ارتكاب الخطأ ومن الخلط بين الغائط الأجنبي واعتباره

طبقًا وطنيًا لذيذًا؟

قصصنا، ألغازنا، أغانينا، عاداتنا، تقاليدنا، كلّ شيء عن تراثنا الوطني الذي ضاع منا.

من سيعزف الجيكاندي اليوم ويقوم بقراءة الأشعار التي كتبت على اليقطين اليابس وتفسيرها؟ من يستطيع اليوم أن يعزف على الوانديني[8] ويجعله مثل صوت شابّ يبوح بحبه لحبيبته عندما تعود من قطف الفاصولياء في الحقل، أو من جلب الماء من أحد الكهوف في الوادي، أو من البحث عن نبات العرعروط أو من رحلة قطع قصب السكر في منحدرات الوادي؟

الآن من يستطيع العزف على ناي الخيزران الذي يجعل صوتَي الشاب والفتاة العذراء يدقّان بانسجام وهما ذاهبان إلى الحقول لإفزاع الطيور من أصابع حبوب الدخن، بينما يسكب القمر نوره على الأرض؟

لذلك بعض الطلاب والأساتذة في الجامعة يحاولون اكتشاف جذور ثقافتنا، جذور الثقافة الوطنية الكينية التي يمكن البحث عنها فقط في تقاليد كلّ الجنسيات الكينية.

أنا، على سبيل المثال، أعمل في قسم الموسيقى الذي يهتمّ بالموسيقى والآلات الموسيقية واستعمالاتها، ندرس الآلات التقليدية التراثية في المقام الأول، الطبول، والنايات، والأجراس الموسيقية، والخشخيشة، والآوريكس، والأبواق، وجميع الآلات الوترية، مثل القيثارة والوانديني، أنا ملحن أيضًا، أحلم وأطمح بتأليف مقطوعة موسيقية تضمّ العديد من الأصوات البشرية، ترافقها أوركسترا تتألف من جميع أنواع الآلات الموسيقية الوطنية، من جلدية، وهوائية ووترية ونحاسية، لقد ألّفت مجموعة

---

8 الواندينى: كمان ذو وتر وحيد. م.

من الألحان، لكني لم أجد بعد لحن وإيقاع موسيقا أحلامي، لقد بحثت عن اللحن والإيقاع ليل نهار، لكن من دون جدوى.

لا يمكنكم أن تعرفوا مقدار الألم الذي أحمله في قلبي.

غالبًا، عندما أكون وحدي في كوخ مغطى بالعشب وأجمة السرخس ويهطل المطر أو تهبّ الرياح، أو أكون مستلقيًا وحدي في الليل وينعكس نور القمر على الأرض، أسمع العديد من الأصوات المغادرة، العديد من الأصوات الحية، والعديد من الأصوات القادمة، وكلّها تغني لأجلي هامسة. في أوقات مثل تلك أشعر بأنني على وشك إيجاد الإيقاع واللحن وموضوع المقطوعة التي طالما حلمت بكتابتها، لكنها ترحل بعيدًا وتحملها أمواج الرياح.

وفي أوقات أخرى، عندما أكون مستلقيًا تحت شجرة وارفة الظلّ، أو عندما أمشي وحيدًا في السهول أو بجانب البحر، كنت أسمع في غالب الأحيان، بآذان قلبي المزامير والأبواق تعزف بها جوقة من الرعاة في السهول، وطبول البلاد كلّها وهي تنادي شباب البلاد جميعًا للذهاب إلى الحرب، ثم أسمع ألف صنج وخشخيشة يهزّها أبطالنا الوطنيون وهم ينشدون أغاني النصر، ثم زغردة النساء مدحًا في أبنائهن المنتصرين، وفجأة أسمع صوت البوق الوطني يُنفخ بمناسبة النصر، وأبواق الاوريكس وغيرها من الآلات وهي تتجاوب معها بفرح، بعد ذلك أسمع أصوات جميع الرجال وحناجرهم وجميع الآلات الموسيقية تأتي معًا، وتنتهي بعدّة أصوات في الكثير والكثير من الأصوات في صوت واحد، مثل جوقة من الملائكة العالمية تحتفل بفخر بالأعمال البطولية للوطن.

ثم أمسك بقلم وورقة لتدوين رسالة الأصوات قبل أن تذهب بعيدًا بفعل الرياح.

يا أبناء وطني، ماذا يمكنني أن أقول لكم الآن؟

هل حلمتم في وقت ما بالفاكهة المعلّقة فوق رؤوسكم وأنتم تشعرون بالعطش تحت الشمس الحارقة خلال شهر حارّ، وعندما ترفعون أيديكم لقطف واحدة منها لترطيب ألسنتكم الظمآنة، ترتفع الفاكهة ببطء بعيدًا عن متناول أيديكم وتختفي في السماء؟ أنا هنا! ها أنا هنا! ولأنّكم رفضتم التقاطي، فسأرحل بعيدًا، أو ربما ذلك هو ما كانت تقوله، تعذّبكم فقط لكي تقوم بإثارة شهيتكم ورغبتكم، تلك هي الطريقة التي أثارت بها تلك الآلات شهيتي، لكن عندما بدأت بكتابة الموسيقى، للأسف، لم تعد هي والمزامير هناك. قمت بمواساة نفسي بالادّعاء أن المسألة ليست مهمة، من ذا الذي ربح عن طريق الأنين؟

بدأت البحث مرة أخرى، شخصيًا أطرح أحد الأسئلة التي سبق أن طرحتها عدة مرات، ماذا يمكنني أن أفعل لتأليف موسيقى وطنية حقيقية خاصّة لكينيا، موسيقى تعزفها أوركسترا تتألّف من العديد من الآلات، وتضمّ ثقافة جميع الأعراق التي تشكّل الأمة الكينية، موسيقى نستطيع أن نغنّيها نحن، أبناء كينيا، بصوت واحد يتجذر من الكثير من الأصوات ويتناغم في تعددها؟

لقد قضيت ليالي عدّة بلا نوم، إنّ المؤلف العاجز عن تأليف لحنٍ، وموضوعٍ وإيقاعٍ لموسيقاه هو مجرد هيكل بقالب بشري.

لمدة سنة أو أكثر بعد عودتي من خارج البلاد، كنت مثل المزارع الذي يودّ أن يقتلع شجرة صمغ بواسطة آلة حفر غير حادّة، لم أتمكّن من الوصول إلى الجذر الذي أبحث عنه".

اختصر غاتويريا قصة بحثه الأبدي، ولم يتحدّث أيّ شخص آخر.

أحسّت وارينغا بنوع من عدم الارتياح لكنها لم تعرف سبب ذلك، هل كان ذلك بسبب كلمات غاتويريا؟ أو بسبب الطريقة التي سرد بها

قصته؟ أو بكلّ بساطة بسبب صوته؟ كان صوته مثل صوت رجل يحمل حملًا ثقيلًا من المشاكل العميقة لعدة أيام وقضى ليالي بلا نوم يتصارع مع أسئلة لم يجد لها أجوبة بعد، لماذا أنهى تلك القصة عند تلك النقطة؟ استمرّت وارينغا بطرح الأسئلة على نفسها، ما هي العقدة التي كان يريد أن يحلّها؟ التفت غاتويريا إلى وارينغا كما لو أنه تمكن من قراءة أفكارها، لكنه قبل استئنافه القصة مرة أخرى، تحدّث صاحب النظّارات السوداء باللغة الإنجليزية: "إذن، أنت من هيئة التدريس في الجامعة؟".

اندهش الركّاب الآخرون من صوت الرجل، كانت هذه هي الكلمات الأولى التي قالها منذ أن صعد إلى حافلة الماتاتو في موقف سيغونا للحافلات، طوال الرحلة بقي منكمشًا في زاويته كشخص يخشى من الاغتيال في حافلة مواؤرا الصغيرة.

أجاب غاتويريا باللغة الإنجليزية: "نعم، نعم، أنا من هيئة التدريس قسم الأبحاث".

"إذن، أنت تعرف الأستاذ نغاريكوما والأستاذ غاتوي غايتموبي؟ "

"نعم، الأستاذ نغاريكوما في قسم العلوم السياسية، والأستاذ غاتوي غايتموبي في قسم التجارة والاقتصاد".

"ماذا عن الأستاذ كيمنينجوي؟ "

"إنه في قسم التاريخ، لكنه مختص بتاريخ أوروبا فقط".

"والأستاذ باري كويري؟ "

"إنّه في قسم اللغة الإنجليزية، الأدب الإنجليزي، لكنه يقدم أحيانا محاضرات في قسم الفلسفة والدين".

قال صاحب النظارات السوداء: "فهمت، فهمت"، بصوت يشير إلى قلب يعيش في سلم مع نفسه.

انتظروه أن يسأل سؤالًا آخر أو أن يضيف شيئًا آخر، لكنه لم يتكلّم مرة أخرى، بدا أنه أقلّ خوفًا الآن، ومع ذلك جلس مرة أخرى في مكانه بارتياح أكبر، وبعد ذلك استأنف غاتويريا قصته.

" أخيرًا، جاء اليوم الذي اعتقدت بأنه من الممكن أن أرى فيه النور، إذ إنّ رجلًا عجوزًا من قرية باهاتي في ناكورو".

"باهاتي"، صرخ مواؤرا: "هل قلت باهاتي، باهاتي في ناكورو؟ "

أجاب غاتويريا: "نعم، ما المشكلة؟ "

قال مواؤرا بصوت قلق: "لا شيء، لا شيء، تابع سرد حكايتك".

"على أيّ حال، إنّ الرجل العجوز من ناكورو، من قرية باهاتي، كان الشخص الذي دلّني على الطريق، لقد ذهبت إليه وتوسّلت إليه، أيّها الأب، احكِ لي قصصًا قديمة، حكايات عن الوحوش والحيوانات. كان صامتا، نظر إليّ ثم ضحك قليلًا وأخبرني: لا يوجد فرق بين القصص القديمة والحديثة، القصص هي القصص، كلّ القصص قديمة، كلّ القصص حديثة، كلّ القصص تنتمي إلى الغد، والقصص لا علاقة لها بالوحوش أو بالحيوانات أو بالرجال.

كلّ القصص تتحدث عن الكائنات البشرية، أيّها الفتى، لا أستطيع أن أفهم نوع التعليم الذي تحصلون عليه هذه الأيام، أو نوعية التعليم الذي تودّون الحصول عليه في الخارج على مدار عدة سنوات، كم سنة؟ خمس عشرة سنة؟ هل علّموكم أن الأدب هو كنز الوطن؟ الأدب هو الشهد لروح الأمة، الذي تحتفظ به لأطفالها لكي يتذوقوه إلى الأبد، القليل في كلّ حين وآخر. قال كيكويو إنّ الشخص الذي يدّخر شيئًا ما لا يشعر بالجوع أبدًا، هل تظنّ بأنّ كيكويو كان أحمق عندما قال ذلك؟ إنّ الوطن الذي يتلف أدبه هو وطن باع روحه وأصبح مجرد قشرة، لكن أحسنت صنعًا عندما أتيت، قل نعم، وسوف أحكي لك القصص التي أستطيع أن أتذكّرها.

كان الوقت مساء، وبعد هنيهة حلّ الظلام، وكان لسان الفانوس الذي ليس له زجاجة يتموّج مثل علم أحمر اللون في الرياح، فجعل ظلّينا يتراقصان على جدران غرفة العجوز مربعة الشكل.

في بداية الأمر، روى لي الرجل العجوز عن أحد الفلّاحين الذي كان يحمل وحشًا على ظهره، غرز الوحش أظافره الطويلة في عنق الفلاح وكتفيه، كان الفلاح هو الشخص الذي يذهب إلى الحقل لجلب الطعام، ويذهب إلى الوادي لجلب المياه، والشخص الذي يذهب إلى الغابة لجلب الحطب، والشخص الذي يطبخ، أما مهمة الوحش فكانت الأكل والنوم في سلام على ظهر الرجل. عندما صار الرجل هزيلًا جدًّا ومكتئبًا أكثر، كبر الوحش ونما إلى درجة أنه أصبح ملهمًا، وبدأ ينشد الأغاني التي تحثّ الرجل على الرضا بحظه في الأرض بكلّ صبر لأنه سيجد راحته في الجنة. في أحد الأيام، ذهب المزارع إلى أحد العرّافين، قال له العرّاف إنّ الحلّ الوحيد للفلاح هو القيام بغلي بعض الزيت وسكبه على أظافر الوحش عندما يخلد للنوم بسرعة، قال الفلاح: "ماذا لو أحرقت رقبتي وكتفي؟"، قال العراف: "لا ينتج عن الشروط المثالية أي خير، اذهب إلى بيتك"، ولم ينجُ الفلاح من موت محقق إلّا عندما نفّذ ما نصحه العرّاف بالقيام به فقط.

كانت القصة الثانية تتحدث عن فتاة، فتاة سوداء جميلة، لديها فجوات جذّابة بين أسنانها، كانت تُدعَى نيانجيرو كانيراري لثلاثة أسباب: كانت سوداء؛ وكانت جميلة جدًّا؛ وقد رفضت الزواج من كلّ رجال بلادها، لكن نيانجيرو عندما شاهدت في أحد الأيام شابا من دولة أجنبية قالت على الفور إنه الشخص الذي كانت تنتظره، تبعته، وهل تعلمون ماذا حدث؟ كان الشاب الأجنبي وحشًا يأكل البشر، وقد مزّق أطراف نيانجيرو واحداً تلو الآخر ثم أكلها.

القصة الثالثة هي التي تركت ندبة لا يمكن محوها في قلبي، كيف يمكنني أن أقولها لكم؟ ليتني أستطيع سردها بالطريقة نفسها التي كان يرفع ويخفض الرجل العجوز بها صوته، على سبيل المثال...، لكن لا، لا أستطيع حتى المحاولة، إنّ نمط التعليم الذي خلّفه لنا الأشخاص البيض قصّ أجنحة قدراتنا، وتركنا نعرج مثل الطيور المجروحة، دعوني أسرد لكم الحكاية التي رواها لي العجوز من باهاتي بشكل مختصر، لتتمكنوا من معرفة مصدر العقدة التي حدثتكم عنها.

بدأ بالعديد من الأقوال المأثورة، لا أستطيع تذكّرها كلها، لكنّها كانت تتحدث كلّها عن الجشع والغرور، قال لي بالرغم من أنه يقال إن ضرطة الثري لا رائحة لها، وإن الرجل الثري باستطاعته أن يحرث حتى النُصْب المقدس المحظور، إلا أنه يجب على كلّ شخص أن يعرف بأنّ من اعتاد على الرقص لا يستطيع الآن سوى أن يكتفي بمشاهدة الآخرين يرقصون، ومن اعتاد القفز فوق النهر يستطيع الآن أن يجتازه بصعوبة، عندما تمتلك الكثير تتشجع على الغرور؛ وعندما تملك القليل- تفكّر أن الطمع المفرط قد يشجع المرء على أن يبيع نفسه بثمن بخس. قال: أنت، أيّها الفتى اسعَ وراء المال، لكن لا تظهر عورتك للربّ أبدًا، لا تحتقر الناس أبدًا، صوت الناس هو صوت الرّب، لماذا أقول هذه الأمور؟

قبل زمن بعيد، بعيد جدًّا، عاش رجل عجوز يدعى ندينغوري، لم يكن يملك الكثير من الثروة، لكن كان لديه روح موهوبة جدًّا، وكان محل احترام من سُكّان قريته كافة بسبب شجاعته عندما يهاجم الأعداء قريته، وبسبب حكمة قلبه ولسانه، حافظ على ثقافة وطنه وتقيّد بكلّ الطقوس الواجبة. كان في كثير من الأحيان يضحّي بماعز، ويسكب القليل من الجعة على الأرض من أجل أرواح الخير، ويطلب منهم أن يخلصّوه من الشرور التي

قد يسبّبها ضعفه، أو أتت ربما نتاجه عن عيوبه الخاصة، أو دخلت إلى الوطن عن طريق النيّات السيئة لأصحاب الأرواح الشريرة، لم يكن رجلًا كسولًا، وكان قادرًا على جلب ما يكفي من الطعام واللباس له ولعائلته، الأمر الذي لم يعانِ منه هو الرغبة الجشعة للحصول على قطعان الآخرين أو الأراضي التي تمتلكها عشيرته أو العشائر الأخرى، عدم جشعه فضلًا عن كرمه ذائع الصيت منعه من تكديس ذلك النوع من الثروة التي جعلت الكثير من أعيان البلاد يرتدون الخواتم في أصابعهم ويتركون حرث الحقول ورعي الماشية للعبيد، والخدم، والعمّال والمزارعين وزوجاتهم وأطفالهم، بينما يحتفلون بالجعة الحلوة بشكل يومي، اليدان هما اللتان تصنعان الإنسان، هذا ما كان يؤمن به ندينغوري.

لكن في يوم من الأيام، ضرب وباء غريب القرية، دمر الوباء كلّ ممتلكات ندينغوري وأصاب الماعز في حظيرته الخاصّة، ماذا باستطاعة ندينغوري أن يفعل الآن؟ سأل نفسه: لماذا حلّ بي ذلك وقد كنت دائمًا أضحّي بالماعز للأرواح الخيّرة وأسكب لها الجعة، هل انقلبت ضدّي الآن؟ لن أضحّي من أجلهم مرة ثانية.

ذات مرة في صباح باكر وقبل بزوغ الفجر، ذهب ندينغوري إلى أحد الكهوف حيث تقيم بعض الأرواح الشريرة، في مدخل الكهف التقى بروح تشبه شكل الوحش، كان لديه شعر طويل منسدل على كتفيه مثل شعر الفتاة، ولون جلده بلون جلد الخلد.

كان لديه فَمان، فمٌ في جبينه وآخر خلف رأسه، والفم الذي يوجد خلف رأسه كان مغطى بشعره الطويل، لذلك فهو لا يُرى إلا عندما تهب الرياح وتزيح الشعر إلى أحد الجانبين. سألته الروح الشريرة: "لماذا أتيت إلى كهفي بيدين خاويتين؟ هل يأخذ الإنسان سلّة فارغة إلى السوق إن

كان يود مقايضة سلعه؟ هل تخلّت عنك الأرواح التي كنت تضحّي من أجلها دائمًا؟ هل تظن أننا، نحن أنفسنا، لا نحب الأضاحي وبعض الجعة لتسهّل ابتلاع اللحم؟ أجاب ندينغوري بأنّ الفقر هو الذي أتى به إلى هنا، كرم الرجل الفقير يبقى رهيناً في القلب، ضحكت الأرواح الشريرة بمكر وقالت: "لكن ألم يسبق لك أن سمعت بأنّك تملك روحًا غنية؟ الأشياء الجميلة لا تولد دائمًا في الظروف العظيمة، سوف أمنحك الثراء، لكن يجب أن تمنحني روحك، ويجب ألا تضحّي للأرواح الخيّرة مرّة ثانية، لأنّ الخير والشر لم يكونا أصدقاء أبدًا"، سأل ندينغوري نفسه: ما هي الروح؟ إنّها مجرد صوت خافت، قال للروح الشريرة: خذي روحي، وقالت له الروح الشريرة: "لقد استوليت عليك، ارحل الآن، اذهب إلى بيتك، واحفظ هذه الشروط: أولا، لا تقل لأيّ شخص أبدًا بأنك إنسان بلا روح. ثانيًا، عندما تصل إلى المنزل، أمسك بطفلك الأحبِّ إلى قلبك، احفر ثقبًا في أحد أوردة عنقه، واشرب كلّ دمه حتى يصبح جسده جافًّا، اطبخ الجسد، وكُلِ اللحم، يا ندينغوري، لقد جعلت منك أحد آكلي لحوم البشر وشاربًا للدم البشري"، قال ندينغوري: "ماذا! كيف يمكن أن يحصل ذلك؟ هل يجب عليّ أن أدمّر جمال أطفالي؟"، قالت له الروح الشريرة: "هل نسيت بأنك بلا روح الآن؟ لقد بعتها مقابل الثروة؟ اسمع: من اليوم فصاعدًا لن تتمكّن من رؤية جمال أطفالك، أو جمال النساء، أو جمال أيّ كائن بشري آخر، سوف تتمكّن من رؤية جمال المال فقط، ارحل الآن، اذهب إلى بيتك، افترس أطياف الأشخاص الآخرين، هذه هي المهمة التي أعطيتها لك إلى أن أعود لآخذك".

منذ ذلك اليوم بدأ يضرط مالًا، ويتغوط مالًا، ويعطس مالًا، ويخدش مالًا، ويضحك مالًا، ويفكر بالمال، ويحلم بالمال، ويتحدّث بالمال، ويتعرق مالًا، ويتبول مالًا، صار المال يطير من أيدي الآخرين ليهبط في راحتي

ندينغوري، بدأ الناس يتساءلون: كيف تنزلق أموالنا من بين أصابعنا وترحل إلى يديّ ندينغوري؟ فضلًا عن ذلك، صار الآن يرتدي الخواتم الحديدية في أصابعه الأمر الذي كان يمنعه عن العمل.

لقد تغيّرت شخصية ندينغوري وسلكوه، صار خسيسًا، وصار وحشيًا قاسيًا، كان متورطًا دائمًا بالدعاوي القضائية عندما يستولي على أراضي الآخرين، ويوسّع حدود أملاكه إلى حدود أبعد وأبعد، لم يكن لديه أيّ أصدقاء، نتأت خسّته مثل فسائل البطاطا الحلوة. عندما كان الناس يموتون من الجوع، كان ندينغوري في أسعد حالاته، لأنّه في تلك الأوقات يميل الناس للتخلص من ممتلكاتهم بكل سهولة مثلما يتخلصون من الأوعية المكسورة.

بدأ الناس في تلك القرية يسألون أنفسهم: أين ذهب لسانه المهذّب؟ ما هو ذلك الشيء الذي يأكله وحده في منتصف الليل مثل المشعوذ؟ عندما يرى ممتلكات شخص آخر، يسيل لعابه، وعندما يستحوذ عليها، يجفّ لسانه فورًا، انظروا كيف صار ظلّه أكبر وأكبر الآن، بينما صارت ظلالنا أصغر وأصغر، هل ظلّه كان يبتلع ظلالنا، ويجعلنا نسقط قتلى واحدًا تلو الآخر؟

أرسل وفد من المسنين، أشخاصًا في سن ندينغوري، إليه لكي يخبروه بأنه لا يجوز لأي شخص حفر حفرة عميقة في ساحة القرية لأنه من الممكن أن يسقط فيها أبناؤه، أخبروه: "ندينغوري، يا ابن كاهاهامي، أنصِت إلى صوت الشعب، لا يوجد أيّ شمع في أذنيك، وإن كان لديك شيء منه، خذ كسرة من الخشب وتخلّص منه.

صوت القرية هو صوت سلسلة من التلال، وهو صوت البلاد، وهو صوت الأمة، وهو صوت الشعب، يا ندينغوري، صوت الشعب هو صوت الرّبّ، جئنا لكي نسلّمك هذه الرسالة: تجنب طرق المشعوذين والقتلة، اسمح

لنفسك بأن تنبهر بروعة المال، وسوف تنبهر بروعة الروح الشريرة فقط، لكن في مجد أمتك سوف ترى وجه الرّب، سعيد هو من يدافع عن ظلّ أمته طواعية، لأنه لن يموت أبدًا؛ سيخلّد اسمه إلى الأبد لأنه سيكون في قلوب الناس، لكن من يبيع ظلّ أمّته ملعون، وستلعنه كل الأجيال القادمة إلى الأبد، وعندما يموت سيصبح روحًا شريرة".

ضحك ندينغوري وسألهم: "ما هي القرية؟ ما هو الوطن؟ ما هو الشعب؟ ارحلوا وقولوا كلّ ذلك لشخص آخر، لماذا لا تستطيعون أن تعتنوا بأنفسكم وبظلالكم؟ لماذا تتقاعسون ولا تستطيعون الانحناء حتى لإزالة إحدى الأشواك من أقدامكم، استمروا في الحديث حتى تمطر السماء وتسقط، كلماتكم ستحملها الرياح فقط، انظروا الآن، كيف غدت كل شؤوني في ترتيب مثالي، ضرطتي ليست لها رائحة أبدًا، لأنّ المال هو الخالق العظيم والقاضي العظيم، المال يحوّل العصيان إلى طاعة، والشرّ إلى خير، والقبح إلى جمال، والكراهية إلى حبّ، والجبن إلى شجاعة، والرذيلة إلى فضيلة، المال يحوّل الأرجل المقوّسة إلى أرجل تتحارب من أجلها كلّ حسناوات الأرض، المال يلطّف الروائح الكريهة، يزيل الفساد، جرح الثري لا ينتج الصديد أبدًا، ضراط الرجل الثري ليس له روائح كريهة أبدًا، عودوا إلى منازلكم، عودوا إلى أكواخكم وحظائركم التي لا تخجلون من تسميتها باسم منازل؛ عودوا إلى أراضيكم التي تجرؤون على تسميتها بالمزارع، إن لم يكن بإمكانكم أن تقوموا بذلك، عودوا إلى هنا، واعملوا عمالا بأجرة يومية في حقولي، لا تستطيعون فعلّ أيّ شيء لي، أنا ندينغوري، ابن كاهامي، لأنني بلاِ روح".

عندما سمع المسنّون ذلك أصابهم الذعر، وراحوا ينظرون إلى بعضهم باستغراب: "هل كنّا نُؤوِي مشعوذا في قريتنا؟ هل كنّا نحمل قملة في

أجسامنا؟ هذا الشخص سيشرب دماء كلّ أجساد الشعب حتى تنفذ الدماء في الأرض، لذلك اعتقلوه في ذلك المكان، ولفّوه بأوراق الموز اليابسة، ثم أحرقوه وأحرقوا منزله".

منذ ذلك اليوم، أصبحت القرية خالية من الشرّ، واستعادت عافيتها كثيرًا، بإمكان العديد من الأيدي أن تحمل أثقل الأوزان".

توقف غاتويريا مرّة أخرى.

كانت حافلة الماتاتو ماتاتا ماتامو تسير في الطريق، في هذه الأثناء، تجاوزت طريق ناكورو واتّجهت نحو طريق ترانز أفريكا الذي يمرّ من رؤوايني وإيلموروغ، عمّ الصمت التامّ في الحافلة، فقد كان كلّ راكب مطوّقًا بأفكاره الخاصة حول القصة، وكل واحد منهم شغوفًا لمعرفة المكان المناسب الذي تنطبق فيه عقدة غاتويريا، واصل غاتويريا قصته.

"بعد سماع تلك القصة، راودتني فكرة جديدة ووجدت موضوعًا جديدًا يمكّنني من نسج خيوط لحن جديد، لكن هل كان جديدًا حقًّا؟ أم إنّه اللحن الذي كنت أبحث عنه دائمًا؟ الشيء الذي رغبت في فعله الآن هو سرد تلك القصة في قالب موسيقي، من يستطيع أن يهزم القصة التي حكاها لي الرجل المسنّ في باهاتي؟ أيّ قصة تحمل موضوعًا أفضل أو تعلّم درسًا أكبر أهمية من القصة التي تحكي عن رجل يقايض روحه بالثروات المادية؟ كنت أرغب في مقارنة ندينغوري وا كاهامي مع يهوذا في الأدب اليهودي الذي باع سكينة روحه بثلاثين قطعة فضية.

كنت أرغب في أن تكون خلفية الموسيقى في قرية معينة قبل مرحلة الاستعمار الإمبريالي البريطاني لكينيا، فكّرت في البدء بسرد أصول هذه القرية، وكنت أرغب في العثور على مجموعة من الأصوات والآلات الموسيقية التي تمثّل الرحلات الرعوية للشعوب قبل عصر الإقطاع، ومجموعة أخرى

من الأصوات تمثّل الطرق المختلفة التي كانت القرية تنتج بها ثرواتها وتوزعها.كنت أرغب في أن أجعل أحد الأصوات يمثّل الرعاة، وأصواتًا أخرى تمثّل الفلاحين، وأصواتًا أخرى تمثل العمّال الذين يعملون في المعادن وهكذا دواليك، بعد ذلك أقدّم حركات من الأصوات والآلات ترمز للمجاعة، والأمراض، والفقر، وبداية الحكم الإقطاعي.

بعد ذلك سوف أقدّم قصة ندينغوري، ابن كاهامي.

بدأت بتأليف الموسيقى ونار هائلة تستعر بداخلي، لكن بعد إنجاز القليل من الأسطر أحسست بخفوت اللهيب قليلًا، وأصبح رماد عملي خامدًا من دون شرارة واحدة.

لماذا؟ لماذا؟، صرخت من دون أن أعرف إلى من أوجّه خطابي.

في داخلي، لا أؤمن كثيرًا بوجود الوحوش والأرواح والمخلوقات من عالم آخر سوى هذا، وفي إحدى الليالي سمعت صوتًا صغيرًا يهمس لي بالأسباب الحقيقة التي تكمن وراء خفوت النار: "كيف ستتمكّن من تأليف الموسيقى وأنت لا تؤمن بحقيقة وجود الأشياء التي تحاول التأليف عنها؟".

الإيمان، الإيمان، أين سأجد الإيمان؟ الإيمان ليس للبيع في السوق، في عقلي فكّرت بهذه الطريقة، في الماضي قبل الإمبريالية، كان لدينا نظام الفئات العمرية، ونظام للعائلات الممتدة وللعشائر الصغيرة والكبيرة، في تلك الأيام، كانت لدينا عدة أنواع من المنظمات البشرية: كانت لدينا أوجاما واموافريكا، التي تعني بالإنجليزية "الاشتراكية الإفريقية"، فمن أين أتانا، إذن، آكلو لحوم البشر والمجرمون؟ بدأ قلبي ينبض، ليس للأرواح الخيّرة أو الشريرة وجود، وليس هناك وجود لمخلوقات من العالم الآخر، ليس في وطننا كينيا آكلو لحوم البشر أو قتلة، أو شاربو دماء أو خاطفو أطياف البشر، في هذه الأيام لا وجود لشرب الدماء البشرية أو أكل اللحوم

البشرية، الأرواح والوحوش والمخلوقات من العوالم الأخرى كلّها اندثرت منذ وقت طويل مضى، وأنت الذي تأمل أن تؤلّف الموسيقى للثناء على وطنك، ابحث عن الأصول والمواضيع في القصص الحقيقية.

تلك هي الحال التي كنت فيها منذ ذلك الوقت، أشعر بعدم الارتياح وألف سؤال وسؤال يتصارعون بداخلي.

يا أبناء أمتي، لا يمكنكم تصوّر حجم الدهشة التي أصبت بها في الأمس عندما ذهبت إلى صندوقي البريدي في الجامعة، حيث أحفظ رسائلي وأعثر عليها، آه، كيف أحكي لكم عن ذلك؟ هل سأتظاهر بأنني لم أرتعش مثل القصبة في الهواء؟ حتى الآن وأنا أجلس في حافلة الماتاتو هذه، لا أستطيع أن أصدّق تمامًا ما شاهدته عيناي."

قاطعته وانغاري، تغمرها رغبة جامحة لمعرفة ما شاهده غاتويريا: "ما الشيء الذي رأيته وجعلك تنسى ما كنت تقوله، وتتوقف عن الحديث مثل الحرباء التي أرسلها الرّبّ ذات مرة إلى الناس لكنها لم تبلغ الرسالة التي تحملها أبدًا لأنها كانت متردّدة لفترة طويلة".

أسرع غاتويريا في سرد القصة: "هناك في صندوق البريد وجدت بطاقة تدعوني إلى احتفالية الشيطان غدًا في إيلموروغ، كُتب على بطاقة الدعوة الكلمات التالية،" أخرج غاتويريا البطاقة من جيبه وقرأ:

احتفالية الشيطان

تعالوا وشاهدوا بأنفسكم

منافسة يرعاها ويساندها الشيطان

لاختيار سبعة خبراء في النهب والسرقة

العديد من الجوائز

جرّب حظك
منافسة لاختيار أمهر سبعة
خبراء في النهب والسرقة في إيلموروغ
جوائز عديدة
فرقة زبانية جهنم الموسيقية في انتظاركم
التوقيع: الشيطان
ملك جهنم
برعاية عرين اللصوص وخبراء النهب
في مرتفعات غولدن-إيلموروغ

صرخت وارينغا وسقطت على موتوري، أدار مواؤرا رأسه بسرعة نحوهم فبدأت المركبة تترنّح عبر الطريق.

صرخ موتوري: "أوقف المركبة، من لديه كشّاف؟ "

سألت وانغاري: "ما الخطب؟ ما الخطب؟"، لكن لم يجبها أيّ أحد.

قال مواؤرا: "ليس لدي كشّاف"، وأوقف حافلة الماتاتو على جانب طريق ترانز أفريكا.

قال غاتويريا: "لديّ بعض أعواد الكبريت".

قال له موتوري: "أشعل واحدًا!"، بعد ذلك سكت الجميع، كأنّهم يجلسون إلى جانب أحد القبور.

7

كانت السيارات الذاهبة إلى إيلموروغ والقادمة منها تتجاوز بعضها بعضا على الطريق، وتضيء سهول الوادي المتصدّع بين الفينة والأخرى،

لكن الظلام الدامس في الخلف جعل الإضاءة أكثر كثافة من ذي قبل جلس صاحب النظارات السوداء في زاويته من دون أن يتحرّك، وبقي مواؤرا هادئًا في مقعده، في حين انحنى المسافرون الآخرون الثلاثة على وارينغا.

كان ضوء عود ثقاب واحد سيكفي لإضاءة وجه وارينغا فقط، سيخفت ويخبو، وسوف يشعل غاتويريا عود ثقاب آخر، لكنهم عندما شاهدوا وارينغا تفتح عينيها، ولاحظوا أنها ما زالت تتنفس وقلبها ما زال ينبض، بدؤوا بالحديث معبّرين عن آرائهم المختلفة.

قال موتوري: "أعتقد أن هذه المرأة مريضة، ربما بالملاريا أو التهاب رئوي".

قال غاتويريا: "قلبها ينبض بسرعة كبيرة".

قال مواؤرا: "من الممكن أن تكون مصابة بمرض خاصّ بالنساء، إحدى النساء أنجبت في الماتاتو مؤخرًا، هل تصدّقون ذلك؟"

اقترحت وانغاري: "لماذا لا تخرجها من المركبة لكي تتنفس الهواء النقي؟"، قالت ذلك لتنهي قصة مواؤرا.

بعد ذلك تكلّمت وارينغا بصوت خافت، وكأنّ لسانها كان في رحلة طويلة.

"المعذرة، لقد شعرت بالدوار بشكل مفاجئ، هيا بنا نذهب، هيا بنا نرحل من هذا المكان".

عادوا إلى مقاعدهم، حاول مواؤرا أن يدير محرّك المركبة لكنها لم تعمل، نزل كلٌّ من موتوري، ووانغاري، وغاتويريا وصاحب النظارات السوداء من أجل دفع السيارة من الخلف، تحرّك المحرّك ودبّت فيه الحياة، استقلّ الجميع المركبة، وساروا مسافة قصيرة في صمت تام.

رجعت وانغاري إلى موضوع دوار وارينغا: "هل الموضوع الذي كنّا نناقشه هو الذي سببه؟ "

أجابت وارينغا: "كان له علاقة بـ... نعم، إنّه الحديث."
سأل موتوري: "هل أرعبك الموضوع؟"
قالت وارينغا بارتياب: " نعم.. ولا.. ".
قالت وانغاري: "لا تخافي، تلك الأشياء لم تعد موجودة، الوحوش، وآكلو لحوم البشر، والأرواح الخيّرة والشريرة، والشيطان ذو القرون السبعة، كلّ تلك الأشياء كانت مجرد خرافات، كان يقصد من ورائها إخافة الأطفال المتمرّدين لإصلاح سلوكهم ولتشجيع الأطفال المطيعين على اتباع الطريق المستقيم والقصير".

بدأ مواؤرا يصفر أحد الألحان، مثل الشخص الذي لديه آراء مختلفة حول المسألةـ أو إنه يعلم القليل حول الموضوع ولا يريد الإفصاح عمّا بداخله، ثم بدأ يغني:

أيتها العذراء، هل يجب أن أطلبك، أعطني رغباتي
ولا تكوني بخيلة بشأنها
لأنّه فيما بعد عندما تكتشفين بأنك حامل
فأنا لن أنكر المسؤولية

كان يظن أنّ الركاب سوف يضحكون وينتقلون إلى مواضيع أخرى، ويتركون الحديث عن القتلة وآكلي لحوم البشر، وعن الأرواح والشياطين، واحتفالات المتنافسين على النهب والسرقة، ومع ذلك، فاجأتهم وارينغا بالعودة إلى الموضوع نفسه.

"لكن، ماذا لو كانت هذه الأشياء توجد فعلًا؟ ماذا لو لم تكن هذه الأشياء مجرد قصص تحكى للأطفال في المساء؟ ماذا عساكم تفعلون؟

أخبروني، ماذا ستفعلون لو كانت الأرواح الخيّرة والشريرة توجد فعلًا، لو كان الشيطان موجودًا فعلًا، وأنه زار كينيا، وكان يقيم احتفالات على الأرض وينظّم منافسات لأتباعه على الأرض؟"

قفز مواؤرا قائلًا "أنا؟"، كأن السؤال موجّه له، سأل مرة أخرى للتأكيد: "أنا"؟ لكن قبل أن يتلقى أية إجابة استمر قائلا: "دعيني أخبرك، لقد سبق لي أن شاهدت بعض الأمور الغريبة، حسنًا، في إحدى المرّات خطفني بعض المحتالين في هذه المركبة، لكن هل كانوا فعلًا محتالين؟ أم إنّهم ثلاثة رجال شباب يرتدون بزّات غريبة؟ وجدتهم في زاوية المزرعة في ليمورو، كان ذلك في المساء قبل حلول الظلام، أخبروني بأنّهم يودّون التوجّه إلى بلدة كيكويو، عندما لمحتهم، قلت لنفسي إنّني عثرت على ثروة كبيرة، رفعت سعر الأجرة، ثم في الوقت الذي وصلنا إلى موناراكوا شعرت أنني أرى من فمي، صوّبوا سلاحًا خلف رأسي، وقالوا لي: "إنْ كنت لا ترغب في أن نفتّت رأسك إلى قطع صغيرة، فاتّجه بسرعة إلى غابة كينيني، ولا تتجرأ بالنظر إلى الخلف أو إلى الجانبين"، لن يدّعي أيّ شخص بأنّ أموالي كلّها لم تسرق مني، هي وكلّ ملابسي، تركوني عاريًا كما ولدتني أمي! لكن لحسن الحظ، لم يسرقوا مفاتيح مركبتي.

في يوم آخر، قام أحد السياح الأمريكيين بتأجير مركبتي، كان هذا الأمريكي طاعنًا جدًا في السن، ووجهه مملوءًا بالتجاعيد التي بدت كالوديان، وفي الجانب الآخر من جسده كانت طيات الجلد ملفوفة في طبقات دائرية، لكن كانت ترافقه فتاة إفريقية نحيفة جدًّا، ومن المحتمل أن تكون تلميذة، جلسا في الخلف، جِلْت بهما في جميع أنحاء نيروبي لمدة ساعة أو أكثر، لم يتحدثا كثيرًا، ولم يفعلا أشياءً كثيرة أيضًا، كلّ ما قام به هو مواصلة ضغط فخذي الفتاة وقرصهما، وكانت الفتاة تدلّك وجهه في

بعض الأحيان، كانت أصابعها تختفي كليًّا في طيّات جلده، عندما تظاهرت الفتاة بالشعور بالألم وصرخت قليلًا لمعت عينا ذلك الأمريكي من السعادة، كان الزّبد يخرج من جانبَي فمه، ويتأوّه كأنّه ضاجعها فعلًا، عندما أوصلتهم إلى فندق نيو ستانلي، أخرج الأمريكي ورقة من فئة 100 شلن وقدّمها للفتاة التي تركته وابتعدت فيما بقي السائح الأمريكي في الخلف يعد لي حسنات البلاد كأني مالك كينيا: "كينيا دولة عظيمة، طبيعة برية رائعة، وأيضًا نساء رائعات، جميلات جدًّا، على الرغم من أنني رجل مسن، بإمكاني أن أحصل على فتاة صغيرة، سأعود مع المزيد من السياح ليشاهدوا الحياة البرية لكينيا والنساء بأنفسهم، حقًّا بلاد جميلة، استقرار، تطوّر"، ثم ذهب بدوره إلى الفندق مترجلًا، لكنه دفع لي أجرة جيدة.

وهكذا، هذا العالم مملوء بالعديد من الأشياء الغريبة، الرجل الذي لا يسافر يعتقد بأنّ والدته هي الوحيدة التي تطبخ الخضروات الغريبة، هل سألتِني ماذا سأفعل لو تمّت دعوتي إلى احتفالية الشيطان؟ سأذهب، لأنّني لن أكتفي بآراء الناس حول الموضوع، لكي تؤمن يجب أن تشاهد وتلمس، أنا توماس المعاصر، قال مواؤرا، أنا، مواؤرا، سبق لي أن رأيت الكثير وفعلت الكثير، الآن، دعيني وحدي، يا امرأة! الشمس لا تشرق أبدًا من الاتّجاه الذي تغرب فيه"، أنهى حديثه بطريقة توحي بأشياء كثيرة، لكنها تخفي الكثير.

سألت وارينغا موتوري: "ماذا عنك، ماذا سوف تفعل؟ ".

أجاب موتوري: "ليس من السهل الإجابة، بإمكاني أن أخبرك، قال كيكويو ذات مرة لا تحتقر قطرة واحدة من المطر، ولا يوجد أيّ شيء مروعٍ جدًّا لا يتمكن الإنسان من مواجهته، نحن العمّال ليس لدينا مسكن، أو قرية، أو وطن. الأرض بأكملها هي مسكن لنا لأنّ المسألة تتعلق بالعثور على شخص يستطيع أن يشتري جهودنا لكي نستطيع الحصول

على بعض السنتات لشراء القليل من الدقيق والخضروات الرخيصة، لكن الأمر سيان، فنحن من سيعمّر هذه الأرض، كيف، إذن، يمكننا أن نترك هذه الأرض للشيطان وأرواحه الشريرة وأتباعه لكي يفعلوا ما يشاؤون بها؟ دعيني أسألك فكّ لغز معاصر".

أجابت وارينغا: "هل تعتقد بأنني أستطيع أن أعرف الفرق بين الألغاز القديمة والألغاز المعاصرة؟"

قال موتوري: "أنا أسير في هذا الاتّجاه وذلك الاتّجاه".

أجابت وانغاري بدلًا من وارينغا: "دروب القنّاصين"

"لا".

"خذي مكافأة".

"دروب البنّائين، أجيبي عن لغز آخر!".

"سأفعل!"

أنا أسير في هذا الاتّجاه وبذلك الاتّجاه".

"طرق البنائين".

"لا، أعطيني مكافأة".

"إنّها لك".

"طرق العمّال، أجيبي عن لغز آخر".

"سأفعل ذلك ".

"سأسير في هذا الاتّجاه وذلك الاتّجاه نحو الثورة".

"طرق العمّال".

"نعم، ولا، أنتِ مدينة لي بمكافأة، لكنّني لن آخذ كلّ شيء، لأنك عرفتِ نصف الإجابة".

"أقبل ذلك".

"الجواب هو طريق المقاومة، وتلك هي الطرق التي يصنعها العمّال، لماذا أقول ذلك؟ لأنّ هذه السيدة سألتني سؤالًا صعبًا، لكنه سؤال بسيط أيضًا، لأنّ الأشياء الصعبة هي الأشياء البسيطة، والأمور التي تبدو بسيطة هي الأشياء التي تكون صعبة. الآن، بإمكاني أن أقول لك إنّه لا يوجد أيّ شيطان أسوأ من صاحب العمل الذي كنت أعمل لديه، كما تعلمون، فأنا نجّار، بنّاء، سمكري، وصبّاغ، أعمل كلّ ذلك، وكنت في الحقيقة رئيس العمّال المكلف بالموقع. كان صاحب العمل يحصل على عقود بناء قيمتها عشرات الملايين وأكثر، كما كان لديه مستشار دَرَج على ملاحقة قضيته بلجنة منح العقود، لكن أجور أولئك الذين صنعوا عشرات الملايين تلك في الحقيقة لا شيء سوى شلنات قليلة فقط، مائتين، ثلاثمئة، خمسمئة، وليس أكثر، وأنتم تعلمون أنّ الأسعار في ارتفاع متزايد، بدأت مشاكلنا عندما طالبنا بزيادة في الأجور بخمسين شلنا، وطالبنا بأنّ الأجور يجب أن تتماشى مع ارتفاع تكاليف المعيشة، هل تعلمون أن بعض الأشخاص لا يدركون أنه عندما ترتفع الأسعار وتبقى الأجور كما هي، فإن هذا يعني تخفيض الأجور؟! لكن أرباح أرباب العمل ترتفع بالمعدل نفسه الذي ترتفع فيه الأسعار، وفي الحقيقة يكون معدل الربح أحيانا أعلى من الزيادة في الأسعار، وهكذا، عندما ترتفع أسعار السلع فإنّ أرباب العمل يستفيدون من ذلك الارتفاع، لكن حصة العمّال تنخفض بشكل سيئ. عندما قررنا الخوض في الإضراب عن العمل، جاء صاحب العمل إلينا وهو يلهث، تحدّث معنا بطريقة لطيفة، وقال إنه سيهتمّ بشكوانا ومطالبنا كافة، إنه يتوجّب علينا العودة إلى العمل، وإنه سيقدّم لنا تقريرًا بعد أسبوع، وفي اليوم المحدّد لتقديم التقرير جاء بصحَبة رجال الشرطة المسلّحة بالمسدسات والهراوات والدروع الحديدية، تحدث معنا صاحب العمل بلهجة حادّة مثل رجل تشاجر مع زوجته في

الليلة الماضية، قال إن كلّ الإضرابات حُظرت بمرسوم رئاسي، ثم قال بعد ذلك، إنّ كلّ شخص أحسّ بالتعب من العمل بإمكانه الذهاب إلى بيته، لأنّه يوجد العديد من الرجال العاطلين عن العمل الذين يبحثون عن فرصة عمل، وتم تسريح الأشخاص الذين تزعّموا الإضراب. هل تعتقدون أننا، في كينيا، نلتقط الأموال من الأرض؟ بالنسبة لك، أنت موتوري، ألا تظن بأنّك ذكي؟ لأنّ سجلك مع الفرع الخاصّ طويل جدًّا، نحن نعلم بأنك لست بمفردك ولذلك، تفرقنا. يمكن مواجهة المسدس بمسدس مثله وليس بأيدٍ خاوية، لذلك السبب تشاهدني اليوم أبحث عن العمل هنا وهناك، ويعود سبب ذلك إلى أنني رفضت أجور العبيد، تخيلوا العيش براتب 300 شلن في الشهر في نيروبي!".

سألت وارينغا: "ما هي الشركة التي كنت تعمل لصالحها؟ ".

"شركة تشامبيون للإنشاء".

أعادت وارينغا: " شركة تشامبيون للإنشاء؟ ".

"الشركة التي يديرها كيهارا؟ ".

سأل موتوري وارينغا: "لماذا تسألين؟ لِمَ تبدو عليك علامات الاستغراب؟ ".

"لأنّني أعمل لصالح الشركة نفسها".

"في مكاتب المدينة".

"نعم، كيهارا كان رئيسي، لكن أيّ رئيس كان! اليوم أنا أبحث عن عمل آخر".

سألها غاتويريا: "هل أضربتِ عن العمل أيضًا".

قالت وارينغا: "لا، رفضت أن أكون عشيقته".

قالت وانغاري كما لو أن السؤال موجه لها: حسنا، أنت شاركت في الإضراب ضد طغيان غرف نوم الرئيس

سأل موتوري: "هل ترون؟ هل تفهمون الآن؟ الآن، بإمكانكم أن تعرفوا السبب الذي جعلني لا أستطيع ترك أرضنا بكلّ بساطة للشيطان لكي يدور هنا وهناك! احتفالية الشيطان؟ أودّ أن أذهب لتحدي الشيطان".

استدارت وارينغا إلى غاتويريا: "ماذا عنك؟ هل فعلًا تؤمن بمثل هذه الاحتفالية؟ ".

أجاب بو: "لكنني ذاهب إليها،غدًا ستبدأ احتفالية الشيطان".

سألت وانغاري: "غدًا؟ الأحد؟ ".

"نعم، غدًا عند الساعة العاشرة".

سألت وارينغا: " ألا تشعر بالرعب؟ ".

"ممَّ؟".

"من الشيطان، أليس من المفترض أن يكون لديه سبعة قرون؟".

"ذلك بالضبط هو جوهر العقدة التي أتحدث عنها، الشيطان موجود أم لا؟ أرغب في الذهاب إلى هناك لوضع حدّ لكلّ شكوكي، ولكي أستأنف العمل على مقطوعتي الموسيقية، لأنّه لا يمكنني أن أواصل العمل بذهن مشوّش بشكوك ليس لها نهاية، السكينة! المؤلف يحتاج إلى سكينة في قلبه".

أجابت وانغاري: "آه، نعم، فلتكن السكينة في قلوب الجميع".

استدارت وارينغا إلى وانغاري: "ماذا عنك أنت؟ ".

سألت وانغاري: "إذن، ما زلت تبحثين عن إجابة، بالنسبة لي سواء أكنت مدعوة أم لا، لو حدث أن مررت بهذا الشيطان المشهور فسوف ألقّنه درسًا يتعلّق بعدم اضطهاد البنّائين الحقيقيين لهذه الأرض أبدًا! لكن قولي لي: لماذا تطرحين هذه الأسئلة؟ ما هو العبء الذي يحمله قلبك؟ ".

الجميع لديهم الأسئلة نفسها في أذهانهم: أيّ نوع من النساء كانت هذه المرأة؟ كانت صامتة تمامًا بعد أن غادروا نيروبي، بعد ذلك، صرخت بشكل

مفاجئ، ثم.. فقدت الوعي، والآن بعدما تعافت من تلك الأزمة، شرعت في طرح أسئلة لا نهاية لها.

سأل غاتويريا: "نعم، بالفعل، لماذا تطرحين السؤال نفسه علينا جميعًا؟ ".

قالت وارينغا: "لأنّه، أنا بدوري، لديّ عقدة في قلبي".

سأل غاتويريا ووارينغا في آن واحد: "عقدة؟ ".

"لقد تلقّيت دعوة مشابهة لدعوتك، ولا أعلم الطريقة التي وصلت بها إلى يدَيّ؟ ".

"ماذا؟ اشرحي لي ما الذي تقصدينه".

"أنا أيضًا لديَّ دعوة إلى احتفالية الشيطان في إيلموروغ غدًا، اليوم، وقد رأيت اليوم العديد من الأشياء الغريبة، ولا أستطيع أن أقول ما إذا كنت أحلم أم إنّني كنت مريضة وأهلوس، ظهر أمامي رجل في نيروبي، في كاكا، بالقرب من كنيسة القدّيس بطرس كليفرز، أوشكت على... دعوني أقُل إني بكلّ بساطة إني لم أكن أشعر بشعور جيد نفسيًا وجسديًا، ذلك الرجل أعاد لي حقيبة يدي هذه التي أوقعتها في شارع ريفر من دون أن أدرك ذلك، لكنّ وجهه، وعينيه، وصوته، جعلوني أفتح قلبي له على الفور، وأخبرته بكلّ مشاكلي، وعندما أنهيت سرد قصتي أحسست بأنّ قلبي أصبح خفيفًا، وعندما افترقنا سلّمني بطاقة، عندما وصلت إلى نياماكيما، قرأت ما كتب عليها، وها هي...".

أخرجت وارينغا البطاقة من حقيبتها، كانت تشبه دعوة غاتويريا.

قالت وانغاري: "ماذا؟ هذه مجرد مزحة، يجب ألّا نحتقر قطرة المطر بسبب ضآلة حجمها، ألم أتكلّم مع رؤساء الشرطة هذا اليوم بالذات؟ وبناء على هذه البطاقات فإن الناهبون واللصوص يستعدّون معًا لاحتفالية الشيطان، فليجتمعوا".

قالت وانغاري شيئًا يبدو نصفه تهديدًا، ونصفه الآخر تنهيدًا، ثم بدأت تغنّي:

تعالوا فرادى وجماعة
وشاهدوا المنظر الرائع
لمطاردة الشيطان
وكل أتباعه
تعالوا فرادى وجماعة

صرخ مواؤرا: "هيه، كم أتمنّى أن يكون أولئك الأوغاد الذين سرقوا أموالي وجرّدوني من ملابسي هناك في الغد"، لكن في صوته توجد لمحة من السخرية التي توحي بأنّه يعلم أشياء لا يعلمها الآخرون، لم يتفاجأ موتوري أيضًا فيما يتعلق بدعوات احتفالية الشيطان.

هدأ مواؤرا، ولاذ الجميع بالصمت الذي عمّ المكان الآن، مدركين بأنّ بلدة إيلموروغ لم تعد بعيدة، كانت حافلة ماتاتو ماتاتا ماتامو فورد ت. لوحة التسجيل 333 م م م تسير ببطء نوعًا ما على الطريق، كأنّها تقول: في العجلة الندامة، الصبر يجلب الثروة.

من الأفضل أن تصل بأمان، والأمن أن تسافر بحافلة ماتاتو ماتاتا ماتامو، ويجب تفضيل إيلموروغ على باقي المدن، نحن بطريقنا لحضور احتفالية الشيطان.

8

في تلك اللحظة فتح الرجل صاحب النظارات السوداء فمه مثل

حمار بلعام الوارد في الإنجيل، قال: "اسمحوا لي"، كلّ المسافرين التفتوا إليه باستثناء مواؤرا لكي يستمعوا لما يقوله، قال لوارينغا وغاتويريا: "اسمحا لي برؤية تلك الدعوات".

أخرج غاتويريا بطاقته ومرّرها له، طلب الرجل من غاتويريا أن يشعل عود ثقاب، التفت نحو وارينغا وقال لها: "اسمحي لي برؤية دعوتك أيضًا".

فتحت وارينغا حقيبتها وأخرجت بطاقتها، أخرجتها مع الورقة التي حصلت عليها ذلك الصباح من زبانية الشيطان، سقطت الورقة عند أقدام موتوري من دون أن تنتبه، سلّمت البطاقة للرجل صاحب النظارات السوداء.

دقّق الرجل في البطاقة وقام بمقارنتها بالبطاقة التي قدّمها له غاتويريا، بعد ذلك، فتح حقيبته وأخرج بطاقة أخرى، بحجم بطاقة غاتويريا ووارينغا نفسها. سلّمها لغاتويريا وطلب منه أن ينظر إليها جيّدًا ومن ثم يقوم بقراءتها بصوت عالٍ على الجميع، أخرجت وارينغا علبة الكبريت وأشعلت عودًا واحدًا لغاتويريا، وهذا ما قرأه غاتويريا:

احتفال كبير

تعال وشاهد بنفسك

لاختيار سبعة خبراء

في النهب والسرقة الحديثة

الجوائز تشمل قروضًا بنكية

ومناصب مدراء

للعديد من المصارف

جرّب مهاراتك

جرّب حظك
من المحتمل أن تأخذ التاج إلى بيتك
في النهب والسرقة الحديثة
مسابقة لاختيار أمهر سبعة
في النهب والسرقة الحديثة
جوائز بقروض بنكية مكفولة
ومناصب مديرين
لواحدة أو لمجموعة
من المصارف
فرقة زبانية جهنم في الانتظار
توقيع: منظم الاحتفالات
برعاية سارقي المؤسّسات وأوكار الناهبين
إيلموروغ مرتفعات غولدن

سأل الرجل غاتويريا: "هل يوجد أيّ فرق بين بطاقتك وهذه البطاقة؟ البطاقة التي أعطيتك إياها للتوّ هي البطاقة الأصلية وأعتقد أنك لاحظت عدم ذكر الشيطان أو إبليس ولو لمرة واحدة؟ دعني أخبرك شيئًا آخر، أغلبية الأشخاص الذين سيحضرون الاحتفالية يؤمنون بالربّ. أنا، على سبيل المثال، أذهب إلى كنيسة المشيخية في شرق إفريقيا في ثوغوتو، كنيسة تورتش، كلّ أحد، أولئك الذين طبعوا بطاقات الدعوات المزيفة هم أعداء التطوّر الحديث، يهدفون فقط إلى تدمير الاحتفالية، سأل غاتويريا: "ومن هم أوَلئك الأشخاص الذين يودّون إفساد الاحتفالية؟ ".

"من هم هؤلاء؟، أظن أنهم طلاب في الجامعة، يجب الطلاب أن يقوموا

بهذا النوع من الحملات الصبيانية السمجة ضد الناس المحترمين".

قالت وانغاري: "بالنسبة لي، لا أرى أيّ فرق بينهما، كيف يمكن للطلاب أن يلطّخوا سمعة السارقين والناهبين؟ ".

"بادّعاء أنّ هذا هو يوم احتفالية الشيطان، وبادّعاء أنها منظمة من قِبَل الشيطان ملك جهنم. فضلا عن ذلك لم يشيروا في بطاقتهم إلى أنها مسابقة في النهب والسرقة الحديثة".

قال موتوري: "أنا لا أستطيع أن أجد الفرق، السرقة هي السرقة، والنهب هو النهب".

بدا أن الرجل صاحب النظارات السوداء جرحه موقف موتوري ووارينغا، بدأ يتحدث كما لو أنه يقدّم درسًا دينيًا لأولئك الأشخاص الذين فقدوا إيمانهم.

"اسمي مويريري وا موكيراي، أنا لا أطيق الأسماء الأوربية، تخلّيت عن اسمي، جون، منذ مدة قصيرة، وكما قلت قبل قليل، أنا أتّجه الآن نحو إيلموروغ، سيارتي، بيجو من طراز 504، تعطّلت في كيكويو، تركتها خارج فندق أونديري، أوصلني أحد الأصدقاء بسيارته إلى صيغونا، اعتقدت أنني سأجد ضيوفًا مهمّين مسافرين إلى المسابقة هذه الأمسية، لم ألتقِ بأي واحد منهم، قال العديد من الضيوف إنهم سيصلون غدًا صباحًا، لكن المرء لا يمكنه التأكّد أبدًا من الأشخاص الذين يشربون الخمر، اعتقدت أنه من الأفضل الذهاب في حافلة الماتاتو.

درست في المدرسة الثانوية سيريانا وفي ماكريري عندما كانت تسمّى ماكريري حقًّا، وليست الجامعة الحالية التي دمّرها أمين. درست الاقتصاد في ماكريري وهو العلم أو الدراسة التي تعلمك كيف تصنع الثروة في البلاد، في أوغندا حصلت على بكالوريوس في علوم الاقتصاد، لم أتوقّف عند هذا

الحدّ وانتسبت إلى جامعتنا هنا، ونجحت وحصلت على شهادة أخرى في التجارة، ثم تابعت مسيرتي قدمًا في أمريكا حيث انتسبت لجامعة هارفارد العريقة، ودرست كلّ ما يتعلق بإدارة الأعمال، وحصلت على شهادة أخرى بكالوريوس في إدارة الأعمال. اسمي الكامل هو مويريري وا موكيراي، حاصل على إجازة في علوم الاقتصاد من لندن؛ وإجازة في التجارة من نيروبي؛ وبكالوريوس في إدارة الأعمال من جامعة هارفارد، عندما أعدّد هذه القائمة فأنا متأكّد تمامًا من أن غاتويريا يدرك جيّدًا معنى ما أقوله. كان طموحي في تلك الأيام هو التدريس في الجامعة وإلى يومنا هذا لا يزال العديد من الأساتذة أصدقاء لي، لكنني عندما نظرت من حولي وجدت أن القليل من الكينيين يدرسون إدارة الأعمال، لذلك اخترت أن أعمل في مجال التجارة.

لماذا قدّمت نفسي بهذه الزوبعة؟ لقد سمعت كلّ حديثكم، وسمعت كلّ الحجج والشكوك التي كان يعبّر عنها بعضكم.

لن أخفي أيّ شيء عنكم، هذا النوع من الحديث الذي كنتم تتجادلون به هو الذي يدمّر البلاد، هذا النوع من الحديث له جذور في الشيوعية، إنّه يهدف إلى إصابة قلوبنا بالحزن وجعلنا في قلق دائم، هذه العبارات سوف تؤدّي بنا، نحن الشعب الأسود، إلى الضياع، وأنتم تعلمون بأنّنا نحن نؤمن بالربّ والمسيحية، إنّ كينيا دولة مسيحية، ولذلك نحن مباركون جدًّا.

أولًا: هذه ليست احتفالية شيطانية، ولم ينظمها الشيطان، هذه الاحتفالية رتّبتها منظمة النهب والسرقة الحديثة في إيلموروغ لتخليد ذِكرى زيارة الضيوف الأجانب الذين ينتمون إلى منظمة اللصوص والناهبين في العالم الغربي، لاسيما من أمريكا، وإنجلترا، وألمانيا، وفرنسا، وإيطاليا، والسويد واليابان، وتُدعى المنظمة الدولية للصوص والناهبين.

ثانيًا، أصبح الطلاب في جامعتنا مغرورين جدًّا، لقد اخترعوا طرقًا لتشويه صورة النهب والسرقة الحديثة حتى قبل أن يفهموا المعنى الحقيقي للسطو والسرقة، هؤلاء الطلاب ينشرون هذا النوع من الخطابات الذي سمعته للتومن وانغاري وموتوري الذي يقضي بوجوب إنهاء النهب والسرقة.

لذلك أودّ أن أقول الآتي: أنا متأكد جدًّا بأنّ الناس لا يمكن يكونوا متساوين مثل الأسنان، لقد رفضت الطبيعة الإنسانية المساواة، حتى الطبيعة الكونية ذاتها رفضت أيًّا من الهراء العقيم حول المساواة، انظروا إلى جنة الرّبّ، الرّبّ يتربّع على العرش، على الجانب الأيمن يجلس ابنه الوحيد، وعلى الجانب الأيسر تجلس الروح القدس، وعند أقدامه تجلس الملائكة، وعند أقدام الملائكة يجلس الحواريون، وعند أقدام الحواريين يجلس باقي التلاميذ، وهكذا دواليك، توجد هناك مرتبة أدنى من الأخرى، إلى أن نصل إلى طبقة المؤمنين هنا على الأرض، جهنم منظمة بالشكل نفسه، ملك جهنم ليس هو من يوقد النار، ويجلب الحطب ويقلب الأجساد التي تحترقَ، لا، هو يترك تلك الأعمال الروتينية لزبانيته، ومناظريه وتلامذته وخدمه".

قاطعه موتوري قائلًا: "هل سبق لك أن كنت في الجنة؟ ".

"لا".

"أو جهنم؟ ".

"لا".

"إذن، هذه الصورة التي رسمتها لنا، من أين حصلت عليها؟ أليست صورة تشبه ظلّ الشجرة؟ أين الشجرة نفسها؟ ".

"إذا نظرت إلى هذا العالم فسوف ترى أنّ الأمر الذي أقوله صحيح تمامًا"، أجاب مويريري وا موكيراي بشكل سريع: "بعض الأشخاص لديهم قامة

طويلة؛ وآخرون قامتهم قصيرة، بعض الأشخاص بشرتهم بيضاء؛ وآخرون بشرتهم سوداء؛ بعض الأشخاص يعيشون حياة الرفاهية عندما يتعلّق الأمر بالمال؛ وآخرون ليس لهم حظ في ذلك، حتى مع السنتات العشرة، يولد بعض الأشخاص كسالى؛ ويولد آخرون مجتهدين، هناك أشخاص أصحاب شأن عظيم بالفطرة، مديرون طبيعيون للثروة، وآخرون تافهون ومبدّدون طبيعيون للثروة، بعض الناس يعرفون معنى الحضارة؛ وآخرون ليست لديهم أيّ فكرة على الإطلاق، بعض الناس يعرفون كيف ينظّمون أنفسهم؛ وآخرون لا يعرفون الاعتناء بأنفسهم، بعض الأشخاص، وهم الأغلبية، لا يمكن جرّهم إلى المجتمع المعاصر إلا بحبال حول أعناقهم أو خيوط عبر أنوفهم، بينما آخرون، وهم قلّة، ولدوا لكي يقوموا بالسحب، ثمة نوعان من البشر في كلّ بلد، المدير والذي يتمّ إدارته، الشخص الذي يحصل على كلّ شيء، والشخص الذي يأمل في الحصول على الفتات، الشخص الذي يعطي، والشخص الذي ينتظر لكي يستقبل ذلك العطاء".

قاطعته وانغاري قائلة: "سيدي، ألا تعلم بأنّه لا شيء يدوم إلى الأبد، ألم تسمع ما قاله كيكويو من زمن طويل، إنّ الشخص الذي اعتاد على الرقص لا يتمكّن الآن إلا من رؤية الآخرين وهم يمارسونه؟ والشخص الذي اعتاد على القفز فوق النهر بإمكانه الآن الخوض فيه وحسب؟ الراعي لا يبقى في بقعة واحدة، لقد تغيّر كلّ شيء، لأنّ بذور اليقطينة الواحدة ليست من النوع نفسه".

إنّني أتحدّث عن أشياء درستها مطولًا، قال مويريري لوانغاري: "لنعد مرة أخرى إلى مسألة التجارة والاقتصاد ونطرح على أنفسنا هذا السؤال: هلِ النهب والسرقة أمران سيئان في جميع الأوقات، في جميع الأماكن، ولكلّ الأشخاص؟

صدقّيني عندما أقول إنّ النهب والسرقة هما مقياس تطور أيّ دولة،

فلكي تزدهر السرقة والنهب يجب أن يكون هناك أشياء لسرقتها، ولكي يتمكّن المسروق من اقتناء ثروة يمكن سرقتها مع بقاء القليل منها فإنه يجب عليه أن يعمل جاهدًا لصنع الثروة، التاريخ يبيّن لنا أنه لم يسبق لأيّ حضارة النهوضَ إلّا على أساسات النهب والسرقة، أين ستكون أفريقيا اليوم من دون نهب أو سرقة؟ ماذا عن إنجلترا؟ وفرنسا؟ وألمانيا؟ واليابان؟ السرقة والنهب هي التي جعلت من تطوّر دول العالم الغربي ممكنًا، لا تسمحوا للحركة الاشتراكية بأن تخدعنا، عندما نقوم بمنع السرقة والنهب من أيّ بلد، فإنّنا نقوم بإعاقة حركة التقدم.

لذلك، سأنهي حديثي بهذا: من الصواب أن تكون الثروة في أيدي رجال الوطن الناجحين من الأمة، في أيدي أولئك الذين ولدوا وهم قادرون على تسيير الثروة حتى أثناء نومهم، تخيل لو وضعنا البلاد في أيدي أناس قذرة، من مخربين، وكسالى وعاطلين وأشقياء، أولئك الهزالى الذين يجدون صعوبة في الانحناء لإزالة الأوساخ من على أصابع أرجلهم، ولقتل القمل تحت بطونهم أو حتى لإخافة البراغيث؟ أليس هذا الأمر مثل رمي اللآلئ النفيسة على الخنازير التي ستدوس على الجواهر في الوحل؟ في الماضي البعيد، كان راقصو موكونغوا يغنّون:

يجب إزالة جرس الرقص من الجسم الهزيل
يجب تسليمه للبطل العظيم

السؤال هو: من هم الأبطال الجدد؟ نحن الأبطال الجدد الذين نمتلك المال، نحن الذين برهنّا أننا قادرون على التفوّق على الناهبين واللصوص الأجانب عندما يتعلّق الأمر بالاستيلاء على الأموال والممتلكات، عيوننا أصبحت مفتوحة بشكل كامل الآن، وقادرين على أن نرى بكلّ وضوح

أن السرقة والنهب هما الأساس الحقيقي للتطوّر والتقدم الحديث، لذلك أنا شخصيًا أولّي أهمية بالغة لمسابقة إيلموروغ، تلك المنافسة التي ينتقدها طلاب الجامعة ويشوهونها. ولهذا أطلب منكم جميعًا الحضور إلى منافسة الغد لمشاهدة ذلك بأمّ أعينكم، وإذا شعر أيٌّ منا بالرغبة في الدخول إلى ميدان المنافسة ليعرض مهارته فليقم بذلك بكلّ حرية، أنا، شخصيًا، أؤمن بالمبدأ الديمقراطي الذي يقول إن أيَّ شخص يستطيع اختطاف الثروة يجب أن يُسمح له بذلك، أنتم تسمحون لي بالسطو وأنا أسمح لكم بالسطو، أنتم تسطون وأنا أسطو، وسوف نرى من يهزم الآخر في اللعبة، يجب على الأشخاص الذين يستطيعون العضّ أن يلتقوا في الهواء الطلق لتبديد كلّ الشكوك إزاء من يملك أسنانًا حادّة، لكن يجب علينا أن نوقف مسألة تدمير سعادة الآخرين هذه بالوسائل السرية، تخلّصوا من تلك البطاقات المزيّفة التي طبعها طلاب الجامعة، وسأوفّر لكم بطاقات صالحة".

توقف مويريري وا موكيراي، أخرج منديلًا من جيبه ومسح جبينه ثم أنفه، بالنسبة للمسافرين الآخرين، كانوا هادئين جدًّا، كما لو أنهم لم يصدقوا ما تسمعه آذانهم.

كانت وانغاري أول شخص يستفيق من حالة الذهول العامة فقالت: "من الصحيح جدًّا أنّ ألمًا في القلب لا يقتل، هل تجرؤ حقًّا على تسميتنا تافهين؟ وهل تجرؤ على نعتنا، نحن الفلاحين والعمّال بالخنازير، هكذا بكلّ وقاحة وتطلب منّا وجوب سرقة خيرات أرضنا؟ من زرع تلك الخيرات؟ ثمة من يزرع، وثمة من يحصد، وثمة من يأكل ما يزرعه الآخرون، فأيّهم الكسِول؟ وعن أيٍّ منهم تنتج اللآلئ الأكثر لمعانًا؟ "

أضاف موتوري: "أنت! أنت حاصل على تعليم أكاديمي، لكن دعني أقُل لك إنّه عندما يُسلب قرد من صغاره فإنك تعطيه لقمة من الطعام

مقابل ذلك، لكن أنتم أيّها الناس ذهبتم بعيدًا فأنتم تسرقون نتاج أيدينا ولا ترمون لنا ولو قطعة صغيرة منه، قطعتم مياه النهر عنا لكي لا تنفذ إلينا ولو قطرة واحدة من المياه، لم تسنح الفرصة للربّ لكي يرى قوّة أردافكم، لقد سمعته يقول إن الأرض تدور باستمرار ولا تقف عند نقطة واحدة، الحياة هي دوران الدم؛ بينما الموت هو توقف الدم في الأوردة، الحياة هي نبض القلب؛ الموت هو توقّف القلب، نحن نعلم أن الجنين في رحم أمه لن يولد ميتًا حين كان يلعب ويتحرك بداخلها، يجب أن تدرك أنه قد يظهر عند الفجر شيء جديد لم يكن في الليلة الماضية، لا تستخفّوا بالجماهير، لا يزال جيل ايرغي متمردًا وثائرًا، ماذا قال المغنّي في ذلك اليوم؟ من الأفضل لكم أيّها الناس أن تحذروا بأنفسكم، نحن الذين خضناها مع كيماثي.

لم يولِ مويريري وا موكيراي الكثير من الاهتمام لكلام وانغاري وموتوري المفاجئ، رفع صوته قليلًا وبدأ يتحدث كأنه في المذبح ويلقي موعظة لعدد كبير من الناس، والإنجيل مفتوح بين يديه.

بدأ مويريري وا موكيراي: "لمَ أنتم مندهشون؟ ألم تقرؤوا كتاب الرّبّ، كتاب الحياة الأزلية الذي جلبه لنا الرسل؟ ألم يتنبّأ الإنجيل بكلّ تلك الأشياء؟ أنا أقول: من لديه عيون فلينظر؛ ومن لديه آذان فليسمع".

مال كلٌّ من جاكينتا وارينغا، وغاتويريا، ومواؤرا، وموتوري ووانغاري إلى الأمام حتى لا تفوتهم كلمة واحدة.

صارت حافلة ماتاتو ماتاتا ماتامو فورد ت. لوحة التسجيل 333 م م م مثل الكنيسة؛ وقد أصيب المسافرون بالصمم بسبب ضجيج المركبة التي تقلّهم إلى إيلموروغ، وهي تسير على طول طريق ترانز أفريكا السريع، معقل المنافسة الكبرى في النهب والسرقة.

سمع موتوري حفيف ورقة عند قدميه، انحنى إلى الأسفل، التقطها،

وضعها في جيبه وواصل الاستماع.

خفّض مويريري وا موكيراي صوته، تحدّث بلطف بصوت منخفض وهادئ كما لو أنه يغنّي تهويدة تساعد أرواحهم وأذهانهم على النوم.

"لأنّ ملكوت الرّبّ يشبه إنسانًا يسافر إلى بلد بعيد، يستدعي خدمه، ويسلّمهم بضائعه، ويعطي لواحد منهم خمس مواهب، والثاني موهبتين، والثالث موهبة واحدة...".

الفصل الرابع

1

لأنّ مملكة الخداع الدنيوي يمكن تشبيهها بحاكم تنبّأ بقدوم اليوم الذي ستقوم فيه الحشود والثوار برميه خارج دولة معينة، أحسّ كثيرًا بالهمّ في قلبه وهو يحاول أن يجد سبلًا لحماية كلّ الممتلكات التي راكمها في تلك البلاد، وأيضًا سبلًا للحفاظ على حكمه وسيطرته على المواطنين بوسائل أخرى، فسأل نفسه: ماذا عساي أن أفعل وأنا أعرف أنّ الناس الذين كنت أقمعهم دائمًا على وشك طردي الآن من هذه المزارع والمصانع التي أخذتها منهم؟ لن أستطيع أن أزرع تلك الحقول إلى الأبد؛ لن أستطيع أن أعمل بيدي إلى الأبد. ولو انتظرت حتى أُضرب بالهراوات ويطلق عليّ النار لطردي من البلاد فسأعيش في خزي إلى الأبد بسبب كلّ القصص المخيفة التي رويتها لهم عن القوة التي لا تقهر لقنابلي ومدرعاتي، ولأنّني حاولت دائمًا أن أوضّح لهم أنّه لا يمكن للعِرْق الأسود أن يسيطر على العِرْق الأبيض. وعندما يتغلّب الثوار، ويحصلون على مفاتيح البلاد، لن أتمكّن أبدًا من استرداد هذه المزارع والمصانع، وهذا الشاي، وهذا الأرز، وهذا القطن، وهذه القهوة، وهذه الأحجار النفيسة، وهذه الفنادق، وهذه المحلات، وهذه

المعامل، ثمار عرقهم الثمين، كلّ هذه وأخرى سوف أفقدها، لكن الآن أعلم ما يجب عليّ فعله ولذلك عندما أعود مرة أخرى إلى بلادي من الباب الأمامي فمن المحتمل أن أكون قادرًا على العودة إلى هنا من الباب الخلفي، وسيتمّ استقبالي بطريقة جيدة، وسأتمكّن من زرع البذور التي ستضرب جذورًا أكثر قوة من تلك التي زرعتها من قبل.

نادى على عبيده وخدمه المخلصين، علّمهم كلّ الخدع الدنيوية التي يعرفها، بالتحديد خدعة تجميل النهب والسرقة، وخدعة تغليف السمّ بأوراق السّكر والعديد من الخدع لتفريق مزارعي البلاد وعمالها عبر الرشوة والانتماء القبلي والديني. وعندما انتهى من الأمر أبلغهم بأنّه سوف يسافر إلى بيته خارج البلاد.

عندما علم العبيد والخدم المخلصون بأن سيدهم ومولاهم على وشك الرحيل مزقوا ملابسهم ولطخوا أجسادهم بالرمال، وجثوا على ركبهم وهم يصرخون: "كيف يمكنك الرحيل بعيدًا وتركنا هنا كاليتامى، وأنت تعلم بأنّنا أعدمنا الكثير من الناس وارتكبنا الكثير من الجرائم الأخرى باسمك؟ ألم تقسم بأنّك لن ترحل عن هذه الأرض أبدًا؟ كيف لك أن تتركنا تحت رحمة الثوار القوميين؟"

قال لهم مولاهم وسيدهم: "هل إيمانكم ضعيف؟ لا تدعوا قلوبكم تضطرب، يجب عليكم أن تثقوا بالربّ الذي عرفتكم عليه، ويجب عليكم أن تثقوا بي أنا أيضًا مبلّغ إرادته، لديّ العديد من الطرق لتحقيق أمنياتي على هذه الأرض، ولو كان غير ذلك لأخبرتكم كي تتمكّنوا من الهرب، أو ليكون لديكم الوقت الكافي للبحث عن الحبال لشنق أنفسكم قبل أن يقوم الثوار باعتقالكم، لكن الأمر الذي أودّ أن أقوم به الآن هو تحضير مناصب للقيادة من أجلكم، ولأجمع القليل من الفتات الذي كنتم

تجمعونه على مائدتي، سأعود بالكثير من الأموال والعديد من المصارف، وسأجلب لكم العديد من المدرّعات والمسدسات والقنابل والطائرات، لتكونوا معي ولأكون معكم، ولكي نحبّ بعضنا بعضا دائمًا ونتناول الطعام معًا، أنا أشبع من الأطباق الفاخرة، وأنتم تجمعون البقايا النفيسة.

يبدو أنه مع اقتراب عودة الحاكم إلى بيته في الخارج، أرسل دعوات لجميع خدمه وعبيده مرة أخرى ليسلّمهم مفتاح البلاد وليقول لهم: سينخدع الثوار والحشود في هذه البلاد الآن، لأنّكم كلكم سود مثلهم، وسيغنون: "انظروا، الآن شعبنا الأسود يمسك دفّة القيادة انظروا، إنّ شعبنا الأسود يمسك بزمام أمور هذه البلاد، ما الذي كنّا نقاتل من أجله إن لم يكن هذا الأمر؟ لنلقِ أسلحتنا الآن، ونغنّي أناشيد الثناء لأجل قادتنا السود".

بعد ذلك وضع ثروته وممتلكاته في عهدتهم لكي يعتنوا بها ويضاعفوها ويرفعوا من قيمتها، أعطى واحدًا منهم مبلغًا يناهز 500.000 شلن، ولآخر 200.000 شلن، وأعطى ثالثًا 100.000 شلن، لقد أعطى كلّ خادم على قدر خدمته وولائه لسيده، واتّباعه لعقيدته، ومشاركته لتصوراته، بعد ذلك رحل السيد وغادر من الباب الأمامي.

قام الخادم الذي حصل على 500.000 شلن على الفور بشراء أشياء من الفلاحين القرويين بثمن زهيد وقام ببيعها لعمّال المدينة بأسعار باهظة، وبهذه الطريقة حقّق أرباحًا تقارب 500.000 شلن كذلك الخادم الذي حصل على 200.000 شلن ربح المبلغ نفسه حيث اشترى من المنتجين بأسعار زهيدة وباع بأسعار باهظة للمستهلكين، وحقّق ربحاً يناهز 200.000 شلن.

لكن الخادم الذي حصل على 100.000 شلن ظن أنه ذكي، وأعاد النظر في حياته وحياة الشعب، وحياة السيد الذي رحل إلى البلاد الأجنبية للتوّ، وبدأ يتحدث مع نفسه قائلًا: هذا السيد والمولى كان يتفاخر دائمًا بأنّه هو

الذي قام بتطوير هذه الدولة بمفرده بفضل المبلغ الصغير من المال الذي أحضره، ثم بدأ بالصراخ، رأس المال! رأس المال!

الآن، دعوني أرى إذا كان رأس المال هذا سوف يدرّ أرباحًا إن لم يتم ريّه بالعرق، أو بشراء جهد العمال والمزارعين وعرقهم بسعر زهيد، لو أنتج ربحًا وحده، سوف أدرك وبلا شكّ بأنّ الأموال هي التي تجعل الدولة تتقدم. وهكذا ذهب ووضع 100.000 شلن في علبة معدنية، وغطّاها بشكل جيد، وقام بحفر حفرة بجانب شجرة الموز ودفن العلبة هناك.

ثم بعد مرور فترة طويلة، عاد السيد إلى ذلك البلد عبر الباب الخلفي كي يتفقّد الممتلكات التي تركها خلفه، استدعى كلّ خدمه وعبيده لمحاسبتهم على كلّ المبالغ التي منحها لكلّ واحد منهم.

جاء الخادم الذي حصل على 500.000 شلن وقال: "سيدي ومولاي، تركت لي مبلغ 500.000 شلن، وأنا ضاعفته"، اندهش السّيد جدًّا، وتعجّب قائلًا: "الربح ٪100؟ معدل ربح رائع، لقد أحسنت صنعًا، أنت خادم جيد ومخلص، لقد برهنت أنه من الممكن الوثوق بك ولو بالقليل من المال، سأجعلك مراقبًا على الكثير من المشاريع الآن، تعال وشارك سيدك في سعادته ونجاحه، سأعيّنك مديرًا عامًا للفروع المحلية لمصارفي هنا، ومديرًا لبعض الشركات، ستحصل أيضًا على بعض الأسهم الرمزية في تلك الشركات، من اليوم فصاعدًا لن أظهر وجهي كثيرًا، سوف تمثلني في هذه الدولة".

ثم أتى الخادم الذي حصل على 200.000 وقال لسيده: "سيدي ومولاي، تركت لي 200.000 شلن، انظر إلى ذلك المبلغ الذي تضاعف بمبلغ آخر يساوي 200.000 شلن، تكلّم السيد وقال: "رائع، هذا رائع حقًّا، هذا المبلغ المتزايد من الربح! دولة مستقرة للاستثمار فيها، لقد أحسنت صنعًا، أنت خادم جيد ومخلص، لقد برهنت أنه من الممكن الثقة بك بالقليل من الممتلكات،

من الممكن أن أجعلك مراقبًا على الكثير من المشاريع الآن، شارك سيدك سعادته ونجاحه، من الممكن أن أجعلك مديرًا للمبيعات في الفروع المحلية لشركات التأمين، ومديرًا للفروع المحلية لصناعتي الخاصة، ومديرًا للكثير من الشركات التي سوف أعرضها عليك، أنت أيضًا سوف تحصل على بعض الأسهم الرمزية، من اليوم فصاعدًا سوف أخفي وجهي، سوف أقف خلف الكواليس، وسوف تقف أنت عند الباب والنوافذ كي يكون وجهك هو الظاهر دائمًا، ستكون كلب الحراسة لاستثماراتي في بلدك".

بعد ذلك تقدم الخادم الذي مُنح 100.000 إلى سيده وقال: "أنت، يا مولاي وسيدي أحد أفراد العرق الأبيض، وقد اكتشفت خدعك كما تعرفت أيضًا على اسمك الحقيقي، الإمبريالي، ذلك هو اسمك الحقيقي، أنت سيّد وغد، لماذا؟ لأنّك تحصد في مكان لم تزرع فيه أبدًا، تستولي على أشياء لم تَسِلْ ولو قطرة عرق واحدة عليها، عيّنت نفسك موزعًا للأشياء التي لم تساعد في إنتاجها أبدًا، لماذا؟ لأنّك أنت صاحب رأس المال فقط، لذلك قمت بدفن أموالك تحت الأرض لأرى ما إذا كانت أموالك سوف تنتج أيّ شيء من دون تخصيبها بعرقي أو بعرق أيّ شخص آخر، انظر، هذا مبلغ الـ 100.000 شلن كما تركته تمامًا، الآن أعطيك رأس مالك، قم بعدّه وتفقده إن كان ينقصه سنت واحد، الأمر الأهم هو أن عرقي وفّر لي الطعام الذي آكله، والمياه التي أشربها والمأوى الذي أنام فيه، ها! لن أركع أبدًا مرة ثانية أمام إله رأس المال الذي لا ينبض بالحياة، لن أكون عبدًا بعد اليوم، لقد تفتّحت عيوني الآن، لو التحقت اليوم بأيدي من يرغبون في أن يكونوا أسيادًا لعرقهم الخاص فلن يكون هناك أيّ حدود للثروة التي سننتجها لشعبنا ودولتنا".

نظر إليه سيده بنظرة مليئة بالمرارة، وبالكثير من الألم الذي يشعر به في

قلبه، بعد ذلك تحدّث معه: أنت أيها الخادم السيئ والخائن والكسول، أيّها العضو في جماعة المتمرّدين، ألم يكن باستطاعتك أن تضع المال في أحد المصارف أو تتركها في أيدي أولئك الذين يتاجرون بالأموال كي أحصل على القليل من الفائدة عند العودة؟ هل تعلم كم يؤلمني أن تدفن رأس مالي في أحد القبور مثل الجثة؟ من كشف سرّ اسمي؟ من الذي نصحك برفضي، لأنّني أجني في مكان لم أزرع فيه وأحصل على أرباح في أماكن لم أبذل أيّ جهد فيها؟ من قال لك إنّ الحصاد والإدارة ليسا بالعمل الجادّ؟ لا! أنتم أيّها الشعب الأسود عاجزون عن مثل هذه الأفكار الثورية، لا! أنتم أيّها الشعب الأسود عاجزون عن إيجاد سبل لقطع الحبال التي تربطكم بأسيادكم، من المؤكد أن الشيوعيين قد ضلّلوكم، لا بدّ أنكم استقيتم تلك الأفكار الخطيرة من حزب الفلاحين والعمّال، نعم، لقد تسمّم عقلك بالأفكار الشيوعية، أيها الفكر الشيوعي، لقد أصبحت تشكّل تهديدًا حقيقيًا على السلم والاستقرار الذي كان يوجد في هذا البلد بالنسبة لي وبالنسبة لمن يمثلني على المستوى المحلي، الحرّاس المحليون لممتلكاتي. الآن ستشعر بحرارة هذه النيران التي ستجعلك تنسى اسمي إلى الأبد، اعتقلوه الآن قبل أن يقوم بنشر هذه الأفكار السامّة بين العمّال والفلاحين، ويلقّنهم بأنّ قوة الاتّحاد المنظم أقوى من كلّ قنابلي ومدرعاتي، جرّدوه من الأشياء القليلة التي لديه وقوموا بتوزيعها بينكم، لأن صاحب الثروة يُعطي وتزداد ثروته، لكن بالنسبة للإنسان الفقير فسوف يسلب منه حتى أبسط ما يمتلكه، هذه واحدة من أهمّ الوصايا التي أعهد بها إليكم، ماذا تنتظرون أيّها الناس؟ اذهبوا وأحضروا الشرطة والجيش لاعتقال هذا الرجل الذي كانت لديه الوقاحة لرفض العبودية، ألقوا به في السجن أو في الظلام الأبدي، لكي تجني عائلته الدموع فقط والصرَّ على أسنانهم!

جيدا! جيدا! لقد قمتم بعمل جيد أيّها الناس، ألحقوا العقاب نفسه بكلّ المتمردين من أمثاله، لكي يصبح العمّال الآخرون أكثر رعبًا من أن يقوموا بالإضراب من أجل الزيادة في الأجور أو لجلب الأسلحة لتحطيم سلاسل العبودية.

بالنسبة لكم، من الآن فصاعدًا، لن أخاطبكم بالعبيد والخدم أمام الملأ، الآن أنتم أصدقائي الحقيقيون، لأنّه بالرغم من أنني أعدت لكم مفاتيح بلادكم إلا أنكم واصلتم العمل تنفيذًا لأوامري وحماية ممتلكاتي، وجعلتم رأس مالي يدرّ الأرباح أكثر مما كان عليه الوضع عندما كنت أحمل المفاتيح بنفسي، لذلك لن أخاطبكم بالعبيد مرة أخرى، لأنّ الخادم لا يعرف أفكار سيّده وأهدافه، لكن أناديكم بأصدقائي لأنّكم تعلمون - وسوف أسمح لكم - بمعرفة كلّ خططي المرتبطة بهذا البلد، وسأعطيكم بعضًا مما أمتلكه، لكي تصبح لكم القوة والحافز لتهشيم جماجم أولئك الذين يتحدثون عن "الحشود" بكلّ مقاييس الصرامة.

عاش السلام، وعاش الحب، وعاشت الوحدة بيني وبين نوابي المحليين ما هو الأمر الأكثر سوءًا بالنسبة لكم؟ تقومون بالعضّ مرتين، وأقوم بالعضّ أربع مرات، وسوف نخدع الجمعيات الساذجة. عاش الاستقرار من أجل التقدم، عاش التقدم من أجل الربح، عاش الأجانب والخبراء المنفيون".

2

عندما أنهى رئيس مراسم الاحتفال حديثه عن الحكاية الرمزية، وقف كلّ اللصوص والناهبين الذين تجمعوا في الكهف من أجل المنافسة وقاموا بالتصفيق الحار الذي كان يشبه صوت الرعد، وصرخ بعضهم: "ذلك الحذاء مناسب جدًّا للقدم، لا حاجة إلى جوارب"، عندما كان الآخرون يسحبون

قمصان وأكمام بعضهم ويهمسون: "هل سمعتم ذلك؟ الشخص الذي يملك شيئًا سيُمنح له المزيد، رئيس مراسم الاحتفال قال الحقيقة عن الوحدة القائمة بيننا وبين الأجانب، هم يأكلون اللحم ونحن ننظف العظام.

الكلب الذي يملك عظمًا أفضل من الكلب الذي لا يملك شيئًا، لكن لا تخطئوا، إنّه عظم عليه القليل من اللحم. ذلك صحيح فالاشتراكية الإفريقية: أوجاما وأسيلي كيفريكا، ليست على شاكلة اشتراكية نيريري وأصدقائه الصينيين، اشتراكية الجسد الخالص اشتراكية (أوجاما) التي تمنع الشخص من الحصول على عظمه، ونحن لا نريد الطرق الصينية في بلادنا، نحن نريد المسيحية".

طلب منهم رئيس مراسم الاحتفال الجلوس جميعًا، فانخفض صوت الضجيج والتصفيق. كان يبدو أنّ جسده يحصل على تغذية جيدة، فقد كانت وجنتاه دائريتين مثل بطيختين؛ وعيناه حمراوين وكبيرتين مثل برقوقتين، وكان عنقه ضخمًا كجذع شجرة الباوباب، كان بطنه أكبر قليلًا من رقبته، ولديه سنّان ذهبيان في فكّه السّفليّ، وأثناء الكلام يفتح شفتيه كثيرًا لكي تظهر أسنانه الذهبية، كان يرتدي بزّة حريرية تلمع في الإضاءة، ويتغيّر لونها حسب شدة الضوء وزاوية الحزمة الشعاعية. ثم قدّم المزيد من التفاصيل حول المسابقة.

"كلّ متسابق سوف يصعد إلى المنصة، وسيخبرنا عن بدايته في السرقة والنهب والمكان الذي سرقه أو نهبه، وسيخبرنا بعجالة عن أفكاره بخصوص تحسين مهارتنا في النهب والسرقة، لكن الأمر الأكثر أهمية هو كيف يمكِننا تطوير الشراكة بيننا وبين الأجانب حتى نرفع من مرتبتنا في جنة البضائع الأجنبية والمتع الأخرى، أنتم، أيها المستمعون، سوف تقومون بدور القضاة، لذلك لابد أن تصفّقوا لكلّ شخص يلقي خطابًا لكي تظهروا مدى

إعجابكم بخطابه حول الخدع الدنيوية.

الآن، أنا أتحدث بصفتي رئيسًا لفرع منظمة النهب والسرقة الحديثة في إيلموروغ، أطلب منكم أن تُولوا اهتمامكم للآتي: مسابقة اليوم هي حَجَر الشحذ الذي نشحذ عليه أنيابنا ومخالبنا التي تمكننا من أن نقضم ثروات الآخرين بكلّ سلام واتّحاد، لأنه كما تعلمون فالبلاد التي لديها حجر شحذ عند البوابة لن يكون لديها سكين صدئ، وبالتالي، أولئك الذين يخسرون لا يجب أن يشعروا باليأس، بل يجب عليهم مواصلة النهب والسرقة، كما يجب عليهم تعلّم بعض الخدع الجديدة من الفائزين، يجب على الحكيم أن يتعلّم الحكمة أيضًا، الفهْد لا يعرف كيف يفترس باستعمال مخالبه إلا بعد أن يتعلّم ذلك من الراعي.

والآن، قبل أن أجلس سأنادي على زعيم الوفد الأجنبي من المنظمة الدولية للنهب والسرقة الحديثة التي يوجد مقرها الرئيس في نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية، لكي يتحدّث معكم. أظن أنّكم على علم بأنّنا قدّمنا طلبًا للحصول على العضوية الكاملة في المنظمة الدولية للنهب والسرقة الحديثة، إنّ زيارة هذا الوفد، فضلًا عن التي أحضروها لنا، تشير إلى بداية مرحلة مثمرة من التعاون، هناك بعض الخدع التي يمكن أن نتعلّمها منهم، يجب ألا نشعر بالخوف أبدا عندما نعترف بحقيقة أننا لا نملك المعرفة نفسها التي يمتلكها الأجانب، ويجب ألا نشعر بالخجل عندما نشرب من مناهل المعرفة الأجنبية، وبالتالي، دعونا نرسل وابلًا من التضرع والدعاء حتى يسيل اللعاب على صدورنا ونتضرع للربّ بأن ينعم ببركاته على أعمالنا".

دعا رئيس مراسم الاحتفال رئيس الوفد الأجنبي للنهب والسرقة في هذه اللحظة إلى المنصة للتحدث إلى حشود المتسابقين، وكان التصفيق

لزعيم الوفد الأجنبي عندما صعد أدراج المنصة أقوى من دويّ الرعد. ترك رئيس مراسم الاحتفال المنصة لزعيم الوفد الأجنبي، تنحنح الزعيم قبل الشروع في حديثه.

"كان أحد الرجال الأمريكيين هو من قال إن الوقت من ذهب، نحن الأمريكيون نؤمن بالشيء نفسه، العصر عصر المال، لذلك لن أضيّع وقتكم بكثرة الحديث، الحكاية الرمزية التي رواها لنا رئيس مراسم الاحتفال لنا تحتوي على أهم النقاط التي نحتاج لذكرها.

لقد أتينا من عدّة دول مختلفة، بعيدة وكبيرة، من الولايات المتحدة الأمريكية، وإنجلترا، وألمانيا، وفرنسا، ومن الدول الإسكندنافية السويد، والدانمارك، والنرويج وإيطاليا واليابان، الآن، دعونا نتوقف ونفكّر في ذلك، دول مختلفة، لغات مختلفة، وألوان بشرة مختلفة، وديانات مختلفة، لكن منظمة واحدة لديها هدف وإيمان واحد: السرقة.

لقد جئنا إليكم أصدقاء لنا، نعم، جئنا إلى أصدقائنا الذين يمثلون كلاب حراسة على استثماراتنا، الآن، عندما نكون هنا بينكم نشعر أننا في بلداننا، لقد زرنا العديد من الكهوف والأوكار التي يملكها اللصوص والناهبون المحلّيون، ونحن مسرورون بالعمل الذي قمتم به أيّها الناس. وعلى الرغم من أنكم ما زلتم مبتدئين جداً في النهب والسرقة الحديثة إلا أنه يبدو أنكم أدركتم الأساسيات وأتقنتموها بسرعة فائقة. أعتقد أنه لو واصلتم على المنوال نفسه، فسوف تصبحون خبراء في النهب والسرقة الحديثة، مثل نظرائكم في العالم الغربي.

الأمر الذي سنقوم به هو اختيار سبعة تلاميذ، سيصبح هؤلاء وكلاء لوكلائنا، لصوصاً يعلّمون اللصوص الآخرين، لأنّه كما كان يقول لي رئيس مراسم الاحتفال عندما جلسنا جميعًا عند تلك الطاولة: لديكم مقولة

تفيد بأنّه لا يفلّ الحديد إلا الحديد نفسه والمزايا التي ستمنح لهؤلاء التلاميذ السبعة هي كالآتي: عندما يتمّ تتويجهم، لن يمنعوا من الدخول إلى أيٍّ من فروع بنوكنا المحلية وشركات التأمين الخاصة بنا، أو لنقل لن يتمّ منعهم من الفروع المحلية لمصارفنا كافة، أيّ شخص يعرف أيّ شيء عن السرقة الحديثة فإنّه يعلم جيّدًا بأنّ هذه المؤسسات المالية هي التي تحكم أيّ شيء اليوم سواء الصناعات أو أيّ من أنواع المشاريع، إنّ المصارف هي التي تحدّد موقع هذا المشروع وذاك ، وتوسيع هذا المشروع وذاك، وتقوم بإصدار قرارات تخصّ الملكية والنماء، وتقرر ما إذا كان هذا أو هذا المشروع أو ذلك هو ما سيتم إنشاؤه في كاماو أو أونيانغو، وما إذا كان سيتوسع أو يغلق. أقطاب بيوت الأموال هي الأصوات الحاكمة في العالم اليوم، المال يحكم العالم، هذه المصارف أيضًا هي الخزائن الآمنة لوضع الأصول التي استولى عليها الفرد من هنا أو هناك. ومن إحدى مسؤوليات التلاميذ السبعة أن يوضحوا للناهبين واللصوص الآخرين، لا سيما أولئك الذين لا يمتلكون التجربة، أفضل الطرق للنهب والاستيلاء، وأفضل الطرق للأكل والشرب والشخير وأحسن الطرق لإخراج الريح بالطرق نفسها التي يستعملها الأغنياء، والتي تكون بدون رائحة على حدّ قولكم.

الآن، قبل أن أجلس، أودّ أن أترككم بقول عبارات من الحكمة.

أعتقد أنه لا يوجد شخص لا يعلم بأنّ النهب والسرقة هما حجر الأساس للحضارة الأمريكية والغربية، المال هو القلب الذي ينبض لكي يجعل العالم الغربي يتقدم. وإذا كنتم ترغبون، أيّها الناس، ببناء حضارة كحضارتنا، فيجب عليكم أن تركعوا لإله المال، انسوا الوجوه الجميلة لأطفالكم، لأبويكم، لإخوانكم، ولأخواتكم، وانظروا فقط لوجه المال الرائع، ولن تضلوا، لن تخطئوا أبدًا، أن تشربوا دماء شعوبكم وتأكلوا

لحومهم أفضل من التراجع خطوة واحدة إلى الخلف.

لماذا أقول لكم كلّ هذا؟ بسبب تجربتنا الخاصة، ذلك ما قمنا به تمامًا في أمريكا وفي أوروبا الغربية، عندما حاول الهنود الحمر حماية ثرواتهم وممتلكاتهم منا قمنا بمسحهم بالسيف المشتعل والبندقية وتركنا القليل منهم فقط، أرغمناهم على العيش في محميات شاهدا يُذكّر بتاريخنا، وقبل الانتهاء منهم اتجهنا إلى أفريقيا واخذنا منها معنا ملايين من العبيد، إنّ دماء شعوبكم هي التي طوّرت أوروبا وأمريكا حيث نوجد اليوم، لماذا يجب أن أخفي هذه الحقيقة عنكم وقد أصبحتم أصدقائي الآن؟ اليوم، نحن ،اللصوص والناهبين من أمريكا، وأوروبا الغربية، واليابان، قادرون على التجوّل في جميع أنحاء العالم، والاستيلاء على كلّ شيء، على الرغم من ذلك نترك القليل من الفتات لأصدقائنا، لماذا نحن قادرون على فعل هذا؟

لأنّ أسلافنا لم يخافوا من التمرغ في نهر دماء عمالهم وفلّاحيهم ودماء عمّال البلدان الأخرى. اليوم، نحن نؤمن بديمقراطية النهب والسرقة، إذا شئتم أن تحبونا، اشنقوا مشاعر التعاطف التي تمتلكونها عن أغصان الأشجار، ولن تصابوا بالرعب أبدًا من عمّالكم وفلاحيكم، لكن كما قال رئيس مراسم الاحتفال، يتوجّب عليكم أن تخدعوهم أولًا بكلمات وخطابات منمقة، ما هي الصورة التعبيرية التي استعملها رئيس مراسم الاحتفال؟ آه، نعم، يجب عليكم أن تغلفوا السمّ بأوراق السكر، لكن إذا بدوا بأنهم متعنتون مثل الخادم السيئ الذي جاء في الحكاية الرمزية، والذي ظنّ نفسه أذكى من سيده، فإنه يجب عليكم سحقهم في الوحل بمسامير أحذيتكم.

أخيرًا يجب عليكم تطوير حرفة السرقة، وسنساعدكم للدفاع عنها بكلّ الأسلحة المتاحة بين أيدينا، هذه هي رسالتنا، وليكن الحظ السعيد حليف أعمالكم".

عندما جلس زعيم الوفد الأجنبي، أصيب الكهف كله بالارتباك وانطلقت الصيحات والتصفيقات الحادة: الحذاء ليس بحاجة إلى الجوارب! لا يحتاجها، إنّه يناسب القدم تمامًا، إنّه مصنوع خصيصًا للقدم، هذا الأجنبي يعرف حقًّا كيف يصنع أحذية تناسب القدم.

عزفت فرقة زبانية جهنم الموسيقية أحد الألحان، بينما كان الحاضرون يتسامرون ويشربون، وآخرون يربتون على أكتاف بعضهم بحماس، وبعضهم الآخر يقبّلون عشيقاتهم، لم يكن للحن إيقاع ثابت، كان يشبه الترنيمة أو النشيد وبعد دقائق قليلة، استدار الجميع إلى الفرقة الموسيقية، وبدأ الجميع يغنّون كأنهم في كنيسة:

وصلت أخبار سعيدة
إلى بلادنا
وصلت أخبار سعيدة
حول مخلصينا

3

استدارت وارينغا إلى غاتويريا وسألته: "هل من الممكن أن يكون هؤلاء الناس الذي يرتدون هذه البزّات الغالية ناهبين وسارقين حقيقيين؟".

أجاب غاتويريا: "لا أعلم ماذا يجري حقًّا"، قالت وانغاري: "إنّهم لصوص، بالطبع إنّهم لصوص"، أضاف موتوري "لصوص معاصرون".

قالت وارينغا وهي تلتفت إلى المكان الذي يجلس فيه اللصوص الأجانب: "أولئك الأجانب لهم بشرة حمراء جدا".

سألت وانغاري: "ألم تسمعوا ما قاله زعيمهم؟"، بعد ذلك همست: "لأنّهم

يشربون دماء أطفالهم وأطفالنا".

قال موتوري: "ولأنهم يغتسلون بها"، كان كلٌّ من وارينغا، وغاتويريا، وموتوري، ووانغاري، ومواؤرا يجلسون حول إحدى الطاولات في آخر الكهف، لذلك، كلما أرادت وارينغا أن تحصل على رؤية أفضل، كان يتوجب عليها أن تمدّ عنقها.

كانت الطاولة التي يشغلها الأجانب في مقدمة الكهف في إحدى جانبَي المنصة، وأمام المنصّة توجد طاولة صغيرة ذات أرجل طويلة يقف خلفها كلّ متحدث، أما أفراد فرقة زبانية جهنم الموسيقية يتواجدون على الزاوية اليسرى في الخلف من المنصة.

كان المقعد المخصص لزعيم الوفد الأجنبي أعلى من بقية المقاعد الأخرى على يمينه يجلس ثلاثة أجانب، وعلى يساره ثلاثة آخرون، عندما حدّقت فيهم، لاحظت وارينغا أن بشرتهم حمراء جدًّا مثل الخنازير، أو مثل جلد شخص أسود سُلخ بالماء الساخن أو الذي حرق نفسه بمراهم حمضية، حتى الشعر الذي يوجد على أذرعهم وعلى رقابهم كان خشنًا ومستقيمًا مثل شعيرات خنزير مسنّ، كان لون شعر رؤوسهم بنّيًا مثل لون فرو الخُلد، وطويلًا يصل إلى أكتافهم كأنه لم يُقص أو يُحلق منذ الولادة، على رؤوسهم يعتمرون قبعات تشبه التيجان، كلّ تاج مزخرف بسبعة قطع معدنية على شكل قرون تشعّ بلمعان يعمي العيون، وكلّ التيجان متشابهة، لكن تاج الزعيم أكبر قليلًا من التيجان الأخرى، وكانت أطراف القرون مزيّنة بالحروف الأولى لكلّ بلد جاء منها كلّ عضو من الوفد.

كانت هناك اختلافات في البزات التي يلبسونها، فقد كانت البزّة التي يلبسها الزعيم مصنوعة من الدولارات، الإنجليز من الجنيهات الاسترلينية، والألمان من المارك، والفرنسيون من الفرانكات، والإيطاليون من الليرات،

والاسكندينافيون من الكورونات، والنواب اليابانيون من الين، وكانت كلّ بزّة مزيّنة بعدّة أوسمة كالتي يضعها الكشّافة، والأوسمة مصنوعة من المعدن، وتضيء وتنطفئ مثل إضاءة لوحات الإعلانات، وتبرز الحروف التي حفرت عليها، وكلّ وسام يحمل شعارًا أو شعارين مثل: المصارف الدولية؛ المصارف التجارية الدولية؛ المصارف الاستثمارية الدولية؛ مشاريع التأمين لابتلاع الأموال، الملتهمين الصناعيين للمواد الخام، الصناعات الرخيصة للتصدير إلى الخارج؛ تجّار الجلود البشرية؛ قروض بالفائدة، المساعدة بالأسلاك الحديدية؛ أسلحة فتّاكة؛ تجميع المركبات من أجل المتع الفارغة في الوطن ومن أجل المزيد من الأرباح في الخارج؛ كلّ المنتجات الجميلة والمبهرجة ليبقى الحمقى أسرى العبودية، كونوا رقيقًا من أجل الراحة، تاجروا معي؛ وأوسمة عديدة أخرى للنخوة الفارغة.

كانت الطاولة التي يجلس عندها كلٌّ من غاتويريا، ووارينغا، وموتوري، ووانغاري وومواؤرا بعيدة قليلًا عن المكان الذي يجلس فيه مويريري وا موكيراي، لذلك لم يروا سوى أعلى رأسه فقط. في الليلة الماضية، عندما كانوا متوجّهين إلى إيلموروغ، قرّروا كلُّهم الاجتماع في الاحتفالية ليشهدوا المسابقة بأنفسهم، كان مويريري وا موكيراي هو من زوّدهم بالدعوات الأصلية، لأنّه ممنوع على أيّ شخص الحضور إلى الكهف من دون دعوة، لكن بدا الأمر على هذا النحو، عندما التقوا صباح الأحد عند الساعة العاشرة، وجدوا الحرس عند الباب، والذي طلب منهم رؤية بطاقات الدعوة قبل دخولهم إلى الكهف.

أكان المكان كهفًا أم أحد المنازل الفخمة؟ كانت الأرضية ناعمة كأنّها تُلمّع باستمرار، ناعمة جدًّا، وفي الحقيقة عندما ينظر أحدهم إلى الأرضية فإنه يمكن أن يرى وجهه ينعكس عليها، والسقف يلمع بالدهان المطلي،

والثريات تشبه عناقيد فواكه زجاجية معلقة في السقف، كانت مزخرفة بالأوراق اللامعة من كلّ ألوان الطيف، ومزيّنة أيضًا بالأشرطة الورقية، فضلا عن البالونات التي كانت بدورها ذات ألوان متعددة، خضراء، زرقاء، بنية، حمراء، سوداء، بيضاء، وبنية دكناء.

كانت النادلات ينتقلن من طاولة لأخرى ويتلقّين طلبات المشروبات، كنّ يرتدين كلّهن بدلات أنيقة من الصوف الأسود وكانت البدلات مناسبة لأجسادهن، فقد كانت تلتصق بها بشكل ضيّق جدًّا لدرجة أن من يراهن من مسافة بعيدة يعتقد أنهن عاريات، كما ثُبّت على أردافهن بعض اللاصقات البيضاء الصغيرة على شكل ذيول الأرانب، وعلى أثدائهن ثُبتت فاكهتان صغيرتان من البلاستيك، كانت كلّ فتاة تضع رباطًا حول رأسها كتب عليها بالإنجليزية أحبك وبدَوْن كأنّهنّ أشباح من عالم آخر.

كانت وارينغا تشرب الويسكي مع الصودا، اختار كلٌّ من غاتويريا، وموتوري، ومواؤرا الجعة (توسكر)، وطلبت وانغاري مشروبًا باردًا، فانتا، دفع كلٌّ من موتوري وغاتويريا حساب الفاتورة.

بالتأكيد كانت احتفالية حقيقية، وكانت الأوامر في ذلك اليوم هي اشرب حتى الثمالة؛ متّع نفسك ببعثرة الأوراق النقدية، كانت مناسبة أعجبت غالبية المتسابقين، إذ سنحت الفرصة، الآن، لكلّ شخص بأن يعرض ثروته، كثير منهم رغبوا بطلب أعداد سخية من المشروبات ليظهروا كرمهم، زجاجات ويسكي كبيرة، وفودكا، ونبيذ براندي وجن أو صناديق كاملة من الجعة لكلّ ضيف من الضيوف، أولئك الناس سوف يعضّون على شفاههم من الغضب إذا سمعوا بأنّ أحدًا من الذين يجلسون حول الطاولة التي يتحلّقون حولها قام بطلب المشروبات الكحولية بالجرعة أو جعة بالقارورة، لأنّ الكحول بالجرعة الصغيرة أو الجعة بالقارورة، هو أمر غير مقبول على

العموم، وهو أسلوب الشرب لدى الفئة الوضيعة.

كان الكثيرون يتأبّطون أذرع فتيات شابات -بنات الهوى- اللواتي كنّ يرتدين مجوهرات ثمينة، كاللؤلؤ، وأطواقًا من الياقوت حول أعناقهن والخواتم الفضية والذهبية في أصابعهن، وبدا أن النساء في الكهف يرتدين ملابس على الطريقة الاستعراضية من أجل عرض الأحجار الثمينة، لم يطلب الرجال لصديقاتهم سوى الشمبانيا، وتبجحوا قائلين: "اتركوا الشمبانيا تفور وتتدفّق مثل نهر رويرو، إن لم نتمكّن من شربها كلّها فسوف نستحم بها".

سألت وارينغا غاتويريا: "متى سيبدؤون؟"

أجاب غاتويريا: "إنهم يستعدون ".

كانت وانغاري تقلّب العديد من الأشياء في ذهنها: "أنا محظوظة جدًّا، أُطلق سراحي بالأمس فقط بعد ما قلت للشرطة إنني سأبحث عن أوكار اللصوص والناهبين لكي أتمكّن من القيام بواجبي في خدمة البلاد بصفة عامة، كأنني كنت أعرف كلّ شيء عن هذه الاحتفالية، يا له من حظ! عثرت على الوكر بعد مرور أربع وعشرين ساعة فقط، أليس هؤلاء الأشخاص هم الأشرار الذين تجمعوا هنا في الكهف مع أصدقائهم من الخارج؟ لو اعتقلتهم الشرطة جميعًا ووضعتهم في السجن، لن تكون هناك أيّ سرقة أو نهب في إيلموروغ، وسوف يتخلّص البلد من كلّ آكلي لحوم البشر؟ سأنتظر لأسمع ما يقولون، سأعرف خططهم، وعندما أذهب لمقابلة المفتش غاكونو وشرطته، سيكون لديّ الكثير من الأدلّة، ألاحظ أن موتوري يشاهد كلّ شيء، ويستمع إلى كلّ الكلام، ولا يودّ أن يفوّت ولو كلمة واحدة، أتساءل ما إذا كان سيساعدني في تقديم الأدلة؟"

فكّرت في طلب المساعدة منه، لكنها أحجمت عن ذلك، بدأ قلبها ينبض على وقع إيقاع الأغنية التي غنّتها في حافلة مواؤرا ماتاتا ماتامو

ليلة أمس:

تعالوا فرادى وجماعة

وشاهدوا منظرنا

ونحن نطارد الشيطان

وكلّ أتباعه

تعالوا فرادى وجماعة

بدأت الفرقة الموسيقية تعزف لحنا كونغوليًا:

Babanda nanga bakimi na mobali[9]

Mobali oyo toto ya matema

Nakei koluka mobali nangae....

خطرت فكرة في ذهن موتوري، التفت إلى مواؤرا وسأله بصوت خافت: "مواؤرا ما علاقتك بالقتلة الذي يلقّبون أنفسهم زبانية الشيطان؟ "

بدا مواؤرا كأنّ أحدهم غرزه بإبرة ساخنة جدًّا: "كيف علمت بذلك؟ كيف علمت بذلك؟" وعيناه يملؤهما الخوف.

لكن في تلك اللحظة توقّفت الفرقة الموسيقية عن العزف، وتوقّف كلّ الضجيج، عمّ صمت تامّ في الكهف، التفت الجميع إلى المنصّة.

أوشكت المنافسة على البدء.

---

9 ارتأى المؤلف ترك هذه الأغنية باللغة السواحيلية في العمل الأصلي. م.

4

تقدّم أول المتنافسين ووقف خلف المنصة، نظر اللصوص بعضهم إلى بعض في فزع.

كانت البزّة التي يرتديها هذا المتسابق، "نابير وهو اسمه عند التعميد"، تبدو مهلهلة ومجعّدة، ولا يبدو عليها أنها مُسّدت أو كُويت من قبل. كان المتسابق طويلًا ونحيفًا، لكنّ عينيه كبيرتان تشبهان مصباحين كهربائيين معلّقين على شجرة طويلة وهزيلة من الأوكاليبتوس، كانت ذراعاه طويلتين، ويؤرجحهما هنا وهناك من دون أن يعرف ماذا يفعل بهما، هل يضعهما في جيوبه؟ أم يحافظ عليهما بشكل مستقيم مثل الجندي الذي يقف باستقامة بوضع الاستعداد؟ أم يقوم بطيّهما مثل الشخص الذي يشعر بمزاج سيئ، جرّب كلّ الوضعيات على التوالي، قام بحكّ رأسه، وطقطقة أصابعه، في نهاية الأمر اختار أن يطوي ذراعيه عبر صدره، وأن يضحك قليلًا لكي يبعد الخوف الذي يشعر به على المنصّة عندما بدأ قصته.

اسمي هو ندايا وا كاهوريا، إذا كان يبدو عليّ بعض الارتباك والإحراج فذلك يعود إلى أنه لم يسبق لي أن وقفت أمام حشد كبير من الجمهور كهذا، لكنّ هاتين اليدين اللتين تنظرون إليهما، ومدّ يديه لكي يعرض راحتَي يديه وأصابعه، هاتين اليدين اللتين تشاهدونهما الآن، اعتدت أن أدسّها في جيوب الناس، لو انزلقت هذه الأصابع في جيوبكم، أؤكّد لكم بأنّكم لن تشعروا بها، لا أعتقد أن هناك لصًّا في هذه المنطقة يستطيع أن يتقدّم إلى هنا لكي يعلمني كيف أخطف محافظ السيدات في الأسواق أو الحافلات، وكيف أضع الفخاخ لدجاج الناس في القرى.

لكن بحق الرّب في السماء بل أقسم بحقيقة الحقائق بأنني أسرق لأنني أشعر بالجوع، ولأنني أحتاج إلى ملابس، ولأنّني عاطل عن العمل، وأنّه

ليس لديّ أيّ مكان أضع عليه هذا الرأس الصغير في الليل، فضلًا عن ذلك، ولكي أبرهن على مهارتي في السرقة، دعوني أعرض عليكم بعض الطرق في سرقة الدجاج في القرى.

يبدو أن خوف ندايا وا كاهوريا من المنصّة بدأ يتبدد، الآن وراح يسرد الآن كيف كان يحفر بعض الثقوب في حبوب الذرة، ويربط بينهما بواسطة خيط من النايلون ويرمي الحبة للدجاج، بينما هو يمسك الخيط في الطرف الآخر ويقوم بالغناء لتشجيعهم بهذه الطريقة: كورو كورو كورو. كورو كورو كورو. كورو كورو كورو، وبين الفينة والأخرى، كان ينحني على المنصّة، ويؤرجح ذراعيه هنا وهناك، كأنّه يشاهد الدجاج حقًّا أمامه ويصرخ في وجوههم: كورو كورو كورو. كورو كورو كورو. لكن قبل أن يتمكّن من إنهاء قصته، بدأ بعض الضيوف بالصراخ والتذمّر، بينما قام الآخرون بالصفير للتعبير عن اشمئزازهم من العرض الذي قدمه ندايا وا كاهوريا على المنصّة، قام الآخرون بالضرب على الأرضية بأقدامهم وبالصياح: يا لوضاعة هذا اللص!، بقصصه الغريبة، كيف سمح له بسردها هنا؟

قفز رئيس مراسم الاحتفال إلى المنصّة وطلب من الجمهور الهدوء، خاطب الجمهور وذكّرهم بأنّ هذه مسابقة للصوص والسارقين، الحقيقيين منهم والمقصود بذلك، أولئك الذين يستجيبون للمقاييس العالمية، إنّ قصص الأشخاص الذين يكسرون الأقفال في أكواخ القرى أو خطف محفظات النقود من السيدات القرويات الفقيرات كانت قصصًا مخزية في نظر الخبراء الحقيقيين في النهب والسرقة، والأسوأ من هذا أن تسرد هذه القصص على مسامع الخبراء الدوليين في النهب والسرقة، لم يقطع الأجانب كلّ هذه المسافة ليتعرّفوا على أولئك الذين سرقوا بسبب الجوع أو بسبب احتياجهم للملابس والعمل، هؤلاء اللصوص والناهبون الأدنياء كانوا

مجرمين، ونحن هنا، في هذا الكهف، نهتمّ بالأشخاص الذين سرقوا فقط، لأنّ بطونهم ممتلئة، كما قال رئيس مراسم الاحتفال، وهو يربّت على بطنه.

لقد تخلّص ندايا وا كاهوريا من كلّ الخوف والخجل، حدّق في رئيس مراسم الاحتفال وخاطبه بصوت جهوري: اللص هو اللص، يجب ألا يتمتّع بعض اللصوص بامتيازات خاصة، اللصّ هو اللصّ، الدافع غير مهم، يجب السماح لنا جميعًا بالمشاركة في هذه المنافسة وأن نتنافس بكلّ حرية، فاللصّ هو اللصّ.

ارتفعت أصوات جموع السارقين واللصوص من كلّ جوانب الكهف، اعتراضا بشكل متصاعد، كان بعضهم يصرخ بغضب: "قل له أن يبتعد ببدلته الرخيصة تلك عن منصة يملكها رجال يعرفون تجارتهم جيّدًا، ندايا وا كاهوريا، لا نريد أن نشاهد قصبة تهتزّ مع الريح، دعوه يرتجف في الرياح خارجًا، ارموه خارجًا، بإمكانه أن يأخذ مهارته في سرقة الدجاج إلى نجيروكا، يا رئيس مراسم الاحتفال، قم بواجبك، إن لم تستطع القيام بذلك، أخبرنا، وسنجد البديل المناسب لمعالجة الموقف".

نظر رئيس مراسم الاحتفال إلى الحرس الموجود عند الباب، فتقدّموا إلى الأمام جريًا ووهم يلوحون بهراواتهم في الهواء، واقتادوا ندايا وا كاهوريا نحو الباب، على الرغم من احتجاجه على التمييز، طُرد ندايا وا كاهوريا من الاحتفالية، صفر اللصوص والناهبون الآخرون وضحكوا فرحا، فأشار إليهم رئيس مراسم الاحتفال بالهدوء مرة أخرى، ثم تحدّث بعد ذلك.

هذه منافسة عالمية في النهب والسرقة، وذلك يعني الناهبين واللصوص الذين وصلوا إلى المستوى العالمي، ولذلك لا نريد أيّ مبتدئين أو هواة يأتون إلى هنا ويضيعون وقتنا، الوقت كالسيف، وكلّ وقت يسرق الوقت الآخر.

لذلك، دعونا نتّفق حول القواعد التي تحكم هذه المنافسة من الآن

فصاعدًا، إنّ سبب تجمّعنا اليوم هنا ليس بسيطًا كما يظن بعضكم، كما أنها ليست مسألة فكاهية، أنا أقول إنّ من يسرق المئات أو الآلاف لا يكلّف نفسه عناء القدوم إلى هذه المنصّة، لأنه سوف يستنفد صبرنا من دون أيّ فائدة.

لاقت كلماته قبولًا وترحيبًا وتصفيقًا حارًّا.

هذه هي أول قاعدة، تصفيقكم، الذي هو بطبيعة الحال عفوي وصادق، هو إشارة نعتمدها بالإجماع. هنا، نريد هنا أن نشاهد الناهبين واللصوص الذين جلسوا، ولو لمرة واحدة، لعد ملايينهم وجمعها وأن نستمع إليهم.

القاعدة الثانية هي كالآتي: يُمنَع أيّ شخص لا يمتلك كرشًا كبيرة وخدودًا ممتلئة من القدوم إلى هنا لإضاعة وقتنا، من يستطيع أن يجادل بأنّ حجم بطن الإنسان وخدّيه ليسا مقياسًا حقيقيًا لحجم الثروة التي يمتلكها؟!

صفّق له الحضور تصفيقًا حارًّا، أولئك اللصوص الذين يتفاخرون بكروشهم، أما أولئك النحفاء فقد استنكروا حديثه، انقسمت الحشود داخل الكَهف إلى قسمين، وتطوّر الجدال الساخن بين البدناء والنحيلين.

قفز أحد الأشخاص النحيلين على قدميه لكي يتملص كلّيًا من القاعدة الثانية، كان غاضبًا جدًّا لأنّ تفاحة آدم كانت تصعد وتنزل عندما يسرع جدًّا في الكلام، ناقش قائلًا: "على الرغم من تمتّع العديد من السارقين واللصوص بكروش كبيرة وخدود ممتلئة تتغذى على الثروات إلا أن يوجد الكثير من اللصوص والناهبين الذين يعانون من بطون غائرة وخدود جوفاء، لأنّهم كانوا منشغلين دائمًا بالمسائل التي يطرحها حجم ثروتهم، نعم، المسائل التي يطرحها حجم الثروة ذاتها"، قال ذلك الرجل ثم أضاف: "لكَن ذلك لا يعني بأنّهم ليسوا خبراء في النهب والسرقة، لا يجب التمييز ضدّ أيّ رجل بسبب نحافته، لا يمكنه أن يدمج أيّ بطن إضافي في معدته،

أو يقترض البطن المنفوخة من زوجته الحامل لكي يتمكّن من المشاركة في هذه المسابقة، كونك نحيفًا يختلف تمامًا عن كونك مصابًا بالنحافة عن طريق سوء الحظ، وليس عدلًا أن تحكم على البطل من حجم عضلاته"، أنهى الرجل كلامه ثم جلس، صفّق له النحفاء بحرارة، وصرخت عشيرة البدناء عند جلوسه.

تعالى الصياح عندما قال أحد البدناء بصوت عالٍ إنّ الشخص الذي تحدث للتوّ كان هزيلًا مثل ندايا وا كاهوريا، وقف الرجل الذي تعرّض للإساءة وسأل بكلّ مرارة: "من يلقّبني بندايا وا كاهوريا؟ من يناديني بالحقير؟ من يسيء إليّ عندما يقارنني باللص الذي يتعامل بالمئات أو الآلاف؟ فليتقدم للأمام، فليتقدّم للأمام، وسأتعارك معه بالأكفّ، وأعلمه أنني أسرق بالملايين".

وقف رجل ليس بالبدين ولا بالنحيف، فضّ النزاع بقوله: "فلنتجاهل مسألة النحافة والبدانة، البياض، والسواد، الطول والقصر، لا يوجد أيّ طائر جارح حجمه صغير جدًّا فيما يتعلق بالصيد، أيّ شخص يشعر بأنّ لديه المؤهلات التي تمكّنه أن يأخذ ما يأخذه الطير الجارح، فليسمح له بالتقدم والتنافس مع الجوارح المفترسة، يجب أن يلتقي الجارح مع الجارح في ميدان المعركة لتبديد الشكوك حول من يجتذب الطريدة بالتهام أرزاق الآخرين، انظروا إلى ضيوفنا الأجانب فقط، بعضهم بدين وبعضهم نحيف، بعضهم لديه شعر أحمر؛ وشعر بعضهم الآخر بدرجة أخرى من اللون الأحمر، قَدِم واحد منهم من اليابان في آسيا، وقَدِم الآخرون من أوروبا؛ أما زعيمهم فقد قدم من أمريكا، وما يجعلهم ينتمون إلى فئة عمرية واحدة، ومنزل واحد، وقبيلة واحدة، وحبل سرّي واحد، هو نوع واحد لا يعني النحافة أو البدانة نفسها، أو اللغة. لا، إنّ ما يربط بعضهم ببعض، يوحّدهم أفرادا

ينتمون إلى عشيرة واحدة، هو السرقة التي سمحت لهم بنشر أذرعهم في جميع أنحاء العالم مثل النبات الزاحف الذي يزحف في جميع أنحاء الحقل، وبالتالي نحن، كلاب حراستهم، ننتمي إلى الحبل السري نفسه، والفئة العمرية نفسها، وإلى منزل واحد، وعشيرة واحدة، ونوع واحد. نحن الذين اجتمعنا هنا اليوم، سواء كنا ليو، أو كالنجين، أو كامبا، أو سواحيلي، أو ماساي، أو كيكويو، أو مبالوهيا، جميعنا إخوة في السرقة والنهب، مرتبطون ببعضنا عبر ارتباطنا بهؤلاء الخبراء الأجانب، يا رئيس مراسم الاحتفال! نحن ننتمي إلى منظمة واحدة، فلنبقَ متّحدين دائمًا، يتوجّب علينا أن نضع جانبا شرطَي الدين والقبيلة عندما يتعلّق الأمر بالأشخاص الذين نسرقهم لكي لا يتمكّنوا من تأسيس منظماتهم القوية والمتّحدة وتطويرها لمجابهتنا. أيّها الناس، النيران الموقدة جدًّا من الممكن أن تحرق اللحم الذي يسيل شحمه على ألسنة اللهيب".

عندما أنهى خطابه، قاموا بتحية الرجل بالكثير من التصفيق الذي جعل سقف الكهف وجدرانه ترتجف، مرحى! مرحى! شخص يُدعى دانييل جاء للحكم! صاح بعضهم وكانوا مسرورين جدًّا بعبارات الرجل.

بعد نقاش وجيز اتّفقوا على أن حجم الشخص، وزنه، وديانته، وقبليته، ولون بشرته لا تعتبر معايير للدخول في المنافسة، وأنّ الجميع سوف يسمح لهم بالتنافس على أساس مدى المكر والمهارة في النهب والسرقة، لكن بسبب الحاجة إلى إقصاء الهواة والمبتدئين، تمّ الاتّفاق على القواعد الآتية:

قاعدة 1: يجب أن يقدّم كلّ متسابق اسمه.

قاعدة 2: يجب على كلّ متسابق أن يقدّم عنوانه.

قاعدة 3: يجب على كلّ متسابق أن يكشف عدد نسائه

الزوجات أو العشيقات.
قاعدة 4: يجب على كلّ متسابق أن يقدّم معلومات عن نوع السيارة التي يقودها، ونوع سيارة زوجته، ونوع السيارات التي تقودها عشيقاته.
قاعدة 5: يجب على كلّ متسابق أن يقدّم معلومات موجزة عن تاريخه المهني في النهب والسرقة.
قاعدة 6: يجب على كلّ متسابق أن يقدّم سبل زيادة النهب والسرقة في الدولة.
قاعدة 7: يجب على كلّ متسابق أن يقدّم سبل تقوية الروابط بيننا وبين الأجانب.
بعدما انتهى رئيس مراسم الاحتفال من تقديم القواعد جلس في مقعده وسط تصفيق حاد.

قال مواؤرا لموتوري: "أودّ أن أدخل إلى هذه المسابقة"، سأل موتوري مواؤرا: "هل أنت لص؟"، ردّ عليه مواؤرا: "في رأيك من أين حصلت على نقودي؟"، ثم بدأ يضحك كأنّه كان يمزح فقط، لكنه فجأة تذكّر السؤال الذي طرحه عليه موتوري في البداية، والذي كان يتعلّق بزبانية الشيطان، تبدّدت ضحكته، التفت إلى وانغاري وسأل نفسه: "هل تعرف (وانغاري) أيضًا الشيء الذي عرفه موتوري عني؟".

جلست وانغاري في هدوء حائرة بين الشجاعة ومرارة الكراهية، أرادت أن تقف وتسكت الكهف بأكمله بالاتّهامات والشتائم، لكنّها تذكّرت قرارها بوجوب تحمّل الاحتفالية بكلّ صبر كي تجمع أكبر عدد ممكن من الأدلّة لشرطة إيلموروغ، أغلقت أذنيها لمدّة دقيقتين تقريبًا حتى

لا تسمع الثناء والإعجاب المتبادل بين اللصوص والناهبين عندما قدّموا التحية لرئيس مراسم الاحتفال بالتصفيق الجنوني المحموم.

وفجأة شعرت وانغاري كأنّها نقلت إلى حافلة مواؤرا الصغيرة، حيث كانت تجلس الليلة الماضية، سمعت صوت مويريري وا موكيراي يهدهدهم للنوم بسرد قصة الرجل الذي أوشك على السفر إلى دولة بعيدة، والذي استدعى خدمه الذين منحهم خمس مواهب، وموهبتين، ثم موهبة واحدة، قام الشخص الذي حصل على خمس مواهب بالتجارة بالمواهب نفسها وربح ضعف المبلغ، الشيء نفسه حصل مع الشخص الذي حصل على موهبتين، هو أيضًا ربح ضعف المبلغ، لكن الشخص الذي حصل على موهبة واحدة حفر الأرض ودفن أموال سيده، بعد مرور مدة طويلة، عاد سيد أولئك الخدم، وبدأ بتصفية حسابه معهم، وإنّ الشخص الذي حصل على... مواهب...

شهادة غيتوتو وا غاتنغورو

إنّ ما يلي هي أشياء كشفها غيتوتو وا غاتنغورو، وتتعلّق بالسرقة والنهب الحديث. كان غيتوتو يملك كرشًا ناتئًا إلى الأمام إلى درجة أنّ بإمكانها ملامسة الأرض إن لم يتمّ دعمها بالأحزمة التي كانت ترفع سرواله، يبدو أنّ كرشه امتصّ جميع أطرافه وكلّ أعضاء جسمه، لم يكن لدى غيتوتو رقبة، على الأقلّ لم تكن رقبته مرئية، كانت ذراعاه وساقاه قصيرات جدًّا، ورأسه انكمش ليصبح بحجم قبضة اليد.

في ذلك اليوم كان غيتوتو وا غاتنغورو يرتدي بزّة سوداء وقميصًا أبيض مكشكشًا، وربطة عنق على شكل فراشة سوداء تبدو أنّها ملتصقة بذقنه، وتواجد في المكان الذي يفترض أن توجد فيه رقبته، كان عكازه مزخرفًا بالذهب

الخالص، وعندما يتحدّث يمسّد على طرف كرشه بيده اليسرى، ويحرّك عكازه بيده اليمنى، ويلهث عند الحديث مثل شخص يحمل وزنًا ثقيلًا.

قدم غيتوتو وا غاتنغورو شهادته كالآتي:

اسمي غيتوتو وا غاتنغورو وهو اسمي التقليدي، أما اسمي الأجنبي أو اسمي المسيحي الذي عُمّدت به هو روتنبورو غراوند فليش شيتلايد نارو إيسموث جونيت ستوك براون. عندما يسمع الأوروبيون اسمي الكامل فإنّهم يجزعون في البداية، ثم ينظرون لي باستغراب مرة بعد أخرى، بعضهم يهزّ رأسه، وآخرون يضحكون فورًا، فلم يسبق لهم أن سمعوا بمثل هذا الاسم الغريب على الإطلاق، أيّها الناس، إنّ الأوربيين يخافون مني حقًّا.

أما بالنسبة لشؤون الأسرة، فأنا الأكبر سنًّا، لديّ زوجة واحدة وخمسة أبناء، ثلاثة أولاد وابنتان، أحد الأبناء أنهى دراسته في كلّ الجامعات في أفريقيا، وذهب الآن إلى الخارج لكي يكمل عمله الفذّ هناك. والابن الثاني حصل على مقعد في الجامعة=. أما ابني الثالث وابنتاي فلايزالون في المدرسة يكافحون مع الكتب والأقلام، كنت أقول دائمًا إنّه يجب أن يحصلوا على التعليم الذي كنت سأحصل عليه أنا بنفسي لو كان والدي يملك المكر نفسه الذي أمتلكه الآن، كلّهم يذهبون إلى مدارس كلفتها عالية جدًّا، ذلك النوع من التعليم الذي يحصل عليه الأوروبيون، حتى طاقم التدريس في تلك التي يذهبون إليها كلهم أساتذة أوروبيون.

لكن قبل أن أنتهي من هذه الشؤون، أودّ أن أذكر فضلًا عن زوجتي التي اجتمعت وإياها زوجا وزوجة في كنيسة توغوتو لديّ عشيقتان، لأنكم تعرفون المثل القائل إن من يملك بعض الأشياء الاحتياطية لا يجوع أبدًا، وعندما يشيخ الأوروبّي يحبّ أكل لحم العجل.

ربما ينظر بعضكم إلى كرشي الصغير هذا، وعندما ترون كيف يتدلّى، وعندما تسمعونني ألهث، ربما تسألون أنفسكم: كيف يسيّر غيتوتو ابن غاتنغورو أمر زوجة واحدة وعشيقتين صبيتين؟ يا أبناء أمتي، أودّ أن أسأل هؤلاء المشكّكين هذا السؤال: لماذا نسيتم أمثالنا؟ عندما يعدّ الراقص نفسه للعرض، يكون هو الشخص الذي يعرف كيف سيرقص، إنّ الفيل قادر على حمل أنيابه مهما كان حجمها، ثم إنّ أيّ شخص قادر على مقاومة المال لا يمكن لأيّ بشَريّ إنقاذه.

بالنسبة لعنواني، بيتي الحقيقي هنا في مرتفعات غولدن، إيلموروغ، أسمّيه بيتي الحقيقي لأنه المكان الذي يعيش فيه أبنائي وزوجتي، وهو بمنزلة مقرّي الرئيس، لكن لديّ العديد من المنازل الأخرى في نيروبي، ناكورو ومومباسا، فأنا لا أشعر بالسعادة عند الإقامة في الفنادق أبدًا. عندما أكون في مهمة تهريب أحبّ أن أقضي الليلة في منزل يحمل اسم غيتوتو وا غاتنغورو، بالطبع، تلك المنازل معروفة لدى أمّ أبنائي، لكن لديّ أوكار خاصّة أخرى قليلة في نيروبي، تلك الأوكار تخصّ عشيقاتي.

وفيما يتعلّق بسيارتي، في العادة أتنقّل في سيارة من نوع مرسيدس بنز 280 يقودها سائقي الخاصّ، فضلًا عن ذلك، لديّ بيجو 604، وسيارة من نوع رينج روفر، هذه السيارات للاستعمال الخاصّ، أمّ أبنائي تقود سيارة من نوع تويوتا كارينا، هذه السيارة صغيرة لقضاء مشاويرها اليومية. توجد هناك بعض المركبات الأخرى الشاحنات والجرارات التي أحتاجها للأنشطة التجارية، لن أضيّع وقتكم بعدّ تلك المركبات، آه! كدت أنسى مركبات عشيقاتي، قدّمت لإحداهن هدية عيد الميلاد وهي عبارة عن تويوتا كَورولا، واشتريت للأخرى هدية في عيد مولدها سيارة من نوع داتسون 1600 اس اس، الحبّ الحديث لا يتناسب مع اليد المنقبضة.

الآن، يا أصدقائي! لاحظتم أنني كنت منعّمًا، وكانت الثروة تأتي إليّ بسخاء، هل من المفاجئ أن أقوم بالتمجيد والغناء لمدح النهب والسرقة الحديثة؟

اليوم، أنا أمشي بكلّ تؤدة في الشوارع الواسعة المصقولة، تلك التي لا تحتوي على أشواك، أو أحجار، أو قلق. ألا ترون بأنّ يديَّ تكادان تختفيان تقريبًا؟ إنّهما لا تقومان بأيّ عمل، وبطني أصبح أكبر وأكبر لأنّه متخم بالعمل بشكل مستمر.

عندما أستيقظ في الصباح، أبلع عدة بيضات فوق قطع من الخبز والزبدة وكوبَ حليب يساعدني على ابتلاعها.

عند العاشرة أو ما يقارب ذلك أتمكّن من وضع بضع أرطال من لحم الضأن المشوي.

عند الساعة الثانية عشرة، أهجم على أربعة أرطال من لحم العجل مغمّسة بالنبيذ ومحمّرة بشكل جيد على الفحم، وأقوم بإنزال لحم العجل إلى الأسفل بمساعدة الجعة الباردة، زجاجة واحدة، عند الساعة السادسة، ألتهم قطعة من الدجاج، لكي أدخل شيئًا ما إلى بطني كأساس للويسكي التي ستأتي بطريقة ملائمة في المساء.

أنا أؤمن بعقيدة ذلك الزعيم الدينية التي قالها رئيس مراسم الاحتفال، خصوصًا تلك الوصايا التي قدمها لخدمه، قوموا بحصاد المكان الذي لم تزرعوا فيه أبدًا، كلوا الشيء الذي لم تبذلوا فيه قطرة عرق واحدة، واشربوا الشيء الذي جلبه الآخرون، احتموا من الأمطار في الأكواخ التي لم تشيدوا فيها عمودًا واحدًا ولم تحضروا قشة واحدة لتسقّفها، والبسوا الملابس التي صنعها الآخرون.

دعوني أقُل لكم هذا الأمر، يا أصدقائي الذين أحبّهم كثيرًا، في اليوم الذي بدأت أتبع فيه تلك التوصيات بدأت أموري تسير بكلّ سلاسة،

من دون توقف.

كان والدي المسنّ يعمل في محكمة من المحاكم التي يسمح للسود بالعمل فيها خلال المرحلة الاستعمارية، وفي تلك الأيام تتجمع المحاكم الوطنية في رؤوايني في مقاطعة ايسيسيري، خلال مدّة عمله في مكاتب المحكمة تعلّم كيف يطبّق القانون هنا، وكيف يخترقه هناك، كيف يحرّفه هنا وهناك لكي يخدم مصلحة معينة، استولى على أراضي الآخرين. في تلك الأيام، لم يكن هناك أيّ رجل أسود يستطيع أن يهزم والدي في الدعاوي القانونية، انظروا إلى المسألة من هذه الزاوية، كلّ أعضاء تلك المحاكم، من كورا في كبامبو إلى مورانغا ونيري كانوا أصدقاءه الحميمين، كانوا يأتون إلى منزلنا لشرب الجعة في العادة، وفي تلك المناسبات كان والدي يقوم بذبح أفضل الخراف على شرفهم، مرّة أو مرتين، قام بذبح ثور، وكنتيجة لذلك، استولى على أراضي الناس من دون خوف وأصبح إقطاعيًا كبيرًا، تزوّج عدة مرّات، كان رجلًا عجوزًا مغرورًا وعندما يقابل أيّ امرأة جميلة ذاهبة لجلب الحطب أو قادمة من الحقول، يرسل في طلبها: "ابنة فلان الفلاني يجب إحضارها لي"، لكن والدي كان يتجاهل التخطيط العائلي بكلّ أنواعه، نحن، أبناؤه، كنّا أكثر مما يمكنه إعالتهم، ورثت ثلاثة أشياء فقط من والدي: التعليم، عبارات الحكمة من فمه، والرسائل التي كانت ترِد عليه من أصدقائه الأوربيين.

حصلت على تعليمي في مدرسة مامبيري، ثوغوتو، في مقاطعة كيامبو، وأكملت تعليمي، صرت معلّمًا، ودرّست في المدرسة نفسها لمدة سنتين، بعد ذلك التحقت بالمحكمة العليا في نيروبي، كاتبا في المحكمة ومترجما، إن مَثَلنا الشعبي صحيح: ابن الماعز يسرق مثل والدته، وأنا أعود إلى أصول والدي.

وضعتني حالة الطوارئ في المحاكم القانونية، كان والدي واحدًا من المسنّين الذين استعملهم المستعمرون لتطهير أتباع حركة الماو ماو، لكن بالنسبة لي لم أعلم أيّ طرف يجب عليّ مساندته، لم أكن متحمسًا ولا متقاعسًا، بقيت على ذلك المنوال، فاترًا، مختبئًا في محاكم القانون مترجما لأولئك الذين تورّطوا في جرائم القتل.

عندما حصلنا على التحرير، وجدتني في المحاكم القانونية نفسها، أراوح مكاني براتبي الزهيد، توقّفت عن التحقّق من الاتّجاه الذي تدور به الأرض، ومن اتّجاه الرياح. بعد ذلك بدأت ببعض المشاريع الصغيرة، مثل متجر وفندق، لكنهما لم يكونا مربحين على الإطلاق، في تلك الأيام، لم أكن قد أتقنت التوصيات المقدّسة المرتبطة بمجتمع الإنسان يأكل الإنسان مثله.

في تلك اللحظة، تذكّرت كلمات والدي قبل موته بسبب الإفراط في الأكل، طلب مجيئي إلى منزله وقال لي: "لقد كنت حكيمًا عندما أنشأت القليل من المتاجر والفنادق، لدينا مثل شعبي يقول: الراعي لا يبقى في بقعة واحدة، في السفر لا أحد يحمل الأكل للآخرين فكلّ مسافر يحمل طعامه، الأجر لا شيء بالنسبة لرجل لديه عائلة ينفق عليها، لكن في الوقت نفسه، نحن الشعوب السوداء لا نستطيع تسيير المشاريع الصغيرة التي تحتاج إلى الصبر.

الهنود فقط هم الذين يتحلّون بذلك النوع من الصبر، بُني، أنصت إلى كلمات محبة والدك، أعرف أنّك متعلم، لكن الراشد هو الذي تعلّم من شخص سبق له أن شاهد كلّ شيء من قبل وتعلّم من التجربة، مهنة النهب والسرقة هي الوظيفة الوحيدة الأنسب لكلّ شخص يسمي نفسه راشدًا، تعلّم من الأشخاص البيض ولن تخطئ أبدًا، فالرجل الأبيض يؤمن بأنّه لا توجد تجارة أفضل من النهب والسرقة. سأتحدث بصراحة، لقد جاء الرجل الأبيض إلى هذه الدولة وهو يحمل الإنجيل في يساره والمسدس في يمينه،

سرق أراضيَ الناس الخصبة، وسرق الأغنام والماعز تحت غطاء الضرائب والغرامات، لقد سطا على تعب الآخرين وعرقهم.

في رأيك كيف أصبح كلٌّ من غروغان وديلاميري ثريين؟ أهون عليّ أن أضاجع والدتي قبل أن أصدق بأنّ عرقهما ومجهودهما هما ما جعلهما ثريين، من منا اليوم، على الرغم من أننا نرفع بيرقنا الخاص، يستطيع أن ينافس الرجل الأبيض في ثرائه؟ ليس لديّ ما أورثه لك، لكنني أرسلتك إلى المدرسة، والآن، أقدّم لك الحكمة، هذه بعض الرسائل من بعض الأشخاص البيض الذين عملت معهم، والذين كانوا مسرورين بالخدمات التي كنت أقدّمها لهم. أنا صديقهم، وهم أصدقائي، إذا اعترضت طريقك أيّ مشكلة في يوم من الأيام، اذهب إلى أيٍّ منهم برسالة تحمل توقيعه، أخبره بأنّك ابن غاتنغورو، واطلب المساعدة ".

عندما تذكّرت تلك الكلمات، جلست وسألت نفسي: من أصبح ثريًّا بعرق جبينه؟ من أصبح ثريا براتبه الخاص وحده؟ والدي لم يشترِ ممتلكاته أبدًا من راتبه، المكر هو الذي قام بذلك، لم تكن الأجور هي التي وفّرت الثروة لكلٍّ من غروغان وديلاميري، المكر هو الذي قام بذلك، أيّها المكر كن الملاك الذي يحرسني لأنّ متاجر القرية بائسة حيث تحتوي على مخزون يتكوّن من علبتَي كبريت، وعلبتَي سجائر، وأكياس شاي تباع بخمسة وعشرين سنتا للكيس، وكيس من السكر وكيس آخر من الملح، وعلبة من زيت الطهي، فمن ذا الذي أصبح ثريا بامتلاكها؟ لا أحد.

أيّها المكر، كن ملاكي، أمسك بيديّ ودلني على الطريق في الليل وفي النهار.

أعتقد أنّ الشيء الذي جعلني أتذكّر كلمات والدي هو إنّه بعد الحصول على التحرير بدأت قلّة من السود تشتري الأراضي التي كان يقاتل من أجلها

أتباع الماو ماو، أما ما كان مفاجئًا، وهذا الأمر سَرّ الكثير من الناس بالفعل ممن تمّ تحذيرهم بمجيء أخبار عن التحرير منذ مدّة طويلة، هو إنّه لا يهم، كما يبدو، مع أيّ طرف كنت تقاتل في المعركة من أجل التحرير، لا يهم إذا كان الفرد يدعى السيد المنعزل، أو السيد المتحمس، أو السيد غير المتحمّس، مسألة أن الشخص كان سابقًا منعزلًا، متحمسًا، أو غير متحمّس كانت غير مهمة في ما يتعلق بالاستيلاء على الأراضي، الأمر المهم الآن هو حصولي على مبالغ ضخمة من المال.

وإنّ المال لا يجب الحصول عليه بعرق الجبين، بل يجب الحصول عليه بمكر العقل، كان المكر أكثر أهمية من العمل الجاد.

ولذلك، توقّفت عن العمل، جلست على ركبتي ودعوت بكلّ حماس:

أيها المكر، كن دليلي
ودلّني طوال الوقت
في اليقظة والنوم
وأين ما ذهبت
أريدك أن تمنحني
الطعام الذي آكله
والماء الذي أشربه
وحتى الثياب التي أرتديها

منذ ذلك الوقت إلى الآن، لم أتراجع إلى الوراء أبدًا، ولم أشعر بالأسف أبدًا.

لم أكن أملك سنتًا واحدًا في جيبي، لكن عندما شاهدت الطريقة التي تتحرك بها الدولة منذ رفع العلم خفّاقا في الأفق، كنت واثقًا من أنه

طالما أنا على قيد الحياة سأبقى قادرًا على البقاء عن طريق الاستيلاء على ممتلكات الآخرين بكلّ تأكيد، واصلت التفكير في تصوّري الجديد هذا في ذهني حتى أصبحت الكلمات عبارة عن أغنية:

هذه كينيا الجديدة
سواء أكنت منعزلًا أو متحمسًا
لا تحك لنا الحكايات القديمة
العطر القديم لا يناسب الرقص الجديد
أيها العقل، أنتج المكر
أيها المكر، ابدأ عملك

نظرت هنا وهناك، ولاحظت أن الجوع والعطش هما الشهوة الأعظم في البلاد، والناس متعطشون وجائعون للحصول على الممتلكات، طرحت على نفسي هذا السؤال: لو ضربت الجوع بالعطش، ما هي النتيجة؟ أخرجت قلماً وورقة، وحسبت بهذه الطريقة:

الجوع العطش = المجاعة.

المجاعة عند الجماهير = ثراء رجل ماكر.

ها! إنّ قضية الأحمق إن لم تُحلّ ستدوم وقتًا طويلًا، النحّال الذي يؤجّل جمع العسل يكتشف أنّ الخلية تدمّرت، القول يعني الفعل: هذا هو شعار اليوم.

- ولذلك في الصباح الباكر لأحد الأيام، جمعت الرسائل التي ورثتها عن والدي، وذهبت إلى منزل أحد الأوروبيين كان يلقّب بغاتيرو، الشخص ذي اللحية، لُقّب بغاتيرو لأنّه خلال مرحلة الطوارئ كان يسحب الناس من

ذقونهم حتى يقتلعبيديه شعر ضحاياه وجلدهم. كان غاتيرو أحد المستعمرين الذين ينتمون إلى فرقة التطهير العرقي المناهضة لمنظمة الماو ماو على شاكلة والدي، كانت الرسالة، تثني على والدي بسبب الخدمات الجليلة التي قدّمها، وقد كتبها المستعمرون المناهضون لمنظمة الماو ماو خلال احتفالات أداء القسم، "بشرتك سوداء، لكن قلبك أوروبي"، هكذا انتهت الرسالة، أخبرت غاتيرو أنني في حاجة ماسّة إلى الأراضي، وعندما علم بأنني أبن غاتنغوري، لم يزعج غاتيرو نفسه بالقلق من ناحيتي وطلب الأمان "كان ذلك الرجل العجوز جيدًا، كنا نقاتل منظمة الماو ماو معًا، سوف أساعدك بالتأكيد ".

أخبرني بأنّه يمتلك مئة فدان للبيع بالقرب من نيروبي، وسوف يبيعها لي بـ 100 شلن للفدان، في ذلك الوقت، كانت الأرض زهيدة الثمن، عكس الحال اليوم، كانت تبلغ قطعة الأرض كلها 10.000 شلن، اتفقنا على التاريخ الذي سأسلّم به المال له نقدًا أو بشيك مصرفي.

غادرت منزله، وذهبت لزيارة أحد الأصدقاء، وهو رجل شاب كان يعمل في أحد المصارف، أخبرته بأنني بحاجة إلى قرض بمبلغ 10.000، ضحك عندما شاهد أنّ آثار الخوف بادية على وجهي 10.000 فقط؟ قلت: "نعم"، ضحك مرة أخرى، قال لي: "لا تقلق، لقد حصل على ثمرة من ثمار الحرية لتوّه، وأصبح الآن مكلفاً بالقروض الموجّهة لرجال الأعمال الأفارقة الشباب للمساعدة على خلق طبقة متوسطة مستقرة"، هل هو موظف قروض؟ بدأ قلبي ينبض بالتوقع، قال لي: "لكن تذكّر، في هذا العالم لا يوجد شيء بالمجان، أعطني وأعطيك، هذا هو الشعار الحديث، هذه كينيا الجديدة، "أعطني وأعطيك"، سأقرضك 15.000 شلن، 10.000 من ذلك المبلغ ستكون لك. و 5.000 الإضافية ستكون من نصيبي، إن لم تقبل بهذا الاتّفاق، الباب هناك وبعده ستجد الطريق ".

عندما سمعت ذلك، أحسست بالغضب يخنقني، ماذا! يودّ أن يقرضني 15.000 شلن لكي يحصل على 5.000، ولن يساعدني في دفع المال؟ ربحه هو دين عليّ؟ انفجرت بالضحك فجأة، لاحظت أنَّ نظرتي ونظرته متطابقتان، الثروة ليست نتاج جهد الأيدي لكن نتاج مكر العقل، المكر هو نظام السوق الحرّة لكي تنهب ثمار الحرية من الناس، الحذاء مناسب (أخبرته) وليس بحاجة إلى جوارب.

بعد مرور أسبوع كانت الـ 10.000 في جيب، ودين بمبلغ 15.000 شلن في الجيب الآخر، رجعت إلى فاعل الخير الأوروبي، حسبنا النقود، ووضع نصيبه في جيبه ثم ذهبنا معاً إلى مزرعة غاتيرو، آه! كانت أرضًا جرداء، لم يتمّ زرع أيّ شيء هناك من قبل، لم يتمّ بناء أيّ مأوى فوقها من قبل، كانت صحراء ومرتعًا للعشب اليابس، والأعشاب الشوكية والأحجار.

على أيّ حال، بعد مرور أسبوع قمت بتسجيل المئة فدان من الأحجار، وخلال هذا الوقت بأكمله لم أنسَ العملية الحسابية وإجابتها، الجوع مضروب في العطش يعطينا قيمة المجاعة، وقيمة المجاعة هي مصدر ثروة المستحوذ الماكر، إنّ خسارة الحشود هي مكسب لقليل من الناس، لقمة من هنا، ولقمة من هناك، يتمّ سلبها من هذا الشخص وذلك الشخص، تصبح وجبة كاملة في بطن الشخص الذي يسرق من الفقراء.

الآن، اجتاحت حمى الحصول على الأرض قريتنا، أخذت قطعة الأرض التي تبلغ مساحتها مئة فدان وقسّمتها إلى خمسين قطعة أرض، تبلغ مساحة كلّ واحدة منها فدانين اثنين، وأعلنت بعد ذلك بأنّه يسمح لسكّان القرية فقط بشراء هذه القطع من الأراضي، ابن الوطن هو أول من يدهن دائمًا بزيت طقوس حظ البداية، فضلًا عن ذلك، أعلنت أيضًا بأنّه لا يسمح لأيّ شخص امتلاك أكثر من قطعة أرض واحدة.

غيتوتو وا غاتنغورو لا يودّ أن يتورّط في أيّ أمر له علاقة بالاستيلاء على الأراضي، لذلك قمت ببيع كلّ قطعة ب 5.000 شلن، بعد مرور أسبوع تمّ بيع كلّ قطع الأراضي، ولم أحتفظ لنفسي ولو بقطعة واحدة، فلماذا أحتفظ بفدانين من الشوك والأحجار؟".

جيبي في تلك اللحظة كان يرنّ بصوت رائع لـ 250.000 شلن، بعد دفع القرض وسداد جميع النفقات حصلت على ربح صافٍ يبلغ 220.000 شلن، والصفقة لم تستغرق سوى شهر واحد.

شهرتي زادت وانتشرت مثل النيران في البرية في موسم جاف، كان يقال بأنّني رجل يؤمن بالأفعال، وبأنّني تمكّنت من الحصول على الأراضي وبيعها للفقراء بأثمانٍ زهيدة؛ وأنني لم أحتفظ لنفسي ولو بقطعة واحدة بسبب حبي للناس، بدؤوا ينشدون أغنيات الثناء عليّ، وينادونني بابن غاتنغورو، الولد المشبع بحبه للناس، هل تلاحظون ما يمكن فعله بفضل المكر؟ لقد نسي الناس بأنّ والدي كان يعمل حارسًا في منزل غاتيرو، وأنا بنفسي بقيت مختبئًا في المحاكم التي كانت تقاضي المنخرطين في منظمة الماو ماو بالإعدام.

تعلّمت أحد الدروس، قبل أن أرتدي بدلات المكر، لم يكن لديّ سنت واحد باسمي، لكن الآن، بعد ارتداء بدلة المكر لمدة شهر واحد فقط، أصبحت أمتلك مئات الآلاف من الشلنات في البنك، وأصبحت شهرتي أعظم من شهرة أيّ رجل سالت دماؤه دفاعًا عن وطنه، كلّ هذا من دون أن أسقط قطرة عرق واحدة على الأرض التي قمت ببيعها.

وذلك لأنّ الأرض لم تكن أرضي، والمال الذي دفعته ثمنا لها لم يكن مالي، لم أضف أيّ شيء على الأرض، كيف حصلت على 220.000 شلن؟! من جيوب الناس، نعم، لأنّ الأرض فعليًا في ملكية الناس، والمال الذي دفعته

ثمنا لها تم استخلاصه من الناس! أنا بدوري قمت بنقل الأشياء من يدٍ إلى أخرى، قمت بالقليل من عمليات الضرب ووضعت الحاصل في جيبي.

في تلك اللحظة اكتشفت أن مهاراتي تكمن في التلاعب وعمليات الضرب وتحصيل الناتج ووضعه في جيبي، فقمت بتأسيس جمعيات وشركات لشراء الأراضي في الوادي المتصدّع، هذا هو الأمر الذي كنت أقوم به، أذهب إلى الوادي المتصدّع وأبحث عن قطعة أرض تتألف من ألف فدان، ونتّفق أنا والبائع على الثمن، أعود إلى الإقليم المركزي، بالأحرى، إلى قريتي أو المقاطعات التي تتواجد بالقرب من مسقط رأسي، بعد ذلك، أعلن عن قطعة الأرض ذات المساحة المحدّدة والجودة المحدّدة التي تمّ الحصول عليها، وأنّه يتوجّب على الناس أن يشتروا أسهمهم من النقابة، أو الجمعية التي أسست لشراء الأراضي.

ما زلت أتذكّر المزرعة في سوبوكيا التي جعلتني ثريا، كانت مساحتها من ألف فدان، وفيها أيضًا عدد لا يحصى من الأبقار، وكان المالك أحد أولئك الفلاحين الذين يقسمون بأنهم لن يعيشوا في كينيا التي يحكمها السود، لذلك كان يريد بيع المزرعة بثمن بخس لأنه في عجلة من أمره للسفر إلى جنوب أفريقيا قبل أن تنتشر الفوضى في كينيا الجديدة على غرار تلك التي عمّت الكونغو، قدّمني إليه غاتيرو واشتريت المزرعة بـ 250 شلن للفدان وكلّفتني المزرعة 250.000 في المجموع، كما كنت أفعل في السابق، قسمتها إلى جزأين متساويين، الجزء الأول يتألّف من 500 فدان، وهي أرض خصّصت لإنشاء الجمعية فوقها، وقسّمت الجزء الآخر إلى قطع صغيرة مكوّنة من فدّانين في كلّ قطعة أرض لكي يتمكّن كلّ عضو في الجمعية من شراء سهم واحد ليصبح مالكًا لقطعة الأرض. كان هناك 250 سهمًا في المجموع، وكلّ سهم يكلف 5000 شلن، إذن، وصلت مساهمات الأفراد

إلى مجموعٍ يقارب مليونا وربع المليون شلن، وبعد تسليم 250.000 شلن للمزارع، بقي لي مبلغ صافٍ يناهز مليون شلن، وضعت المبلغ كلّه في حسابي البنكي. لقد سلمت المزرعة للناس الذين كانوا مسرورين ويتوسلون إليّ لكي أتزعّم الجمعية، لكنني رفضت.

قلت لهم عليهم أن يختاروا زعماءهم، وبطبيعة الحال، نصحتهم بانتقاء الزعماء الشرفاء، الزعماء الذين لا يطمعون في الأموال، كانت وظيفتي هي توفير الأرض للناس وأن أتركها لهم لكي يقوموا بتسييرها بأنفسهم.

انتشرت شهرتي في القرى، وتضخّم رصيدي في البنك، كان ذلك بفضل الأشخاص السذج أنفسهم الذين حصلت منهم على القليل من السنتات لشراء العديد من مزارع القهوة، والشاي، والقمح ومراعي المواشي.

اليوم سأتعاون مع بعض الأجانب من إيطاليا، الذين يخطّطون لشراء مقاطعة بأكملها في ميرو وإيمبو لزراعة الأرز والسكر، لكنني لم أتخلَ عن التجارة المربحة للمضاربة في الأراضي.

هناك فكرتان أودّ أن أتوسّع فيهما الآن، الأولى تتعلّق برفع مستوى العطش والجوع للحصول على الأراضي في جميع أنحاء البلاد؛ هذا الأمر سيولّد المجاعة، آنذاك سيخلق طبقة عالية من رجال الأعمال، وسوف تعمل الجمعيات بالطريقة نفسها. عندما يزداد عطش الناس وجوعهم للأرض إلى ما فوق المستويات الحالية، فإننا نحن الذين نمتلك الأراضي= سنقوم ببيعها في العلب القصديرية وفي الأواني، لكي يتمكّن الفرد على الأقل من زراعة البذور فيها ويعلّقها في سقف بيته.

أصدقائي، عندما نصل إلى مرحلة بيع الأراضي للمزارعين في علب قصديرية وفي الأواني، سوف نكوّن ثروات كبيرة حقيقية، تخيّل أن الساكنة برمتها تحمل الصواني أو الأطباق أو السلال، للحصول على الأرض

في منطقتك، فيما بعد سوف يقومون بتعليق القليل من الحبوب التي جنوها من التربة في أسقفهم أو الشرفات ويقومون بزرع البطاطا فيها لتقديمها رشوة لتهدئة أطفالهم عندما يبكون.

الفكرة الأخرى التي أودّ أن أنتهجها هي كيف أننا نحن كبار رجال الأعمال يمكننا حبس الهواء في السماء، ثم وضعه في علب وبيعه للمزارعين والعمّال مثلما يباع الفحم والمياه لهم الآن، تخيّل الأرباح التي سنحقّقها عندما نقوم ببيع الهواء للناس لكي يتنفسوه في العلب، أو نقوم بوضع عدادات لقياس الكمية التي يتنفسونها هو الأفضل. بإمكاننا استيراد بعض الهواء من الخارج أيضًا، الهواء المستورد الذي بإمكاننا أن نبيعه للناس بأسعار خاصة، ومن الممكن تصدير هوائنا إلى الخارج لكي يتمّ تعبئته في العلب والزجاجات، نعم، لأنّ تكنولوجيا الأجانب أكثر تقدمًا، وبعد ذلك سيعاد تصديره لنا بعبارات صنع في الولايات المتحدة، صنع في أوروبا، صنع في اليابان؛ هذا الهواء مصنوع في الخارج، وإعلانات مشابهة أخرى.

أيّها الناس، تأمّلوا هذه الأفكار، عندما يجمح العمال والفلاحون ويفوقون قواتنا المسلحة قوةً، سنمنع عنهم الهواء حتى يركعوا تحت أقدامنا، عندما يكثر لغط طلاب الجامعات سنمنع عنهم الهواء، عندما تتذمر الحشود سنمنع الهواء، عندما يرفض الناس نهب ثرواتهم او سرقتها سنغلق تدفق الهواء عبر العدادات إليهم حتى يأتوا إلينا بأيدٍ ضارعة متوسّلة قائلين: "رجاءً اسرقوا ممتلكاتنا، انهبونا من دون رحمة"، في الوقت الذي أنهى غيتوتو وا غاتنغوري شهادته، كان يلهث من شدّة التعب، سقطت قطرات من عرقه على الأرض، وكرشه الناتئ كان يهتزّ كأنه يريد التحرّر من صاحبه والسقوط على الأرض.

عندما وصل إلى ذروة كلامه، بدأ بالصراخ: "أنا ملك الناهبين والسارقين"، ترنّح غيتوتو وانهار، كان منهكًا كليًا.

انتقل رئيس مراسم الاحتفال مع شخصين آخرين إلى المنصّة وقام بتهوية جسده بأحد المناديل إلى أن استردّ وعيه، آنذاك وقف نصف الحاضرين في الكهف وصفّقوا له.

همست وانغاري إلى موتوري: "ماذا! هل يعيشون تحت وهم أننا نسينا؟ ".

أجاب موتوري: "يبدو أنّهم يظنّون بأننا أطفال يمكن إسكاتهم بتقديم الحلوى رشوة".

أضافت وانغاري: "زيادة على ذلك، الحلوى سرقت من جيوبنا".

عندما شاهد مواؤرا وانغاري تهمس إلى موتوري، شعر بالانزعاج: "لماذا سألني موتوري عن زبانية الشيطان؟"، تساءل: "ماذا يعرف عني؟ من هو موتوري؟ من هي وانغاري؟"، عاد غيوتوتو وا غاتنغورو إلى طاولته، يسنده شخصان لكنه لا يزال يصرخ: "أنا ملك الملوك في مملكة المكر، أيّها الأعيان والسادة، شاهدوا ماذا فعلت بمواهبي..."

والخادم الذي حصل على... مواهب...

شهادة كيهاهو وا غاثيكا

وهذه هي شهادة كيهاهو وا غاثيكا، يتمّ كشفها لأولئك المجتمعين في كهف الناهبين في إيلموروغ من أجل مسابقة النهب والسرقة الحديثة.

كان كيهاهو طويل القامة ونحيفًا، كانت لديه ساقان طويلتان، وذراعان طويلتان، وأصابع طويلة، ورقبة طويلة، وفم طويل، وفمه يشبه منقار الهدهد، طويلًا، ونحيفًا، وحادًّا. كما كان ذقنه، ووجهه، ورأسه على شكل مخروطي، كلّ شيء فيه يشير إلى ضمور في الجسم وحدّة في المكر.

في ذلك اليوم، كان كيهاهو يرتدي سروالًا مخططًا باللونين الرمادي

والأبيض، وقميصًا أبيض، وربطة عنق سوداء. عندما وقف على المنصّة، بدا مثل السرعوف ذي الأقدام الستة أو البعوضة.

بدأ كيهاهو بالتنحنح، وقال الكلمات الآتية:

ليس لديّ الكثير لأقوله، الكثير من أيّ شيء يعتبر سمًّا لكن القليل منه يكون حلوًا، هدفي، أو شعاري، هو أنّ أفعالي تطابق أقوالي، أفعالي هي البوق الذي يتحدث بقدراتي بوصفي لصا أو سارقا. أنا، شخصيًا، نموذج للأقوال المأثورة التي ذكرها بعضنا هنا في وقت سابق، فطول القامة ليس مصيبة، والبطل لا يعرف بقوّة عضلاته، لأنّني، بالفعل، أنا الديك الذي يصيح في الصباح ويُسكت الآخرين جميعهم. أنا الأسد الذي يزأر في الغابة فيجعل الفيلة تتبول، وأنا النسر الذي يحلّق في السماء فيجبر الصقور على اللجوء إلى أعشاشها، أنا الرياح التي تهدّئ كلّ النسائم، أنا البرق الذي يبدّد كلّ الأنوار، أنا الرعد الذي يُسكت كلّ الضوضاء، أنا الشمس في السماء خلال النهار، أنا القمر ملك النجوم في الليل. أنا ملك ملوك السرقة والنهب الحديث، توّجوني بالتاج الذهبي، لأنّ الوقت ليس مبكرًا لكي يشرع الملك الجديد في حكمه.

لا أمتدح نفسي لمجرد المديح، قدمنا إلى هنا من أجل عقد مؤتمر في السرقة والنهب الحديث، سأغنّي أغنية عن نفسي ستجعل ضيوفنا الأجانب يقومون بترقيتي من مراقب إلى مشرف على المراقبين، حارس على كلاب الحراسة الآخرين، رسولًا فوق كلّ الرسل الآخرين، قولوا نعم، وسوف أحكي لكم قصة مليئة بالعجائب.

المهارات التي ذكرها غيتوتو وا غاتنغورو قبل قليل لا تعني شيئًا بالنسبة لي، لا شيء على الإطلاق، أن تتزعّم الجمعيات والشركات التي تشتري الأرض بطريقة يكون فيها المرء هو أول من يختار الأبقار المتعافية لمزرعته الخاصة،

أو في موقع يمكنه من تحويل المال العام لمصلحته الشخصية، أو يقترض من أحد المصارف على ضمانة أراضي الجمعية، هذه هي الخدع البسيطة التي تعلمت عن طريقها النهب والسرقة، والتي تسمى بالإنجليزية خداع الهواة وخطط المبتدئين.

بالنسبة لاسمي، فأنا كيهاهو وا غاثيكا، اسمي الأجنبي هو لورد غابرييل بلودويل ستوارت جونز. وإذا عدنا إلى شؤون العائلة، فأنا الأكبر سنًّا، لديّ زوجتان، تزوجت إحداهنّ قبل أن أصبح ثريًا، وتزوجت الثانية بعد حصولي على الثروة. أنتم لستم بحاجة إلى تذكيركم مرة أخرى بعدم جدوى العطور القديمة التي فقدت أريجها والتي لا تصلح للرقص الجديد في حفلة خطابية باللغات الأجنبية. وإذا خانتك المرأة فمن الممكن أن تعرّض مستقبلك بأكمله للخطر، لذلك فإن زوجتي الثانية تتحدث اللغة الإنجليزية، وليس لها وظيفة سوى تزيين نفسها بالأزياء الثمينة وبالمجوهرات لحضور حفلات الكوكتيل.

بالنسبة لأبنائي، فلديّ القليل منهم، كلهم يتحدثون اللغة الإنجليزية عبر أنوفهم مثل الأشخاص الذين ولدوا وكبروا في إنجلترا، وعندما تسمعونهم يتحدثون بلغة كيكويو أو السواحيلية ستضحكون حتى تتبولوا على أنفسكم. إنّ الأمر مضحك جدًّا، يتحدثون باللغتين مثل القساوسة الايطاليين الذين قدموا من روما للتوّ، قساوسة من دون الياقات الكهنوتية، لكن الأطفال أطفالي، ولا أمانع أنهم يتحدثون اللغات المحلية مثل الأجانب الطليان. أمّا بالنسبة لعشيقاتي فأنا لم أسع وراء التلميذات أبدًا، فالفتيات من ذلك النوع هنّ الخطر بعينه، من الممكن أن ينقلن لك الأمراض، وليس لديّ أيّ وقت لحقن البنسيلين أو لبلع الكبسولات الوقائية قبل مضاجعتهن.

أحب زوجات الأشخاص الآخرين، المرء يحصل على ذلك الإحساس البطولي بالنصر، وأنتم تعلمون أنّ ذلك نوع آخر من السرقة، أليس كذلك؟ أنا بارع خصوصًا مع السيدات البورجوازيات، لا يقاومن أبدًا، وليس لديهن أيّ نيات سيئة، يردن شيئًا واحدا فقط، بعضهن لا يكتفين بممارسة الجنس لمرة واحدة أو مرتين لأنّ أزواجهن يتواجدون دائمًا في النوادي الليلية مع عشيقاتهم، ومرة أخرى، العديد منهن ليس لديهن عمل يشغلهن اليوم يقمن بغناء أغنية واحدة فقط، عليكم بالتنويع، لأنّ البذور الجيدة لا توجد في حبة يقطين واحدة، الفرْج ليس ملحاً أو صابونا سيتحلّل أو يختفي بعد الاستعمال، لقد قمت بتعميدهن وأصبحن مستعدّات للاستسلام. هن لسن بباهظات الثمن لكن كانت هناك إحدى المحترفات (العاهرات) التي لديها صفّ من الشهادات يمتدّ من هنا إلى هناك، تخلّت عن زوجها بسببي، وأحسست بإحساس من عاد من غزوة بطولية، لكن، بطبيعة الحال، كان من الواجب أن أعطيها شيئًا في المقابل، مليونًا ونصف شلن ثمن قطعة أرض تتكون من عشرة فدادين اشتريتها لها في تيغوني، بالقرب من ليمورو، لذلك كنت أقسم بأنّني إذا ضبطت زوجتي تتسكع في زوايا الشوارع، سأجعلها ترى من مؤخرتها.

بالنسبة لسيارتي فقد جرّبت جميع أنواع السيارات، أستبدل السيارات مثلما أستبدل ثيابي، مرسيدس بنز تتفوّق عليهم كلهم، لكن عندما أضجر منها، أشتري سيارة من نوع سيتروين أو ديلمر أو رنج روفر، سبق لي أن اشتريت ألعابًا لزوجتَيّ الاثنتين وأبنائي الكبار، ألعابًا مثل سيارات تويوتا، داتسون، وبيجو.

رياضاتي التي أمارسها، عدّ النقود في المساء، ممارسة الغولف أيام السبت والأحد، وبطبيعة الحال، مداعبة الأفخاذ الرخوة لأولئك المستعدات

للاستسلام عندما يكون لديّ الوقت.

غالبًا ما أقوم بمقارنة أسلوبي في العيش بالأسلوب الذي كنت أعيش عليه قبل الدخول إلى ميدان النهب والسرقة، ويبدو لي مثل مقارنة النوم بالموت. في الماضي البعيد قبل الحصول على الحرية كنت أعيش بفضل الطباشير والممحاة في يدي، أعلّم الأطفال الأبجدية الإنجليزية في المدرسة الابتدائية في رؤوايني، آه، كانت تلك الأيام فظيعة، كنت أقتات على ثريد الأوغالي مع الملح كحساء، أو مع ما قيمته عشر سنتات من الخضروات عندما يزورني طائر الفأل الحسن، كنت أسعل طوال النهار بسبب غبار الطباشير الذي تراكم في حنجرتي، ولم يكن بمقدوري أن أشتري أيّ شيء لتسكين الألم الذي يحرقني في صدري.

لا أعلم، حتى الآن، ماذا حدث في أحد الأيام عندما فتحت نافذة غرفة الصف ونظرت إلى الخارج، وشاهدت العديد من الأشخاص من الجيل الذي أنتمي إليه يقومون بجني ثمار الحرية. سمعت شيئًا ما يهمس قائلًا: كيهاهو ابن غاثيكا، كيف تستطيع البقاء هنا كالأحمق، ينغلق أنفك بغبار الطباشير، بينما الأشخاص من جيلك في الخارج هناك يقطفون ثمار الحرية؟ ماذا تنتظر؟ ماذا سيتبقّى لك بعد ما يستولي كلّ شخص على نصيبه؟ تذكّر أنه لا يوجد أيّ فتات بعدما يأكل المحترفون في فنّ الأكل؟

وفجأة، زالت الغشاوة عن عينَيّ، الآن، بإمكاني أن أرى بكلّ وضوح، أنا، ابن غاثيكا، رميت الطباشير من النافذة، أرتديت معطفي الطويل، قمت بأكبر خطوة في حياتي وقلت وداعًا لمهنة التدريس، أنا أيضًا أودّ الحصول على فرصة لاكتشاف مذاق ثمار الحرية لكوني أفريقيًا.

في العجلة الندامة، استمعوا لما سأقوله: لقد اندفعت بطريقة جنونية إلى الثمرة الأولى التي وجدتها في طريقي، مثل الفتاة في تلك القصة التي

تحايل عليها الآخرون عندما قامت بجني الثمار وعيناها مغمضتان، وانتهى بها الأمر وهي تجني الثمار غير الناضجة، كان طعم الثمار مرًّا في فمي، هل جنيت التفاح البرّي معتقدًا أنّه التفاح الحقيقي؟

دعوني أخبركم عن الخطأ الذي ارتكبته، لأننا قدمنا إلى هنا ليس فقط من أجل التباهي بقدرتنا بل من أجل مشاركة تجربتنا. عندما كنت أزاول مهنة التدريس اكتشفت أنّ أكبر رغبة في البلاد هي رغبة التعليم، وهذا التعطّش إلى التعليم ظلم جموع الناس لكنه أساس لثروة النخبة القليلة، وحتى الناس الذين بالكاد يتمكّنون من قراءة الأبجدية، افتتحوا المدارس الثانوية الخاصّة، وتمكنوا من شراء سيارة مرسيدس أو اثنين من تلك المقاولات. كانت أبنية المدارس في العادة تبنى من الطين، وانتقاء المدرّسين يكون من مكبّ النفايات، أما مقاعد الطلاب فكانت مصنوعة من بقايا الخشب، والقرطاسية تُجمع من جانب الطريق، ومع ذلك تمكّنت المدارس من تحقيق الربح لملّاكها. ظننت الشيء نفسه أنا، ابن غاثيكا، وقلت يجب أن أجرّب بنفسي الوزن الحقيقي للعملة المعدنية التي يتمّ الحصول عليها في ذلك المجال، وفكرت في إنشاء دار حضانة لأنّها لن تتطلب الكثير من الاستثمار. ذهبت إلى أحد المصارف وحصلت على قرض، وكانت مزرعتي الصغيرة وسيلة الضمان، بحثت ووجدت بناية في نيروبي، ثم بحثت ووجدت فتاة فشلت في الحصول على شهادة التعليم الأساسي، وقمت بتشغيلها لكي تعتني بالأطفال، كانت تلعب معهم، تعطيهم القليل من الحليب عند الساعة العاشرة، وتعلّمهم القليل من الأغاني، ووضعت إعلانًا كبيرًا في الجريدة يتضمّن الكلمات الآتية:

دار الحضانة الجديدة للجمال الأسود
لأطفال الشخصيات المهمة من الكينيين
يمتلكها، ويديرها، ويدرّس فيها
الكينيون فقط
تدرّس اللغة السواحيلية
أغاني كينية، تهويدادت كينية، إلخ.. إلخ
أجور زهيدة، وجودة عالية
تعالوا فرادى، تعالوا جماعة
نحن، معًا، نبني أمتنا في كينيا

حسنًا! لم يأتِ طفل واحد، حتى وإن كان طفلًا معوقًا، جلست، ثم بكيت عندما تذكّرت المبلغ المالي الذي أنفقته، وأنا أعلم أنّ البنك سيبيع قطعة الأرض التي وضعتها ضمانا في المزاد العلني. فكّرت، ثم فكّرت مليًّا، هل كانت النتيجة كذلك لأنني لم أتفقّد ثمرة الحرية بشكل مناسب، وبدلًا من ثمرة توت حلوة جنيت حبة مُرّة؟ لكن بعد ذلك حدّثت نفسي: الشيء الذي يهزم الباحث عن المال هو الدوران بشكل مستمر.

قمت بالبحث قليلًا لكي أعرف الأمور التي تحدث، وبالفعل سرعان ما اكتشفت أنّ الرجل الكيني الذي كان مثالًا ناجحًا في الأعمال الضخمة عند الحصول على مزرعة كبيرة لا يقوم بتشغيل أحد الكينيين مديرًا أو محاسبًا، بل سيقوم بتوظيف أحد الأجانب الأوروبيين أو الهنود. عندما عندما كان الكينيون يتحاورون لم يستعملوا لغاتهم الوطنية أبدًا، كانوا يتحاورون باللغات الأجنبية فقط. ومثل أيّ كيني، اكتشفت ولاحظت حتى اتّضحت لي الرؤية، قم بالنهب، ثم الاختباء بعد ذلك، كان ذلك هو أساس الربح

بالنسبة للطبقة البرجوازية في كينيا.

أسرعت إلى الحضانة قبل أن يقوم البنك بإزعاجي فغيّرت اسمها، سمّيتها "حضانة العهد الحديث"، بعد ذلك بحثت عن سيدة بيضاء لكي تعمل مديرة، ووجدت عجوزًا مقعدة ونصف عمياء وتجد صعوبة في السمع وتنام دائما، فوافقت على الانضمام إلى فريق العمل في الحضانة وممارسة القيلولة هناك.

بعد ذلك، قمت بزيارة بعض المحلات في نيروبي، واشتريت مجسّمات الأطفال، تلك المجسّمات البشرية البلاستيكية، وألبستها ملابس باهظة الثمن، ثَبّتُّ شعرًا أحمر مستعارًا على رؤوسها، ووضعت آلات كهربائية في بطونها البلاستيكية، بعد ذلك ثَبّتُّ عجلات صغيرة أسفل أقدامها البلاستيكية وعندما قمت بتوصيلها بالكهرباء كانت تتحرك على الأرضية كأنّها أطفال بشر حقيقيين يلعبون، ويمكن للمرء أن يراهم عبر النوافذ الزجاجية الكبيرة لبناية الحضانة حتى وإن كان الشخص يقف إلى جانب الطريق، بعد ذلك وضعت إعلانًا آخر في إحدى الصحف:

حضانة العهد الحديث

مديرة أوربية متمرّسة

كانت في السابق تخصّ الأوربيين فقط

مفتوحة الآن لقليل من الكينيين فقط

ذات معايير أجنبية كالسابق

تمنع اللغات الوطنية، والأغاني الوطنية، والأسماء الوطنية

تشجع اللغات الأجنبية، والأغاني الأجنبية، والألعاب الأجنبية،

إلخ.. إلخ

الإنجليزية هي لغة التدريس

مقاعد محدودة

اتّصل أو تعال بنفسك

اللون ليس عائقًا، النقود هي الأهم

الرسوم مرتفعة

أوه، بعد ذلك بدأ الآباء بالاتّصال ليلًا ونهارًا لحجز المقاعد لأبنائهم، كلّما رنّ جرس الهاتف، كنت أركض وأوقظ المديرة الأوربية للردّ عليه، لكن غالبية الآباء كانوا يفضّلون الحضور بسيارتهم للتأكد من وجود مقاعد لأبنائهم، وعندما يجدون سيدة بيضاء ويرون المجسمات تلعب عبر النوافذ يدفعون الرسوم كلّها، ولا يطلبون معرفة المزيد من المعلومات المتعلّقة بالحضانة.

أخذت، بالأحرى، أمرت المديرة بألاّ تأخذ أكثر من مئة طفل، وكلّ طفل يدفع 2.500 شلن في الشهر. كنت مسرورًا جدًّا فذلك يعني أنني كلّ شهر كنت أحصل 250.000 شلن، وبعد دفع ثمن الإيجار وراتب المديرة النائمة ومساعديها، كنت أحصل على أكثر من 200.000 شلن شهريًا، ويجب أن تلاحظوا أنه في هذا الوقت لم تقطر مني ولو قطرة عرق واحدة، ولم أبلع أيّ غبار من الطباشير والممحاة. بالنسبة لي الثمار من تلك الشجرة لم تكن مرّة المذاق، لا على الإطلاق.

قطفت ثمرة بعد أخرى، قمت بفتح أربع حضانات في نيروبي مستعملًا الخدعة نفسها بتوظيف سيدات مسنّات حتى المعوقات منهن كمديرات وشراء مجسمات الأطفال لكي يقوموا بدور الأطفال البيض الحقيقيين، حتى هنا في إيلموروغ ورؤوايني، قمت بفتح عدد من الحضانات وفق الخدعة ذاتها.

كانت الثمار من تلك الشجرة وفيرة بكلّ تأكيد، وناضجة جدًّا، وحلوة المذاق، لكن تلك قصة أخرى. علمنا الأوروبيون الآن ألآ نضع البيض في سلّة واحدة، لذلك رأيت أنه من الأفضل اكتشاف ثمار الأشجار الأخرى.

الجمعيات والشركات التي تهتمّ بشراء الأراضي كالتي ذكرها غيتوتو وا غاتنغورو من قبل، والأساليب الأخرى في النهب والسرقة عن طريق المضاربة في الأراضي قد أنتجت ثمارًا التهمتها بكلّ سعادة.

لكن الشجرة التي أكلت منها ثمارًا أكثر نضجًا وأكثر حلاوة من ثمار شجرة الحرية هي.. انتظروا، دعوني أبدأ قصة تلك الشجرة المميزة من البداية، لكي يعرف الجميع بأنني لست مبتدئًا عندما يتعلّق الأمر بالنهب والسرقة.

بعدما جنيت الكثير من الثمار من كلتا الشجرتين اللتين سقاهما الناس بتعطّشهم إلى التعليم وتوقهم لامتلاك الأراضي، بدأت أنظر حولي لكي أشاهد الثمار التي يجنيها أقراني. لاحظت أن الناس عندما كدسوا الممتلكات بدأوا يفكرون في الدخول إلى البرلمان. ورأيت بأم عيني أحدهم يقوم ببيع مزرعته وزوجته الحسناء في المزاد العلني ليوفّر تكاليف الانتخابات. توقّفت من أجل التفكير، ماذا يوجد في هذا المشروع الذي أصبح يتصارع من أجله الكثيرون إلى درجة جعلت العديد يبعثرون الملايين من الشيكات ويبيعون زوجاتهم وبناتهم ومزارعهم؟ هل يمكن لهذه الشجرة أن تعطي ثمارًا أكثر من بقية الأشجار الأخرى؟

قررت الدخول في مجال السياسة والاكتشاف بنفسي، على العموم، الشخص الذي يجلس تحت الشجرة هو من يعرف ما تأكله نملة الأشجار السوداء، لكن بما أنني أعلم أنّ في العجلة الندامة فقد قررت عدم الاستَعجال في الحصول على مقعد برلماني تلك المقاعد، وكما تعلمون فهي خطرة جدًّا وكانت السبب وراء الكثير من الدماء التي سُفكت في البداية

سوف أسعى للحصول على مقعد في مجلس مقاطعة ايسيسيري، جهة رؤوايني.

الأقوال هي الأفعال، يجب تسويق الخضروات مبكرًا لكي لا تفقد نضارتها. لقد قمت بملء جيوب الأشخاص من حولي بالمال. عندما أنوي فعل شيء ما فإني أقوم بذلك الشيء بأسلوب: لا أتراجع أبدًا. جمعت مجموعة من نساء نياكنيوا حولي، قمن بالغناء في مدحي واختراع قصص تتعلق بكفاحي من أجل التحرر، وبأنني وفّرت التعليم والأراضي للناس وأكاذيب أخرى على تلك الشاكلة، كما اشتريت أزياء موحّدة لنساء نياكنيوا، وكانت صورتي الشخصية مطبوعة في وسط هذه الأزياء.

بعد ذلك قمت بتوظيف فريق من الفتيان مهمتهم تدمير ممتلكات خصومي، وضرب أولئك الذين يتمتمون بالشكاوى ضدّي. كان لدي خمسة خصوم، قمت بإزاحة شخصين جانبًا بثمن قدره 50.000 شلن لكلٍّ منهما حيث قام كلاهما بإصدار إعلانات عمومية تقول إنهم يعلنون انسحابهم لصالح غاثيكا البطل. رفض الخصم الثالث الرشوة، وفي إحدى الليالي اختطفه شخصان شابّان تابعان لفريقي وأخذاه إلى غابة رؤوايني حيث شاهد فوهة البندقية وخُيّر بين البقاء على قيد الحياة والترشح للانتخاب، فاختار بحكمة أن يحافظ على حياته. الخصم الرابع لم يرفض الرشوة فقط، بل ذهب إلى أبعد من ذلك وقام بإعلان التحدّي حتى بعد رؤية خزان البندقية، فأرسلت بعض الفتيان إلى منزله وقاموا بتكسير ساقيه.

كان الخامس وغدًا ذكيًا إذ أسرع في إرسال أتباعه بشكل سريع، وقاموا بإغلاق الطريق بسيارتهم وصوّبوا بنادقهم تجاهي، وحذّروني إن قمت باللعب مع زعيمهم مرة ثانية فسوف تكون النتيجة السنّ بالسنّ، والعين بالعين، والدم بالدم. فهمت الرسالة، غريمي لم يكن يمزح، استسلمت وأخبرتهم بتبليغ زعيمهم بأنّ آكلي ثروة الناس الآخرين عادة ما يلتقون في

الميدان ليقرّروا من يستطيع أن ينال من الآخر، لذلك يجب عليه أن يوافق على ملاقاتي في ميدان المعركة الانتخابية لوضع حدٍّ لكلّ الشكوك بشكل قاطع، ولتحديد الفائز من الخاسر، في تلك الأثناء، حذّرته بألا يقوم أيّ طرف بتهديد حياة الآخر. المال هو القوة، ولذلك، فليترك أمواله تتحارب مع أموالي في الميدان، في نهاية الأمر توصّلنا إلى تفاهم، واتّفقنا على ترك الحديد يقرع الحديد لرؤية من سيقوم بإحداث ثقب في الآخر.

أصبح الميدان مفتوحا لنا الآن فالأموال ستقوم بالمهمة وسنرى من منا سرق الأكثر. من جهتي، أصدرت تعليمات بفتح جميع الحنفيات كي يتمكّن كلّ شارب للجعة من شرب المقدار الذي يريده، ويعرب بأنّ صوته سيذهب إلى ابن غاثيكا. قلت لكم، لا توجد أيّ خدعة إلا وقمت بها بما في ذلك شراء الأصوات، لقد أنفقت ما يناهز مليونَي شلن في تلك الحملة الانتخابية. لم يكن خصمي خصمًا سهلًا، لقد أنفق مليونًا ونصف المليون، لكن في نهاية الأمر عاد المقعد للبطل الذي تشاهدونه أمامكم اليوم.

وقبل الحصول على مقعدي في المجلس بدأت أفكّر في طريقة معينة لاسترجاع تلك الملايين التي أنفقتها على الحملة، وأثناء ذلك تعلّمت أن الحماس من أجل الرقص الحديث يشحن بالأموال، فجربت هذا وذاك. وبالكاد تمكنت من النوم لمد أسبوع أو اثنين لأنني كنت أقضي وقتي في رؤية هذا المستشار وذاك. كلّفتني الحملة الثانية 50.000 شلن أخرى وكانت النتيجة هي تعييني (أو يجب أن أقول انتخبت) رئيس لجنة الإسكان في مقاطعة ايسسيري، كانت اللجنة مسؤولة عن بناء وتوزيع مساكن المجلس وعن تسليم الأراضي الصناعية والتجارية للأفراد وللشركات.

الآن، علمت أنا ابن غاثيكا بأنّني قد بلغت مقصدي وقد حان وقتي، فالممتلكات العمومية تسمن المخادعين. بين الفينة الأخرى، كان المجلس

يقترض الأموال من البنك الدولي الذي تملكه أمريكا، أو من المصارف الأوروبية واليابانية، لتمويل بناء المساكن الرخيصة للفقراء، وكان ذلك مصدرًا للثراء الحقيقي. استطيع أن أتذكّر، في أحد الأوقات، عندما قام المجلس بهدم بعض البيوت الصفيحية في رؤوايني، وكانت الخطّة هي بناء ألف وحدة سكنية هناك بدلًا من الصفيحية، فحصل المجلس على قرض من البنك الإيطالي والشركة التي كسبت عرض بناء الوحدات السكنية كانت شركة إيطالية أيضًا، لكنها، بالطبع، في البداية قدّمت لي دفعة أولى بمبلغ قدره مليونا شلن، وضعت المال في حسابي، وعلمت بأنّ تكاليف الحملة قد سدّدت.

الآن، أنا في انتظار عائدات استثماراتي في الانتخابات. بعدما شُيّدت المنازل وجدت الأمر الذي كنت أبحث عنه، أيّ شخص يرغب في شراء أيّ مسكن تابع للمجلس يجب عليه أن يشتري لي كوبًا من الشاي بقيمة 2000 شلن، ربحت مليونين بتلك الطريقة وقمت بإيداعها في البنك.

لست بحاجة لتذكيركم أنّه بعد مرور سنتين، أنتجت تلك الملايين التي أنفقتها على الحملات الانتخابية مبلغًا جيّدًا من المال، وستلاحظون بأنني لم أُسقط ولو قطرة عرق واحدة مني، كلّ أموالي جاءت من الأشخاص الذين صوّتوا لصالحي، كيف؟ لأنّ الضريبة التي يدفعونها هي التي ستذهب لتسديد قروض الأموال المقترضة من المصارف الأجنبية.

ما هو رأيكم في ذلك؟ لو كنتم في مكاني، هل ستتوقفون عن الأكل من تلك الثمار التي كانت أحلى من الحلاوة نفسها؟ لم أتوقّف أبدًا عن جنيها، كنت أجني الثمرة تلو الأخرى، كان العصير الحلو يسيل من زاويتَي فمي قبل أن أتعلّم طريقة الأكل بروية.

في هذه الأيام، لا أنتظر أن يقوم المجلس ببناء المنازل قبل تحصيل

العمولات حيث قمت مع مجموعة من الأجانب الايطاليين بتأسيس شركة للبناء، شركة رؤوايني لتطوير الإسكان، وشركتي هي التي تربح دائمًا صفقات المجلس، لكن الشركة تقوم أيضًا باقتراض الأموال من المصارف لبناء عقارات بأكملها، وكانت قادرة على بيع المنازل قبل مدّة طويلة من إتمام بنائها. أيّها الناس، لا تحتقروا تعطش الناس للمنازل، كانت الشركة تبني منازل تناسب جميع الطبقات، منازل من الأحجار، على سبيل المثال، لم تكن مربحة تمامًا، هل رأيتم تلك الأكواخ المبنية من الطين والخشب؟ إذا قمتم ببناء مساكن من هذا الطراز ثم قمتم بتأجيرها للعمال والمزارعين، هناك، وأؤكد لكم أن الثروة توجد هناك.

بدأت بتلقّي الدعوات لشغل منصب مدير لفروع الشركات الأجنبية، كنت أشتري سهمًا هنا وهناك، وهكذا كنت أحصل على عمولة، نوع من البقشيش مكافأة على حضور اجتماعات المجلس. ومن كلّ تلك المصادر تمكّنت من الحصول على بعض السنتات التي أعود بها إلى المنزل في آخر الشهر. قطعة من هنا وقطعة أخرى من هناك تجتمع في بطن كيهاهو وا غاثيكا (بالرغم من نحافته) لكي تكون رقمًا محترمًا.

لذلك أشعر بالامتنان لكلّ الشعب الكيني لأنَّ عماهم وجهلهم وعجزهم عن المطالبة بحقوقهم هو ما يمنحنا القدرة، نحن جماعة آكلي لحوم البشر، على أن نتغذّى من عرقهم من دون أن يطرحوا علينا العديد من الأسئلة السخيفة.

لكن يجب ألا نظلّ قانعين، أو نتصور بأنّ كل من في الجمعيات سيكونون سفهاء دائمًا، إنّ إمكانية تبدّل الأمور هي التي شجّعت الأجانب على تعَييني مديرًا لشركاتهم، وذلك لحمايتهم من سخط حشود العمّال والفلاحين، وأنا لا أمانع هذا التعيين فهو مربح جدًّا. هذا هو السبب الذي

يدفعني في مثل هذه الأيام، ألّا إلى عدم تفويت أيّ فرصة للتبرّع لصالح الاتّحاد، من المحتمل أن أتبرّع بـ 10.000 شلن هنا، و5000 أو 10.000 هناك، وربما 20.000 في مكان آخر، يرجع ذلك لحالة مزاجي، لكن عندما أنوي ترك انطباع قوي عند الناس، أذهب في البداية إلى العديد من الشركات الأجنبية التي تخصص بعض الأموال لشراء تغاضي العموم عن أفعالهم، كما تعلمون، فأطلب منهم بعض التبرعات 1000 شلن، 10 سنتات 5 سنتات، أيّ مبلغ، وبعد ذلك أصعد إلى المنصّة لكي أعلن عن كرمي: "هذه مئات الآلاف التي أحضرتها في الأكياس، هي تبرّعات مني ومن أصدقائي"، كانت المجموعات النسائية من نياكينيوا تقوم على الفور بإطلاق الزغاريد الخمسة التي تطلق عند ولادة الذكر احتفاءً بقدومه، كلّها على شرفي، ماذا قلت؟ قوّة التصفيق اليوم تعتمد على حجم الأموال التي وزّعت، يمكن للأموال أن تشكّل الجبال، اليوم، من يغنّي على شرف أمثال كيمائي؟

من الممكن أن تبقى الجموع تنشد لمدة طويلة أغاني الثناء على قدر جيوب الشخص، وهذا الأمر سوف يمنحنا المزيد من الوقت للاغتناء من ثروة الأرض. وكما تعلمون، فإن الشيء الذي يوضع بكلّ أمن في البطن يمكن إخفاء وجوده عن الأعين والآذان الفضولية. شخصيًا، كنت أؤمن بمبدأ حمل الجزرة في اليد اليسرى والعصا في اليد اليمنى، تبرعاتنا للاتّحادات هي جزرتنا، لكن هناك بعض الأوغاد الذين كانت لهم الشجاعة للحديث عن إزاحة الغمامة عن أعين الجموع، أولئك الأشخاص الذين يسعون إلى توعية الحشود يجب إشهار السوط في وجوههم الاعتقال أو السجن تمامًا مثل الذين تعرفونهم جيّدًا. وبطبيعة الحال قمت بإرسال أتباعي إلى أولئك المتعنتين لتسميمهم بالمخدرات والكحول والمال، وبعد ذلك نقل جثثهم للضباع في روابي نغوغ أو إلى التماسيح في نهر آثي لإكمال عملهم من أجل

الجماهير داخل بطن الضبع أو التمساح (مثل الإخوان الذين تعرفونهم).
أنا لا أؤمن بهذه الديمقراطية السخيفة، في الصباح يكون الموضوع هو الديمقراطية، في المساء يكون الموضوع هو الديمقراطية، هل الديمقراطية طعام وشراب؟ لو تمكّنت من القبض على أولئك الصبية في الجامعة، فضلًا عن أساتذتهم الأقزام، سيندمون، سوف أقوم بشحنهم في إحدى الطائرات، وأطلب منهم أن يرحلوا مع شيوعيتهم إلى الصين أو الاتّحاد السوفييتي.

المعذرة، أيّها السادة، صرفني غضبي الشديد من تلك الفئة عن الموضوع الرئيس، دعوني أستأنف قصتي مرة أخرى، آه، كنت أتحدّث عن النهب والسرقة في مجال الإسكان. بالنسبة لي، لن أتنازل عن النهب والسرقة التي تتغذّى على الإسكان، إذ لا يوجد شيء في هذا العالم يدّر أرباحًا أكثر من تعطّش الناس ورغبتهم في الحصول على مأوى، لذلك لا أريد أن أرى هذه الشهية تتبدّد ولو بأدنى الدرجات. في الحقيقة، كنت أسهر وأفكّر في الطرق والوسائل الكفيلة بزيادة هذا التعطّش والرغبة، لكن درجة الرغبة في الممتلكات تحدّد بالضبط الزيادة في مستوى أسعار المنازل، وبالتالي المستوى الذي ستصل إليه سوف يرتفع مثل ألسنة اللهب التي تصل إلى اللحوم الدسمة، عندما تشتدّ تلك المجاعة، بالطب لا نسمّيها مجاعة؛ سوف نمنحها أسماء أكثر لطفًا، نحن، آكلي دسوم الأرض، من الممكن أن نجلس معًا لنجد سبلًا لتقسيم الدّسم بيننا.

خطّتي كالآتي، عندما تتجاوز المجاعة مستويات التحمّل، سنحتاج إلى بناء مساكن في حجم أعشاش الطيور، وسنشيّد تلك الأعشاش بالطريقة التي تمكّن من طيّها، أيّ شخص يئس من العثور على مكان يضع رأسه فيه سيكوَن مرغمًا على شراء أحد الأعشاش منا، والذي سيتمكّن من طيه ووضعه على كتفيه أو دسّه في جيبه، وأينما وجد الظلام، سيقوم بتركيب

عشّه على جانب الطريق ويضع رأسه هناك، وتخيّل أنه طوال الليل سيقوم بالصلاة، ويطلب من الرّبّ أن يكرم الأشخاص الذين قاموا ببناء هذا المأوى لعينيه وأذنيه وشفتيه وأنفه.

تخيّلوا الأموال التي سأجنيها جراء بناء الأعشاش، عشّ لكلّ رجل! ها، ها، ها! ها، ها، ها! كلّ مزارع يعيش في عشّ، ها، ها، ها! كلّ عامل أنفه داخل عش! سوف يتنافس العمّال والفلاحون مع الطيور من أجل فضاء في الهواء.

أيّها الناس الطيبون، سلّموني تاج النصر، ها! انتظروا لحظة، أولئك الأشخاص الذين لا تزال تنتابهم بعض الشكوك حول قدراتي، الأعشاب والحبال التي ستصنع منها تلك الأعشاش سوف تستورد من أمريكا، وأوروبا، واليابان، ودول أجنبية، أو بإمكاننا، بكلّ بساطة، استيراد أعشاش جاهزة.

هذا كلّ ما أستطيع قوله، أعطوني التاج.

الطعن

نزل كيهاهو وا غاثيكا من المنصّة وهو مرتبك جدًّا، ويتساءل لماذا لم يقم أيّ أحد بتحيته، قبل أن يصل إلى مقعده شاهد كيهاهو غيتوتو وا غاتنغورو يتّجه نحو المنصة، كان غيتوتو يشعر بالمرارة، وكانت شفتاه ترتجفان، واللعاب يسيل من زوايا فمه.

سيدي الرئيس، نحن لم نأتِ هنا من أجل تبادل الشتائم مع بعضنا، نحن لم نأتِ إلى هنا للتلميح بإشارات الاحتقار لبعضنا، لم نأتِ هنا لسبّنا والاستهزاء بنا، أتينا إلى هذا الكهف من أجل المشاركة في المنافسة لكي نكتشف مَن منا الأكثر مهارة في فنّ النهب والسرقة وعلمهما، والفائز

المحظوظ سيُعيّن كلب حراسة لإحدى شركات التمويل أو الصناعات الأجنبية، وفي اللحظة التي يقوم فيها بجلب الأرباح لأسياده الأجانب فإنّه سيملأ جيوبه أيضًا، عندما يفوز هذا الشخص أو ذلك الشخص، فذلك يعتمد على حسن الطالع، ويجب أن لا ننتظر النتيجة بتبادل الشتائم.

لكن لو كانت هذه المنافسة تتعلّق بمن هو الشخص الذي سوف ينطق بأفضل الشتائم وإشارات الاحتقار، يجب عليكم أن تخبرونا بذلك الآن، تمّ تختين بعضنا، وتعلّمنا بعض الدروس عن التعنيف وعبارات الشتم خلال تعلّم الطقوس الأولية.

وإن كنا قد اجتمعنا للتباهي بقدرتنا على استعمال مجموعة من الشباب لترهيب الآخرين، يجب أن يعلم الجميع هنا بأنّي، أنا، غيتوتو وا غاتنغورو، قمت باستعمال مجموعة من العصابات هي الأكثر رعبًا من أيّ مجموعة أعرفها، كانت المجموعة تنفّذ أيّ مهمة أطلبها منها بما في ذلك إزالة أيّ شخص يتجرّأ على التدخل في نشاطاتي المرتبطة بالنهب والسرقة من على وجه الأرض، كانت عصاباتي، بالأحرى مليشياتي، تفضّل الطرف الأقوى بشكل كبير، ونيتي الحالية هي العمل على استيراد الميليشيات الأوروبية من فرنسا وبريطانيا.

لكن، إذا كان يتواجد أيّ شخص متحمّس بخصوص المبارزة، فأنا، غيتوتو وا غاتنغورو، مستعدّ بمسدسي في أيّ وقت.

لماذا أقول ذلك؟ الرجل النحيف الذي كان يقف هنا، المعروف باسم كيهاهو وا غاثيكا، اتّهمني بأنّني مجرد مبتدئ في فنّ النهب والسرقة، ماذا! ابن غاثِيكا! هل تعرف من هو غيتوتو وا غاتنغورو؟! أم إنّك سمعت الناس يذكرون اسمه فقط؟ أقسم بحقيقة الحقائق أنّه كان يجب عليك الركوع والتوسّل إليّ في مدرستي، وهذا يعني أن عليك الذهاب إلى مدرسة نموذجية لأعلّمك أبجدية

النهب والسرقة التي جعلت كرشي على الحالة التي عليها الآن.

سيدي الرئيس، ما هي نوعية النهب والسرقة التي يتباهى بها هذا الشخص ذو الأرجل الطويلة؟ رشوة الخصوم للخروج من سباق انتخابات المجلس البلدي؟ ربما سيكون لهذا الكلام معنى لو كان الموضوع يتعلّق بالانتخابات البرلمانية، ما هو نوع السرقة الأخرى التي يتبجّح بها؟ شراء البلاستيك الأوروبي والاحتيال على الناس بأنّهم أطفال أوروبيون حقيقيون؟

لنعد إلى السؤال عن نيته المساهمة في تطوير النهب والسرقة في هذه البلاد، أليس من المضحك أن الفكرة الوحيدة التي استطاع صديقنا ذو الأرجل الطويلة أن يأتي بها هي بناء أعشاش العصافير كمنازلا؟ من سيوافق على شراء مأوى لوضع أنفه أو شفاهه؟ سيدي الرئيس، ذلك الرجل الذي يسمّي نفسه غاثيكا وا كيهاهو (أم كان اسمه كيهيهي وا غاثيسي؟) يريد أن يحرّض العمّال والمزارعين على حمل الأسلحة ضدّنا، يريد الرجل أن يغضب العمّال حتى تُزال الغشاوة من أعينهم وسيحرّضهم ضدّنا ويقومون بحمل السيوف والهروات والبنادق، ألا يعلم غاثيسي وا كيهوهيا بأنّ شعبنا متعطش لحمل السلاح؟ أنا أعرف غايته، الرجل يريد أن يدخل الشيوعية الصينية إلى البلاد.

سيدي الرئيس، خططي للتطوير منطقية أكثر ألف مرة، نقوم ببيع الأراضي في أطباق صغيرة، ونقوم بحبس الهواء لكي نبيعه في علب معدنية أو بالأمتار، آنذاك سيتنفّس العمّال والفلاحون بالأمر، بأمرنا! الاستيلاء على كلّ التربة في الأراضي وكلّ الهواء الذي يحيط بنا هي الطريقة الأكيدة التي ستجعل العمّال والمزارعين مطيعين لنا إلى الأبد، لأنّهم لو قاموا بأدنى صخب، سنقوم بقطع الهواء ويأتون زاحفين على ركبهم.

أصدقائي، من الأفضل أن تبيّنوا لكيهاهو وا غاثيكا أنكم لستم من

ذلك النوع من الناس الذين يمكن رشوتهم لمنح أصواتهم مقابل كأس من الجعة، أتمنى، حيثما يجلس الآن، أن يعرف غاثيكا، بأنّني، أنا غيتوتو وا غاتنغورو لست بالشخص الذي ينسحب هاربًا من ساحة المعركة وأتخلى عن النصر لصالح جماعة ذوي السيقان الطويلة حتى لو كانوا خبراء في كسر أرجل الأشخاص المعارضين لهم، تاج النصر لي.

قبل أن يعود غيتوتو وا غاتنوغورو إلى مكانه مترنّحًا، قام رجل آخر بالقفز لكي يأخذ الكلمة، هذا الرجل لم يكلّف نفسه الصعود إلى المنصّة، وعلى الرغم من أنّ اللعاب لم يسِل من زوايا فمه كما حدث مع غيتوتو وا غاتنغورو، إلا أنّه كان يشعر بالمرارة أيضًا.

سيدي الرئيس، أنا أيضًا أودّ أن أقول كلمة، لأنّه كما يقال الحكمة المسجونة في القلب لا تكسب أيّ دعوى قضائية. المعذرة! أنا معروف باسم آتي وا مبوي، أعتقد بأنّنا اجتمعنا في هذا الكهف للتفاخر وتدريس بعضنا الطرق الفعّالة والماكرة للسرقة والنهب من الفقراء، لكن الرجل الذي كان يقف هنا من قبل، أقصد، النحيف، الصديق الذي يشبه البعوضة، خرج عن الموضوع بطريقة سيئة.

ابن غاثيكا ألا تخجل من نفسك؟ ألم تشعر بالإحراج، عندما وقفت أمامنا تتفاخر بالاحتيال على الناس الذين ينتمون إلى طبقتك نفسها، كنت، بلا خجل، تتفاخر بسرقة الأشخاص الذين ينتمون إلى طبقتك؟ عندما نبدأ بنهب، سرقة، وغش بعضنا، كيف ستُأسَّس وحدتنا كطبقة اجتماعية؟

بالنسبة لي، خجلتُ وحزنتُ جدًّا، لأنّ كلّ أطفالي كانوا يذهبون إلى ما كان يُسمّى آنذاك بحضانة العهد الحديث، كنت أعتقد بأنّ أطفالي كانوا يذهبون إلى المدارس التي يذهب إليها الأطفال الأوروبيون، لكنها كانت مدراس أوروبية مزيّفة، كانوا أوروبيين من البلاستيك بشعر مستعار

مزيف، وعندما أفكّر في مئات الآلاف من الشلنات التي دفعتها من أجل أن يكون أطفالي برفقة الأوروبيين البلاستيك، أحجار تقوم مقام العظام والآلات الكهربائية بدلًا من القلوب؟ ماذا إذن، عندما يأتي أبنائي من الحضانة ويخبرونني بأنّهم كانوا يلعبون مع أصدقائهم الأوروبيين، هل كان كلّ هؤلاء الأصدقاء عبارة عن آلات بلاستيكية وكهربائية أوروبية فحسب؟

طوال حياتي، لم يسبق لي أبدًا أن رأيت هذا الشرّ الذي لا يوصَف، تخيّل أنّ شخصًا راشدًا مثل كيهاهو وا غاثيكا كان يكدّس أموال الناس من دون مقابل؟ لذلك لم يتمكّن أطفالي من تحدّث اللغة الإنجليزية بطلاقة مثل الأطفال الأوروبيين الحقيقيين؟ وعندما تفكّر في عدد المرات التي أخجلوني أمام الناس من طبقتي نفسها، لأنّه عندما يتحدّث معهم الآخرون بالإنجليزية كانوا يجيبون بلغة كيكويو؟

ولعلمكم، والدتهم، نينا وا مبوي، كانت تقول لي من وقت لآخر: "آني وا مبوي، لا أظن أنّ أولئك الأوروبيين هم من الإنجليز الحقيقيين مطلقًا، لماذا يقومون بالأشياء نفسها مرة تلو الأخرى، كما كانوا يقضون وقتهم في اللعب والقيام بالشيء ذاته بشكل مستمر، كانوا يقضون وقتهم في الركض، كنت أُطمئنها: يا نينا وا مبوي، الإنجليز هم عِرْق هجين من أنواع بيضاء مختلفة، الإيرلنديين، والأمريكيين، والألمانيين، والفرنسيين، والأسكتلنديين، إنّهم عِرْق ذو مبادئ سامية، ليسوا من ذلك النوع الذي يتغيّر بين الفينة والأخرى، يوم في الداخل، ويوم في الخارج، يحبّون الألعاب التي تتضمّن الجري. بالفعل، الأوربيون هم الذين اخترعوا كرة القدم، الركبي، والكريكيت، وهي رياضات تعتمد على الجري، نينا وا مبوي، دعي أطفالنا في تلك المدارس ليتعلّموا العادات الإنجليزية الحقيقية، الأوروبي هو الأوروبي حتى لو كان مشوهًا، ما يهمّ هو بياض بشرته. واتّضح الآن أنّها هي

التي كانت على صواب؟ صحيح أنّ الرجل لا يصدّق كلام المرأة إلا عندما يفوت الأوان.

سيدي الرئيس، أن تسرق، أن تنهب، وأن تغش الفقراء هو أمر صائب، هل هناك مصدر آخر لثروتنا؟ لا أحد سيتجرّأ على مناقشة ذلك النظام، لأنّ العالم كان ولا يزال يسير على المنوال نفسه، وسيبقى على النظام نفسه، لكن هذا الرجل الذي يسرق وينهب ويغشّ الطبقة التي ينتمي إليها، أيّ نوع من الناهبين والسارقين هو؟ أليس هناك اتفاق عام على أن السرقة تمرّ بالتفاهم؟ ويتجرّأ على بالوقوف أمامنا وإحداث الصخب والمطالبة بتاج النصر، تاج النصر فعلًا! يجب أن يذهب إلى منزله ويرتدي تاج والدته.

كيهاهو، من اليوم فصاعدًا لن يذهب أطفالي حتى إلى مكان قريب من حضاناتك، سوف أذهب مباشرة إلى نينا وا مبوي فهي متعلمة جدًّا لأنّها درست في كامبريدج، لكي تبحث عن مدرسة دولية. كيهاهو وا غاثيكا، لقد ربحت ما ربحت، ولن تأكل أيّ شيء يخصّ آثي وا مبوي ونينا وا مبوي، سنذهب إلى مدارس دولية للأوربيين، حيث تمارس الإنجليزية الدولية، مدارس لا يديرها مديرون مقعدون، مدارس ليس فيها أوروبيون مصنوعون من البلاستيك بقلوب كهربائية وجلود مبيضة بالأسيد، نحن نريد لونًا دوليًا.

وقبل أن يجلس آثي وا مبوي وقف رجل آخر لكي يتحدث، كان غاضبًا وهو يتحدّث، ويقضم أصابعه من شدّة الغضب، كان كرشه كبيرًا جدًّا حتى إنه تدلّى فوق ركبتيه تقريبًا.

سيدي الرئيس، اسمي فاتوغ مارورا وا كيمينجيمينجي، ليس لديّ الكثير لأقوله، أطالب إقصاء كيهاهو وا غاثيكا من هذه المنافسة، كيف يتجرّأ بالمجيء إلى هنا ويتباهى بأنّه قام بممارسة الجنس مع زوجات أشخاص

آخرين؟ سيدي الرئيس، كانت زوجتي فعليًا تخرج من المنزل، الآن أعرف إلى أين كانت تذهب، أنا أعرف الزاني الذي يعمل على إفساد بيوت الناس تدميرها، أنت، نعم، أنت، كيهاهو! أقسم لو كان مسدسي بحوزتي، نعم أقسم بالأمّ التي حملتني، بأنّك في هذه الليلة سوف تنام بلا قضيب يوحّد زوجات الآخرين، لن أهتمّ لذلك.

سيدي الرئيس، لو أنّه قام بممارسة الجنس مع زوجات الفقراء فقط، أو التلميذات من الأسر الفقيرة، لكن... لكن...

في تلك اللحظة شعر بألم شديد بحنجرته أسكته عن الكلام، لكن فاتوغ مارورا وا كيمينجيمينجي كان يقضم شفاهه وأصابعه من شدّة الغضب عندما همّ بالجلوس، أصبح الكهف عبارة عن خلية ويعمّه صخب عارم وغاضب، الكثير من الغضب كان موجّهًا لكيهاهو وا غاثيكا.

بعد ذلك وقف كيهاهو وا غاثيكا لكي يدافع عن نفسه، سيدي الرئيس، لقد أُهنت وشُتمت من قِبَل الذين تحدّثوا قبل قليل، لقد استمعت إلى شتائمهم بكلّ تروٍّ، لكن الآن أطلب الحماية وأبحث عنها عند الرئيس. أنا أيضًا سأتحدّث بكلّ صراحة وليقع ما يقع، يجب على كلّ رجل هنا أن يذهب إلى بيته ويؤمّن فَرْج زوجته باستعمال قفل، ثم يقوم بوضع كلّ المفاتيح في خزينة في البنك يحتفظ بها هو إلى أن يصبح الرجل مستعدًّا لاسترجاعها، ومشحونًا بالانتصاب، أنا لست الشخص الذي علّم زوجاتهم بأن يصبحن عشيقات، أو الانضمام إلى نادي المستعدّات للاستسلام، لكن امرأة مثل زوجتك، وهنا كيهاهو أشار بأصبعه إلى فاتوغ مارورا وا كيمينجيمينجي، أقسم بالحقيقة أنّني لن ألمس امرأة مثل زوجتك، حتى وإن وجدت فخذيها مفتوحين على جانب الطريق، وحتى وإن اختليت بها وحدها في أحد البيوت وأطفأت الأنوار، أنا لن أتنافس عليها مع التلاميذ والسياح.

لا بد أن أشير أيضًا بألّا يتفاخر أيّ واحد هنا بحيازة السلاح، لدي ثلاث بندقيات ورشاشان في منزلي، وفي السيارة لديّ رشّاش من طراز باتشيت، وإن كنتم تلاحظون بأنّ جيب هذا المعطف منفتح قليلًافلا تظنوا أنّه لا يصلح لأيّ شيء آخر. حيثما أذهب أكون دائمًا مسلحًا من رأسي إلى أخمص قدميّ، إذا أتى أيّ شخص إلى هنا وحاول أن ينتزع مني السلاحفسوف يرى النجوم في عزّ النهار.

سيدي الرئيس، غيتوتو وا غاتنغورو قام بإهانتي، نحن جئنا إلى هنا لكي يتمكّن كلّ متنافس من التفاخر بالأسلوب الذي يختاره، وبقدرته المتعلّقة بالنهب والسرقة، كنت أقول الحقيقة فقط، لم أحاول إهانة أيّ شخص، الأمر الذي قلته هو أن نهب الجموع عن طريق المضاربة في الأراضي (الأراضي التي حاربوا من أجلها)، هي مرحلة مررت بها أنا أيضًا قبل الانتقال إلى أمور أهمّ، أنا لم أعد أتعامل مع شركات وجمعيات بيع الأراضي، الفرد لا يسرق ويجلس القرفصاء ليأكل الغنيمة في المكان نفسه في جميع الأوقات، لأنّ المالك سيعلم بأمره عاجلًا أم آجلًا.

الأمر الذي أنكره من كلّ قلبي وفي كلّ حياتي هو ما قاله غيتوتو وا غاتنغورو بأنّه من الممكن أن أكون السبب وراء ظهور أسلوب الشيوعية الصينية في البلاد. هل أقبل أن يحكمني حزب العمّال والفلاحين؟ هل أقبل بأن يحكمني حزب يعمل على اجتثاث نظام النهب والسرقة من الأرض؟ هل أعود للعمل بيديّ؟ آكل ما أحصل عليه من عرق جبيني فقط من دون التطاول على عرق الآخرين؟ أواجه الطباشير والغبار بنفسي مرة أخرى؟ انسَ ذلك سيد غيتوتو.

على العكس من ذلك، أودّ أن القول إنّ خططك من أجل الاستيلاء على كلّ التراب وكلّ الهواء في الكون أو أيّ شيء آخر هو الأمر الذي سيعمل على

نشر الأسلوب الشيوعي الصيني بشكل سريع، والسبب هو: إذا منعت الناس من التنفّس، ما الذي سيمنعهم من حمل الهراوات والسيوف والمسدسات؟ أليس تلك معادلة تظهر حجم احتقارك للجماهير؟ الحقارة المقنّعة أفضل: كما أن نظام السرقة المقنّعة بالكذب أفضل. في رأيك، لماذا أحضر أصدقاؤنا الإمبرياليون الإنجيل؟ هل تظنّ بأنّهم كانوا حمقى عندما طلبوا من العمّال والفلاحين إغلاق أعينهم أثناء الصلاة، وقالوا لهم إن الأشياء الدنيوية لا طائل من ورائها؟ في رأيك لماذا أحضُر جميع اجتماعات الوحدة الوطنية التي تسعى إلى جمع التبرعات من أجل إنعاش رأس المال في الكنيسة؟

غيتوتو، دعني وشأني، لكن إن كنت تودّ أن تتحدّاني في نزال بالسلاح فسأكون سعيدًا جدًّا لأنّ كرشك سيكون هدفًا دقيقًا، وسأعرف حينها إنْ كان بمقدوري أن أفرغها من الهواء برصاصة أو اثنتين، لكن هل تودّ أن تنشب حرب بين مليشياتنا؟ وهو الأمر الذي سيمنحنا الفرصة للتعرّف على أيّ الفريقين، فريقي أو فريقك، ستدخّن أقوى ماريجوانا، أنا أيضًا خُتنت، لو بحثت جيّدًا بين النساء، سيشهدن بأنّه لا يوجد أي قلفة لقضيبي.

وفي النهاية، أودّ أن أردّ على التهمة التي اتّهمني بها آثي وا مبوي الذي اشتكى من أنني أقوم بسرقة ممتلكات الطبقة التي أنتمي إليها، أقول له الآتي: أيّ نوع من الناهبين والسارقين أنت؟ ماذا يفعل في هذه المسابقة إنْ لم يتعلّم الحقيقة الأساسية، وهي بأنّ هناك حديدًا يثقب حديدًا مثله بكلّ سهولة؟ دعوني أقول هذا لآثي وا مبوي، هناك بعض اللصوص الذين يستطيعون سرقة اللصوص الآخرين؛ هناك ناهبون يستطيعون سرقة ناهبين آخرين؛ هناك ملوك يستطيعون أن يحكموا ملوكًا آخرين، إنْ لم يكن آثي وا مبوي يعلم ذلك، يجب أن يحزم أمتعته ويذهب إلى منزله ليساعد نينا وا مبوي بتقشير البطاطا بجانب المدفئة ويتحدث عن النار ورمادها، لا يفلّ الحديد

إلّا الحديد، ألا يعني ذلك بأنّ الحديد ذو متانة وجودة مميزة؟ ماذا تريدون أيّها الناس أيضًا؟ التاج هو لي، لا تهدروا الوقت، أعطوني تاج النصر.

اتّضح أنّ حديثه الأخير ولّد المزيد من الأعداء، فقفز العديد من الأشخاص الآخرين في الوقت نفسه، وبدؤوا يصرخ بعضهم بوجه بعض، بعضهم يساند كيهاهو أو غيتوتو، أو آثي وا مبوي، وآخرون يساندون فاتوغ مارورا وكيمينجيمينجي، بدا الكهف كأنه موقع لسبعة أسواق مجتمعة معًا.

بعد ذلك عمّ الصمت في أنحاء الكهف، أخرج كلّ من كيهاهو وا غيتوتو، أو آثي وا مبوي مسدساتهم.

قام الناس بدفع مقاعدهم إلى الخلف في صمت، ثم وقفوا وحاول كلّ واحد منهم تجنّب الرصاص. ولمدّة دقيقة لم يعطس أو يسعل أيّ أحد؛ الضجيج الوحيد الذي عم هو صوت سحب الكراسي والطاولات التي ابتعد عنها شاغلوها بانتظار صوت الرصاص.

كادت الاحتفالية برمّتها أن تتحول إلى فوضى لو لم يقُم رئيس مراسم الاحتفال بالصعود إلى المنصّة قبل إطلاق النار وبدأ بالصراخ بأعلى صوته مطالبًا الجميع بالعودة إلى مقاعدهم، كان كلٌّ من كيهاهو وا غاثيكا، وغيتوتو وا غاتنغورو وآثي وا مبوي يحدّقون ببعضهم قبل أن يعود كلّ واحد منهم إلى مقعده. ومرة أخرى وبشكل مفاجئ، عاد الضجيج إلى الكهف، حاول رئيس مراسم الاحتفال تهدئة الناس عن طريق التلويح بيده، بعد ذلك، تحدّث معهم بنبرة هادئة وتصالحية.

ضعوا تلك المسدسات في جيوبكم، أسألكم بكلّ احترام عن الأمر الذي جمعنا هنا اليوم، نحن لم نأتِ إلى هنا من أجل الصراع، نحن جئنا إلى هنا لهدف واحد، وهو المشاركة في مسابقة النهب والسرقة الحديثة، أودّ أن أذكّركما أيضًا بتواجد الضيوف، سبعة خبراء في النهب والسرقة

الدولية، لمراقبة كلّ ما نقوله ونفعله، هل تريدون تعرية بعضكم بعضا أمام الضيوف الأجانب؟ ما الانطباع الذي سيأخذونه عنّا برأيكم بعدما شاهدوا كلّ هذه الفوضى والتهديد بالسلاح في عزّ النهار؟ أفعالنا ستفقدهم الثقة فينا، وسيعيدون النظر في مكانتهم. لابدّ أنهم يتساءلون: هل يستطيع هؤلاء الناس رعاية ممتلكاتنا من النهب والسرقة في بلادهم؟ هل هم قادرون فعلًا على الاهتمام بمصارفنا ومتاجرنا وكلّ مصانعنا التي يديرونها؟ تصوّروا ماذا سيقع لو قاموا بنقل فتاتهم إلى قرية أخرى؟ أيّ خسارة ستكون على إيلموروغ؟ من سنلوم سوى أنفسنا؟ سأكون صريحًا معكم، وحسب المثل الشائع، يمكن لأيّ شخص أن يلطّخ سمعة شخص آخر أيضًا، ويبعد عنه الحب، شدّة اللهيب تستطيع أن تحرم النار من لحومها.

أرجوكم، أتوسّل إليكم، أرجوكم، أرجوكم، كونوا صبورين، كلّ متسابق سيحصل على فرصته لكي يدلي بشهادته على هذه المنصة ويتفاخر بفنّه في النهب والسرقة، لا تحتقروا بعضكم، الشهادة هي الشهادة، يجب ألا نجعل شهادة معينة تشهد ضدّ شهادة أخرى، لا يوجد صقر صغير عندما يتعلّق الأمر بالصيد بواسطة الأسلوب الحديث.

لكن لإرجاع السكينة إلى أرواحنا وأجسامنا، أقترح فسحة قصيرة نمتّع فيها كروشنا لأنّ كرش الناهب والسارق لا تمتلك من الحماقة ما يجعلها تصمت عندما يكون الطعام وفيرًا، ولا يمكن أن نرشوها للسكوت بقضمة واحدة أو قضمتين، باستطاعتكم جميعًا تناول الغداء هنا، لدينا طبق عالمي متميز، ويمكنكم الذهاب إلى مكان آخر في إيلموروغ، لكن أتوسّل إليكم بالإسراع في الأكل والشرب لكي نجتمع هنا جميعًا قبل الساعة الثانية والنصف، فهناك العديد من الشهادات تنتظرنا.

قبل الشروع في استراحة الغداء، أودّ أن أذكّر النساء هنا، سواء أكنّ

زوجات، عشيقات، أم صديقات، أنه بعد انتهاء المسابقة سوف يكون هناك عرض للأزياء، فهي فرصة بالنسبة لكنَّ لكي تتفاخرن بمجوهراتكن، ذهبكن، ألماسكن، فضّتكن، ياقوتكن، وأحجاركن الكريمة، ولآلئكن، يجب أن نطوّر ثقافتنا، وأنتم تعلمون جيّدًا بأنّ طريقة النساء في اللباس ونوعية المجوهرات التي يرتدينها هما اللذان يحدّدان سمو الثقافة التي ينتمين إليها، لذلك، عندما تعدن، أرجو أن تجهزن عقودكن، وأقراطكنَّ، وخواتمكنّ، ودبابيس الزينة، لكي نثير إعجاب ضيوفنا الأجانب ونبيّن لهم أننا نحن أيضًا نسير على نهج الحضارة الحديثة، تذكّروا، عند الساعة الثانية والنصف تمامًا، الآن، أتمنّى لكم، شهية طيبة، أصدقائي.

قاموا بتحية رئيس مراسم الاحتفال وقوفًا، صار الجميع بكامل رضاه الآن، وبدؤوا يتحدّثون بكلّ خفّة، وبدأت فرقة زبانية جهنم الموسيقية بعزف بعض الألحان الكونغولية:

Babanda nanga bakimi na mobali[10]

Mobali oyo toto ya matema

Nakei koluka mobali nangae....

بقي القليل من الأشخاص في أماكنهم، يشربون ويناقشون التهديد بإطلاق الرصاص، تحرّك الآخرون باتّجاه الباب.

Kyrie, kyrie eleison[11]

Kyrie, kyrie eleison....

---

10 كلّ المقاطع والعبارات تركها المؤلف باللغة السواحيلية. م.

11 كلّ المقاطع والعبارات تركها المؤلف باللغة السواحيلية. م.

أمسك غاتويريا وارينغا من يدها وقال: "علينا أن نخرج، وإلّا سأختنق جرّاء هذا الجو".

"أجل"، قالت وارينغا وهي تقف: "أشعر ببعض التعب، لنذهب خارجًا بحيث يمكننا استنشاق قليل من الهواء مجانًا قبل أن يحوّله كيهاهو وا غيتوتو إلى سلعة تُباع"، وهمّت بالخروج.

Kyrie, kyrie eleison[12]

Kyrie, kyrie eleison....

اتّجه مواؤرا نحو موتوري وقال: "كيف عرفت عن موضوع زبانية الجحيم؟ ما هي علاقتك بهم؟".

أمسك موتوري الورقة التي سلّمتها العصابة لوارينغا، أولئك الذين أخرجوها من منزلها في نيروبي.

قال موتوري "انظر إلى هذه،" وهو يسلّم الورقة لمواؤرا: "اعتقد أنّها لك"، قرأها مواؤرا وتجهّم وسأل: "من أين حصلت عليها؟ ".

أجاب موتوري: "كانت في سيارتك الليلة الماضية".

نظر مواؤرا إلى موتوري بعينين مليئتين بالأسئلة المريرة: "ماذا يفعل موتوري هنا؟ من يقنص بعينيه القلقتين؟ هل من الممكن أن يلاحقني؟ لماذا كتب هذا، لكي يتظاهر بأنّه وجدها في السيارة فقط؟ أم أنّه كان يريد قراءة ردّة فعلي على تعابير وجهي؟ من هو موتوري؟ من هي وارينغا؟" لم يستطع موتوري أن يلاحظ المرارة في عينَي مواؤرا، لأنّه في تلك اللحظة، كان ينظر إلى وانغاري.

---

12 لغة سواحيلية. م.

قال موتوري لوارينغا: "يجب أن نخرج الآن ".

استمرّت فرقة زبانية جهنم الموسيقية بعزف اللحن الكونغولي نفسه:

Nakai koluka banganga[13]

Po ya Kosongisa mobali nangai....

قرّر مواؤرا أن يسأل، بشكل مفاجئ، موتوري ووانغاري عن الجهة التي أرسلتهم إلى إيلموروغ، لابدّ أن أبيّن لهم بأنني أعلم عن مهمتهم السرّية، ويجب أن أوضّح لهم بأنّهم لم يخدعوني بسرد قصصهم الطويلة ليلة أمس.

بدأ قائلًا: "أنا أقول!"، بعد ذلك كتم الأمر الذي في ذهنه، وحاول أن يغطّي ذلك بالعديد من الأسئلة: "وانغاري، هل ستتزينين بالذهب، والألماس واللؤلؤ والأحجار الكريمة الأخرى؟".

ضحك موتوري، ووارينغا ومواؤرا، غادروا الكهف وهم لا يزالون يضحكون، أحسّ مواؤرا بنوع من الانفراج، ما هو الشيء الذي كان يخيفه؟ أجابت وانغاري: "أفضّل ارتداء قرطين مصنوعين من أعواد الذرة الجافّة، المشكلة الوحيدة هي إنّي أضعت فرصتي في الحصول على ثقبين في أذنَيّ".

سأل مواؤرا وموتوري: "لماذا؟ "

"لأنّه في زماننا لم نكن نهتمّ بتزيين أجسادنا بالأزهار والعقود، في زماننا كنّا نزيّن أجسامنا بالرصاص لتحرير كينيا"، قالت وانغاري ذلك بكلّ فخر لأنّها عملت على تغيير تاريخ كينيا.

توقّف مواؤرا عن الضحك بشكل مفاجئ، كان منزعجًا، اسودّ وجهه، وبدأ قلبه ينبض ويسأل نفسه: هل من الممكن أنك كنت تحمل، في

---

13 لغة سواحيلية. م.

حافلتك الصغيرة خطرًا على حياتك، مثل القمل الذي يحمله الفرد ويدور به وهو فوق جسده؟

لكن موتوري نظر إلى وانغاري بقلب يغمره الفخر والسعادة فجأة، وانغاري، يا بطلة بلادي، يا كلّ واحدة تسمى وانغاري، يا بطلات في أرضنا، هل يتوجّب عليّ أن أخبرها عن المهمة التي جعلتني آتي إلى هنا اليوم، لكي نقوم، هي وأنا، بمساعدة بعضنا؟ لا، لم يحن الوقت بعد، وسوف أقوم بمراقبتها لوقت أطول، تمتم مع نفسه وهو لا يزال ينظر إلى وانغاري.

لكن فيما بعد، همس موتوري لنفسه وتذكّر المتباهين في الكهف، وشعر بأنّه بحاجة إلى البكاء، حثّ مواؤرا وواريننغا: "هيا بنا نخرج من هنا، هيا بنا نرحل من هذا المكان".

الفصل الخامس

1

عندما خرج موتوري ووارينغا من الكهف وقفوا للحظة فوق أحد أطراف الطريق المؤدّي إليه، كانت الشمس ساطعة على جميع أطراف إيلموروغ وسهولها، كانت الأرض هادئة لا برد ولا رياح "على الرغم من أنني كنت تحت أنوار المصابيح الكهربائية الشديدة منذ قليل، إلا أنّني أحسست كنت أعيش في الظلام طوال حياتي"، تنهدت وارينغا، ثم أضافت بصوت غنائي: "الشكر لشمس الرّبّ، التحية لنور الرّب".

قال لها غاتويريا: "لا بد أنّك تنشدين بالثناء على أنوار البلاد كلها"، سألت وارينغا بصوت ساخر نوعا ما: "هل تقصد الأنوار التي تركناها خلفنا في الكهف أم نوعًا آخر من الأنوار؟ ".

أجاب غاتويريا: "لا، النور الذي أوشك أن ينطفئ بسبب أولئك الذين تركناهم خلفنا ".

سارا ببطء وبصمت باتّجاه الباب الرئيس، بعد ذلك، بدءا الكلام، في الحقيقة لم تكن محادثة، كانت تعويذة أكثر منها كلامًا، كما لو أنهما يشاركان في مسابقة شعرية غنائية، يقرآن الأبيات التي يتذكرانها من الأحلام.

غاتويريا: تحية إلى بلادنا
تحية إلى جبل كينيا
تحية إلى أرضنا
التي لا تخلو أبدًا من المياه أو الطعام أو الحقول الخضراء
وارينغا: تحية إلى عظمة هذه الأرض
تحية إلى الأرض التي تحيط بها البحيرات العميقة
من توروكانا إلى نيفاشا
ومن نام- لولوي إلى مومباسا
تحية لهذا الطوق من المياه الزرقاء
غاتويريا: فلتحيَ، فلتحيَ دروع هذه البلاد
من كينيا إلى جبال مبيروئرو
من كيانجاهي إلى قمم نياندراروا
من وايئريرا إلى جبل إبلغون
تحية للدفاع الطبيعي عن أرضنا
وارينغا: واستمعوا إلى نداء الأرض
للأنهار التي تصبّ في الشرق
رؤيرو، كانيا، ساغانا
لنهر تانا، لنهر آثي، لنهر كيريو
تصبّ الآن في الشرق، وتنادي:
تعالوا.. تعالوا.. أسرعوا.. أسرعوا، وحيوا الأرض
غاتويريا: لأن هذه الأرض بيعت بثمن باهظ
وفديناها بالدماء والدموع
وارينغا: دماء ودموع النساء والرجال

والآباء والأبناء

غاتويريا كان أول شخص يستيقظ من تلك الأحلام التي تشبه التعويذات، تحدّث بصوت مملوء بالمرارة: "وهذه هي الأرض التي بيعت في المزاد العلني للأجانب!".

بدلًا من الردّ، قامت وارينغا بغناء الأغنية التي سبق أن أنشدها موتوري ووانغاري خلال الرحلة عبر حافلة مواؤرا الصغيرة.

كينيا ليست لكم، أيها الامبرياليون
احزموا حقائبكم وارحلوا
فصاحب البيت في طريقه إليه

قال غاتويريا: "لكن عندما يعود المالك سيكتشف أنّ المنزل كله قد بيع، إذن، هل صحيح أنّ أعمال تخريب كهذه تقع في عزّ النهار؟ ".

"نعم، كان الجناة على استعداد عندما قاموا برفع الكؤوس للشراب".

"نعم، على استعداد ليقوموا بلعب الغولف".

"ولكي يذهبوا لأخذ حمّامات الساونا في الفنادق الغالية ".

"ولكي يرقصوا في النوادي الليلية الغالية".

قالت وارينغا: "وينشدون أغاني التباهي في كهوفهم وأوكارهم، كان الرّب بعون كينيا، آه، لا أعلم ماذا حدث لي؟ قلبي مُثقل جدًّا حتى إنّني أرغب في البكاء، لم أفكّر أبدًا في هذه الأشياء بهذه الطريقة. "

أجاب غاتويريا: "ربما، السبب وراء ذلك هو الويسكي الذي شربتِه، هيا بنا نذهب ونبحث عن مكان نأكل فيه لحم الماعز المحمّر".

سألت واريغنا: "هنا في مرتفعات غولدن؟".

سأل غاتويريا: "لا، ألا توجد أماكن أخرى بصرف النظر عن هذا المكان الذي يبيعون فيه الهواء في اليقطين اليابس الصغير؟".

صرخت وارينغا: "نشتري الهواء الجيد، الهواء النقي من أوروبا"، كما لو أنها تنادي على مشترين للهواء الأبيض.

نظر غاتويريا ووارينغا إلى بعضهما، تحدثت عيونهما، ضحكا معًا، أحسّت وارينغا بأنّ قلبها أصبح خفيفًا.

اقترحت وارينغا: "هيا بنا نذهب إلى نجيروكا"، سأل غاتويريا: "هل يوجد مطعم هناك؟ نجيروكا، أين سمعت هذا الاسم من قبل؟".

ضحكت وارينغا، بدأت تخبره الكثير عن إيلموروغ وهما ينزلان ببطء أسفل الطريق.

"إيلموروغ هي مجموعة من القرى في قرية واحدة، دعني أبدأ بالأطراف الخارجية للبلدة، حيث يعيش الفلاحون وأولئك الذين لم تُبَع أراضيهم للبنوك أو للأغنياء والأقوياء، هناك أيضًا منطقة التسوّق حيث توجد محلات الستائر والبقالات ومحلات الأجهزة والمحلات بكلّ أنواعها، هذه المنطقة من البلدة تضمّ المصارف، وهذه البقعة تضمّ المنطقة الصناعة، هناك ستجد الحانات الضخمة، مصانع ثنجيتا.

تنقسم المنطقة السكنية إلى جزأين، الأولى اسمها المنطقة السكنية مرتفعات غولدن إيلموروغ، وفي الماضي كانت تُسمّى كيب تاون لكنها تعرف اليوم باسم مرتفعات غولدن أو بكلّ بساطة المرتفعات، الهواء هناك جيد ونقي ولذلك هو المكان الذي يعيش فيه أيّ شخص له ثقله في إيلموروغ، إنّها تضمّ مساكن الأثرياء والأقوياء، لكن هل تسمى بالبيوت أم بالمقار، بالمساكن أم بالروائع المطلقة؟ الجدران مصنوعة من أحجار

نجيرو، الأسقف مصنوعة من القرميد، النوافذ من الزجاج الأزرق الداكن مثل مياه البحيرات أو السماء في يوم صحو، تلك النوافذ مزخرفة بقضبان حديدية على أشكال متنوعة من الأزهار، الأبواب مصنوعة من الخشب السميك ومنحوتة بجميع أنواع الأشكال العجيبة، الأرضية مرصوفة بالخشب المصقول جيّدًا، هو ناعم جدًّا ولامع ويمكنك مشاهدة صورتك المنعكسة عليه، ويمكنك استعماله أيضًا كمرآة لتصفيف شعرك. سكان مرتفعات غولدن في تنافس دائم مع بعضهم، عندما يقوم أحد الرجال ببناء منزل من عشرة غرف، غرف بعشرة مداخن سيبني الآخر منزلًا من عشرين غرفة وعشرين مدخنة، إذا قام هذا باستيراد السجادات من الهند سيقوم الآخر باستيرادها من إيران، وهكذا دواليك.

الجزء الآخر من المنطقة السكنية يسمّى القدس الجديدة، نجيروكا، وتلك هي المنطقة السكنية الخاصّة بالعمال، والعاطلين. إنّها المنطقة التي يعيش فيها بائسو كينيا، لكن هل توجد فيها منازل عشوائية، أم إنها أعشاش الطيور التي كان يتحدث عنها كيهاهو وا غاثيكا؟ جدران وأسقف المساكن العشوائية مصنوعة من الصفائح الحديدية وأكياس البوليثين المشمّعة القديمة، تلك هي ضواحي إيلموروغ الفقيرة التي تحضّر جعة مائنغيتا، تشانغا، شيبوكو، وأنواع الجعة المحرّمة الأخرى، تصبح الجعة أكثر قوة عند اضافة المواد القلوية، كينين واسبرو، لترهق العمّال، في بعض الأحيان، أظنّ أنّ نجيروكا هي جهنم التي وصفها الإنجيل للمسيحيين".

سأل غاتويريا: "لماذا؟ كيف يبدو المكان؟"، تسأل هذا السؤال كما لو أنك أجنبي يعيش في كينيا؟ ألم يسبق لك أن قمت بزيارة ضواحي نيروبي لترى بنفسك ذلك المنظر المدهش لتلك الجيوش غير المتناهية من البق والبراغيث التي تمشي أعلى الجدران وأسفلها، أو تلك الحفر الخانقة

والضارة، الممتلئة بالمياه الآسنة، البول والغائط، والأطفال العراة الذين يسبحون في تلك الحفر النتنة؟ ضاحية الفقراء هي ضاحية الفقراء، هنا في نجيروكا ليس لدينا أيّ صرف صحي، الغائط والبول البشري، جثث الكلاب والقطط الميتة، كلّ هذه الأمور تجعل المنطقة كأنها عفن، فضلًا عن هذا الخراب هنالك الدخان الخطير الذي ينبع من المنطقة الصناعية، وكلّ هذه الأشياء تُنقل إلى نجيروكا بسبب الرياح، فضلًا عن كلّ النفايات ومخلّفات المصانع التي توضَع هناك، وسترى لماذا قارنت نجيروكا بالجحيم عندما تقوم بدفن الشعب في حفرة مملوءة بالبراغيث والبقّ والبعوض، أيّ جحيم أسوأ من ذلك؟"، أنهت وارينغا حديثها بنوع من المرارة.

"براغيث، قمل، بق، هل هناك المزيد من هذه الضواحي في إيلموروغ أكثر من الطفيليات البشرية التي تركناها خلفنا في الكهف؟"، سأل غاتويريا محدثا نفسه ببطء وبصوت منخفض. محدّثًا نفسه.

في تلك اللحظة شاهدا حافلة صغيرة تتّجه نحوهم بسرعة فائقة، لوّحت وارينغا لكي تتوقف، فتوقّفت حافلة الماتاتو، وصعدا إلى داخلها، بعد دقيقة أو أكثر وصلا إلى جزارة إيلموروغ الجديدة التي يمتلكها رجل بعين واحدة يدعى تومبو، طلب غاتويريا ثلاثة أرطال من لحم الماعز، كما طلب منه أن يضع القليل من الضلوع "الريَش" لكن من دون أحشاء، حدّق إليه تومبو بعين واحدة وقال له إنّه لن يبيع أيّ شخص قطعة من اللحم من دون أن يضع معها القليل من الأحشاء، يجب على، غاتويريا، أن يدرك بأنّه في نجيروكا، منطقة أولئك الناس الفقراء وليس في مرتفعات غولدن حيث يوجدِ الأثرياء. طلب منه غاتويريا أن يضيف قطعة كبدة بدلًا من الأمعاء فوافق على ذلك.

ذهب غاتويريا ووارينغا خلف المحل المحاذي لجزارة تومبو، كانت

الغرفة الأمامية هي المحل لكن الغرف الخلفية كانت هي الحانات حيث الكثير من الزبائن يشربون الجعة ويجلسون فوق الصناديق الخالية. كانت الحانة الرئيسة تعجّ بالزبائن لكن مسؤول الحانة أرشد غاتويريا وارينغا إلى غرفة فارغة. جلسا فوق الصناديق الفارغة وأحضر لهم صاحب الحانة جعتين من نوع توسكر، شربا كلّ الجعة في انتظار طهي اللحوم التي اشتروها.

قالت وارينغا: "أصبت بالخدر التام بسبب خطابات الكهف".

قال غاتويريا: " في الحقيقة، بالكاد أصدق نفسي أنني هنا في كينيا"، بعد ذلك حرّك رأسه بطريقة توحي أنه يتحدث مع نفسه.

"النهب الحديث، السرقة الحديثة. حقًّا إن صرح التطور الحقيقي شُيد على جثث الأجساد البشرية؟ "

سألته وارينغا وهي تضحك: "هل وجدت الشيطان الذي كنت تبحث عنه؟ أو إنّك لم تخبرنا ليلة أمس بأنّك جئت إلى هذه المناطق بحثًا عن موضوع شائق لموسيقا تؤلفها؟ أم إنّ شيطانك أُقصي عن المشهد بسبب بطاقات الدعوة التي سلّمها لنا مويريري وا موكيراي؟

قال غاتويريا: "أعتقد أنني كنت أسير بسرعة فائقة، أعتقد أني وضعت الكثير من الآمال والثقة في تلك البطاقة الأخرى، الإيمان هو الإيمان ولا يحتاج حقًّا إلى الرؤية بالعين ليكون ثابتًا، الشيء المهم جدًّا هو الفكرة التي من خلالها يتمكّن المرء من أن يستقي منها مواضيع موسيقية".

سألت وارينغا "حسنًا، ألم تجد شيطانًا واحدًا، حتى بين الأجانب على سبيل المثال؟ "

"ما أقصده هو أنه ليس من المهم أن يوجد الشيطان حقًّا، أو أنّه مجرد صورة خيالية للعالم؟".

سألته وارينغا:"ماذا عن العقدة التي كانت تزعجك؟ أم إنّك مثل

ذلك الراقص المسكين الذي قال إنّه لا يستطيع أن يرقص لأنّ الأرض مملوءة بالحصى؟".

بدأ غاتويريا: "لا، ليس كذلك، تعلمين الموسيقى. لنقل التأليف الموسيقي"، ثمّ توقّف بطريقة توحي بأنه لم يكن متأكّدًا جدًّا مما أراد أن يقوله: "أنا أرى الأمور بهذه الطريقة، التأليف الفنّي لابدّ أن ينبع من الحبّ، حبّ وطنك، الحبّ الذي يلهم المؤلف لكي يغنّي أناشيد في مدح الجمال والوحدة والشجاعة والنضج والجسارة وكرم بلاده. كنت وما زلت أحلم دائمًا بتأليف موسيقى تعمل على تمجيد الأفعال البطولية لوطننا، ولتمجيد الأبطال الوطنيين مثل بيتهوفن الذي ألّف سيمفونية البطل على شرف نابليون، أو سيرجي بروكوفييف الذي ألّف موشحه لتمجيد أعمال أليكسندر نيفسكي أحد أبطال روسيا الوطنيين، أودّ أن أقوم بتأليف موسيقى تمجّد روح أمتنا وتطلعاتها وأحلامها، لكن ما نوع ذلك الحديث الذي سمعناه في ذلك الكهف؟ أليس ذلك ناتجًا عن صقيع الصباح الذي يتلف براعم حبّ الوطن؟".

ردّت وارينغا بسرعة: "حديث يشبه الأمطار التي تقبر براعم حب الفرد لوطنه، لا يوجد حبّ لا يمكن ربطه بالكراهية، كيف يمكنك أن تحكي عن الأشياء التي تحبّها من دون الحديث عن الأشياء التي تكرهها؟ خذ مثال الرضيع الذي لا يتكلم، صرخاته تشير إلى الأمور التي يحبّها والتي لا يحبّها، ألم نظهر نحن الاثنين ونحن نغني أغاني لوطننا؟ في كينيا العديد من الوطنيين والأبطال الذين يستطيع المؤلف الاكتفاء بهم لإلهامه بتأليف عمل وطني.

ألم يولد كيماثي من سيدة كينية؟ أكبر عقدة فيك هو غياب الحبّ لأنّك لم تعرف أبدًا معنى الكراهية في اللحظة الأولى، نعم، إنّ الطفل الذي

لديه أبوان يعتنيان به لن يأكل الغائط أبدًا، وإذا ترعرع في كنف الحبّ فإنّه لن يتعلّم أيّ شيء، لن يتعلّم أبدًا الفرق بين النظافة والأوساخ، الكراهية والحبّ، البياض هو الذي يشرح لنا معنى السواد، أولئك الأشخاص الذين تركناهم خلفنا في الكهف هم الأشخاص الذين يحدّدون لنا هوية الأبطال الحقيقيين في وطننا".

"لا، لا، لقد خلطت العديد من الأشياء هناك"، قال غاتويريا بسرعة كأنّ وارينغا لمست نقطة حساسة في قلبه.

"في تلك الحالة، قل لي ما تكرهه أقل لك ما تحبه، أم انك لا تعرف أين تقف؟ ".

سألها غاتويريا: "آه، أيتها المرأة، لماذا تسحبينني مرة أخرى إلى بيتي وإلى الذكريات التي نسيتها؟".

"من أين أتيت؟ ".

"من ناكورو، والدي رجل أعمال ثري يملك الكثير من المحلات في ناكورو، والكثير من المزارع في الوادي المتصدّع، وما لا يحصى من المشاريع المتعلقة بالاستيراد والتصدير، أحذية، أنسجة، أزهار، شتلات، اذكري أيّ نوع من التجارة فقط وستجدين لوالدي يدًا فيه حيث يقوم بتسيير العديد من الطائرات الخاصة لأعمال التصدير والاستيراد الخاصة به. أنا ابنه الوحيد، كان هدفه إرسالي إلى أمريكا لأتعلّم إدارة ثروته وأرباحه، إدارة الأعمال نوع من أنواع التعليم الذي كان مويريري وا موكيراي يتفاخر به ليلة أمس، لكن بالنسبة لي فأنا لم أكن أرغب أبدًا في السير على خطى والدي".

"لِمَ لا؟ ".

"كان قلبي دائمًا مع العمّال الذين يعملون في مزارع الشاي الخاصّة

بوالدي، ومنهم من يغنّي لي الأغاني الجميلة، ومنهم من يسرد لي الحكايات المثيرة، منهم من يعزف لي على القيثارة أو نايات الخيزران. كنت أحبّ النظر إلى الأكواخ العشوائية التي يعيشون فيها، وإلى الطعام الذي يأكلونه والأسمال التي يرتدونها، وعندما أقارن ذلك الفقر وأغانيهم الثرية التي يغنّونها وسعة معرفتهم كنت أشعر بكراهية عميقة لوالدي، ألم يكن أولئك العمّال بشرًا مثلنا؟ كان والدي يضربهم بالسوط في بعض الأحيان، ويعنّفهم ويلقّبهم بالأبقار الغبية. هل تعلمين، في إحدى المناسبات وجدته يضرب والدتي لأنها طلبت منه أن يتوقّف عن ضرب أحد الرجال المسنين بالسوط، عندما بدأت البحث في تلك الأمور فيما بعد هدّدني والدي بالعصا، ومنعني من الاقتراب من أماكن العمّال وعلى الرغم من ذلك لم أتوقّف عن زيارة العمّال، أعتقد أن ذلك هو السبب الذي دفعه لكي يرسلني إلى أمريكا عندما كنت يافعًا جدًّا".

"كم بقيت في أمريكا؟ ".

"خمس عشرة سنة ".

"خمس عشرة سنة، في دولة أجنبية".

"ألم أخبرك بأنّني قمت بذلك بعد حصولي على الشهادة الإعدادية؟ لم أسافر بمنحة دراسية، دفع والدي المصاريف كافّة".

سألت وارينغا: "ماذا كنت تدرس طوال تلك السنوات؟ ".

"الكثير من الأشياء المختلفة، لكن انتهى بي بالأمر في تأليف الموسيقى والعزف على الآلات الموسيقية مثل البيانو، والأورغن، والمزمار، والناي والبوق. درست التأليف، وتاريخ الموسيقا الغربية منذ عهد باخ وهاندل في القرَن السادس عشر إلى العهد الحديث لتشيوكوفسكي وإيغور سترافينسكي الذي توفي سنة 1971، ودرست قيادة الفرق الموسيقية، وأمور أخرى من هذا

القبيل. ما أدهشني أكثر هو التراتيل الدينية مثل: قداس في مقام ب الصغير "لباخ" وعاطفة القديس ماثيو، ومسيح هاندل، وإيليجا ميندلسون، لكن عندما سمع والدي بأنّني قد ذهبت إلى كلّ تلك الجامعات لدراسة الموسيقى وأنني لم أختر دراسة إدارة الأعمال بعث لي برقية بطول سكة القطار، وأخبرني بأنّه لن يستمر بدفع تلك الآلاف من الشلنات التي ضيّعها على دراستي لكي أحصل في نهاية المطاف على شهادة في الموسيقى وأحمل قيثارة على كتفي مثل متشرّدي منطقة مونديري في ناكورو، طلب مني الاختيار بين الموسيقا، التي ستحكم عليّ بقضاء حياتي كلّها بالبحث عن الحفلات الغنائية وبين إدارة الأعمال والتي ستسمح لي بالعودة إلى البيت كابنٍ له، حسنًا، كيف أستطيع أن أشرح أن معاملة الأمريكيين الأثرياء للوافدين الأفارقة الذين تمّ نقلهم إلى أمريكا عبيدا قبل ثلاثمئة سنة هي نفسها التي يتعامل بها مع العمّال في الحقول الزراعية الخاصة به؟ كيف يمكن لي أن أقول له إنّ إقامتي الطويلة في أمريكا وضّحت لي أن طبقة الأشخاص التي ينتمي إليها والدي كانت تقود كينيا إلى عصر الظلمات؟ لم أردّ على برقيته، فضلت الموسيقى كي لا تتحكّم الأموال بحياتي أبدًا.

في تلك الأيام لم يكن والدي ينتمي إلى الكنيسة، لكن بعد عودتي من أمريكا وجدت والدي قد صار أحد أعمدة الكنيسة. اليوم لديه مقصورة عائلية في مقدمة الكنيسة، بالقرب من المذبح، لم يسامح أبدًا عقوقي وعصياني اللذين لقاهما مني، سألني قائلًا: "بصرف النظر عن المال، ما هو الأمر الذي يستحقّ الكفاح من أجله في هذا الكون؟ كيف لك أن تقوم بدفن موهبتك مثل الخادم اللعين العاق؟" وبين الفينة والأخرى، كان يفتح إنجيله ويحكي لي الحكاية الرمزية ذاتها التي كان يسردها موريري وا موكيراي ليلة أمس في حافلة الماتاتو، عندما أنهى حديثه، قلت له: أبي،

كيف لي أن آكل طعاما سُرق من أفواه الناس الجائعين؟ كيف لي أن أشرب مياهًا سرقت من أولئك العطاشى؟ ردّ قائلًا: "ماذا؟ هل تعني أنك تفهم أكثر من القديس بيلي غراهام الذي جاء إلى هنا مؤخّرًا وقدم لنا مواعظ بخصوص هذه المواهب؟ أنت لا تصلح لمسح أحذية بيلي غراهام حتى".

ما عرفه أبي إنّني أصبحت موظفًا في الجامعة لكي أقوم بالأبحاث في ثقافتنا وعاداتنا وتقاليدنا لا سيما ما يتعلق منها بالموسيقى ووصل إلى مرحلة الانهيار. استدعاني مرة أخرى وسألني: "كيف لك أن تعرّيني أمام كلّ هذا التجمع الكنسي؟ كيف لك أن تعرّيني أمام الرّب كي يطّلع على عورتي حتى الرضيع المحمول بين الأذرع، تذكّر حام القديم الذي اطّلع على عورة نوح ورفض أن يقوم بأيّ شيء من أجله، ماذا فعل له الرّب؟ هل تعلّم؟ عاقبه بإنجاب أطفال ضالين إلى الأبد، لو لم يشمله الرّب برحمته فيما بعد وأرسل أطفال سام إلى قارة أفريقيا أين سنكون نحن، أبناء حام؟ ارحل، سرْ على خطى حام، اذهب وتسكّع في أرجاء العالم، وعد إلى المنزل بعد أن تتوقف عن رمي لآلئ مواهبك أمام الحقراء، وأكل القمامة من أطباق أولئك الحقراء نفسها.

في هذه الأيام لا أذهب إلى المنزل. أحاول اليوم أن أدّخر بعض النقود لأنني آمل في يوم الأيام أن أتمكّن من إرجاع الرسوم التي دفعها من أجلي لأشعر بالتحرر من الالتزامات بخصوص تلك المسألة".

تنهدت وارينغا: "ذلك الأمر غامض، ما هو اسم والدك، من المحتمل أنني أعرفه، أنت تعلم بأنّني نشأت في ناكورو؟".

أجاب غاتويريا بسرعة: "في تلك الحالة لن أقول لك اسمه، لا أحبذّ أن أعرفَ بأنّك تعرفينه لأنّه في تلك الحالة سوف تكرهينني أيضًا، وحتى إن لم تقولي أيّ شيء لن يعود باستطاعتي النظر على وجهك لأنّه عندما أنظر

إليك سيذكرني ذلك بأنك تعرفين اسم والدي وتعرفينني أنا أيضًا، لا، أنا لا أستعمل اسمه، أودّ أن أشقّ طريقي في العالم، وأترك أثره خلفي إلى الأبد".

قبل أن تقول وارينغا أيّ شيء ردا على ما قاله، وصل اللحم الذي كانوا في انتظاره في طبق خشبي، مقسّمًا إلى قطع صغيرة، ثم أحضروا صحنًا مملوءًا بالبصل والفلفل الحار وفصوص من الثوم.

بدؤوا في أكل اللحم بصمت، كان غاتويريا يقلّب العديد من الأشياء في ذهنه، قال: لقد قابلت هذه السيدة في حافلة الماتاتو لمواؤرا الليلة الماضيةخلال رحلتي من نياماكيما إلى إيلموروغ، وفي هذا الصباح والآن أحكي لها كلّ أسراري التي كنت أكتمها في قلبي منذ مدّة طويلة، هل من الممكن أن تكون أحداث الكهف قد أثّرت علي؟".

كانت الأفكار نفسها تدور في رأس وارينغا، الأشياء التي وقعت لها خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية كانت مدهشة حقًّا، تذكّرت كيف تخلّى عنها عشيقها جون كيموانا؛ كيف طردها كيهارا من وظيفتها لأنّها لم تقبل بفتح فخذيها؛ كيف طردها مالك المنزل الذي كانت تستأجر غرفة فيه؛ كيف تلقّت مذكرة تهديد موقّعة من قِبَل زبانية الشيطان، تذكرت كل ذلك وفي تلك اللحظة أخت حقيبة يدها لكي تخرج الورقة وتبيّن لغاتويريا كيف يوظّف الأغنياء العصابات، بحثت ثم بحثت، لكنّها لم تعثر عليها، لا يهمّ، قالت وارينغا في نفسها، وتابعت خيوط أفكارها عن غاتويريا والصراع بين الأب والابن، لماذا قال إنّه لا يريدني أن أكرهه؟ تساءلت، هل يعتقد بأنّنا سنلتقي كلّ يوم؟ هل يعتقد بأنّه قد وجد الفتاة المستعدّة لتسليم نفسها؟

فجأة استيقظت وارينغا من أفكارها بسبب صوت غاتويريا الذي يبدو مثل صوت الرجل الذي يضرب المياه برجليه لكي لا يغرق.

"ماذا؟! هل سأفكّر يوما بأنّني سأتخلّى عن تقديم مساهمتي في ثقافتنا

وأشارك في أحلام اليقظة المتعلقة ببيع التراب للفقراء في اليقطين اليابس؟".

قالت وارينغا بصوت خافت: "أحلام اليقظة المتعلّقة ببيع هواء الرّبّ المجّاني للناس، الناس تزرع السوسن في الهواء لكي ترسم الحدود وتعلن بعد ذلك: من هنا إلى هناك، هذا نصيبي في الهواء".

قال غاتويريا: "أحلام اليقظة الخاصّة ببناء أعشاش الطيور للفقراء لكي تحقّق المصارف وأرباب العقارات أرباحًا طائلة"، قالت وارينغا بصوت يخالطه الدموع: "أحلام اليقظة المتعلّقة بامتلاك دستات من الصديقات والعشيقات"، هل يدركون عدد القلوب التي حطّموها إلى قطع صغيرة؟ هل يدركون عدد الأجساد التي دمروها، والعديد من الأرواح التي مرغوها في التراب كي تكتشف كل فتاة عندما تفحص جسدها أنها لم تربح أي شيء من الرجال سوى عدوى؟ في هذه الأيام صار شباب المرأة عبارة عن جثة متعفّنة، دفء جسدها هو موقد يأكل حياتها، أنوثتها هي قبر دفنت فيه خصوبتها، هل يعلمون كم عدد الفتيات اللواتي دفعوهن إلى التخلّص من أطفالهنّ في حاويات القمامة أو قتلهم في أرحامهنّ؟

دعني أخبرك، عندما تكون المرأة في عنفوان شبابها، تكون لديها أحلام جميلة حول المستقبل الذي ستعيش فيه مع زوجها وأبنائها في سكن هادئ خاصّ بهم إلى الأبد. بعضهن يحلمن بالتعليم العالي أو بالوظائف التي يتمنين ممارستها، وبالأعمال البطولية التي سوف يقمن بها لصالح بلادهن، الأعمال التي ستلهم الأجيال القادمة لكي تغنّي أغاني المدح التالية: "آه، يا أمّنا، يا بطلة وطنية يا عصامية"، في ذلك الوقت، كانت الفتاة تحلم بمستقبل زاهر مليء بالأعمال البطولية قبل أن يبرز نهداها، لكن فلتنتظر حتى يَبرزا، فلتنتظر حتى تتورّد وجنتاها، فلتنتظر حتى يبدأ أمثال المدير كيهارا ليقوموا بالتصفير لها وبتوصيلها في سياراتهم من نوع مرسيدس بنز

إلى الأنوار الساطعة والأماكن التي تنشط ليلا في نيفاشا وومومباسا، آه، نعم، فلتنتظر فقط حتى ترى كلّ العجائب الفاتنة في الظهيرات والليالي في الفنادق الغالية في نيروبي، وسأخبرك كيف ستستيقظ هذه الفتاة العذراء في أحد الصباحات لتجد أنّ كلّ أحلامها قد تكسّرت على الأرض مثل قطع الصلصال المكسور، وهناك تتبعثر فوق الرمال حيث توجد شظايا أوهامها. أخبرني، أنت الذي تبحث في ثقافة شعبنا، عندما يكسر إناء الفخار هل يمكن إصلاحه؟ أين هو الحِرَفي الذي يستطيع أن يصلح شظايا أحلام الفتاة البكر مثل الحمامة في الحكاية التي أعادت الحياة للفتاة؟ لا، لا، لا، كيف عبّر الأولاد عن ذلك في أنشودة ورقصة موثيو؟

منظر مدهش
إناء الفخار المكسور الآن
عندما جئت من نيروبي
لم أعلم أبدًا
أنني سأنجب
طفلًا اسمه
صانع الشجاعة العجيبة

تعالوا، يا أبناء أمتي، فلنبكِ جميعًا، تعالوا إلى هنا وشاهدوا العجائب الحديثة، اليوم لا يمكن أن نسمّى إلا بحاملي الأطفال المحكوم عليهم بالفشل بدلًا من حاملي أطفال القامات البطولية، لا، لا، إذا انكسر إناء الفخار لا يمكن إصلاحه أبدًا، تلك هي الطريقة التي تُحطم بها الوحوش العاشقة أحلامنا نحن العشيقات".

فجأة شاهد غاتويريا الدموع تسقط على وجنتَي وارينغا ثم على الأرض.

سأل غاتويريا: "وارينغا، وارينغا، ما الخطب؟"، تفاجأ ماذا فعل لهذه المرأة؟

التقطت وارينغا حقيبة يدها وأخذت منديلا ومسحت دموعها، حاولت أن تبتسم لكنها لم تفلح في القيام بذلك، فواصلت بالصوت نفسه الذي تتخلله الحسرة.

"لا شيء، وإن كان ثمة شيء ما أيضًا، ماذا وكيف أخبرك بذلك؟! أنت شخص غريب في حياتي؟ لكن في الحقيقة لا يوجد أيّ سرّ في ذلك، بالرغم من أنّني لم أخبر أيّ شخص من قبل لأنّه يحدث للفتيات في جميع أنحاء كينيا. إنّها قصتك التي جعلتني أتذكّر حياتي بكل غضب، وبإمكاني أن أرى اللحظة التي تحطّمت فيها أحلامي إلى أجزاء صغيرة مثل إناء الفخار الذي كان يغنّي عنه الأولاد في رقصة الموثيو، ماذا عساي أن أقول لك؟ من أين سأبدأ؟

في الحقيقة، حتى يومنا هذا الذي نجلس فيه هنا، أو عندما أكون وحدي أقلّب الأمور في ذهني، أو عندما أطبع على الآلة الكاتبة أو أمشي على جانب الطريق، أستطيع أن أسمع ضجيج القطار يتحرّك فوق السكة الحديدية متّجهًا إلى المكان الذي كنت أنتظره فيه لكي يأخذني من كلّ المشاكل التي واجهتها في ناكورو.

وقفتُ في وسط السكّة الحديدية بالقرب من مكان العبور إلى عقارات كاباسيا، قطاع 58، ناكورو، كانت الساعة تشير إلى الساعة الحادية عشرة صباحا من يوم الأحد، اقترب القطارنحوي وهو يطلق البخار ويتنفس بصعوبة وربما يغنّي أيضًا:

ذاهب- إلى- أوغندا

ذاهب- إلى- أوغندا

ذاهب- إلى- أوغندا

ذاهب

ذاهب

ذا

ذا

ذا

ذاهب ب ب ب..أووووو- و

أغلقت عيني، بدأت أعدّ.. واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، الآن خذني...

غطّت وارينغا وجهها بيديها، كانت ترتعش بشدة كأنّها أمام قطار حقيقي، كانت قطرات العرق تتشكّل فوق جبينها كأنّها ترى القطار الذي يوشك على سحقها تحت عجلاته، نهض غاتويريا بسرعة من مقعده، وضع يديه على كتفيها وهزّها قليلًا، ثم سألها: "ما الخطب؟ وارينغا، ما الخطب؟".

2

ولدت جاكينتا وارينغا في كامبورو، غيتونغوري كيا وايريرا، سنة 1953، في تلك الأوقات كانت كينيا تحت الاستعمار البريطاني الإمبريالي، وتحت قوانين جائرة تسمّى بقوانين حالة الطوارئ وقد أقسم وطنيونا الذين

يتزعمهم كيماثي وا واسيوري على تحقيق الوحدة، وأعلنوا: بما أنّ الموت هو حقيقة الحياة على كلّ حال فإنّهم سيناضلون ضدّ البريطانيين الإرهابيين (الذين كانوا يلقّبونهم بالاسم المستعار 'جونيز')،حتى تنتهي جميع أشكال التعذيب والظلم في البلاد، كان أزيز الرصاص ودويّ القنابل في نياندارروا وجبل كينيا مثل الرعد، وعندما رأى الإرهابيون البريطانيون مع حرّاسهم من أبناء البلاد كلاب حراستهم المخلصين من الكينيين، اللقطاء العقيمون الذين باعوا وطنهم من أجل إشباع كروشهم، أنّهم على وشك الهزيمة على أيدي قوات الفدائيين الماو ماو، أفرطوا في حدّة تعذيبهم وظلمهم ضدّ كلّ الفلاحين والعمّال في جميع أنحاء البلاد.

في سنة 1954 اعتُقل والد وارينغا وسجن في مانياني، وبعد مرور سنة اعتقلت والدتها أيضًا وسجنت في لنغاتا وسجون كاميتي.

كان عمر وارينغا سنتين آنذاك، فجاءت عمتها التي تسكن في ناكورو إليها، كان زوج عمّتها يعمل في السكك الحديدية آنذاك وبعد ذلك في مجلس مدينة ناكورو. كبرت وارينغا في ناكورو مع أبناء عمّتها. في الأيام الأولى كانوا يعيشون في مقاطعة لاند بانيا، لكن عند اقتراب الاستقلال انتقلوا إلى منازل المجلس البلدي في القطاع 58.

درست وارينغا في المدرسة الابتدائية باهاريني بالقرب من منطقة شاوري ياكو، لكن ابن عمّتها ذهب إلى بونديني د.أ. ب.، أسفل قطاع 58، بالقرب من مانجينجو وبونديني، كانت تنزل عبر الأكواخ المصنوعة من القشّ والعشب في ميثونجي في الخلاء بالقرب من جزارة المجلس البلدِي، بعد ذلك تركض عبر بونديني، وقبل أن يدقّ الجرس الأخير كانت توجد في مكانها في طابور الصباح. أحيانًا بعد المدرسة أو في أيام السبت أو الأحد كانت وارينغا وأبناء عمّتها يتجولون في بونديني ليراقبوا النساء

وهنَّ يتصيدن الرجال أو الرجال الذين يتشاجرون بالسكاكين، وفي أوقات أخرى كانوا يزورون جميع المناطق السكنية، كيزيواني، كالوليني، كيفومبيني، شاوري ياكو، امبونغويوا (المعروفة أيضًا باسم المخيم الصومالي)، لكي يحدّقوا في الناس والمنازل والمحلات. أحيانًا كانوا يذهبون لسماع الحفلات الموسيقية أو لمشاهدة المسرحيات في قاعة مينينغاي، وفي أوقات أخرى يذهبون إلى عروض السينما المجانية في كاموكونجي، وفي بعض الأيام كانوا يمشون على طول طريق بحيرة ناكورو، ثم أسفل ضفة البحيرة لمشاهدة طائر الفلامنغو والطيور الأخرى، أو يذهبون إلى حلبات السباق لمشاهدة سباق السيارات والدرجات النارية.

لكن الأمر الذي كانت وارينغا تستمتع بمشاهدته ليس مشاهدة العاهرات وهنّ يتشاجرن على الرجال، والسكارى الذين يتبوّلون ويتقيؤون في فتحات الصرف الصحي المكشوفة؛ لا، الأمر الذي عشقته أكثر هو الذهاب إلى الكنيسة للصلاة ولسماع المواعظ. كلّ أحد كانت عمّتها تأخذها إلى قدّاس الصباح كلّ أحد في كنيسة هولي روزاري حيث تم تعميد وارينغا في تلك الكنيسة، وهو المكان الذي حصلت فيه على اسمها الجديد (جاكينتا) الأمر الذي حاولت وارينغا أن تتجنّبه جاهدة على الرغم من أن عينيها ظلّتا شاردتين في ذلك الاتّجاه، كان تنظر إلى الصور على جدران كنيسة هولي روزاري ونوافذها، العديد من الصور يعرض يسوع بين ذراعَي مريم العذراء أو على الصليب، لكن صورا أخرى كانت تعرض الشيطان بقرنين مثل قرون البقرة، وذيل كذيل القرد الذي يرفع أحد رجليه في رقصة شريرة، بينما زبانيته مسلحون بمذارٍ مشتعلة، ويقلبون البشر فوق النار الموقدة، كان لون مريم العذراء والربّ والملائكة أبيض مثل الأوروبيين، لكن الشيطان وزبانيته كان لونهم أسود، خلال الليل، كانت وارينغا تعيش كابوسا

متكررًا، بدلًا من مشاهدة يسوع على الصليب كانت تشاهد الشيطان، له بشرة بيضاء مثل بشرة أوروبي بدين، رأته ذات مرة بالقرب من نادي الوادي المتصدّع الرياضي بصلبه أناس يرتدون ملابس بالية كالتي اعتادت على رؤيتهم في بوندين، وبعد مرور ثلاثة أيام حين أصبح الشيطان في سكرات الموت أنزله من على الصليب أناس سود يرتدون البدلات وربطات العنق، وبالتالي عاد إلى الحياة مرة أخرى، ليسخر من وارينغا.

أطلق سراح والدَي وارينغا من السجن سنة 1960، قبل ثلاث سنوات من التحرير ليكتشفا أنّ قطعة الأرض التي يملكانها في كامبورو باعها النظام الاستعماري للحرس الوطني، فانتقلوا إلى إيلموروغ للبحث عن مرعى للاستئجار ومكان لبناء مأوى لهم.

بما أنّهم وجدوا وارينغا ترتاد مدرسة باهاريني، ناكورو فقد سمحوا لها بالبقاء هناك، كانوا يأملون أن تمرّ سنوات دراستها بسرعة ليتمكّنا في يوم من الأيام من تحطيم أغلال الفقر.

كانت وارينغا سريعة التعلم، ودائمًا تحتلّ المرتبة الأولى في فصلها، في الحقيقة، كانت وارينغا هي التي تراجع مع أبناء عمّتها دروس مادة الرياضيات بما في ذلك الذين يسبقونها بمرحلة دراسية، وعندما أُعلن عن نتائج الإعدادية كانت وارينغا من بين أولئك الذين أبلوا بلاءً حسنًا، وقُبلت في مدرسة ناكورو الثانوية.

كانت هذه هي أسعد مرحلة في حياة وارينغا، وكادت تبكي من شدة الفرح عندما شاهدت نفسها في الزي المدرسي: تنورة زرقاء، بلوزة بيضاء، جوارب بيضاء، وحذاء أسود، كادت وارينغا أن تبكي من شدة الفرح.

حتى سنواتها الأولى في الفصل الأول والثاني كانت سنوات سعيدة، لم يكن لدى وارينغا أيّ أفكار أو مخاوف سوى حبها الشديد لدراستها لإكمال

الدراسة بشرف كبير، كانت تحمل كتبها وقلمها ومسطرتها بيد واحدة، تجري عبر أكواخ مغطّاة بالقشّ والأعشاب إلى شارع ليدز إلى جانب مستوصف المجلس البلدي على اليمين عند التقاطع. كانت تغادر الطريق إلى بوندوني على يسارها والطريق نحو المدينة على يمينها وتعبر إلى رونالد نغالا الذي يأخذها بجانب مساكن الراهبات بالقرب من كنيسة هولي روزاري، هناك سوف تعبر شارع أوجينغا أودينغا ثم إلى مدرسة ناكورو.

في المساء، وأثناء عودتها من المدرسة إلى المنزل، كانت تتّبع طريق أوجينغا أودينغا بجانب ملعب أفرها لكي تتأمّل في مدرسة مينينغاي الثانوية حيث تتسلّق المنحدر عبر المستوصف بالقرب من محلّ الجزارة إلى القطاع 58، لكن في بعض الأحيان، عندما تُرسل إلى المدينة لقضاء حاجة ما، كانت تمرّ من المحاكم ومكاتب المجلس نحو مركز المدينة.

لكن وارينغا لم تكن تتجول بغير ضرورة، كانت تعرف موقفين فقط: المنزل والمدرسة.

كان المرور عبر تلك الطرقات، في الصباح عند ذهابها إلى المدرسة أو في المساء عند عودتها إلى المنزل، يشعرها بأنّها ملكة التعلّم في ناكورو، وكانت تعيش أحلامًا رائعة تختبئ في جسدها الصغير، وفي الدماء الدافئة، والقلب النقي لشبابها اليانع، لكن كان حلم أحلامها هو إتمام دراستها بنجاح والفوز بمقعد في الجامعة. كان طموحها دراسة الهندسة الكهربائية أو الميكانيكية أو المدنية، كلمة "مهندس" هي التي تجعل قلبها ينبض كلّما أغلقت عينيها وحاولت النظر إلى مستقبل حياتها، لم تكن تدرك لماذا وارينغا تدرك لماذا كانت الفتيات لا يرغبن في تلك المهن الصعبة ويتركن المجال كلّه مفتوحًا للرجال، لا توجد أيّ وظيفة لا يمكن للفتاة أن تقوم بها إذا وضعت في ذهنها أنّه بإمكانها أن تقوم بها، ذلك ما كانت وارينغا تقوله

للفتيات الأخريات اللواتي كنّ يسخرن من أفكارها الشجاعة، لكنهن كنّ مقتنعات بأنّ وارينغا قادرة على إتمام دراستها في مجال الهندسة بنجاح؛ لا يمكن لأيّ فتى أو فتاة في مدرسة ناكورو الثانوية أن يتفوّق على وارينغا في مادّة الرياضيات التي كانت معرفتها بها أسطورية، واسمها كان معروفًا في جميع المدارس المجاورة مثل مدرسة أفراها، ومدرسة القديس جوزيف، ومدرسة القديس كزافيير، وثانوية بحيرة ناكورور، وحتى المدارس البعيدة، مثل ثانوية ناكورو.

كانت الدراسة ليل نهار، والذهاب إلى الكنيسة كلّ أحد، ومساعدة عمّتها في الأرض التي سمح لهم المجلس بزراعتها في باري وكيليماني، بالقرب من مينينغاي كراتر، هي أعمال وارينغا الروتينية من يوم الاثنين إلى يوم الأحد، تفانيها وكدّها في الحقول واجتهادها في كلّ شيء تقوم به ساعدها في انتشار سمعتها في جميع أنحاء القطاع 58.

وفي يوم الأحد بعد الساعة الرابعة تمامًا، عندما كانت وارينغا عائدة من الحقول مع أبناء عمتها بالقرب من مينيغاي كراتر، شاهدت الموت للمرة الأولى في حياتها، لقد مرّوا بجوار ملحق مستشفى ناكورو العام، وعبروا شارع ناكورو- نيروبي، وفي تلك اللحظة كانوا متّجهين إلى القطاع 58، وعند التقاطع وجدوا حشدًا من الناس مجتمعين حول جثة رجل سحقها القطار المندفع تمامًا فوق السكّة الحديدية، لكن أكانت جثة حقيقية؟ أم لحمًا مفرومًا ودماءً وعظامًا مبعثرة فوق السكة الحديدية؟ لا أحد يستطيع أن يقول من هو ذلك الشخص أو يستطيع تصوّر كيف كان وهو على قيد الحياة؟ أحسّت وارينغا أنّ معدتها قطعت بشفرة حلاقة، أحست بالغثيان، أوشكت على التقيؤ، وركضت إلى المنزل تاركة أبناء عمّتها في مسرح الحادث المرعب. كانت وارينغا تخشى مشاهدة الدماء دائمًا، وكانت أخبار الوفاة

والجنازات تجعلها تعيش ليالي من الأرق وهي تصارع مفارقة الحياة والموت، لكن أن تشاهد جثة رجل ما سحقه القطار تمامًا كأنّ الرجل لم يكن أبدًا من قبل ولم يوجد أبدًا، ذلك أمر لم تتخيله أبدًا، وذلك المنظر المرعب جعلها غير قادرة على استعمال ذلك التقاطع تحديدًا بعد ذلك اليوم.

هكذا كبرت وارينغا في ناكورو، فتاة مستقيمة تبحث دائمًا عن طريق الفضيلة بناءً على نور خبرتها ومعرفتها، هكذا كانت وارينغا! وهكذا كانت جاكينتا! نعم، كانت على هذا المنوال إلى أن وصلت إلى الصف الثالث.

في ذلك الوقت كان نهداها قد تكوّرا وبرزا بشكل ملحوظ، وطال شعرها كثيرًا، وأسودّ أكثر بلمعة برّاقة، تورّدت وجنتاها، وصارتا ناعمتين ومغريتين مثل الفاكهة في موسم جيد.

كان زوج عمّتها الذي تناديه بـ"عمي" هو السبب الذي جعلها تضلّ عن الطرقات التي يمرّ منها الفلاحون، وتنحرف إلى طرقات يعبر منها البورجوازيون الصغار، جماعة الأشخاص الذين يلبسون ربطات العنق.

كان العم بين أولئك الأشخاص الذين عملوا مع الأشخاص البيض بكلّ وفاء لكي ينجو بجلده. وبعد الحصول على الاستقلال أصبح أولئك الأشخاص أنفسهم (أمثال العم) هم الوارثين للأشخاص البيض، لا سيما عندما يتعلّق الأمر بالأرض والتجارة، لكن العم لم يكن محظوظًا كالآخرين، راتبه لم يسمح له بالتسلّق على سلّم طموحاته، كان يكفي فقط للملابس والطعام والرسوم وحاجيات المنزل الأخرى، أحبَّ دائمًا العيش فوق إمكانياته برغم ظروفه المادية المتدنية، وكان يرافق أولئك الذين يتواجدون في أعلى سلّم الحياة. أصحابه عبارة عن قلّة قليلة من الرجال الأثرياء من نغورو ونغوريكا، وأصدقاؤه الأثرياء يشربون في فندق سبورتسمان كونر في ستاغز هيد، أو في نوادي أو فنادق على شاكلة النادي الرياضي في الوادي

المتصدّع الذي كان مخصّصًا للأوروبيين فقط.

كان العم يؤمن بأنّ الشخص الذي يذهب مع الأثرياء من الممكن أن يصبح بدوره ثريًا، وأنّ الشخص الذي يبحث جاهدًا سوف يعثر على الثروة في النهاية، وضراط الأثرياء لا رائحة له أبدًا، لذلك لا يمانع عندما يصدرون له الأوامر لتنفيذها، أو عندما يمدّون له أيديهم من أجل المصافحة، وعندما يرسلونه في مهمات مثل خدم ما قبل الاستعمار من أسياد الاقطاعيين الذين يرتدون الخواتم.

ربما لأنّه لا يمانع في أن يشمّ ضراط الأثرياء فسوف يأتي زمن يتمكّن فيه من الحصول على القليل من الفتات حيث وجد له أحد الرجال الأثرياء من نغوريكا منزلًا للإيجار بمنطقة الشراء، بالقرب من عقارات كيباسيا، المرحلة الثانية، وبعد ذلك قدّمه لأحد مديري المصارف الذي اقرضه أموالًا تدفع عربونا، الرجل الثري نفسه وجد له قطعة أرض بالقرب من مشروع سامبوغو.

خذ وأعطِ كما يقول المثل، الضيافة الجيدة تتطلّب ضيافة مشابهة لها بالمقابل، بالطريقة نفسها، العمّ لم يلتقط خيرات الأرض الكثيرة بشكل مجّاني، آه، لا، وعد صديقه الثري من نغوريكا بلحم "عجل" أو "فرّوج ربيعي"، وسوف تكون وارينغا هي تلك الدجاجة التي سوف تفقد ريشها واحدة تلو الأخرى، حتى يصبح جسدها عاريًا بلا شيء، طعامًا طريًّا لرجل عجوز بلا أسنان.

لكن وارينغا لم تعلم بأنّها بيعت سلفًا لأنّهم لم يركضوا خلفها بالطريقة نفسها التي يركض بها المسافر المتأخر وراء الحافلة، أو بالطريقة نفسها التي يقفز بها الرجل فوق الدراجة الهوائية، كانوا يبدؤون بالأطراف،

بالطريقة نفسها التي يأكل بها المرء أحد الأطباق الساخنة جدًّا، في البداية بحذر تام، لكن فيما بعد يقومون بابتلاعه كله.

بدأ العمّ يطلب من وارينغا أن تحضر إلى مكاتب المجلس بعد المدرسة لحمل بعض الأغراض إلى المنزل، لكن في كلّ مرة توجد فيها في المكاتب وقبل أن تتبادل مع عمّها بعض الكلمات، يظهر ذلك العجوز الثري من نغوريكا بشكل مفاجئ، بعد ذلك يقلّها بسيارته حيث تقطن في قطاع 58.

في أحد الأيام، تلقّت وارينغا دعوة إلى إحدى الحفلات من أحد أصدقاء الدراسة، وجدت عمّها هناك، والعجوز الثري من نغوريكا أيضًا، وفي تلك الليلة أعادها على متن سيارته المرسيدس إلى منزلها.

تدريجيًا بدأ العجوز الثري ووارينغا بالتعرّف على بعضهما، كان لا يكلّ ولا يملّ من القيام بأيّ شيء يمكّنه من الحصول عليها. عندما كانت تغادر المدرسة مساءً، تجد سيارة من طراز مرسيدس بنز في انتظارها بشكل مفاجئ تقف في شارع أوجينغا أودينغا، بالقرب من كنيسة هولي روزاري، كان العجوز الثري يعرض عليها أن يقلّها على متن المرسيدس لكن قبل أن يأخذها إلى عيادة البلدية بالقرب من محل الجزارة، يأخذها في البداية في رحلة ترفيهية بشوارع ناكورو أو مينينغاي كراتر، أو بحيرة ناكورو، أو إلى حلبة السباق.

بعد ذلك بدأ يعطيها مصروف جيبها، مصاريف السينما، أو السباقات، أو للمعرض الزراعي لناكورو، ولأنّ وارينغا لم تتمكّن من مقاومة الابتسامات التمهيدية، أصبحت تضعف بشكل متزايد الآن، حتى إنّها أصبحت لا تستطيع رفض أيّ شيء، في مناسبتين التقيا في سينما ايروس وفي الأخرى بسينما أوديون.

تغيّرت حياة وارينغا الآن، أحسّت بأنّ أحد الأبواب قد فتح على ناكورو ولم تكن تعلم بوجوده أبدًا. وأحسّت فجأة أنّ العالم يضيء؛ شاهدت نورًا واضحًا يضيء طريقًا عريضة وجميلة جدًّا، سمعت وارينغا عبارات الحبّ تلفظ من أصوات هادئة جدًّا وعطرة: وارينغا، عزيزتي، لماذا تربطين نفسك بكتبك بشكل جنوني مع توفّر الأشياء الحلوة، الفواكه الناضجة والشهية، والكثير من العجائب الأخرى التي تثلج القلب وتدفّئ الجسم الموجودة في كلّ مكان في كينيا؟

كبر جناحا وارينغا، جرّبت جناحيها وطارت ذات مرة مع ذلك العجوز الثري فأحسّت بالسعادة. طارت مرة تلو الأخرى، وفي كلّ رحلة كانت تشعر بتضاعف عجائب المرسيدس بنز، شجّعها العجوز الثري بعبارات لطيفة: قال لها ألا تشعر بالخوف أبدًا، وإنه سيقوم بتطليق زوجته الأولى لأجل فخذيها ونهديها، الآن، وارينغا صارت مستعدّة تمامًا للطيران.

بدأت تكره المدرسة لاقتناعها بأنها التي ربطت جناحيها وسحبتها إلى الخلف على الأرض بسلاسل من حديد في حين كانت تريد أن تتحرّك بكلّ حرية، وتحلّق في أرجاء السماء نحو جنّة السعادة الخالدة. تلاشى حلمها في التعلّم في الجامعة من أجل الحصول على شهادة في الهندسة في الهواء، أو كما يتلاشى ندى الصباح بعد طلوع الشمس. وفي المدرسة كانت تعد الثواني والدقائق والساعات والأيام شوقا لمجيء يوم السبت كي تطير إلى حرية المعيشة الحقيقية. أصبحت كاذبة محترفة أيضا، ففي الكثير من المناسبات كانت تخدع عمّتها لتعتقد بأنّها ذاهبة إلى إيلموروغ لرؤية والديها.

في تلك الأوقات، كان العجوز الثري يأخذ وارينغا بالمرسيدس من موقف حافلة ناكورو الذي يسير بها عبر الطريق الدائري نحو نيفاشا، وفي نيفاشا يقومان بجولة حول البحيرة بواسطة قارب آلي، ويتنزّهان على

جانب البحيرة، يراقبان صيّادي السمك أثناء عملهم، ويبدأ العجوز الثري يشرح لها كيف يستخدم الصيادون السمك الصغير طعما لاصطياد السمك الأكبر، وكيف تتغذّى الأسماك الكبيرة على الأسماك الصغيرة"، نعم، إنّها تبتلعها كليًا"، يضيف العجوز الثري وهو يضحك.

في بعض الأحيان يذهبان إلى هوت سبرينغ، ظاهريًا لقنص الحيوانات، بالرغم من أنّهما لا يملكان أيّة رخصة صيد، لكن بدلًا من اصطياد الحيوانات كانا يلعبان لعبة القنّاص والطريدة، كان القنّاص يحمل المسدس لمطاردة الطريدة حتى تتعب وتشعر بالإنهاك، حينئذ يقوم القنّاص باصطياد الطريدة ويطلق النار في الهواء ليعلن عن انتصاره.

إنّ العجوز الثري هو الذي قام باصطياد وارينغا بين الأشجار وهو يحمل المسدس في يده اليمنى. كانت وارينغا تسبق العجوز الثري في الجري لأن جسمها كان يانعا وجذابا ، وفي تلك اللحظة تختبيء في الأحراش إلى أن يشعر بالإنهاك ويبدأ بالمناداة عليها بنزق ويأس، وعندما تلاحظ وارينغا هذه الصفة تتظاهر بالإنهاك ليقوم العجوز الثري بالإمساك بها، بعد ذلك يطلق النار في الهواء ويبتهج من السعادة. آنذاك تقوم وارينغا بحمل المسدس ومطاردته بين الأشجار، وما أدهش وارينغا هو أنه مهما كانت درجة إحساسها بالتعب إلا أنه كانت تشعر بتولد طاقة جديدة كلما أمسكت المسدس بيديها ، وكانت تتقدم إلى الأمام وتلقي القبض عليه لكي ترمي طلقة الانتصار. في أحد الأيام أحسّت بالملل من تلك اللعبة فأطلقت النار قبل الإمساك بالعجوز، لا تستطيع أبدًا أن تصف الأمر الذي وقع بالضبط، لكن عندما حرّكت يديها لإطلاق النار، اصطدم أحد الأغصان بالمسدس، لكن الرصاصة أخطأت العجوز الثري بمسافة بوصة واحدة، أصابت أنثى ظبي حامل فأردتها قتيلة على الفور.

كان العجوز الثري يتعرّق ويرتعش، بكت وارينغا إذ لم يسبق لها أن قتلت أيّ شيء طوال حياتها، وأخبرته أنه يجب أن يتوقّفا عن لعبة القنّاص والطريدة، فقام بالضحك فقط متظاهرًا بالشجاعة الزائدة عمّا شعر به فعلًا، وأخبرها بأنّ اللعبة لن تنتهي أبدًا، لكنه لاحظ الآن بأنّه لا يمكنه الوثوق بها بخصوص المسدسات، وانه لن يسمح لها بمطاردته مرة أخرى، سوف يقوم بالمطاردة طوال الوقت والإمساك بها.

سألته وارينغا: "لنفترض أنّك أسأت التصويب؟ ".

قال العجوز الثري بنوع من الدعابة: "لا، أنا لست مثلك، لن أخطئك"

ضحكا، كان العجوز الثري مسحورًا وأصبح مهووسًا بتلك اللعبة، فاعتاد أن يحجز غرفة في أحد الفنادق بجانب ضفة البحيرة، وفي المساء بعد الأكل والشراب يذهبان إلى غرفتهما حيث يقضيان ليلة من السرور، في اليوم التالي كان يأخذ وارينغا بسيارته إلى إيلموروغ، ويتركها في موقف الحافلة؛ كانت تركض إلى مسكنها؛ تسرع إلى إلقاء التحية على والديها؛ بعد ذلك تعوّد إلى المكان الذي ينتظر فيه العجوز الثري، ثم يطيران إلى فندق آخر لكي يكملا حياتهما.

يقال إنّ للحلاوة فمها وبطنها الخاص، وعضّتها سامة. في أحد الصباحات بينما كانت وارينغا في طريقها إلى المدرسة، وقبل وصولها إلى سكن الأخوات الأفريقيات أحست بالغثيان فجلست أرضًا وبدأت تتقيأ، عندما زال الغثيان واصلت طريقها إلى المدرسة معتقدة بأنّ تلبّكًا قد أصابها في معدتها، لكن بعد يوم، شعرت بالغثيان وازداد تعبها، بل إنّها شعرت بالتعب في أغلب الأحيان، وبعد مرور شهر واحد لم تأتِ الدورة الشهرية كعادتها، طمأنت نفسها بأن ذلك يحصل أحيانًا بكلّ بساطة، وبعد مرور شهر آخر لم تأتِ الدورة الشهرية للمرة الثانية،

شعرت بالقلق، فقد استمعت للعديد من الفتيات اللواتي أصبحن حوامل لكن لم تتوقع أن يقع لها ذلك هي بنفسها، الآن، ليس لديها أدنى شكّ، فالأمر الذي كانت تظن أنّه لن يحدث لها قد حدث.

قالت وارينغا: "لا ينفع حذر مع قدر"، على أيّ حال، الأرض التي تقف فوقها صلبة ومتينة فالعجوز الثري كان يطمئنها دائمًا بأنّه سوف يتزوّج بها حسب التقاليد، وأنّه من الممكن أن يطلّق زوجته الأولى ويتزوج زوجته الشابّة الجديدة في حفلة كنسية ملائمة، كانت متأكدة من أنه لن يتفاجأ عند سماع هذا الخبر المتعلّق بوضعها الحالي، على أيّ حال، أن تكون حاملًا قبل الزواج أصبحت موضة العصر. عندما نظرت حولها، لاحظت أن العديد من الفتيات لبسن خواتم الزواج في مذبح الكنيسة عندما بلغ حملهن شهره الثامن وحتى التاسع، وهناك بعض الفتيات تزوجن اليوم لينجبن طفلًا في الغد، لقد سمعت وارينغا عن فتاة أنجبت في الكنيسة، وفتاة أخرى ولدت في طريقها إلى الكنيسة، تاركة العريس والقس في حالة انتظار عند باب الكنيسة من دون جدوى، آه، لم تكن وارينغا خائفة من نفسها، الثقة في الأشخاص الذين نحبّهم يبدّد كلّ المخاوف.

في يوم السبت مساءً، في فندق نيفاشا، أخبرته وارينغا عن كلّ شيء، جفل العجوز الثري كشخص لسعه عقرب في مؤخرته، لكنه استدرك الأمر بسرعة ولم يتأفّف أو يتلفّظ بأيّ شكوى في تلك الليلة فاعتقدت وارينغا أنّ الأمور تسير على ما يرام. في تلك الليلة حلمت بأنّها تخلّصت من قيد المدرسة والأساتذة والاختبارات، وبأنّها تسبح في أمواج المتعة، وأنّها تتجوّل في أنحاء كينيا الجديدة، وأنها تستمتع بالمتعة المستمرّة من دون أيّ ضغوط من احتمالات المستقبل الدراسي.

في الصباح لقّنها العجوز الثري درسًا لن تنساه أبدًا، سألها لماذا لم تحتط

مثل الفتيات الأخريات، ما الذي منعها من تناول أقراص منع الحمل، أو استعمال اللولب بداخلها، أو أخذ حقنة منع الحمل؟ ولماذا لم تكشف عن وضعيتها في الشهر الذي عرفت فيه بأنّها حامل؟ من الواضح أن وارينغا لم تكن متأكدة من المسؤول عن الحمل.

"كيف تمكّنت من الحمل بهذه السرعة الفائقة إذا كنت أنا الشخص الوحيد الذي عاشرك؟ اذهبي وابحثي عن الشخص الذي تسبّب بحملك واطلبي منه أن يتزوجك أو أن يأخذك إلى الغابة أو إلى مكان آخر من أجل الإجهاض، كنت أظنّ طوال ذلك الوقت بأنّني أخرج مع تلميذة نقية، فتاة بلا مشاكل، فتاة أحببت أن أتزوجها، لتكون بلسمًا لعظامي الهرمة، لكن بدلًا من ذلك تعرّفت على كاريندي مستعدة للاستسلام، أليس كذلك؟".

لم تعرف وارينغا أتبكي أم تصرخ أم تحتج؟ التزمت الصمت مثل شخص أصيب بالخرس، أو سُحر ليبقى صامتًا إلى الأبد بواسطة عقاقير ابتاعتها من عند كاميري الطبيب المشعوذ المشهور. شاهدت العالم، فجأة، وهو يتحوّل إلى معاداتها.

لم يعد ذلك النور اللامع الذي شاهدته هناك، شاهدت الطريق التي ظنّت أنّها عريضة وجميلة جدًّا تتحول فجأة إلى طريق ضيقة ومغطاة بالأشواك، والأرض التي اعتقدت بأنّها ستأخذها إلى الجنة سوف تقودها الآن إلى جهنم أو الدنيا، هل صارت بحور المتعة بحورًا من جهنم؟ هل تحوّل بساط الزهور التي سارت عليه فعلًا إلى بساط من الشوك؟ وأجنحتها لم تكن حقيقية، بل كانت أغلالًا من الحديد؟

لم تعرف وارينغا كيف عادوا إلى ناكورو في نهاية المطاف، لم تستطع أن تتذكّر خروجها من المرسيدس بنز، قبر شبابها، وقبر وفائها وعذريتها، لم ترَ العجوز الثري يدير المحرّك ويعكس اتّجاه القبر ذي العجلات الأربع إلى

الخلف نحو أملاكه في ناكورو.

شاهدت وارينغا مستقبلها يختفي بعينين لم تريا أيّ شيء، كانت بمفردها؛ جرح الشوك قلبها وكعبَي قدميها الذين يقودانها إلى جحيم اختارته بنفسها.

سألت وارينغا نفسها: "لكن هل اختارت الجحيم فعلًا؟ أم إنّها أجبرت على الدخول في الجحيم؟"، عندما هناك وهي في حالة تأمل في موقف الحافلة إلى محطة قطار ناكورو، والطريق المؤدّية إلى إيلدورييت، وحانة الأميغوص، وشارع كينياتا، والمحلّات، ولم تعرف إلى أين سوف تتّجه الآن، مشت ببطء عبر محطة الحافلات، عبرت سوق ناكورو البلدي، ثم دخلت إلى فندق نجورو، وجلست وحدها عند طاولة صغيرة في الزاوية البعيدة وطلبت الشاي بينما تحاول أن تستجمع قواها، يا ربّ، أين أذهب الآن؟ سألت نفسها مرة تلو أخرى.

علمت أنها لن تستطيع العودة إلى عمّتها، أو إلى عمّها، أو إلى أبناء عمتها، أو إلى أساتذتها، أو إلى زملائها في المدرسة طلبًا للمساعدة؟

وارينغا ليس لديها أيّ أقرباء أو أصدقاء تتوقّع ظهورهم فجأة ليقولوا لها: "وارينغا، لقد جئنا لمساعدتك ".

لم تشرب الشاي، دفعت ثمنه وتركته هناك على الطاولة ثم خرجت.

عندما وصلت إلى مسكنها في القطاع 58، ذهبت مباشرة إلى النوم، حاولت أن تصلّي لكنها لم تتمكّن من ذلك، حاولت أن تبكي لكنّ دموعها كانت عصية.

في أيام القلق تلك، لم تجد وارينغا أيّ شخص يقدّم لها المواساة، لا أحد يقول لها: "اهدئي يا طفلتي، دعيني أجد حلولًا لمشاكلك الحاضرة"، على العكس من ذلك صار حزنها أكثر ألمًا، لأنّها في المنزل تحاول ألا تظهر

أيّ إشارة ندم أو شفقة على النفس، وكان ذلك يكلّفها جهدًا وضغطًا كبيرًا تمارسه على نفسها، تمكنت من كفكفة دموعها عندما كانت على سريرها فقط، وغالبًا ما كانت تسأل نفسها: ماذا عساي أن أفعل لكي أتخلّص من عبء الحمل؟ هي ليس لديها أيّ شخص تستطيع الحصول منه على أجوبة لأسئلتها.

في المدرسة كانت تطلب النصيحة من الفتيات الأخريات، لكنها كانت تفعل ذلك بطريقة غير مباشرة، تناقش الأمور من دون الإشارة إلى ارتباطها بالموضوع بشكل واضح، كأنّها ليست هي التي تحمل العبء. كلّ القصص التي سمعتها، مثل الفتاة التي أصيبت بالجنون بعد شرب خليط من الشاي، والكينين، والأسبرين، والعديد من الأدوية الأخرى، جعلت دمها يسير ببطء وحملها أكثر ثقلًا من ذي قبل.

وارينغا ليس لديها قريب أو صديق يضيء لها الطريق.

لذلك كافحت بمفردها، تتأمل هذه الوسيلة وتلك الوسيلة، وتدير هذا الحلّ وذلك الحلّ في ذهنها، وتقارن ما لا يحصى من البدائل، وتجرّب كيف يمكنها أن تختفي من على وجه الأرض، وألا يراها أحد في المدرسة مرة ثانية، أو في ناكورو، أو في كينيا.

في أحد الأيام فكّرت بالدكتور باتيل، المشهور في جميع أنحاء ناكورو بقيامه بالعديد من عمليات الإجهاض غير القانونية.

كان ذلك في صبيحة يوم سبت، أخذت الأموال القليلة التي تمكّنت من ادّخارها كهدايا من ذلك العجوز الثري، وكذّبت على عمتها بأنّها ذاهبة لاستعارة بعض الكتب من أحد أساتذتها في مدرستها.

وذهبت في الطريق، بمفردها مع سرّها، مرّت عبر ساحة أكواخ الأعشاب ووصلت إلى شارع ليدز، لكن بدلًا من العبور إلى شارع نغالا

ومدرسة ناكورو استدارت إلى مركز المدينة، وبدلًا من الأحلام التي كانت تملأ روحها في الطريق إلى المدرسة كانت تشعر بالمرارة، فأحلام الفتاة في شباب عذريتها يمكن لها أن تزدهر بسرعة، ثم وبالسرعة نفسها تذوي وتسقط على الأرض مثل الأزهار في موسم جاف.

مشت على طول شارع كينياتا باتّجاه مكتب البريد وستاغز هيد، توقفت ونظرت حولها عند البنك التجاري لكينيا، بعد ذلك، التفتت إلى اليسار وأسرعت بين الناس والبنايات من دون النظر وراءها، لكنها عندما وصلت إلى مكتبة جبل كينيا، دخلت وتظاهرت أنّها تبحث في الكتب وذهبت إلى الخارج مرة أخرى، وقفت في الخارج للحظة لكي تتأكد بأن لا أحد يعرفها عندما تهمّ بالدخول إلى عيادة الدكتور باتيل، أحسّت بأنّ ناكورو بأسرها تعرف نياتها، كان قلبها ينبض بشدة مثل نعيب بوم متكرر.

انزلقت وارينغا بكلّ عزم إلى عيادة الدكتور لكن عندما أوشكت أن تضع قدمها داخل الباب نظرت إلى أسفل الطريق وشاهدت سيدة، هي إحدى جاراتها من القطاع 58، خارجة من مدرسة للخياطة في المنطقة المجاورة، أحسّت حينها بأنّ كلّ جسدها يحترق جرّاء العار كأنه قُبض عليها بتهمة السرقة، فهربت.

في يوم السبت الآخر، عند حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر، فكّرت وارينغا بطلب المساعدة من إحدى الفتيات اللواتي كنّ يدرسن معها في المرحلة نفسها، في كلٍّ من مدرسة باهاريني الابتدائية ومدرسة ناكورو الثانوية، كانت الفتاة قد غادرت المدرسة بعد الصفّ الثاني والتحقت بمستشفى ناكورو العام لكي تتدرب ممرضة.

ذهبت وارينغا إلى ملحق المستشفى، ولحسن الحظ وجدت الفتاة في غرفتها بمفردها، تحدثتا عن المدارس والأساتذة والتلاميذ والاختبارات

وحاولت وارينغا أن تجد فرصة لتفصح عن مشكلتها، لكن عندما حاولت أن تقول ما يدور في ذهنها أحسّت بكرة تسدّ حنجرتها ولم تعد قادرة على البوح بسرّها. بدلًا من ذلك، سألت الفتاة عن المدرسة الطبية، وتظاهرت بأنّها هي بدورها تنوي القيام ببعض التدريبات ممرضة في المستشفى، بعد التحدّث مع بعضهما قليلًا، مشت وارينغا والفتاة إلى مكتب الولاية على طريق ناكورو نيروبي.

عندما لاحظت وارينغا الفتاة تعود إلى المستشفى، خارت قواها فجأة وكانت تريد أن تصرخ منادية الفتاة وتتوسّل إليها بألا تتركها بمفردها في الطريق.

سارت على طول الطريق باتّجاه نيروبي مثل شخص تناول خمرًا قويًا أو الماريجوانا بكثرة، لم تكن تتحكّم جيّدًا بكلّ أطرافها، لم تشعر بالسيارات المتّجهة نحو ناكورو أو نيروبي، لم تدرك أيضًا بأنّ الظلام قد أرخى سدوله، وأنّ أضواء الشوارع قد اشتعلت، بكلّ بساطة، كانت تمشي ولا تدرك المكان الذي كانت متّجهة نحوه. وعند إحدى النقاط كادت أن تصدم رأسها بإحدى الأشجار.

كان الحادث الذي أوشك أن يقع لها هو الذي نبّهها بأنّها قد وصلت إلى منعطف باهاتي، فكّرت في الذهاب عبر طريق باهاتي، بعد ذلك تجنّبت محيط مدرسة ناكورو الثانوية وقرّرت الذهاب نحو الطريق المتوجّه إلى مينينغاي كراتر وترمي نفسها في الفجوة الضخمة في الأسفل مثل الهندي الذي انعطف بسيارته إلى داخل الكهف ثم فارق الحياة.

عندما كانت طفلة، سمعت وارينغا بأنّ فوهة البركان تزورها غالبًا الأرواح التي تقطع كلّ الغابة والأحراش بنصل حادّ يشبه حدّة موس الحلاقة باكرًا في الصباح وتضرم النار في الأعشاب المحيطة والأشجار مرّة واحدة في السنة، وتقول الأسطورة إن الهندي عندما رمى نفسه في البحيرة سحبته الأرواح إلى

الفجوة بعدما ضبطها وهي تقطع الأشجار وتلعب وتحوم حولها وفوقها.

كانت وارينغا تتوق إلى أيّ شخص حتى لو كان أحد تلك الأرواح، أن يمسكها ويأخذها بعيدًا خارج ناكورو وخارج الكرة الأرضية.

وبعد ذلك تذكّرت أن هناك بمدرسة ناكورو حوض سباحة، فقرّرت بدلًا من الذهاب على طول الطريق إلى فوهة البركان بمفردها في الليل، أن تضع حدًّا لمأساتها كلّها في الحوض. دخلت إلى مرافق المدرسة واتّبعت الممر حول البنايات، ومن خلال النوافذ شاهدت التلاميذ يقرؤون الكتب تحت الأضواء الكهربائية، وعندما تذكّرت وضعها الحالي أحسّت بالألم يحرق قلبها وجسدها، فذهبت سريعا وهي تأمل ألا تقابل أيًّا من التلاميذ أو الأساتذة.

خلال أيام الاستعمار كانت مدرسة ناكورو الثانوية مخصّصة للأوربيين فقط، لكن بعد الاستقلال تحوّلت إلى مدرسة حكومية باهظة الثمن وكانت مدرسة داخلية مختلطة. وفي المساء كان يجب على كل التلاميذ الذهاب إلى المدرسة من أجل تحضير الدروس.

كانت رؤوس التلاميذ الذين شاهدتهم وارينغا عبر النوافذ تنحني على كتبهم ، فتركت الطريق الذي يؤدي إلى جناح النوم الخاصّ بالطلاب، وأخذت الطريق الذي يؤدّي إلى حوض السباحة، لم تقابل أيّ أحد يتسكّع في مرافق المدرسة، واعتقدت أنّ الرّب قد سمع دعواتها.

عندما وصلت إلى قاعات الدروس في نهاية ساحة المدرسة استدارت إلى حوض السباحة، وكان المكان مظلمًا جدًّا لأنّ الأنوار المشتعلة في الفصول لا تصل إلى ذلك المكان البعيد، وعندما أوشكت أن تدخل إلى منطقة حوض السباحة، ومن مكان غير معروف، سمعت صوت رجل ينادي: "ماذا تفعلين هنا؟ لماذا لم تذهبي إلى فصلك؟ ".

توقفت وارينغا ونظرت حولها معتقدة بأنّ الأرواح من مينينغاي

كراتر قد نزلت من الجبال إليها، إذن الأرواح كانت توجد فعلًا؟ بعد ذلك اكتشفت بأنّ الصوت يعود إلى حارس المدرسة الذي كان مختفيًا جزئيًا بسبب سياج صغير، واعتقد أنّ وارينغا إحدى التلميذات اللواتي يعرفهن، كذبت وارينغا قائلة: "أنا زائرة هنا في المدرسة، السيد كاماو هو أخي، وأنا أقيم معه هذا الأسبوع، وأقوم بجولة مسائية لتمضية الوقت ليس إلّا".

قال الحارس: "آه، فهمت"، وذهب إلى منطقة حوض السباحة.

شكّت وارينغا بأنّ الحارس لم يصدّق قصّتها، وقفت هناك لبضع ثوانٍ ثم استدارت ثانية إلى الممرّ الرئيس، ونزلت إلى الطريق المؤدّي إلى نيروبي.

هل كان مقدرًا لها أن تمشي إلى الأبد في الشوارع الممتلئة بالشوك؟ هل كان محكومًا عليها أن تحمل عبئًا ثقيلًا في قلبها إلى الأبد؟ طرحت وارينغا هذه الأسئلة على نفسها والكثير من الأسئلة الأخرى وهي في طريقها إلى القطاع 58 وهكذا، حتى الانتحار صعب أيضًا؟ ماذا يمكن للإنسان أن يسمّي نفسه في هذا العالم إنْ لم يستطع أن يضع حدًّا لحياته عندما يشعر بأنّها عبء ثقيل عليه؟ عندما وصلت وارينغا إلى تقاطع السكّة الحديدية كانت تدير هذه الأسئلة في ذهنها.

وفي تلك الأثناء تذكرت الرجل الذي وجدته مع أبناء عمّتها مسحوقًا بالكامل على السكة الحديدية بواسطة القطار، وتذكّرت أنّ هوية ذلك الرجل قد أُتلفت وطُمست بالكامل، وأنّ اسمه أصبح مخفيًا إلى الأبد، وبدا كأنه لم يولد أبدًا، فأحسّت أنّ الموت بتلك الطريقة التي تعتقد بأنّه لن يمكّن أيّ أحد من التعرف عليها، هو أنسب طريقة لفتاة في وضعيتها، قالت فليقع ما يقعِ، في اليوم التالي ستقدّم جسدها وجبة للقطار.

ستنتظر القطار أثناء العبور وترمي نفسها تحت عجلاته الحديدية كي تمسح أثرها من على وجه الأرض وكأنّها لم تولَد أبدًا ولم تزر الأرض قط. لأول مرة

تتمكّن وارينغا من تلاوة صلواتها، فتضرّعت إلى مريم العذراء بكلّ قلبها: يا مريم العذراء، انصتي الآن إلى صلاتي، ميّزي روحي بجروح يسوع، آمين.

لأول مرة منذ أن أصيبت وارينغا بالبهاق بسبب العجوز الثري من نغوريكا، أحسّت بنوع من السلم يعود إليها، حتى إنّها حاولت أن تهمس لنفسها بأنشودة اعتادت أن تغنّيها عندما كانت سعيدة، لكن الآن تغنّي بكلّ أسف.

السكينة، السكينة في قلبي
أصلّي من أجل السكينة في قلبي
في وقت البعث
السكينة، السكينة في قلبي
أصلّي من أجل السكينة في قلبي
باسم يوم البعث

لم تكن واريغنا تبحث في الحقيقة عن يوم بعث الجسد والروح، كلّ ما كانت تريده هو أن تمسح أثر وجودها من على وجه الأرض، كلّ ما كانت تريده هو أن تختفي كما لو أنّها لم تولد، كلّ ما كانت تصلّي من أجله هو أن تأتي ملائكة الموت إليها وتزيل اسمها من سجلّ السموات والأرض:

يا من تطعم الجياع
يا من تريح المتعبين
يا من تسقي العِطاش
خذني عبر نهر الموت

كان اليوم التالي هو يوم أحد فسألتها عمّتها إن كانت ترغب في الذهاب إلى القداس الصباحي. رفضت وارينغا فذهبت عمّتها وكلّ أبناء عمّتها إلى كنيسة هولي روزاري، وبقيت هي في المنزل لكي تعدّ الأكل، لكن لم تطهُ أيّ شيء، استحمّت وسرّحت شعرها جيّدًا كشخص يستعدّ لرحلة طويلة.

عند الساعة العاشرة والنصف تقريبًا، ذهبت إلى معبر السكة الحديدية، نظرت حولها جيّدًا ولاحظت أنّه لا يوجد أيّ شخص بالقرب، لكن بعد بضعة الدقائق مرّ حارس مدرسة ناكورو بجوارها متّجهًا إلى القطاع 58، تقابلت عيناهما فقام الحارس بحركة تشير إلى أنّه توقّف لكي يتحدّث مع وارينغا، لكن اتضح بعد ذلك أنه غير رأيه وعبر إلى الجهة الأخرى من السكّة الحديدية، سخرت منه وارينغا بصمت: "لن تمنعني مرة أخرى، ليس باستطاعتك أن تقوم بأيّ شيء لكي تمنعني من فعل الشيء الذي أريد أن أقوم به".

وفجأة ظهر القطار، المتوجّه إلى نيروبي، فكّرت وارينغا في غناء الأنشودة التي اعتادت أن تغنّيها وهي طفلة:

ذاهب -إلى- أوغندا

ذاهب -إلى- أوغندا

ذاهب -إلى- أوغندا

وقلبها كان ينبض في تزامن مع القطار:

ذاهب -إلى- أوغندا

ذاهب -إلى- أوغندا

ذاهب -إلى- أوغندا

مازال القطار يتقدّم إلى الأمام، ينفث البخار، يتنفّس الدماء والموت، يقول وداعًا نيابة عنها لكلّ سكان ناكورو.

ذاهبون ....

ذاهب....

ذاهب.....

وقفت وارينغا في الأمام على السكّة الحديدية، أغمضت عينيها، بدأت العد... واحد... اثنان... ثلاثة....

ذا....

ذا....

ذا....

...أربعة... خمسة.... يا مريم العذراء ارحميني....

القطار لا يزال يتقدم إلى الأمام وحركته تهزّ السكك الحديدية، هديره جعل قلب وارينغا وجسدها يتزلزلان، رعد يجعل الأرض ترتعش وهي تحمل الموت إلى وارينغا....

ذاهب!

ذاهب!

ذاهب!

...ثمانية... تسعة... يا مريم العذراء... ذاهب- ذاهب- ذاهب... عشرة... خذني الآن....

وفجأة أحست وارينغا أنّها سُحبت بعيدًا عن السكة الحديدية بيدَي أحد الرجال الذي رماها على الجانب الآخر من السكة، لقد أُغمي عليها.

مرّ القطار بمحاذاتها واتّجه نحو نيروبي، لكن صفيره ضجّ في المساء في السماء فوق ناكورو، كما لو أنه يودّ أن يعرف لماذا تمكنت وارينغا من الإفلات من عجلاته الطاحنة.

لم تعلم وارينغا من هو الشخص الذي أنقذها من الموت المحقّق الذي

كانت تتوق إليه، لم تستطع أن تحكي كيف وصلت في نهاية المطاف إلى القطاع 58، وعندما فتحت عينيها وجدت نفسها فوق السرير وعمّتها تجلس إلى بجانبها وتنظر إليها بعينين تملؤهما شفقة لامتناهية.

أخبرت عمّتها بكلّ شيء، كلّ قصتها مع العجوز الثري من نغوريكا.

الفصل السادس

1

كانت الساعة حوالي الثالثة عندما عاد غاتويريا وواريننغا إلى الكهف من أجل جلسة الظهيرة من مسابقة فنّ النهب والسرقة الحديثة، ظنّا أنهما تأخرا، كان روبن مواؤرا متكئًا على جدران الكهف بالقرب من الباب، ألقى عليهم التحية كأنّه كان في انتظارهم.

"آه! اعتقدت بأنّكما لن تعودا"، قال مواؤرا، بنبرة توحي أنّه يكتم شيئًا ما داخله.

سأل غاتويريا: "لماذا، هل بدأت الجلسة ".

"لا، ليس بعد".

سألت واريننغا: "أين وانغاري وموتوري؟ ".

لم يقم مواؤرا بالردّ فورًا، كان يقف بين واريننغا وغاتويريا، وضع يديه على كتفيهما وأدارهما باتّجاه الطريق الذي قدما منه ليأخذهما جانبًا من أجل نقاش خاصّ، قطعوا القليل من الخطوات من دون أن يقول مواؤرا أيّ شيء إلى أن وصلوا إلى أحد المنعطفات، نظر مواؤرا حوله لمزيد من الحذر حتى لا يسمعه أحد.

قال مواؤرا بصوت خافت: "لنهرب من هنا الآن".

سأل غاتويريا ووارينغا في وقت متزامن: "لماذا؟"

"لأنّ... لأنّ القتال لا بدَّ أنّ ينشب في هذا المكان في أيّ لحظة ".

"القتال؟ لكن لماذا؟"، سأل الاثنان معًا.

"من الممكن أن يعاتبونا على إحضار شخصين معتوهين في الليلة الماضية"، مواؤرا كشف القصة: "حتى عندما كنا في كينيني، توقّعت بأنّ وانغاري وموتوري لا يمكن الثقة بهما، وفي هذا الصباح لو كان القرار بيدي فلن أسمح لوانغاري وموتوري بالدخول إلى مكان يتواجد فيه مثل أولئك الرجال المهمّين والضيوف المميزين من الخارج، أمثال موتوري في هذا العالم لا تجلب سوى المشاكل التي لا توصف للرجال المهمة، أعتقد بأنهما ليس بمفردهما".

سأل غاتويريا: "لكن ماذا حدث بعد أن ذهبنا للغداء؟ هل ألقي بك خارج الكهف مثل ندايا وا كاهوريا؟ ".

سألت وارينغا: "أين وانغاري وموتوري؟"، وهي تحترق بسبب نفاد صبرها، "لماذا تحكي لنا عن الأمور مثل الحرباء التي أرسلها الرّب لكنها لم تفلح في تبليغ رسالتها أبدًا؟ ".

"دعوني أقول لكم الحكاية بأكملها منذ البداية، لكي نتمكّن من معرفة ما يجب علينا القيام به"، قال مواؤرا وأخبرهما بما حدث.

2

عندما انتهت خطابات الصباح، غادرتما أنتما الاثنان وذهبتما في طَريقكما، غادرنا نحن بدورنا بعد ذلك فورًا وقلنا لبعضنا: هيا بنا نأخذ الطريق لنبحث عن شيء يهدّئ أصوات بطوننا، هيا بنا نذهب إلى نجيروكا

من أجل بعض اللحم المحمّر؛ فنحن لا نملك القدرة المادية لأكل طعام هذا الكهف. ركبنا حافلتي الصغيرة وبعد ذلك وصلنا إلى قلب نجيروكا، ذهبا إلى محل جزارة صغير مملوء بالذباب إلّا أنّ اسمًا مهمًا، هيلتون، كان مكتوبًا على اللافتة في الخارج: من الأفضل أن تأكل في هيريتوني، طلبنا أربعة أرطال من اللحم، دفع موتوري نصف المبلغ، ودفعت أنا النصف الآخر. بعد ذلك ذهبنا إلى إحدى الغرف في الخلف لانتظار اللحم لكي يتحمّر وللحصول على شيء نشربه، أنا، طلبت شراب توسكر، ووانغاري شربت تاتينو، وموتوري شرب كأسًا من المشروب الأبيض.

موتوري هو الذي بدأ النقاش وبدا كما لو أنه يمسك بالخيوط من حيث انطلقنا خارج الكهف، قال: "مثلما قال مواؤرا في حافلة الماتاتو الليلة الماضية، لقد شاهدت العديد من الأشياء على هذه الأرض، عملت في جميع أنواع المهن في كينيا، وزرت العديد من الأماكن فيها، وشهدت العديد من الوقائع في بلدنا. في إحدى المرّات، عندما كنت أعمل حارسًا في مدرسة معينة في ناكورو، أنقذت فتاة تريد أن تضع حدًّا لحياتها، كان المكان مظلمًا جدًّا وكنت أقف بمحاذاة حوض السباحة في المدرسة، شاهدتها عندما كانت تسير على طول الطريق خلسة بالقرب من سياج صغير، عندما سألت عن الأمر الذي كانت تقوم به هناك بمفردها، قالت لي إنها كانت تقيم مع أخيها الذي يعمل معلّمًا في المدرسة نفسها، وبعد ذلك رحلت بعيدًا. في اليوم التالي وجدت المرأة نفسها تقف وسط قضبان السكة الحديدية تنتظر القطار أن يقوم بدهسها، كنت في طريقي إلى بونديني، ومررت بها وهي تقف في الجهة الأخرى من خطّ السكة الحديدية، لكن قدر الرّب لا يحتاج إلى نداء، عندما قطعت بعض الخطوات باتّجاه القطاع 58، شيء ما استوقفني، فنظرت إلى كتفي، باستطاعتي أن أقول إنني أنقذتها من فكّي الموت، أغمي عليها بين

ذراعَيَّ، ولحسن الحظ وجدت داخل حقيبة يدها ظرفًا مكتوب عليه عنوان مسكنها في القطاع 58، تركتها هناك برفقة عائلتها، وواصلت طريقي إلى بونديني، لماذا أتذكر هذا الأمر كله؟ لأنّ ما سمعته وشاهدته في ذلك الكهف تغلب على المعجزات التي مررت منها.

نظر غاتويريا ووارينغا إلى بعضهما، وهما يقولان بداخلهما: هذه معجزة حقيقية، واصل مواؤرا: "في تلك اللحظة التحقت وانغاري، وقالت: إذن، هل حقًّا يخرج من رحم البلد نفسه اللص والمشعوذ؟ أنا أيضًا لم يسبق لي أن شاهدت عجائب تتغلب على تلك التي شاهدتها في الكهف ".

حافظت على هدوئي، لأنّي أعرف جيّدًا بأنّ السرقة الخفيفة هنا وهناك ليست سيئة جدًّا. والنهب الذي لا يفضح نفسه بنفسه ليس سيئًا.

وكان موتوري هو الذي قال: هل كنت تعلم بأنّ الناهب أو السارق أسوأ من المشعوذ؟

عارضته بشدّة قائلًا: المشعوذ أسوأ من اللصّ، فاللصّ يسرق ما تملكه ويترك قلبك ينبض، ومستقبلًا تستطيع فيه اكتساب أملاك عوضًا عن التي سرقها منك، أما المشعوذ فيأخذ روحك ويترك ثروتك للآخرين ليستحوذوا عليها. اللص يسرق مالك، أما المشعوذ فيسرق حياتك. حينها وصل اللحم الذي طلبناه على طبق خشبي، كان مشويًا بشكل جيد، فتناولت سكينًا وقطعته إلى قطع صغيرة، وأثناء تناولنا الطعام سرد علينا موتوري حكاية عن لصّ ومشعوذ.

" في زمن بعيد، بعيد جدًّا، في قرية معينة، كان يوجد لصّ خطير جدًّا جعلِ القرية كلّها تعيش في بؤس، لكن لم يستطع أيّ شخص أن يمسكه وهو متلبّس لأنّه كان ماكرًا جدًّا. في القرية نفسها كان يعيش ساحر خطير، وكان الجميع يهابه بسبب سحره، وكان أقوى حتى من سحر كاميري، وق

كبراء القرية في ساحة التجمّع، وقرّروا أن يدعوا المشعوذ ليقرأ إحدى تعويذاته على اللصّ الذي ستودي به إلى الموت، تفاخر الساحر بأنّ هذه المهمة لا تشكّل شيئًا بالنسبة له، وجمع أدويته القوية واليقطين اليابس والحبوب المقدسة، وبعد ذلك خلد للنوم. في الصباح، استيقظ في الساعة المعتادة وذهب لكي يتفقّد أدواته المقدسة، لا! لقد سرق اللصّ كلّ شيء، جمع الساحر المزيد من المعدات، تسلّل اللص إلى الداخل ثم سرقها كلّها، فاضطر الساحر إلى الرحيل من القرية. ذلك هو مصدر المثل الشائع: اللصّ رهيب بقدراته لدرجة أن يرحّل الساحر إلى موطنه، ومرة أخرى، كان اللصّ يسرق حتى من والدته، اللص مثل الرجل الأبيض الذي يقال إن لا أصدقاء له".

في تلك اللحظة قالت وارينغا: "لكنّ اللصوص المعاصرين أسوأ، لأنّهم يدعون الأجانب إلى سرقة أمهاتهم، وفي المقابل يحصلون على بعض الصدقات، لكنكما مخطئان أنتما الاثنان، اللصّ ليس أسوأ من الساحر، والساحر ليس أسوأ من اللص، اللصّ ساحر، والساحر لصّ، فعندما يسرق اللصّ أرضك، ومنزلك، وملابسك، ألا يقوم بقتلك فعلًا؟ وعندما يدمّر الساحر حياتك، ألم يسرق كلّ شيء تملكه؟ لذلك أقول إن اللصّ هو الساحر، والساحر هو اللصّ، حتى كيكويو علم ذلك. في زمن بعيد، فرضت بعض الأحكام على اللصّ والساحر، وكان الحكم يحمل العقاب نفسه-الموت حرقًا أو سحبهم أسفل تلّ فيه خلية من النحل ".

أكلنا اللحم وأنهيناه كلّه، قلت لموتوري ووانغاري إنّه يجب علينا الإسراع والعودة إلى الكهف لأنّنا لا نودّ أن نتأخر عن اجتماع الظهيرة.

في هذه اللحظة اشتدّ جنون وانغاري، قالت إنها لن تعود إلى الكهف، وبدلًا من ذلك ستذهب إلى مركز الشرطة في إيلموروغ، ماذا ستفعل هناك؟ سألتها ماذا ستفعل هناك فقالت: الاتّفاق، لا يمكن السماح لمجموعة من

اللصوص والناهبين على شاكلة أولئك أن يجتمعوا ويذهبوا بكلّ حرية بعد ذلك"، قالت وانغاري إنّها مواطنة صالحة ووفية، ومن واجبها مدّ يد العون للشرطة لوضع حدّ للنهب والسرقة"، لو تمكّنت الشرطة من اعتقال لصوص الجيوب الذين يسرقون حقائب السيدات في ساحات الأسواق، والمجرمين الصغار الذين يسرقون خمسة شلنات، واللصوص الذين يسرقون الدجاج في القرى، في رأيك ماذا سيفعلون بهؤلاء الرجال الذين ينهبون من الجمعيات ومن الدولة بأسرها؟"، من ناحيتي، لقد بذلت قصارى جهدي لكي أثنيها عن فعل ذلك: "لا تفسدي احتفالية الآخرين، هل لديك ما يكفي من الأدلّة؟ تذكّري يا وانغاري بأنّ الدعوى القضائية من الممكن أن تنقلب على الشاهد، لم تتفق وانغاري معي وقالت: إن كنت في كلّ مرة تشاهد اللص يسرق والناهب ينهب، تغيّر اتّجاه طريقك أو تغضّ الطرف عن ذلك وتغلق شفتيك، كيف سيوضع حدّ للنهب والسرقة في هذه البلاد؟ ".

تركتها مع خططها، وضعية المجنون تبقى غير مستقرّة، ومرّة أخرى، عندما يتجادل الحكيم مع الأحمق لمدّة طويلة فمن الصعب أن تعرف الفرق بينهما، الشخص المحكوم عليه بالحظ السيئ لا يمكن تغيير مصيره.

طوال هذا الوقت استمرّ موتوري في سكوته مثل المنافق يستمع إلى الجدال بيني وبين وانغاري، هل تتخيل اندهاشي عندما دخل موتوري في النقاش وقال إنّه سيساعد وانغاري على اعتقال اللصوص والناهبين؟ سألته: كيف سيساعد؟ قال إنّه سيذهب إلى أطراف نجيروكا لتوعية العمّال والعاطلين، ويحثّهم على اتّباعه لكي يكشف لهم عن مكان تجمّع كلّ اللصوص والناهبين الذين يسرقون ثروة الناس ويتنافسون لمعرفة من هو الشَخص الذي سرق ونهب أكبر قدر ممكن من الشعب، ضحايا السرقة هم الأشخاص الوحيدون القادرون على المطالبة الفعّالة لاسترجاع ثروتهم.

حاولت أن أقنع موتوري بالمنطق: يا موتوري، تبدو أنّك رجل عاقل، احذر فقد تجرّدك نزوات نساء هذا العصر من نعليك، تذكّر أن ندايا وا كاهوريا طُرد من الكهف، قام ندايا بسرقة خمسة شلنات من هنا وهناك لشراء بعض الكعك، وذلك يوضّح بأنّ البقية منهم لصوص وناهبون مهمّون - [14]Wanyang'anyi Mashuhuri; wao si wezi wa mandazi na kuku -

هزّ موتوري رأسه وقال:أنا، موتوري، لا أؤمن بمقولة أنّ الصمت ينقذ الأرواح، لقد قالت وانغاري الحقيقة، إذا شاهدنا النهب والسرقة، وكنا نغضّ الطرف، أو ننظر إلى الجهة المعاكسة، ألا يعني ذلك بأنّنا ندعم منظومة النهب والسرقة؟ لا يوجد فرق بين السارق والشخص الذي يشهد على السرقة كما قال كيكويو ذات مرة، قلت إنّ ندايا وا كاهوريا طُرد خارج الكهف، نعم، لكن ماذا يوضّح لنا ذلك؟ يوضّح حقيقة إحدى مقولات كيكويو وهي: إنّ اللص الذي يرتدي الأسمال يكون ضحية للصّ الذي يرتدي الملابس الفاخرة، لماذا قال كيكويو ذلك؟ لأنّه في بعض الأحيان نشير إلى اللصّ الذي يرتدي الأسمال، متناسين أنّه ربما يسرق لأنه يعاني من الجوع والعطش، في الماضي، لم يكن مويو كيكويو يعاقب اللصّ الذي يسرق لكي يسدّ رمقه، في الماضي، إنْ ذهبت إلى إحدى مزارع أيّ شخص وقمت بقطع قصب السكر وجلست لأكله، وإن قمت بإيقاد النار وقلعت ما يكفي من البطاطا الحلوة لسدّ رمقك فشويتها ثم تناولتها في المكان نفسه فإنَّ مالك المزرعة لا يزعجك أبدًا، لكنّ هؤلاء اللصوص المعاصرين الذين يجنون في أماكن لم يحرثوا فيها أبدًا إلى درجة أنّهم دعوا الضيوف الأجانب للحصاد، والذين يقومون بادّخار الحبوب في مخازن الأجانب، ويتركون مالكي المزارع يموتون جوعًا، والذين يذبحون أغنام الرعاة، ويسمنون أنفسهم

---

14 لغة سواحيلية. م.

باللحوم المسروقة، يلقون بضراطهم فوق حدود التحمل؟ دع الطبقة العاملة تعتقلهم الآن، إنّهم لصوص وناهبون مجتمعين في العرين لعرض كروشهم ولينهالوا علينا بغضبهم واحتقارهم، مواؤرا، قلت إنّه يجب علينا أن ننتظر المزيد من الأدلّة؟ لا، المماطلة دمّرت خلية النحل، يجب الذهاب دائمًا إلى السوق مبكرًا، قبل أن تفسد الشمس الخضروات.

تعالوا فرادى وجماعة
وشاهدوا المنظر الرائع
لمطاردة الشيطان
وكل تلاميذه
تعالوا فرادى وجماعة

لا أعتقد يا وانغاري بأنّك ستحصلين على الكثير من المساعدة من مركز الشرطة، لكن الشخص الذي لم يشرب من اليقطين اليابس لن يعرف سعته، امضِ في طريقك وسأمضي في طريقي، هدفنا واحد، سنلتقي جميعنا في الكهف، كلّ واحد منا معه قواه الخاصة".

عندما أنهى موتوري حديثه، حدق فيّ بعينين بدتا أنهما تتحديانني للدخول في الصراع، لكنني أنا مواؤرا، رجل بمعنى الكلمة، نظرت إليه مباشرة وقلت له بكلّ صرامة إنني لن أساند أيّ فعل يهدف إلى زيادة الصراع على هذه البلاد، قلت لهما هذا: إنّ الرجل يفترسه لسانه يا موتوري ووانغاري، لأنّكما تعلمان بأنه لا يمكن منع الأمر الذي حدث من الوقوع (لا ينفع حذرَمع قدر)، اتركوا هؤلاء الأشخاص وشأنهم، اللص الذي يفلت من إلقاء القبض عليه يقال إنّه يأكل حصته، أجاب موتوري بكلّ سرعة: "نعم، نعم،

لذلك السبب يجب اعتقالهم جميعًا. "

هكذا افترقت عن هذين المعتوهين، وفكّرت بأنّه يجب عليّ الإسراع بالذهاب إلى الكهف لأحكي لكم عن كلّ ما جرى، ولتكتشفوا حجم الدراما والفوضى التي لابدّ أنّها ستحدث لا محالة، لذلك السبب أقول إنّه يجب عليّ الإسراع بالعودة إلى نيروبي الآن، ولنتمكّن على الأقلّ من تقاسم تكاليف الوقود، كنت أيضًا أبحث عن مويريري وا موكيراي لكي يبلغ رئيس مراسم الاحتفال بإنهاء الاحتفالية قبل أن تلقي الشرطة والعمّال القبض على الجميع، فهذان الاثنان، موتوري ووانغاري، ليسا وحدهما".

أنهى روبن مواؤرا قصّته وبدأ يحدّق حولَه مرة أخرى، كأنّه يخشى من تقبض عليه الشرطة ويظهر العمّال بشكل مفاجئ، نظر موتوري ووانغاري إلى بعضهما، لم يعرفا ما يقومان به، أيستمتعان أم يشفقان على وانغاري وموتوري؟

قال غاتويريا: "ليس هناك ما يستدعي القلق، هيا بنا نذهب إلى الداخل ونرى ما سيحدث".

سأل مواؤرا: "في رأيك، ألا ترى أنّه من الحكمة أن نقوم بإخبار الضيوف والمضيفين في هذه الاحتفالية بما يحدث؟ ".

أجاب غاتويريا بشكل سريع: "لا، لنتركهم وشأنهم، لنترك الجانبين معًا وشأنهم، نحن مجرد مشاهدين فقط".

تحرّكوا باتّجاه الكهف، كانت وارينغا غارقة في التفكير، هل يقال عن الأرض إنّها كروية بسبب تكرار حدوث المصادفات فيها؟ أن تجد الشخص الذي أنقذ حياتها مرتين، وفي مكان كهذا؟ من هو موتوري؟ وعندما اقتربوا من مدخل الكهف، شدّ مواؤرا كُم غاتويريا فتوقفا كلاهما، تقدّمت وارينغا إلى الأمام وانتظرتهما عند الباب.

همس مواؤرا إلى غاتويريا: "اسمع، بالرغم من أنّك قلتَ إننا مجرد

مشاهدين، وأنّنا لن ننحاز إلى أيٍّ من الطرفين، فأنا أودّ أدخل إلى المسابقة".

سأل غاتويريا وهو يكاد يضحك: "وتتركني أنا وواريتغا متفرجين فقط؟ ".

قال مواؤرا: "ذلك صحيح، لكن هل سيكون تحرّكًا جيّدًا؟ ".

"أن تقدّم شهادتك بخصوص النهب والسرقة أو أن تتخلّى عنا؟ ".

"أودّ أن أعرض عليهم مكرًا يهزم كلّ المكر في فن النهب والسرقة، فهل سيكون تحرّكًا جيّدًا؟"، سأل مواؤرا مرة أخرى لكي يجبر غاتويريا على إسداء النصح له.

حسنا، ألم أقل لك إنني مجرد مشاهد فقط؟ لو سنحت لك فرصة اقفز بكلّ الوسائل المتاحة إلى المنصّة وجرب حظك؟ كلّ ما يتوجب على المتسابق أن يقوم به هو سرد الأشياء التي قام بها باستعمال مهارته في النهب والسرقة، وماذا سيفعل لو أعطاه الأجانب المزيد من الفرص، لكني لا أقول لك أنّ تفعل هذا ولا تفعل ذلك، أفعل ما تودّ أن تفعله، القرار يعود لك"، قال له غاتويريا ذلك مثل قاضٍ يحاول أن يخفي موقفه في معارك الحياة؟

لكن مواؤرا بدا مسرورًا بعبارات غاتويريا، وتحدّث بصوت مرتفع قليلًا الآن، "قلت الحقيقة، ذلك السبب الذي جعلني أقول إنّ التعليم هو أمر جيد، أمر مهم جدًّا، الآن، لو كان الأمر يتعلّق بموتوري ووانغاري، فسوف يحاولان منعي من القيام بذلك لأنّهما يملكان تعليمًا بسيطًا، وليس لديهما أيّ فكرة عن سبب دوران الكون. باستطاعتي أن أرى أنّك محايد تمامًا، احذر في حالة وارينغا إذ يبدو أنّها تولّي الكثير من الاهتمام لكلام المعتوهين، لكن من المؤكد أنّك تعلم كيفية الدخول إلى صلب الموضوع وتقوم بذلك بشكل جيد، والمرء لا يعتمد على عدّ مهارة الشخص، آه، لا، الشيء المهم هو جودة المهارات التي يمتلكها المرء وكيفية استعمالها، تقول

إنّه يجب عليّ أن أقوم بما أريد فعله، ها، ها، هل تعلم ما قاله لنا موريري وا موكيراي في حافلتي الصغيرة ليلة أمس؟ الشخص الذي استلم أيضًا... تأتي المهارات... وقال...".

شهادة موريري وا موكيراي

لأنّ الإنسان الأبيض قال ذات مرة الوقت كالسيف، فإن ذلك يعني أنّ الساعات مثل المال تمامًا، وسوف أحتاج إلى القليل من الدقائق لأقدّم لكم لبّ حكمتي.

بالنسبة للنساء، لديّ زوجة واحدة لكنها سيدة ذات تعليم جيد، لأنّها حصلت على شهادة في الاقتصاد المنزلي أي شهادة في كيفية تسيير المال في المنزل والمحافظة على أسلوب حياة متحضر.

بالنسبة للصديقات، ليس لديّ أيّ واحدة، أو اسمحوا لي أن أقولها بهذه الطريقة: عندما أرغب في الحصول على وقت ممتع أبحث عن فتيات بيضاوات أو فتيات هنديات. أنا لا أؤمن بالعنصرية القبلية أو العرقية عندما يتعلق الأمر بالنساء، كنت أقول دائمًا إنّ النساء لا تنتمي إلى أيّ فئة عمرية أو عشيرة أو دولة، النساء هنّ خادمات للجميع، لذلك إذا صادفتك فتاة بيضاء فاظفر بها وخذها، وإذا صادفت فتاة آسيوية فخذها أيضًا؛ إذا صادفت أيّ فتاة جميلة مستعدّة للاستسلام فخذها.

بالنسبة لأطفالنا، لدينا طفلان فقط، صبي وبنت، ولا نرغب في المزيد، فأنا أؤمن بالتخطيط العائلي، وهو ما يعني تحديد النسل وحرية الوالدين لتقرير عدد الأطفال اللذين يرغبان في إعالتهم أو يقدران عليها، وليس الإنجاب العشوائي لمجموعة من الأطفال الذين لا يسمحون لك بتناول

الطعام الشهي في راحة تامة، وأنا عضو في مؤسسة دولية لتنظيم النسل (تُدعى المؤسسة الدولية للأبوّة المخططة)، ومقرها الرئيس في نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية. دعوني أخبركم، الأطفال هم عدوّنا الأكبر، أيّ ارتفاع في عدد السكان متناقض مع مصالحنا، تصوروا لو كان العالم بأسره ملكك أنت وزوجتك وحدكما؟ هل تفهمون ما أعنيه؟ أكبر تهديد بالنسبة لنا هو ارتفاع عدد السكان الذين سيطالبون بالطعام والملابس والمأوى، لأنه إذا فشل هؤلاء في العثور على وظيفة، وفي الحصول على الأكل، وشراء الملابس، فما الذي سوف يمنعهم من حمل الهراوات والسيوف والمسدسات لبقر بطوننا؟ ونحن في المؤسسة الدولية للأبوّة المخططة لدينا رغبة واحدة: إيجاد سبل ووسائل لتخفيف الصراعات بين الأمم، بالأخصّ أولئك الذين قاموا بنهب ثرواتنا وبين أولئك الذين نهبنا ثرواتهم، لذلك نحن الذين ننتمي إلى المؤسسة نعمل على السماح لزوجات الفقراء بإنجاب عدد الأطفال الذي يستطيعون إعالتهم بالطعام الذي تركناه لهم في مخازنهم، أو بناءً على حجم رواتبهم، وإذا كان الرجل عاطلًا عن العمل فلا تثقلوا كاهله بالزوجات والأولاد.

بالنسبة لتعليمي، وهنا، أيّها الناس الطيبون، أستميحكم عذرًا إذا تفاخرت قليلًا، فلا تعتبروني شخصًا متعجرفًا، فأنا رجل حاصل على ثلاثة شهادات في جيبه، أو بالأحرى في رأسه الذي تشاهدونه أمامكم، البطل لا يُقاس بقوّة عضلاته، والشهرة هي أعظم غالبًا من صاحبها، والحكمة تكون فطرية ولا يتمّ ترقيعها مثل قطعة القماش في الملابس، إذا شكّ أيِّ شخص في هذا الأمر، فسأُخرج القليل من بطاقات العمل، وفيها ستشاهدون كل شهاداتي في صف واحد: بكالوريوس في العلوم الاقتصاد، التسويق، بكالوريوس في التجارة، ماجستير في إدارة الأعمال من جامعة

هارفارد، الولايات المتحدة الأمريكية؛ وشهادة فخرية، وهذه الشهادة تعني أنّي عضو في الجمعية الملكية لإدارة الأعمال الدولية، البطاقات توضّح أنّ شهادتي مركّزة في إدارة الأعمال وتطوير الاقتصاد، كلّ تلك المهارة والمعرفة توجد في هذا الجسد الذي ترونه أمامكم، لذلك أقول إنّ الشهرة غالبًا ما تكون أعظم ممن يملكها.

أنا لا أؤمن بالإيديولوجية الأجنبية، لكنني أؤمن بإيديولوجية النهب والسرقة الحديثة، لكن لتعلموا...

قبل أن يكمل حديثه، قاطعه رجل يودّ أن يطرح سؤالًا، الرجل شاهد مويريري وا موكيراي يخرج من حافلة الماتاتو في ذلك الصباح، ولديه شكّ كبير بخصوص ما إذا كان مويريري يملك المعايير الضرورية في النهب والسرقة التي تؤهله للدخول في المسابقة.

"سيدي الرئيس، إنّ المتحدث على المنصّة تمسك جيّدًا بموضوع شهاداته، هذا جيد، حتى نظام النهب والسرقة يحتاج إلى أناس متعلمين، لكن سيدي الرئيس، تذكّر أنّه من الممكن للمرء أن يوجّه ضربة لشخص يحبّه، هل يمكن للمتحدث أن يخبرنا في بداية الأمر عن الشركة المصنّعة للسيارة التي يقودها؟ ذلك النوع من الشهرة التي نفهمها؟ الحكايات عن التعليم هي حكايات خيالية بالنسبة لنا".

جلس ذلك الرجل، وقوبلت مداخلته بتصفيق حارّ، والآن مويريري وا موكيراي لم يكن يعلم بأنّ الرجل قد لمحه وهو ينزل من حافلة مواؤرا، كان مرتبكًا ولم يعرف من أين يبدأ، بعد ذلك صاح العديد من الضيوف طلبًا لمعرفة المزيد من التفاصيل: "سياراته، دعوه يخبرنا عن كلّ سياراته، نحن لا نعرفك من دون أن نعرف نوع سيارتك، فهي هويتك الشخصية..."

سيدي الرئيس، أنا مويريري وا موكيراي، سيدي الرئيس، سيارتي،

المعذرة على عدم ذكر ذلك، بالنسبة لسيارتي، لديّ فقط واحدة، سيارة بيجو 504 (ذات مضخّة بنزين واحدة)، إلّا أنّها سريعة جدًّا، أسرع من السهم السريع جدًّا، والسيارة نفسها تستخدمها عشيقتي البيضاء لقضاء المشاوير اليومية، لكن في هذه المرحلة أنا أفكّر في اقتناء مركبة صغيرة لها، سيارة بيك أب من نوع تويوتا هيلوكس، سعة طنين فقط، جرّافة تتمكن من استعمالها في مشاويرها اليومية للتسوق وغيرها.

قاطع مويريري أيضًا الشخص نفسه للمرة الثانية، "سيدي الرئيس، هل يمكنك أن تقول للسيد مويريري أن يخبرنا إذا كان نوع السيارة التي قادها إلى الاحتفالية بيجو 504 (ذات مضخّة بنزين واحدة)، أو هل يمكن أن نعتبرها بأنّها قد ماتت أثناء سرعتها مثلما يموت السهم؟ ".

قوبل الشخص بجفاوة مرة أخرى، كانت تغمره قوة هائلة، وواصل طرح مجموعة من الأسئلة المغلّفة بالسخرية: "نعم، كيف وصل إلى الكهف هذا الصباح؟ ما نوع السيارة التي أقلّته إلى إيلموروغ في الليلة الماضية؟ أم إنّه أتى على متن سيارة مستأجرة؟ سيدي الرئيس، الشخص الذي يمتلك سيارة واحدة فقط، حتى لو افترضنا أنها أسرع من السهم، هل هو مناسب للوقوف أمام الناس الراشدين لكي يتحدّث عن النهب والسرقة الحديثة؟ برأيي يجب طرد مويريري، مع مجموعة شهاداته، يجب طرده مثل ندايا وا كاهوريا".

جلس الرجل، أخرج مويريري وا موكيراي منديلًا من جيبه، ومسح قطرات العرق التي تكوّنت على جبينه، تنحنح وحدّق في الناس متحديًا، بعد ذلك رفع صوته وتحدّث بكلّ شجاعة الفخر المجروح.

سيدي الرئيس، أنا لم آتِ على متن سيارتي، وأنت تعرفني، وتعرف سيارتي بكلّ تأكيد، ألست أنا هو الشخص الذي وزّع بطاقات الدعوات في نيروبي؟

"يا مويريري وا موكيراي"، قاطعه رئيس مراسم الاحتفال قائلًا: "دعني أذكّرك بالشيء الذي قالوه لك مسبقًا، ليس من السهل تمييز الرجل من دون سيارته، السيارة هي هوية الرجل، في إحدى المرات التقيت بزوجتي وهي تمشي على قدميها لأنّها تركت السيارة في المنزل، لم أتعرّف عليها، تحدّثت عن تلك المصادفة فيما بعد، فإذا كنت لا أستطيع التعرّف على زوجتي من دون سيارتها، هل تظنّ نفسك استثناء؟ اعرض هويتك الشخصية على هؤلاء الكبار لكي نبدأ الاحتفالية".

سيدي الرئيس، صاح مويريري من شدة اليأس، سيدي الرئيس، سيارتي مركونة في كيكويو، تركتها خارج فندق أونديري، ولو اتّصلنا بالفندق فإنّه يمكن لأيّ يشخص أن يتأكّد من وجود سيارة من نوع بيجو 504 متوقفة في الساحة، لقد أتيت في حافلة ماتاتو ماتاتا ماتامو، بإمكانك أن تسأل المالك إن كنت قد أخبرته عن المشكلة التي تتعلق بسيارتي أم لا، لا أريدك أن تعتقد بأنني أعتمد على الماتاتو للتنقل بشكل كلّي! روبن مواؤرا! قف رجاءً!

وقف روبن مواؤرا، وهو يزمجر بصوت مرتفع، بدأ مويريري وا موكيراي يطرح عليه الأسئلة كما لو أنّ مواؤرا كان يقدّم الأدلّة في المحكمة.

مويريري: ما اسمك؟

مواؤرا: روبن مواؤراندو، مواؤرا كاختصار للاسم.

مويريري: هل تمتلك ماتاتو؟

مواؤرا: نعم أنا مالك، وسائق حافلة ماتاتو ماتاتا ماتامو فورد ت. لوحة التسجيل 333 م م م. الشعار هو: وإذا أردتم سماع الاشاعات عليكم الدخول في حافلة ماتاتو ماتاتا ماتامو، وإذا كنتم ترغبون في النميمة...

مويريري: هل تتذكّر ليلة أمس؟

مواؤرا: نعم.

مويريري: أخبر هذا الجمْع من اللصوص والناهبين المعاصرين عن الأمر الذي حدث.

مواؤرا: كانت الساعة تشير إلى السادسة تقريبًا، وجدتك خارج نادي سيغونا للغولف بالقرب من كيكويو، قبل نجوغويني، واقفًا في موقف الحافلة، كان لدي أربعة مسافرين آخرين من نيروبي.

مويريري: هل أخبرتك أيّ شيء عن سيارتي؟

مواؤرا: نعم، أخبرتني بأنّ سيارتك من نوع بيجو 504 (ذات مضخّة بنزين واحدة) قد تعطلت في كيكويو، وأنّك تركتها خارج فندق أونديري، ولذلك كنت تبحث عن وسيلة للمواصلات لأنّك لا تريد أن تتأخر عن هذه المسابقة.

ووقف رجل آخر وقال للرئيس إنّهم لم يأتوا إلى هنا من أجل إيجاد حلّ لدعوى قضائية.

اتركوا مويريري يحكي عن نهبه وسرقته، فكّروا في ذلك، بدأ وجهه يتّخذ شكل سيارة بيجو 504 (ذات مضخّة بنزين واحدة)، أنا أشكّ بأنّه يستطيع أن يكون على ذلك الشكل لو لم يملك مثل تلك السيارة"، ثم جلس.

كان مويريري وا موكيراي مسرورًا جدًّا بالعبارات التي استخدمها الرجل، قال لمواؤرا هذا كلّ شيء، يا مواؤرا، الآن اقتنع كبار القوم، من الممكن أن تعود إلى مقعدك وتجلس الآن، لكن روبن ظلّ واقفًا، التفت الجميع إليه.

بدأ مواؤرا: "سيدي الرئيس، ضيوفنا الأجانب، أرجوكم أن تسمحوا لي بقولِ بعض الكلمات، أنا أيضًا أودّ أن أدخل إلى المسابقة، لأنّه، كما قيل في السابق، الرجال يلتقون في المعركة لكي يختبر بعضهم مهارة بعض من أجل

تبديد جميع الشكوك، من يكون كلّ شخص؟ لكن قبل أن أبدأ قصتي أودّ أن أقول شيئًا بسيطًا لكنه من الممكن أن يدمّر هذه الاحتفالية. عند الساعة الثانية تقريبًا، بحثت عن مويريري وا موكيراي لكي أخبره بأنّ اثنين ممن أعطاهما بطاقات الدعوة، وهما عامل ومزارع، كانا يحاولان إفساد هذه الاحتفالية، هذان الشخصان ناكران للجميل، لأنّهما حصلا على بطاقات الدعوة من مويريري وا موكيراي، الدماغ المفكر الذي كان وراء كل ذلك".

وقف العديد من الأشخاص من أجل التحدّث، لكنّ الشخص الذي تمكّن من إسكات الآخرين وقف وقال إنّهم لم يأتوا إلى الكهف للاستماع لقصص عن العمّال والمزارعين، يجب على مواؤرا أن يحتفظ بالإشاعات والنميمة لنفسه، وأن يترك هذه الاحتفالية تواصل فعالياتها، فالشمس لم تنتظر إنسانًا من قبل ولا حتى الملك، جلس مواؤرا بملامح لا تفسّر وقلب يملأه الهمّ، لقد كنت على وشك إيذاء موتوري إلّا أنني أضعت الفرصة.

كان مواؤرا يعتقد أنّه إن فضح سرّ وانغاري وموتوري فسيُسمح له بإدلاء شهادته، وربما الفوز بالتاج. وعلى الرغم من شعوره بالخزي، إلا أنه لم يفقد الثقة ورفع معنوياته بثلاثة أمثال: بالنسبة للمتسول ضرطة الثري لا رائحة لها؛ ومن يعشق الجمال لا يشتكي وهو يبحث عنه؛ ومن يشعر بأنّ معدته متشنجة فهو الذي يمضي إلى الغابة.

كان الضيوف الآخرون ينتظرون بصبر مويريري وا موكيراي أن يدلي بشهادته، صار وجهه الآن أقلّ توترًا، كما أن قطرات العرق التي تكوّنت قد جفّت الآن.

وقد قدّم مويريري وا موكيراي الحاصل على بكالوريوس تجارة، وبكالوريوس اقتصاد، وماجستير إدارة أعمال، وعضو في الجمعية الملكية لإدارة الأعمال الدولية، شهادته كالآتي:

سأتابع من حيث توقفت، أنا لا أهتمّ بعدد السيارات التي يمتلكها الشخص، المهم بالنسبة لي هو طراز السيارة، ونحن نعلم أنّ النحلة لا تمتلك في البداية قرص عسل كامل، البقّة تنمو حتى وإن كانت تعيش في شقّ قطعة الخشب الضيقة، يجب أن نهتمّ بمعتقدات الشخص وأفكاره أي وجهة نظره - فيما يتعلق بتطوّر واغتنام ثروة الأمة.

ليس لديّ الكثير لأقوله، أنا أؤمن بإله السرقة الحديثة وبربّ النهب الحديث، أقول هذا لأنّ تعليمي أظهر لي بأنّ كلّ الأمم والدول التي تقدّمت وساهمت في تطور الحضارات الحديثة قد مرّت من مرحلة الاستثمار، وفي هذه الأمم انتزعت السلطة من العمّال والفلاحين ومنحت لأبطال السرقة والنهب. وباللغة الإنجليزية من الممكن أن نسمّي أولئك الذين يمتلكون المعرفة الإدارية بأعمال الرأسمالية.

أبطالنا المعاصرون هم الذين لديهم معرفة بالاستثمارات المبدعة، أيّ أن أولئك الذين يعرفون كيفية تسويق مهاراتهم لكي يجنوا الثمار هم بكلّ بساطة خبراء في استنشاق الحساسية النادرة التي تسمّى الرّبح أو معدل الربح. ذلك بدوره يعني الآتي: لو سرقت خمسة شلنات اليوم فإنّه يتوجّب عليك سرقة أكثر من خمسة شلنات غدًا، ولنقل عشرة شلنات؛ وبعد الغدّ يجب عليك سرقة أكثر من عشرة ، ولنقل خمسة عشر شلنا. يجب عليك أن تسرق أكثر، وتنهب أكثر في جميع الأوقات، خمسة شلنات اليوم، عشرة غدًا، خمسة عشر بعد غد، خمسة وعشرين بعد يومين، وهكذا إلى أن تكتشف أنّ معدل الربح ينمو بسرعة فائقة يومًا بعد يوم مثل خطّ بياني تصاعدي إلى الجنة، منحنى الربح يجب أن يصعد إلى الأعلى في جميع الأوقات، في الإنجليزية نقول: إنّك تبحث عن الظروف المناسبة التي تؤمّن معدل ربح دائم التصاعد، لذلك يجب عليك أن تكون ملمًّا بالحقول

الخصبة، الحقول التي تؤمّن لك عدم نزول معدل الربح دون مستوى الأمس، والذي لن يبقى جامدًا، أين يمكن أن تجد هذه الحقول الخصبة إلّا في عرق العمّال والفلاحين؟

لكن يا أصدقائي، السرقة الحديثة تتكوّن من نوعين، هناك نوع من السرقة يكون محليًا، أو لنقل مسألة وطنية، وفي هذه الحالة يقوم الخبراء من الناهبين واللصوص لدولة معينة بسرقة العمّال والمزارعين في تلك الدولة التي ينتمون إليها. لكن هناك نوع آخر من السرقة يخصّ الأجانب، وفي هذه الحالة يذهب ناهبو دولة معينة ولصوصها إلى دولة أخرى ويقومون بسرقة الجماهير ويأخذون تلك الخيرات إلى دولتهم، هذا يعني أنّ مثل أولئك اللصوص والناهبين يسرقون من عمّال دولتهم وفلاحيها، ويسرقون من عمّال الدول الأخرى وفلاحيها. ويقتات مثل أولئك الأجانب على عالمين: عالمهم وعالم الآخرين. اليوم، على سبيل المثال اللصوص والناهبون الأمريكيون والأوروبيون واليابانيون يسرقون اليوم من شعوبهم الخاصّة، وبعد ذلك يذهبون إلى أفريقيا، وآسيا، وأمريكا اللاتينية لنهب الشعوب هناك، ويأخذون محاصيل تلك الدول إلى مخازنهم الخاصة . ويحصل هؤلاء الأجانب ، بطبيعة الحال، على يد المساعدة لمقاولاتهم من قبل عصابات اللصوص والناهبين المحليين.

في بعض الأحيان، يقوم هؤلاء اللصوص والناهبون ببناء متاجر ومخازن في الدول التي ينهبونها، ويوظّفون القليل من اللصوص هناك للاهتمام بها، كلّ ذلك يعني: عندما يأتي الأجانب، كالذين جاؤوا إلى أرضنا وقاموا ببناء المخازن، ستكون خطتهم بسيطة وهي سرقة بلادنا وأخذ الغنائم إلى اليابان، وأوروبا، وأمريكا.

أنا، مويريري وا موكيراي، أؤمن فقط بالنوع الأول من النهب والسرقة،

وأعني نهب مواطني دولة معينة وسرقتهم، الذين يسرقون من دولتهم ويأكلون الغنائم هناك في الدولة نفسها. لكن النوع الثاني أي سرقة اللصوص والناهبين الأجانب الذين يأتون إلى دولتنا ويشيدون الأوكار هنا بمساعدة بعضٍ منا أقول لا لا، وألف لا.

لا، يجب على الخبراء المواطنين في النهب والسرقة ألاّ يضعوا أيديهم بأيدي الأجانب لمساعدتهم على الاستيلاء على ثروات البلاد ليأخذوها إلى بلدانهم، ويتركوا لنا القليل من الفتات ثمن الإرث الذين سلبوه منا.

يجب علينا ألا نكون جواسيس لهم، وكلاب حراسة لهم، وتلامذة لهم، وجنودًا لهم، ومراقبين لمخابئهم ومتاجرهم على أرضنا، فليتركونا وحدنا نستفيد من حقولنا الوطنية.

لماذا أقول هذا؟

سأتحدّث بكلّ شفافية وليحدث ما يحدث. هؤلاء الأشخاص منافقون رغم أنّكم لا تصدقون ذلك وأنتم ترونهم الآن يدخّنون سجائرهم وغلايينهم بكلّ سلام.

أنا، مويريري وا موكيراي، درست جيّدًا النظام القائم على سرقة عرق العمّال والمزارعين ودمائهم، الأمر الذي نسمّيه بالإنجليزية بالرأسمالية. النظام هو كالآتي: الشعب يحرث؛ وقلّة قليلة (أولئك الذين يمتلكون المهارات) يحصدون، خمسة رجال أثرياء يغرسون الجذور في لحم خمسين من العمّال والفلاحين. أنا شخص متعلم، ولا أحتاج إلى أيّ شخص ليعطيني دروسًا بخصوص ذلك، أؤمن بأنه يمكننا، نحن الموجودين هنا اليوم، بناء أوكارنا ومتاجرنا التي سنكدّس فيها إنتاج جهود شعبنا، وأنا متأكّد جدًّا بأنّنا نحن، اللصوص والناهبون الكينيون، قادرون على الوقوف على أقدامنا وإنهاء هذه العادة التي تتعلّق بمشاركة غنائمنا مع الأجانب. دعوني أكرّر،

لأنّ الكلمة المخبّأة في القلب لا تفوز بالدعوى القضائية أبدًا، يجب علينا ألا نسرق العمّال والفلاحين -وفي الواقع أنعتهم بعبيدنا وبعد ذلك نسلّم الغنائم للأجانب لكي يتقاسموها بينهم ويرجعوا لنا القليل ويصدّروا البقية إلى بلدانهم، لماذا لا يسمحون لنا بالسرقة من بلدانهم في أمريكا، أو أوروبا، أو اليابان لكي نتمكّن من نقل ثرواتهم إلى دولتنا؟ لماذا لا يسمحون ببناء أوكار ومتاجر في بلدانهم لكي تصبح أوكارنا ومتاجرنا الكلمة الفصل في توزيع منتجات شعوبهم؟

لتكن السرقة فيما بيننا كي تبقى ثروة البلاد داخل البلاد حتى نتمكّن من غرس عشرة ملايين مليونير وطني في لحم عشرة ملايين من الفقراء، وآنذاك سوف نتمكّن من الاحتيال على الجمعيات بهذه الكلمات: أيها المواطنون لا تشتكوا، عندما كان الأجانب يأكلون هل تأفّفتم من ذلك؟ هل قمتم بهرش أنفسكم؟ يا شعبنا، الطاعون الذي يضرب بلادنا ليس غريبًا مثل ذلك الذي يوجد في أوروبا، يجب أن تكونوا مسرورين، لأنّ عرقكم ودماءكم أنتج عشرة مليونيرات وطنيين.

أنا رجل قليل الكلام، بإمكانكم أن تعرفوا الطعام الذي سيطبخ جيّدًا انطلاقا من أوّل قطرة ماء تغلي، قصتي قصيرة، إنّ الأمر يتعلّق بنضالي ضدّ الشركات التي يملكها الناهبون والسارقون الأجانب.

بعد إتمام دراستي، بدأت العمل مع شركات إمبريالية متنوّعة، ويوجد القليل من الشركات التي يملكها الأجانب والتي لم أضع فيها قدمي موظفا، شركات النفط، شركات صناعة الأدوية، وشركات استيراد وتصدير الشاي والقهوة، والبيوت المالية، والفنادق السياحية، وشركات السيارات والعديد من الشركات الزراعية، كنت أعمل في بعضها مديرًا للمبيعات، وفي شركات أخرى كنت أعمل مديرًا للموارد البشرية بصفة عامة. ومع ذلك عملت

مديرًا للعلاقات العامة من جهة أخرى.

لكن لم يسمحلي، كما تدركون، بالتعرف على أسرار الحلقة الداخلية لأيٍّ من هذه الشركات حيث تُتّخذ القرارات الحقيقية، وحيث تتخذ القرارات المتعلّقة بالأموال وتوزيع الأرباح، فقد كانت عضوية الحلقة الداخلية حكرًا على الأوربيين.

لكن عندما تحل أزمة داخل البلاد، وعندما يصبح العمّال متمرّدين ولا يطاقون، أو عندما يناقش البرلمان معايير ضريبة الدخل التي يمكن أن تكبح الارتفاع المستمر في معدل الأرباح، أو عندما يوشك مجلس الوزراء على الموافقة على بعض القوانين المتعلّقة بالأجانب، فإنّي أكون أحد الأشخاص الذين يعملون عيون الأجانب وآذانهم. في بعض الأماكن كنت أنادي بالغلو في الوطنية لإطفاء النار المضطرمة؛ وفي أماكن أخرى أقوم بإزالة التجاعيد المتواجدة على الجلد بآخر صرعات المراهم؛ ومع ذلك، وفي أماكن أخرى أقوم بتغيير أفكار أولئك الذين يتواجدون في السلطة باستعمال القليل من الخمر، وهكذا، لكن في العديد من المناسبات، كنت أشتري صورة شعبية جيدة للأجانب عبر مساهمات الاتّحاد.

في يوم من الأيام توقّفت وسألت نفسي: هل هؤلاء الأجانب يستعملونني كشخص، أم إنّهم يوظّفون لون بشرتي؟ هل يستأجرون مؤهلاتي أم سواد بشرتي؟ على الفور، أدركت أنّهم يوظفونني واجهة زجاجية لعرض السلع الجذابة، ولو قام شعبنا بالبحث عند الأجانب فسوف يجدونني في واجهة المقاولة الزجاجية؛ وعندما يشاهدونني فإنهم سيشاهدون جزءًا من أنفسهم ينعكس فيّ، وسيعتقدون أنّ لهم نصيبًا في المقاولة، وسيواصلون الإذعان لسرقة الأجانب معتقدين بأنّهم سيصبحون أثرياء شيئًا فشيئًا.

تشاورت مع نفسي، ثروة دولة معينة ينتجها عمّال تلك الدولة. نعم،

إنّه من دون يد العامل ورأسه وقلبه لن توجد أيّ ثروة، ماذا يجلب الأجانب للبلاد؟ القليل من الآلات، والقليل من الرواتب لدفع راتب العمّال في أول الشهر، ذلك نوع من الطعوم التي تعطى للقرد ليسمح للآخرين بسرقة صغيره الذي بين يديه. الآلات هي نوع من الفخاخ، والراتب هو الطعم الذي يستخدم لاصطياد الفأر، أو إنّ الآلات هي قصبة الصيد، والراتب هو الدودة التي تستعمل طعما لجذب السمكة، الآلات هي ماكينة لجمع عرق العامل ودمائه وطاقته ومهاراته، والبنوك هي القوارب واليقطين اليابس، وللعلب والأواني التي يُخزّن الحليب فيها.

لذلك، أتساءل: أنا موريري وا موكيراي، كيف تسمح للإمبرياليين بأن يحلبوا دولتهم ودولتك؟ أليس لدينا أناس يستطيعون حلب الجماهير، وتهدئة العمّال بالقليل من العلف أثناء نهبهم؟ هل الأجانب هم الوحيدون الذين لديهم مهارات الحلب؟ هل هم الأشخاص الوحيدون الذين يعرفون كيف يأكلون الأشياء التي ينتجها الآخرون؟ ألا تستطيع، أنت موريري وا موكيراي، أن تتقدّم إلى الأمام للاستفادة من مجهود شعب دولتك وتستعمله لإنتاج الأشياء، وبعد ذلك تبيع تلك الأشياء مرة أخرى للأشخاص الذين بذلوا ذلك المجهود لإنتاجها في الدرجة الأولى؟ نحن لا نريد آكلين يأتون من الدول الأجنبية لأكل ثرواتنا التي ينتجها الآخرون، من الممكن أن نشجّع تطوير طبقة من آكلي تعب الآخرين وعرقهم، نعم، طبقة من آكلي لحوم البشر، في بلادنا نحن.

كنت أصرخ في وجه الأجانب من كلّ قلبي، الآن، نستطيع أن نتعرّف على هوية الأشخاص، أنتم أيها اللقطاء الحقراء، سأريكم بأنّ لدينا رجالًا متفوّقين انخرطوا في الفن الحديث المتعلّق بنهب العمّال وسرقتهم. أنتم أيّها الأجانب يجب عليكم العودة إلى بيوتكم واغتصاب أمهاتكم، واتركوني

أداعب فخذَي (أمي).

رفضت الاشتغال في المزيد من الوظائف، لكن بسبب ضعف موقفي وتوجّب عليّ الذهاب إلى المصارف التي يملكها الأجانب للتفاوض على أحد القروض آه، نعم لكي أتمكّن من شراء العلف للعمال، ولكي يبقى ما يكفي لشراء الآلات للاستفادة من عرق مجهودهم.

قمت ببناء مصنع لإنتاج زيت الطبخ انطلاقًا من السبانخ البرية، آه، استمعوا إليّ بهدوء، كانت تلك هي بداية كلّ المآسي، لكنها كانت أيضًا بداية معرفتي بالطريقة التي يسير بها العمل الدولي فعندما ذهبت لبيع الزيت اكتشفت أنّ السوق غارقة كليًا بزيت الطهي المستورد من الشركات الأجنبية، والأمر الذي زاد الطين بلّة هو إنّهم قاموا بتخفيض أسعار زيتهم. اتّضح لي جيّدًا أنا، موريري وا موكيراي، أنّي أصبحت على حافة الإفلاس فقمت ببيع المصنع وكلّ الآلات للأجانب.

ثم قمت ببناء مصنع لإنتاج مراهم تفتيح لون البشرة، وكانت أسبابي لإنشاء هذا المصنع هي: إذا كانت ثروات الأجانب تزداد عن طريق تدمير بشرات السود فلماذا لا أفعل مثلهم؟ لكن حدث ما حدث لمشروعي السابق، ووجدت مراهم تدمير بشرات السود فائضة في السوق وبأسعار زهيدة، ووجدت الإفلاس ينتظرني مرة أخرى، ولم يكن أمامي خيار آخر سوى بيع المصنع للأجانب أيضًا.

ومع ذلك قمت ببناء مصنع آخر، هذه المرّة لصناعة الواقي الذكري من المطاط، هل فهمتم ما أقصد؟ غلاف خاص بالرجال يستعملونه عندما لا يرغبون في الإنجاب من فتاة معينة، وفي هذه الحالة دخلت عاداتنا على الخطّ فرجالنا لا يرغبون في تغطية أعضائهم الذكورية بتلك الواقيات المطاطية، يحبّون الإحساس باللحم البشري قبالة اللحم البشري، أما بالنسبة

للأوربيين والآسيويون فقد كانوا يفضّلون الواقيات المستوردة التي صنعت بواسطة شركات من دولهم.

التهم الأجانب هذه الشركة أيضًا.

لذلك، أنا أقف هنا، وأستطيع أن أقول إني حاولت تحقّيق النجاح في أنواع متعددة من الصناعات، لكنّني مهما حاولت كنت أجد أنّ شركات التصنيع الأجنبية وحلفاءهم المحليين قد اتّحدوا ضدّنا. عندما أقوم ببيع منتجي بخمسة شلنات، كانوا يبيعون منتجهم بثلاثة شلنات، وبطبيعة الحال سوف يركض جميع المشترين إلى شراء بضائعهم. في بعض الأحيان، كان الأجانب يرفضون أن يبيعوا لي بعض الآلات، وفي بعض الأحيان الأخرى كانوا يبيعون لي بعض الآلات القديمة جدًّا، ومع ذلك كانت تلك الآلات تستغرق سنوات حتى تصل إلى هذه البلاد. في بعض الأحيان لا أتمكّن من الحصول على قطع الغيار، أو كانت تتأخر، أو تختفي أثناء شحنها بشكل مفاجئ، ويتوقّف مصنعي بدوره عن العمل على الفور.

هذا هو ما جعلني أكتشف بأنّ الأجانب ليسوا مستعدّين لرفع أيديهم عن الأنشطة التصنيعية التي تتغذّى، بطبيعة الحال، على عرق العمّال وجهدهم، لأنّ عرق وجهد العمّال هو مصدر كلّ أرباح. فكّرت في التخلّي عن التصنيع لفترة، كان ذلك بشكل مؤقت فالانزلاق لا يعني السقوط.

رجعت مرة أخرى إلى خدمة الأجانب، وبدأت بأحد المشاريع للبيع بالجملة. حسنًا، مشروع بيع الأشياء المصنّعة من قِبَل الأجانب، ولم يكن مشروعا سيئًا، لأنّه عندما ينقل المرء شيئًا من هنا إلى هناك، وهو أمر لا يضيف أيّ شيء للعملية، ولو قطرة واحدة من عرقه، فإنّه يستمتع بالقليل من الأرباح. اليوم، أصبحت بائعًا للأقمشة المستوردة بالجملة، والخمور القوية، والأحذية، والملابس المستعملة، وحبوب لمنع الفقراء من إنجاب

المزيد من الأطفال مثل الجرذان والأرانب.

اليوم، أنا ابن موكيراي، ما زلت في خدمة المالكين الأجانب للصناعات، ولا يزال الأجانب يحتكرون كلّ مجال لسرقة عرق عمالنا، لكنني لم أتخلّ أبدًا عن طموحي الذي يتعلّق بطردهم من المنطقة.

وبالتالي، سيدي الرئيس، عندما حصلت على دعوة لحضور هذا التجمّع ورسالة تطلب مني نشر خبر هذه المسابقة العظيمة للحكم على اللصوص ومخططاتهم لزيادة السرقة والنهب في هذه الأرض، أحسست بسرور لا يوصف.

الآن، استمعوا جيّدًا، سأفشي لكم سرًّا، طوال هذه السنوات، أنا، موريري وا موكيراي، احتفظت بهذا السرّ لنفسي. إنّه السرّ الذي قد يسمح لنا بالتفوق على اللصوص اليابانيين، والأمريكيين، والبريطانيين، والفرنسيين، والألمانيين، والإيطاليين والدنماركيين، وكلّ العالم الغربي الرأسمالي، في فنّ النهب والسرقة، إنّه السرّ الذي يمكّننا إتقانه من تحطيم الأغلال التي تربطنا مع الأجانب. والآن سوف أتقاسم السر معكم لأنّه إذا كان لزامًا أن يكون هناك تأثير لمشاريعي، فإنّ ذلك يتطلب الوحدة الكاملة بيننا نحن الذين نرغب في بناء رأسمالية وطنية حقيقية، وسنتحرّر من الإيديولوجيات الأجنبية.

السرّ هو كالآتي، في بلادنا يتوفّر الحديد الخام كما يتوفّر عمّال المعادن. فضلًا عن ذلك، لدينا مهارات تحويل الحديد الخام إلى سبائك من الحديد منذ أجيال من الزمن. قبل الإمبريالية، كانت هذه المهارات هي التي تستعمل لصِناعة الرماح والسيوف والمعاول وأنواع متعددة من الحلقات، لكن هذه المعرفة لم تنتشر لسببين، نقابة عمّال المعادن احتفظت بهذه المعرفة لنفسها، لأنّه في تلك المرحلة، لم تظهر بعد تلك الطبقة الصغيرة من الناس

التي تعرف الطعم اللذيذ لعرق العمّال المصانع ودمائهم. وقد عمل الأجانب عندما جاؤوا إلى هنا على طمس هذه المعرفة المحلية لأشغال المعادن لكي يجبرونا على شراء المصنوعة في الخارج، وهذا يساعد على نموّ صناعاتهم.

لذلك، اليوم أقول لكم، لنتّحد صغارًا وكبارا، من أجل تطوير أدواتنا الصناعية، لأنّ عرق ودماء شعبنا متوفّران بشكل لا متناهٍ ورخيص.

لا يخدعنّكم أيّ شخص لتعتقدوا أنّنا لا نمتلك أيّ حديد خام، لدينا جميع الثروات الطبيعية في هذه البلاد، بما فيها البترول، لكن حتى وإن كنا لا نملك احتياطًا كبيرًا من الحديد الخام، فمن الممكن أن نطوّر ما يسمّى بالإنجليزية التكنولوجيا المدعمة، أي معرفة تحويل الحديد المستعمل إلى حديد منصهر وقابل للاستعمال. برأيكم، ما هو الشيء الذي مكّن اليابان لتصبح قوة صناعية كبرى؟

عرق عمالنا سيمكّننا من تصنيع الأدوات الصناعية لإنتاج الدبابيس، وشفرات الحلاقة، والمقصّات، والمجارف، والمعاول، والفؤوس، والأحواض، وقناني المياه، والعلب، والصفائح الحديدية، ومحركات المركبات، والجرارات، والمحركات البخارية والتي تعمل بالديزل، والسفن، والطائرات، والرماح، والسيوف، والمسدسات، والقنابل، والصواريخ، وقاذفات إطلاق الصواريخ، أو الصواريخ التي تحمل الإنسان إلى الفضاء، باختصار علينا أن نصنع كلّ المنتجات التي يصنعها الأجانب حاليًا، وبعد ذلك سنرى إذا كنا نحن أيضًا نستطيع الاستفادة من العلوم والتقنية الحديثة أم لا.

فكّروا في ذلك، أيّها الناس الطيبون، ميلونيريو كينيا، مليارديريو كينيا، كلّ من يملكون الملايين والمليارات في كينيا، والرأسماليون الكينيون، مثل رأسماليي اليابان، كلّ ذلك عن طريق الحديد الخام والتكنولوجيا المدعمة التي نظفتها دماء العمّال وعرقهم؛ ماذا تريدون أكثر من هذا؟

أيّها اللصوص المحليون، الناهبون المحليون، لقد هديتكم إلى الطريق، الآن، فليأخذ كلّ لص معنا مهاراته إلى المنزل ويطبّقها على وطنه.

من سيحصل على التاج إذًا؟ موريري وا موكيراي! لأنّه أعطانا عبارات من الحكمة بوجهها الفطري والمكتسب، لم أذهب إلى المدرسة للّعب، وأودّ أن أختم بصرخة المعركة هاته، كلّ ناهب يجب عليه أن يذهب إلى منزله وينهب والدته، تلك هي المساواة والديمقراطية الحقيقية في الأوطان، دائمًا وإلى الأبد، آمين.

الفصل السابع

1

حلم، إنّه حلم في وضح النهار بكلّ تأكيد. قرص غاتويريا فخذه ليري ما إذا كان يشعر بالألم، ولكي يبرهن على أنّ ذلك كلّه لم يكن حلمًا بل حقيقة، كانت القرصة مؤلمة، لا، لم يكن حلمًا. لكن بالرغم من ذلك، لم يصدّق غاتويريا أنّ الأمر الذي كان يراه بعينيه وقع هناك حقيقة، من الممكن أن يقوم المرء بقرص نفسه ويمكنه الشعور بالألم، ومن الممكن أن يشعر بأنّه يموت، ومن الممكن أن يرى نفسه وهو يدفن، وأنّه ذاهب إلى الجنة أو إلى الجحيم.

نظر غاتويريا إلى وارينغا، مدّ يده إلى الأمام وأخذ أصابعها وضغط بلطف، وأحسّ بأنّها كانت هناك بالفعل، بلحمها وشحمها، تأكد غاتويريا من أنّه مستيقظ، وأنّ الكهف لم يكن أضغاث أحلام رجل مصاب بالملاريا.

حتى اليوم، مازال غاتويريا يتذكر بنوع من القشعريرة تلك الفوضى التي وقعت في الكهف عند إدلاء مويريري وا موكيراي بشهادته، نعم، إنّ بعض الضيوف قاموا بالتصفيق له، لكن الأغلبية صرّوا أسنانهم، وزمجروا

وصرخوا وانفجروا غضبًا، النساء فعلن ذلك أيضًا، قلّة منهن زغردن له، لكنّ أغلبيتهن صرخن احتجاجًا على ذلك.

2

كان زعيم الوفد الأجنبي، الشخص الذي يحمل شارة على تاجه مكتوب عليها الولايات المتحدة هو أول من ألقى خطابه، فتلاشى الضجيج والفوضى عند محاولة الناس إصاخة السمع لكلّ كلمة يقولها زعيم الوفد.

"سيدي الرئيس، أتحدّث أصالة عن نفسي ونيابة عن باقي الضيوف الأجانب الآخرين، أودّ أن أعبّر عن الرعب الذي أصابني بسبب التعنيف والشتائم التي لحقت بنا من قِبَل مويريري وا موكيراي، نحن لم نأتِ إلى هنا للتعنيف والشتائم، لا، جئنا إلى هنا من أجل تقوية الشراكة بين اللصوص والناهبين الأمريكيين، والأوربيين، واليابانيين، وبين اللصوص والناهبين في العالم النامي، أي الدول التي حصلت على استقلالها مؤخرًا. نحن، الذين أتينا من العالم المتقدّم، لدينا العديد من سنوات التجربة في السرقة والنهب الحديث، ربما، سوف أذكّركم بأننا نملك المنازل والمتاجر والمخازن التي تحتوي على الأموال التي نُهبت من شعوب العالم، ربما لاحظتم أنّ بدلاتنا مصنوعة من الأوراق النقدية، الأموال اليوم هي قاعدة لكلّ صناعة وتجارة، الأموال هي القائد الميداني لكلّ قوات السرقة والنهب، الأموال هي الأسمى، الأموال تقود العالم. جئنا إلى هنا لنرى إن كان بالإمكان أن نكشف للقليل منكم بعض أسرارنا ليصبحوا عيون المجتمع الدولي وآذانه للصوص والناهبين هنا في دولتكم، لكن لم نكن نعلم بأنّنا جئنا إلى هنا لكي نستمع إلى الخطابات السياسية الساذجة، خطابات اللصوص والناهبين الذين يحلمون بالمشي قبل أن يتعلموا الزحف، خطابات اللصوص والناهبين

الذين يشعرون بالحسد تجاه الغنيمة التي سرقها وخزّنها أولئك الذين كانوا يمارسون اللعبة منذ زمن بعيد، عندما جئنا إلى هنا كنّا نعتقد أنّ في زيارة لأناس أدركوا أنّ كلّ اللصوص والناهبين في العالم ينتمون إلى الفئة العمرية نفسها، إلى العائلة نفسها. وإلى الجنسية نفسها، وأنّهم يتشاركون المبادئ نفسها، نحن نؤمن بالحرية، الحرية في السرقة والنهب بناءً على مهارات الفرد، ذلك ما نسمّيه بالمبادرة الشخصية والمقاولة الفردية، وذلك هو السبب الذي جعلنا نقول دائمًا إننا ننتمي إلى العالم الحرّ، العالم الذي لا يوجد فيه، بطبيعة الحال، أيّ حواجز تعيق السرقة والنهب من الآخرين، فلماذا، إذن، يحاول مويريري وا موكيراي أن يخلق الفرقة بيننا؟ وما الذي دفعه إلى القول إنّه يوجد نوعان من السرقة؟ السرقة هي السرقة. ولماذا قال إنّه يجب عليكم تصنيع صواريخكم، وقنابلكم، ومركباتكم الفضائية؟ ألا تعتقدون بأنّنا قادرون على حماية مسروقاتكم ومسروقاتنا وحراستها كما كنا = ومازلنا نفعل في كوريا الجنوبية، والبرازيل، وإسرائيل، وجنوب إفريقيا؟ نحن نأكل ونشرب من المائدة نفسها، ومع ذلك لا تثقون بنا، الآن، وبسبب لغة التعنيف والشتائم التي تلقّيناها من جهة مويريري وا موكيراي، فقد قرّرنا عدم الانتظار إلى نهاية الاحتفالية، نحن سنرحل الآن، وسنأخذ معنا كلّ الهدايا التي أحضرناها، ونترككم أيّها الكينيون تبحثون عن الحديد الخام الذي كان مويريري متحمسا بسببه".

ثم جلس زعيم الوفد الأجنبي.

3

أصبح الجو داخل الكهف باردًا جدًّا. أحسّ العديد من اللصوص بأنّ البرد ينخر عظامهم، وأحسّوا بأنّ خسارتهم وشيكة، نظر الجميع إلى

مويريري وا موكيراي بأعين تملؤها المرارة.

كان رئيس مراسم الاحتفال هو الشخص الذي أنقذ الحفل مرة أخرى.

صعد إلى المنصّة وتحدّث بقلب مملوء بالأسف، وتوسّل إلى الأجانب بعدم إعارة الاهتمام للأشياء التي قيلت، لأنه لا يوجد أيّ ناهب أو سارق في الكهف بأكمله لا يبحث عن سبل وطرق لتطوير العلاقات مع هؤلاء الضيوف المهمّين لفائدة تقدّم نظام السرقة والنهب في الكون. إنّ نداء مويريري وا موكيراي الموجّه للصوص والناهبين في كلّ دولة بأن يعتمدوا على أنفسهم، وأن يقفوا بمعزل في أحد الزوايا، ويربتوا على كروشهم بمفردهم، هو مجرّد كلام مراهقين.

ثم أقسم رئيس مراسم الاحتفال بكلّ الآلهة بأنّه لا يوجد أيّ لص أو ناهب محلّي وحاضر في الاحتفالية يؤيد أفكار مويريري وا موكيراي، وذكّر الضيوف الأجانب بالحكاية الرمزية التي افتتح بها، هو بنفسه، الفعالية هذا الصباح، يمكن مقارنة علم الاستقلال بالشخص الذي يسافر إلى دولة بعيدة، فيستدعي خدمه، ويسلّمهم بضائعه.

توقّف منظم الاحتفالية في وسط الحكاية الرمزية، والتفت إلى الضيوف الأجانب، وابتسم بتملق بأسنانه الذهبية، وقال: أيّها الضيوف المميزين، نحن عبيدكم، لقد جئتم لكي تشاهدوا ماذا فعلنا بالمهارات التي اكتسبناها منكم اعترافا وشكرا على الخدمات التي أسديتموها لنا لقمع الأشخاص الذين يلقّبون أنفسهم بمناضلين من أجل الحرية. هذا الأمر جيد، أودّ أن أذكّركم بأنّه حتى اليوم كنّا نخدع شعبنا للاعتقاد بأنّكم قد رحلتم من البلاد فعليًا، لهذا السبب لا نقوم بمناداتكم بالأجانب، أو الإمبرياليين، أو الناهبين البيض، نحن نناديكم بالأصدقاء. وبالتالي، فإنّني أتوسّل إليكم، وأطلب منكم العودة إلى مقاعدكم وتحلّوا بالصبر لكي تتمكنوا من

سماع كلّ القصص المتعلقة بآكلي لحوم البشر، لا تقلقوا بشأن مويريري وا موكيراي، سنعتني بأمره وسنقرّر مصيره هنا اليوم، وأتمنّى أن يكون هذا الاعتذار كافيًا، ولا شيء يبقى سوى الاعتذار العملي.

جلس الرئيس. تقبّل زعيم الوفد الأجنبي للسرقة والنهب الحديث اعتذاره، وقال إنّهم متشوّقون لرؤية الاعتذار العملي، قال: "لا يقتصر الأمر على تطبيق العدالة فقط، لكن يجب أيضًا رؤية العدالة وهي تطبّق، شكرًا لكم".

كاد التصفيق المدوي يحطّم سقف الكهف وجدرانه.

4

أمسك غاتويريا يد وارينغا، لا يزال يشعر كما لو أنّه حلم، فشدّت وارينغا يده ثم جلسا بصمت وكل منهما غارق في أفكاره الخاصّة، لكن كلّ واحد منهما يفكّر في أنّه لو ترك يد الآخر فسيغرقا كلاهما في ظلام الكهف.

لم يتمكّن غاتويريا من مواصلة أفكاره ليصل إلى خلاصة منطقية، كانت تأتي إلى ذهنه فكرة وتتراقص هناك للحظة، ثم تلغيها فكرة جديدة أخرى، وتقفز الفكرة الجديدة هناك لمدة من الزمن إلى أن تلغيها فكرة أخرى. ويبدو أن رغبته الملحّة في البحث عن موضوع مناسب للموسيقى التي يودّ تأليفها قد تبخّرت، الأمر الذي يقلقه كثيرًا الآن هو الأفكار المتعلّقة بمشاكل وارينغا الماضية، لكنه عندما أدار قصة وارينغا في ذهنه، انزعج من معرفة أن وانغاري ذهبت لتحضر الشرطة، وأنّ موتوري ذهب لإحضار العمّال، ماذا سيحدث لو اجتمعت كلّ القوى داخل الكهف؟ انزعج أيضًا من الفوضى والضجيج التي نجم عن إدلاء موريري وا موكيراي بشهادته، وهو لم يقم حتى بإدانة نظام النهب والسرقة، كلّ ما قاله هو إنّه يجب على كلّ لص أن يسرق من دولته، إذن، لنفترض أنّ شخصًا مثل موتوري أتى إلى هنا ورفض النظام الكلّي للنهب والسرقة؟

وفجأة أحسّ غاتويريا بأنّه يجب عليه هو ووانغاري أن يفرا من الكهف، لأنّه بدأ يرى في ذهنه صورًا جعلته يرتجف، ووسط هذه الصور كان يتواجد مواؤرا.

ظنّ غاتويريا أن مواؤرا ينظر إليه بعينين يغمرهما الجشع والنهم، بعد ذلك أدرك بأنّه ليس مواؤرا وحده هو الذي كان ينظر إليه بالطريقة نفسها، كان الناس الذين يحيطون به ينظرون إليه بالتعبيرات نفسها، وعندما يتثاءب أحد اللصوص كان غاتويريا يظنّ بأنّ أسنانه تحوّلت إلى أنياب ممتلئة بالدماء وتتجه إلى المكان الذي كان يجلس فيه هو ووارينغا، سمع أحد الأصوات تهمس له: هؤلاء هم آكلو لحوم البشر؛ هؤلاء هم شاربو دماء البشر؛ هؤلاء هم أمثال ندينغوري الجدد؛ خذ هذه الفتاة واهرب من هذا المكان.

لكنّ جزءًا منه كان يحثّه على عدم الهروب والانتظار حتى النهاية لكي لا يستمعوا للقصص عن الكيفية التي انتهت بها الاحتفالية في المستقبل، ولأنّه إنْ أخبر أحدهم غاتويريا بوجود قتلة محترفين وآكلي اللحم البشري في العالم، فإنّه لن يصدق ذلك، فهل كان الرجل المسنّ من باهاتي، ناكورو، يحكي له قصصا عن وحوش العهد الجديد إذن؟

حرّك غاتويريا رأسه لكي لا يتبع هذا التسلسل من الأفكار، ثمّ حدّق إلى المنصة لكي يمنع نفسه من النظر إلى الصور المرعبة التي يشاهدها على وجوه الأشخاص الذين يحيطون به.

بدأ يفكّر فيما قاله مويريري وا موكيراي، ويقارن شهادته بالقصّة التي سردها عليهم الليلة الماضية بخصوص الرجل الذي ذهب إلى بلاد بعيدة وترك خمس مهارات، ومهارتين، ومهارة واحدة لخدمه، وبعد أن بقي بعيدًا لمدةٍ من الزمن، عاد واستدعى خدمه...

وقام الشخص الذي حصل على... مهارات... وشهد بأنّ...

كان نديتيكا وا نغونجي بدينًا جدًّا، وذا رأس ضخم مثل الجبل، وكرشه الكبير المتغطرس يتدلّى فوق حزامه، كانت عيناه بحجم مصباحين كهربائيين كبيرين، بدتا كما لو أن خالقًا وضعهما على عجلة من أمره فأنجز مهمته للذهاب إلى مهمة أخرى، كان شعره مفروقًا في الوسط، فبدت كلّ جهة مثل مرتفعين يقابلان بعضهما على جانبَي الطريق المعبّدة، وكان يرتدي سترة سوداء ذات ذيول على شكل أجنحة الذباب الأخضر والأزرق الذي يوجد عادة في حاويات القمامة أو في الأزبال المتعفّنة، أمّا قميصه فيحتوي على كشكش في المقدمة كلها، ويرتدي ربطة عنق سوداء على شكل فراشة، وعيناه تتحركان بالتزامن مع كلماته بينما يداه تستقران فوق كرشه التي يربت عليها بلطف كما لو أنّه يحثّها على عدم الظهور بتغطرس أمام الناس.

ليس لديّ الكثير مما أقوله، أنا لست متحمّسا لعدّ الشهادات التي لن تجد وسيلة مواصلات أفضل من الماتاتو، سأترك إهانة الأجانب للحقراء الذين لا يمتلكون أيّ شيء يفتخرون به أمام آكلي لحوم البشر سوى كراهيتهم للأجانب.

اسمى نغونجي وا نديتيكا آسف نديتيكا وا نغونجي، وبالنسبة لحالتي الاجتماعية فأنا متزوج من زوجة واحدة، أما عشيقاتي فأنا أنتمي إليهن أبًا عن جد، أعاني من نوعين من الأمراض: لا أستطيع أبدًا أن أشعر بالشبع من المضاجعة ومن الطعام، الطعام الجيّد يبني جسدًا صحيًّا وجيّدًا، كذلك فخذَي الفتاة الناعمين الغضّين يساعدان على استقرار في النفس والروح.

بالنسبة للسيارات لديّ العديد منها، من مرسيدس بنز إلى رنج روفر،

من فولفو إلى بيجو 604، وعندما أخرج لاقتناص الفتيات الصغيرات كنت آخذ سيارتي من نوع بي. ام. دبليو. (التي تعني كوني عشيقتي)، ويقينًا أنه عندما تصعد الفتاة الشابة إلى سيارتك الـ بي. ام. دبليو، فإنّها لن تقول لا أبدًا. سيارة زوجتي من نوع فيات 1600، لكن قبل يومين كانت تشتكي بكلّ مرارة من أنّ المرأة التي تملك سلّة من القصب تحتاج أيضًا إلى سلّة من القنّب، لذلك اشتريت لها سيارة أخرى من نوع مازدا.

أما أطفالي فيركبون الأحصنة حيث تعلّموا ركوب الخيل في المدرسة العليا لركوب الخيل في نيروبي، المملوكة سابقًا لغروغان وديلمر. لم يكن يسمح للأشخاص السود قبل الاستقلال بالاقتراب من حرم المدرسة. أيّها الناس، عندما تعتقدون بأنّه يوجد بعض الحمقى لديهم الشجاعة للتجوال من فندق إلى آخر ويقولون: "الحرية لم تأتِ بعد"، فما هي الحرية الأخرى التي يريدها الناس؟ بالنسبة لي، أشعر بالسعادة عندما أشاهد أبنائي على الطريق أو بالقرب من منزلي، وأنا أقود هذه السيارة أو تلك، وهم يركبون خيولهم ويلوّحون لي، ويخرجون ألسنتهم ويصرخون، أبي! أبي! تمامًا كالأطفال الأوربيين، الحرية!

كلّ هذه المتع نتجت عن السرقة والنهب الحديثين، اليوم على سبيل المثال، أمتلك العديد من المزارع في نجورو، وإبلبورغون، وكيتال. أدفع للعمال خمسة وسبعين شلنا في الشهر، فضلًا عن مؤونة يومية من الطحين، وزجاجة أسبوعية من الحليب مقشود الدسم، ها! ها! ها! هل تعرفون ماذا؟ في أحد الأيام قاموا بالإضراب للمطالبة بالزيادة في الأجور، وأنا أؤكّد لكم أنّهم صاروا يرون من أفواههم وليس بأعينهم، لقد طردتهم جميعًا على الفور من دون إنذار، وذهبت إلى القرى وحصلت على أيدٍ جديدة من هنا وهناك، ها! ها! ها! كما تعرفون فإن تلك القرى هي مخازننا للجهد الاحتياطي!

ها! ها! لماذا أضحك كثيرًا؟ اسمحوا لي، دعوني أمسح دموع الضحك هذه، ستضحكون أيضًا عندما أخبركم بأنّ أغلبية العمال الذين يقتلعون العشب في مزارعنا هم الأشخاص نفسهم الذين أشهروا الرماح والبنادق المصنّعة محليًا، ويدّعون بأنّهم يناضلون من أجل الحرية. وتعلمون أيضًا أنّه حتى في تلك الأيام لم أُخْفِ أيّ شيء عنهم، وكنت أحكي لهم عما يجول في ذهني: "كنا نتحكّم بكم من خلال حالة الطوارئ، وعندما نحصل على الحرية، سنتحكّم بكم أيضًا"، وكانوا يردّون باستهزاء: "أوقف هذا الهراء، أنت تستحق رصاصة في القلب"، أنا، اليوم، أشاهد بعضهم عندما يأتون إلى مكتبي لتقاضي أجورهم حيث يقومون بنزع قبّعاتهم ويضعون أيديهم خلفهم احترامًا فأتذكّر سخريتهم، وأكاد أموت من الضحك، ها! ها! ها!

لكن كلّ ذلك صار من الماضي الآن، لقد حاربنا جميعًا من أجل الحرية بطرق مختلفة، ولصالح طرفين مختلفين، فما هي المشكلة التي تتعلّق بالأوضاع الآن؟ لننسَ الماضي، كانت قضية النضال من أجل الحرية مجرّد حلم مزعج، كابوس بلا معنى، هيا بنا نضع أيدينا بأيدي بعض من أجل ثلاثة أشياء: السلب، والابتزاز ومصادرة الأموال، الثالوث المقدّس للسرقة: السلب، الانتزاع والمصادرة. عندما تجد أيّ شيء يخصّ الجماهير لا تتركه خلفك، لأنه إن لم تقوموا بالاعتناء بأنفسكم فمن سيعتني بكم؟!

نجاحي في النهب والسرقة كان يقتصر على التهريب والسوق السوداء، دعوني أشرح لكم باختصار، لديّ العديد من مصادر الأحجار النفيسة - اللآلئ، والذهب، والتنزانيت وجلود الحيوانات النادرة مثل جلود الفهود والأسود، وأنياب الفيلة، وأسنان وحيد القرن، وسمّ الأفاعي والعديد من الأشياء الأخرى، وكلّها من المناجم الحكومية والمحميات الوطنية، وأنا أصدّرهم إلى الخارج. لقد حصلت على طلبات خاصّة من اليابان، وألمانيا،

وهونغ كونغ، وطلبيات لمكافئتي على مجهوداتي بشكل رائع، وبالتأكيد لم تصلني أيّ شكاوى، تصبح هذه الصفقات ممكنة بفضل الشراكات مع الأجانب الذين يمتلكون الفنادق الكبرى والمقاولات السياحية الأخرى، فهم خبراء في التعامل مع الجمارك، وخطوط الشحن، وشركات الطيران؛ كما أنّهم على تواصل جيد مع العملاء وراء البحار. وكما تعلمون، لا يظن شعبنا بأنّ البيض ينخرطون في التهريب ويتلاعبون في السوق السوداء، لكنني أعرف أكثر مما تعرفون فقد أسست معهم علاقة متينة، وهذا ما يجعلني عندما أرى أيّ شخص يقف هنا بطريقة متعجرفة ويطلب من الأجانب البيض بأن يرحلوا من المكان، أشعر كأنني... أوه، أنا سأترك شهادات جامعة ماتاتو تخرج من هنا!

البضائع الأخرى التي أقوم بتهريبها إلى الخارج وإلى الدول المجاورة هي الملح والسكر، والذرة، والقمح، والأرز، والقهوة والشاي، شخصيًا أعتقد بأن رحيل "أمين"[15] يعتبر خسارة كبرى. خلال حكمه جمعت لي القهوة الأوغندية أكثر من خمسين مليون شلن، فضلًا عن ذلك، أقوم بتصدير لحوم الأبقار إلى الجزيرة العربية وإلى أوروبا، فلدي سفينة خاصة في مومباسا، وهي في حالة تأهّب دائمًا.

لكني أقوم ببعض الأنشطة الأخرى التي تدّر عليّ الأموال، ففي بعض الأحيان أشتري الطعام في وقت الحصاد، آه، هل أقوم بشرائه، أم إنّني أجمعه عن الأرض؟ عندما تنتشر المجاعة في جميع أنحاء البلاد، أقوم ببيع الطعام مرة أخرى للأشخاص الذين قاموا بزراعته في بداية الأمر، لكن هل هذا بيع، أم ابتزاز؟ غيتوتو وا غاتنغورو قال الحقيقة: المجاعة الجماعية هي درر

---

15 أمين: هو عيدي أمين دادا رئيس أوغندا الثالث في الفترة بين عامي 1971 و1979، كان حكمه معروفًا بانتهاك حقوق الإنسان والقمع السياسي والتمييز العنصري، والإعدامات غير القانونية. م.

بالنسبة للأثرياء.

في بعض الأحيان، عندما أدرك اقتراب صدور قانون المالية كنت أحاول على قدر استطاعتي شراء المعلومات حول البضائع التي سترتفع أسعارها من أولئك الأشخاص المقربين لبيت الأسرار، مثل الموظفين ومن هم على شاكلتهم. بعد ذلك أقوم بشراء كميات كبيرة وتخزينها، وعندما يُعلَن عن الأسعار الجديدة أقوم بإغراق السوق ببضائعي. في بعض الأحيان أقوم بشرائها من أحد المحلات وأقوم ببيعها في المحل نفسه في اليوم التالي من أجل الربح.

العيب في تجميع الثروة بهذه الطريقة هو أنك لا تكون واثقًا بشكل مطلق. ما زلت أتذكّر أنه في إحدى السنوات أخبرني أحد الموظفين بأنّ أسعار الفلفل المطحون والفلفل غير المطحون سترتفع، فقمت بشراء كلا الصنفين من الفلفل لتزويد كامل الدولة بهذه المادة لمدّة سنة، ولقد رأيت بعينين دامعتين أيّها الأخوة أنّه بدلًا من أن ترتفع الأسعار قامت بالنزول، فكان عليّ أن أحرق كلّ الفلفل، لذلك أنا اليوم لا أحب أن أرى أو أن أشمّ أيّ نوع من الفلفل مرة أخرى.

الآن، كلّ هذه الأنشطة فتحت عينَيّ، وعلّمتني بعض الحقائق، إنّ التعليم من الكتب ليس أكثر أهمية من الأمور التي يحاول موريري وا موكيراي أن يقوم بها. التعليم ليس ثروة، فأنا، على سبيل المثال، لم أكمل التعليم الابتدائي، وأنا أشغّل خرّيجين حاصلين على بكالوريوس موظفين عندي، وشهاداتهم من الطراز القديم، بكالوريوس في الآداب والفنون الموثوقة، خلافًا عن الشهادات التي يمنحها الزملاء هذه الأيام في نيروبي والذين يعتقدون بأنّهم مثقفون لأنّهم قاموا بالتخلّي عن أسمائهم الأجنبية الثمينة ولقّبوا أنفسهم بـ وا أولي، أراب، أو ووض أو هذا الاسم أو ذاك، كلّ

صديقاتي حاصلات على شهادات من الجامعات ومن كامبريدج، لذلك يجب على موريري وا موكيراي أن يتخلّى عن كلّ هذه الضوضاء بخصوص التعليم والشهادات، أتّحداه أن يأخذ شهاداته إلى السوق (بما في ذلك سوق الفتيات الأوروبيات والآسيويات اللاتي كان يتفاخر بهن)، وأنا آخذ سيارتي الـ بي. ام. دبليو، وسنرى من سيحظى بعدد أكبر من الفتيات.

أعتقد أن الإفراط في التعليم يمكن أن يكون شكلًا من أشكال الحماقة، على سبيل المثال، ما هو الأمر الذي كان يقوله موريري وا موكيراي الآن؟ هل يجب علينا أن نقضي معظم أوقاتنا في أكوام القمامة وساحات الخردة لجمع العلب القديمة من أجل صناعة الحافلات الصغيرة؟ هل يجب علينا أن نعتمد على أنفسنا في النهب والسرقة الحديثة؟ من أين نكتسب الخبرة الدولية في فنّ السرقة؟ من أكوام القمامة وساحات الخردة لصيانة التكنولوجيا؟ مويريري، لابد أنك تمزح.

من الممكن أن أكرّر ما قاله الآخرون من قبل: إن الشيء المربح هو شراكتنا مع الأجانب، لنعمل على تمتينها، الآن، بالرغم من أني لا أمتلك أيّ إجازة "ماتاتو" لكن مؤخرًا خطرت في بالي فكرة من الممكن أن تحسّن من جودة ممتلكاتنا، لكن لا يمكن تطبيقها إلا إذا انخرط فيها الأجانب لأنّهم يمتلكون المعرفة بالتكنولوجيا الحديثة، وذلك هو السبب الذي جعلني أتّفق كليًا مع أولئك الذين يطلبون دائمًا من البيض أن يسارعوا بنقل تكنولوجياتهم أو يقوموا ببيع تكنولوجيا مناسبة لنا نحن بشكل خاص.

أودّ أن أشارككم فكرتي الرائعة، لكي تتأكّدوا بأنني أنا الرجل الوحيد الذي يَصلح لحمل تاج العبودية.

خطرت ببالي تلك الفكرة في إحدى الليالي بشكل مفاجئ، عندما

استلقيت من أجل النوم، انتفض قلبي من الفرح وأحسست بأنّ سرّ الحياة الجديدة بالنسبة لنا نحن أصحاب الثروة قد كشف لي.

حدث ذلك أثناء زيارة الأستاذ بارنارد، تعرفونه صديقنا البويري من جنوبي أفريقيا، وعندما تحدّث عن عملية زرع الأعضاء في جسم الإنسان، كنت حاضرًا عندما تحدّث مع الأطبّاء في مستشفى كينياتا، في تلك اللحظة أحسست بقلق سبّب لي الإزعاج الدائم في كلّ مرّة كنت فيها أنا نديتيكا وا نغونجي أتأمّل في ثروتي الخارقة، وبحزن أطرح على نفسي العديد من الأسئلة الدقيقة. بالنظر إلى ثروتي، ما هي الأشياء التي أمتلكها بوصفي كائنا بشريا ولا يمتلكها العامل أو المزارع أو الإنسان الفقير؟ لديّ فم واحد مثل الفقراء تمامًا؛ لديّ بطن واحد؛ ولديّ... آه، أنتم تعلمون ما أقصده، مثل أفقر شخص؟

لديّ ما يكفي من الأموال والممتلكات لتزويد ألف شخص بالطعام، لكنني أقنع بطبق واحد مثل الأشخاص الآخرين تمامًا، لديّ ما يكفي من المال لارتداء مئات البدلات في آن واحد، لكنني أتمكّن من ارتداء سروال واحد فقط، قميص واحد، سترة واحدة، مثل الأشخاص الآخرين تمامًا. لديّ المال الكافي لشراء خمسين روحًا لو كانت تباع الأرواح في السوق، لكنني أمتلك قلبًا واحدًا وحياة واحدة مثل الأشخاص الآخرين، لديّ ما يكفي من المال لكي أمارس الجنس مع عشرة فتيات كلّ ليلة، لكن فتاة واحدة ترهقني بعد شوط واحد فقط، وينتهي بي الأمر بالخلود إلى النوم قبل أن أشبع رغبتي كليًا.

لذلك، عندما ألاحظ بأنّني أمتلك فمًا واحدًا، بطنًا واحدًا، قلبًا واحدًا، وحياة واحدة، وقضيبًا واحدًا، فما هو الفرق بين الغني والفقير؟ ما هي الغاية من سرقة الآخرين؟

في البداية وفي تلك الليلة الماضية تحديدًا، خطرت لي فكرة بناء مصنع لتصنيع الأعضاء البشرية مثل الأفواه والبطون والقلوب.. إلى آخره، قطع غيار للجسم البشري، وهذا يعني أن الرجل الغني الذي يملك الأموال الكافية لشرائها، سيكون له زوج من الأفواه أو ثلاثة أفواه، وبطنان، وقضيبان، وقلبان، عندما يتعب الفم الأول من المضغ ويصبح بطنه غير قادر على احتواء المزيد فإنّه يستعمل الفم والبطن الاحتياطيين. وعندما يكون لرجل مسنّ، على شاكلتي، عشيقة، وبدلًا من النوم في الحال بعد تعطّل المحرك الأول، سيقوم بكلّ بساطة بتشغيل المحرك الثاني ويواصل المهمة التي بين يديه، يقوم المحرّكان بتقديم الدعم لبعضهما طوال الليل، وعندما يستيقظ في الصباح التالي سيشعر براحة تامة في قلبه واسترخاء في كامل جسده. من الممكن أن نخترع أقوالًا مأثورة جديدة: شباب الرجل الثري لا ينتهي أبدًا، وعندما يمتلك الرجل قلبين فإن ذلك يعني واقعيا أنه يمتلك حياتين، ويعني أيضا أن الرجل الثري لن يموت أبدًا، يمكننا أن نشتري الخلود بأموالنا ونترك الموت حقًا يقتصر على الفقراء فقط.

سررت بالفكرة، لكنني ارتكبت خطأ عندما أخبرت زوجتي بذلك، في العجلة الندامة، والنساء ليس لديهن أسرار.

في البداية، كانت زوجتي مسرورة بالفكرة وعانقتني وأثنت عليّ بالإنجليزية، (عزيزي الصغير الذكي)، وأمطرتني بالقبلات، قالت لو نجحت تلك الفكرة فسوف تكون رائعة لأنّها ستتمكّن من التمييز بين زوجة الرجل الثري وبين زوجات الرجال الفقراء، في هذه الأيام، كلّ النساء، سواء أكنّ غنيات أم فقيرات يشبه بعضهن بعضا بفضل كثرة إنتاج الملابس بالجملة، لكن بعد المصنع، ستتميز زوجات الأغنياء من زوجات الفقراء بالفمين، والبطنين، والقلبين أو أكثر، اثنين أو أكثر من الأعضاء الأنثوية.

عندما سمعتها تقول عضوين أنثويين، وتقول إنّها سوف تمتلك اثنين بدلًا من واحد أصبت بالرعب، وأخبرتها بكلّ صراحة بأنّني لا أمانع أن يكون لديها فمان، أو بطنان، أو أكثر من اثنين في باقي أعضاء الجسم، لكن أن تمتلك اثنين، لا، لا! طلبت منها أن تنسى كلّ ذلك الهراء، بعد ذلك بدأت تتجادل معي وقالت إذا كان الوضع كذلك فلن تسمح لي بقضيبين، سألتها بمرارة: "لماذا تودّين أن يكون لك اثنان؟ أخبريني، بماذا ستستعملين الاثنين؟ ردّت قائلة: "لماذا تودّ أن يكون لك اثنان؟ بماذا سوف تستعمل الاثنين؟ إن كان لديك عضوان، فمن الواجب أن يكون لديّ عضوان أيضًا، لا بدّ أن تكون هناك مساواة بين الجنسين ".

في تلك اللحظة، كنت غاضبًا حقًّا فطلبت منها أن تأخذ مساواتها إلى أوروبا أو أمريكا، هنا نحن أفارقة ولابدّ أن نسير وفق الثقافة الأفريقية، صفعتها، بدأت في البكاء فصفعتها مرّة ثانية، لكن عندما أوشكت أن أصفعها للمرة الثالثة استسلمت وقالت من الممكن أن يكون لديّ ثلاثة أو عشرة، أمّا هي فستكتفي بواحد فقط.

يا قوم، فكّروا جيّدًا في ذلك الاقتراح، كلّ رجل ثري سيتمكّن من الحصول على فمين، وبطنين، وقضيبين، وقلبين، وبالتالي حياتين، أموالنا ستشتري لنا الخلود، سنترك الموت للفقراء، ها ها ها.

أحضروا لي التاج، فقد عثر أخيرًا على مالكه الحقيقي.

الفصل الثامن

1

لم تعد وارينغا تتحمّل المشهد الذي تراه في الكهف، وصار الحديث ثقيلًا على ذهنها مثل قطعة من الخشب. كانت رائحة أنفاس المتحدّثين أسوأ من ضرطة الغرير أو ضرطة شخص أكل الفاصوليا المتعفّنة أو الموز الناضج جدًّا، أصيبت بالغثيان، استأذنت من غاتويريا وكذبت عندما قالت إنّها ستذهب إلى دورة المياه، لكن الأمر الذي كانت تريده هو قليل من الهواء النقي والمنعش.

ذهبت وارينغا خلف الكهف، مشت عبر مساحة من العشب وتسلّلت عبر سياج من الأزهار ثم إلى الطرف الآخر من السياج، تسكّعت حول شجرة صغيرة كانت كأنّها علامة على ملاعب الغولف، جلست فوق العشب واتّكأت على شجرة ذات أغصان سوداء وهي تتنهّد بعمق كما لو أن العبء قد انزاح عن قلبها، لكنّ الألم باقٍ لم يبرح مكانه.

لقد ندمت على عودتها مرة أخرى للجلسة المسائية، فالخطابات وهندام اللصوص وأناشيدهم المتعلّقة بالثناء على الذات، كلّ هذه الأشياء ذكّرتها بالمشاكل التي واجهتها منذ أن أصبحت حاملًا من ذلك العجوز الثري من

نغوريكا وإنجابها لطفلة.

آه، وامبوي.

في تلك المرحلة، كان والدا وارينغا قد انتقلا من كامبورو، أسّسا مسكنًا في إيلموروغ، وأنجبا العديد من الأطفال، أما عبء تربية الطفلة وامبوي فقد وقع عليهما، لكنهما لم يضربا وارينغا أبدًا ولم يؤنّباها لأنّها حملت قبل الزواج، أو أنّها حاولت رمي نفسها أمام القطار، على العكس من ذلك، أحسّا بالألم من محاولتها للانتحار ونظرا إلى وارينغا بعيون تملؤها الشفقة، كانت وارينغا تتذكّر دائمًا كلمات والدتها عندما تقول لها: "أسلافنا كانوا يقولون إنّ الأحمق هو الوحيد الذي يرضع من ثدي أمه الميتة، وارينغا، هل تعلمين عدد النساء اللواتي يتمنّين الحصول على الأطفال من أرحامهن من دون أن يتمكّن من إنجاب ولو طفل واحد؟ الطفل هبة خاصة للرجل والمرأة بما في ذلك المرأة غير المتزوجة، عندما يكون لك طفل فهذا لا يشكّل عارًا أو لعنة، ويجب عليك ألا تفكّري مرّة أخرى بوضع حدّ لحياتك بسببه".

بعد إنجاب وامبوي، واصلت وارينغا في إثقال كاهل والديها بالمطالبة بالأموال لتسديد رسوم الدراسة بالمراسلة في الجامعة، درست في المنزل لمدّة سنة، ثم خضعت لاختبارات شهادة المدرسة، لكن عندما ظهرت النتائج تمكنت من شق طريقها بصعوبة في الفئة الرابعة، بعد ذلك، حصلت على تدريب في السكرتارية في نيروبي، حيث قامت بعده بالتجوال في جميع أنحاء المدينة بحثًا عن العمل، حصلت على وظيفة في شركة تشامبيون للإنشاء التي طُردت منها بعد رفض عرض كيهارا.

عندما اتّكأت وارينغا على الشجرة ذات الأغصان السوداء في ملعب الغولف، عرجت على كلّ التفاصيل التي حصلت لها منذ طردها، جون كيموانا، مالك السكن، زبانية الشيطان، جولاتها العشوائية في نيروبي،

فقدان حقيبتها، موقف الحافلات في فندق كاكا، ورغبتها الجنونية في رمي نفسها تحت حافلة في المدينة، وإنقاذها من قبل أحد الغرباء.

أين هو ذلك الغريب الآن؟ لماذا لم يأتِ إلى الاحتفالية؟ أحسّت وارينغا أنّ هذه الأشياء قد وقعت لشخص آخر غيرها منذ عدة سنوات مضت، لكنها عندما أدركت بأنّه لم يمرّ على ذلك سوى يومين أحسّت فجأة بنوع من الارتياح، وكانت ترى في عقلها الباطن لقاءها مع غاتويريا، موتوري، وانغاري، موريري وا موكيراي الليلة الماضية، شاهدتهم جميعًا يستقلّون حافلة الماتاتو، وهم يسردون قصصًا مع بعضهم، ولقاؤهم في الكهف أشخاصا يعرفون بعضهم طوال حياتهم، وعندما تذكّرت حديثها مع غاتويريا أثناء وجبة الغداء أحسّت بقليل من الارتياح في قلبها، أين وجدت الشجاعة لكي تخبره عن موضوعها مع العجوز الثري من نغوريكا، وهو الموضوع الذي لم تخبر به أيّ شخص غريب عن عائلتها؟

لقد أظهرت لها العدسة التي تتواجد في رأسها الحارس الذي أنقذها من عجلات القطار، يا لها من مصادفة أن موتوري والحارس هما الشخص نفسه، من هو موتوري؟ ملاك يرتدي الأسمال؟ هل من الممكن أن يكون هو الملاك الذي أنقذها من موقف الحافلات في نيروبي؟ وهو الذي أعطاها بطاقة دعوة مزيفة؟

لا! أظهرت لها العدسة اقتراب الرجل الذي أعطاها البطاقة، رأت الملابس التي كان يرتديها، ومازالت تتذكر صوته وعباراته، قالت نفسها: على الرغم من أنّ الرجل رفض الحضور إلى الاحتفالية إلا أنّه أسدى لي معروفًا عندما قدم لي البطاقة لكي أتمكّن من رؤية هذا العجب بأمّ عيني، ولا أحاول أن أضع حدًّا لحياتي مرة أخرى على حساب هذه الطبقة الفاسدة من الرجال الذين يهدفون إلى ظلم الكون بأكمله.

أظهرت لها العدسة نجيروكا ذات المساكن المشيدة بالورق المقوى وجدران البوليثين ومجاري المياه، بعد ذلك أظهرت لها الصور المتناقضة في مرتفعات غولدن حيث المنازل الشاسعة والرائعة والهواء النقي والمنعش، بعد ذلك أعادتها مرة أخرى إلى داخل الكهف لكي تعرض عليها وجوه الأجانب السبعة، وتعبيرات الجشع لدى المتسابقين، فسألت نفسها مرة أخرى: ماذا سيحدث عندما يجتمع كلٌّ من موتوري وعمّاله مع وانغاري والشرطة في الكهف؟

تثاءبت ومدّت ذراعيها واتكأت مرة أخرى على الشجرة، وأحسّت بالنعاس، وبدأ النوم يتغلّب عليها لكن ذهنها كان يقوم بتمرينات غريبة كما لو سُمح له بالتجول أينما شاء والقيام بالأشياء التي كانت يريدها.

تحدّثت وارينغا مع نفسها بصوت عالٍ: اللصوص المحليون والدوليون مجتمعون في المخبأ نفسه، ويناقشون الوسائل والطرق الفعّالة لحرمان الأمّة كلّها من حقوقها، تلك إحدى العجائب التي لم نعهدها من قبل، ذلك الأمر يشبه الطفل الذي يخطّط لكي ينهب والدته ويدعو الآخرين للمشاركة في الجريمة، يقال إنّه ثمة عالمان بكلّ تأكيد."

قبل أن تنهي الأفكار، سمعت وارينغا أحد الأصوات يقول: وثمة عالم ثالث، عالم ثوري".

2

أصيبت وارينغا بالذعر، نظرت حولها، لكنها لم تتمكّن من رؤية أيّ أحد، وبعينين يغشاهما النعاس تمكّنت من رصد الأعشاب الخضراء في مضمار الغولف وهي تنتشر أمامها، تمتدّ صعودًا وهبوطًا ثم تتبدّد على هيأة بعضَ الأحراش الصغيرة في الأفق.

كانت وارينغا تشعر بالخوف، فحاولت أن تستيقظ لكنها أحسّت بأنّها

مربوطة مع الأرض ومع الشجرة بأسلاك تعب غير مرئية، أوقفت المحاولة، وبشكل مفاجئ أحسّت بأنّها قد تحرّرت من الخوف، وقالت مع لنفسها: فليقع ما يقع، أنا سأتوقّف عن الهروب من نضالات الحياة، وبشجاعة كبيرة سألت الصوت غير المرئي: "من أنت؟".

الصوت: أنا روح متجولة، أجوب الأرض، أقوم بغرس شجرة تعطي ثمار المعرفة التي تمكّن الشخص الذي يأكلها من تمييز الخير من الشرّ.

وارينغا: الشيطان؟

الصوت: أوه بالطبع، فقد كنت سيدة تتعبّد في الكنيسة، كنيسة هولي روزاري في ناكورو، أليس كذلك؟

وارينغا: حسنًا؟

الصوت: لذلك السبب عرفت من أنا بسرعة.

وارينغا: أنا لا أعرف من أنت.

الصوت: هل ستتجاهليني، أنت التي كنت تحاولين دائمًا أن تصلبيني على الصليب؟

وارينغا: قلت إنني لا أعرفك، من تكون؟

الصوت: قلت لك أنا الروح المتجولة التي توزّع المعرفة التي تمكّن الإنسان من التمييز بين الخير والشرّ، أنا أيضًا الشيطان والقاضي.

وارينغا: الشيطان والقاضي؟

الصوت: نعم، للأرواح.

وارينغا: وماذا تفعل هنا؟ أو هل تحاول أن تنظر في أمر أرواح أولئك الذين يتسابقون في فنّ النهب والسرقة؟

الصوت: وأنت، ماذا تفعلين هنا؟ الشخص الذي يرافق الفاسدين يصبح فاسدًا.

وارينغا: في الحقيقة جئت إلى هنا لكي أشاهد أحد المناظر المذهلة.

الصوت: هل يوجد فرق بين اللصّ والشخص الذي يشاهد فعل السرقة؟

وارينغا: إيلموروغ هي موطني.

الصوت: لماذا تعتبرينها موطنك؟

وارينغا: أبي وأمي، بيتنا، إنّها موطني لأنّ مسكني وعائلتي هناك.

الصوت: الأفعال العظيمة تخوّل المرء امتلاك الفم الكبير، لكنّ الفم الكبير لا يعني أنّ المرء قام بأفعال عظيمة.

وارينغا: ماذا تحاول أن تقول؟ إنّ إيلموروغ ليست موطني؟

الصوت: أولئك الذين يعتبرون إيلموروغ موطنًا لهم يعبّرون عن وفائهم بأفعالهم، عندما يشاهدون موطنهم يحترق، يصرخون طلبا للنجدة ويذهبون لطلب يد العون.

وارينغا: من هم هؤلاء الأشخاص؟

الصوت: وانغاري وموتوري، ألم تكوني على علم بذلك.

وارينغا: لم يكن لديّ أيّ مكان ألجأ إليه.

الصوت: لأنّك لست متحمسة ولا غير مبالية، لقد قلت قبل قليل إنّه يوجد عالمان.

وارينغا: كنت أكرّر قولًا مأثورًا فقط.

الصوت: ألا تعرفين هذين العالمين؟

وارينغا: العالمْين الاثنين، لا؟

الصوت: لكنّك تدّعين بأنّك متعلمة.

وارينغا: فقط كامبريدج، المؤسسة الأوروبية لفهم بيئة العمل، عندما كنت يافعة كنت أحلم بتعلّم كلّ ما يوجد في الكون، أردت أن أتسلّق جبل المعرفة، أعلى جبل في الكون، أن أتسلّق وأتسلّق إلى أن أصل إلى أعلى قمة،

الأرض كلّها تحتي، لكن التعليم الذي حصلت عليه اليوم لا يمكن أن يطعم بطنًا واحدًا ليوم واحد.

الصوت: التعليم إلى مستوى الحصول على شهادة من المؤسسة الأوروبية لفهم بيئة العمل يعتبر تعليمًا أيضًا، العيب هو التدريس لأنّ أطفال اليوم يتعلّمون غلق أعينهم وسدّ آذانهم حتى لا يتمكّنوا من إدراك حاجيات الناس وألّا يسمعوا صرخاتهم. من اعتاد على السمع أصبح أصمّ، منتجات تلك المدارس التي قيل فيها: وا أسفاه على هذا الجيل، لديهم أعين، لكن لا يبصرون بها، ولديهم آذان ولكن لا يسمعون بها، لأنّهم تعلّموا على إبصار عالم واحد وسماعه. ماذا كنت تقولين عن العالمَيْن؟ تقصدين عالم الناهبين وعالم المنهوبين؛ عالميْ أسياد السرقة وضحايا السرقة، عالم الظالم وعالم المظلوم، عالم أولئك الذين يأكلون ما أنتجه الآخرون ويأكلون المنتجين أنفسهم.

وارينغا: من أنت؟ أنت تكرّر الأشياء التي تحدّثنا عنها في حافلة الماتاتو الخاصة بمواؤرا ليلة أمس، ألم تكن هذه الكلمات التي استعملها موتوري الليلة الماضية؟

الصوت: هذان الاثنان يعرفان كلّ شيء عن ذلك، فقد سلب منهما كلّ أسباب عيشهما.

وارينغا: موتوري، نُهب؟ ما الذي نهبوه منه؟ هو ليس أحد أثرياء هذا البلد.

الصوت: ماذا قلت لك قبل قليل؟ إنّ لديك آذانًا ولكن لا تسمعين بها؛ ولديك عينان ولكن لا تبصرين بها، نوع التعليم الذي حصلت عليه قلب أمورك رأسًا على عقب، أصبحت تظنين أنّ الغيوم هي الأرض، والأرض هي الغيوم؛ الأسود أبيض، والأبيض أسود؛ وأنّ الخير هو الشرّ، والشر هو الخير.

أتسألين عن الأشياء التي سُرقت من موتوري، ألا يساوي عرقه ودماؤه

شيئاً؟ هل علّموك من أين تأتي ثروة الشعوب؟ من الغيوم؟ أم من أيدي الأثرياء؟

أولئك الأشخاص المجتمعون في الكهف يعلمون جيّدًا من أين تأتي ثروة الشعوب، لأنّهم يعلمون كيف يحصلون على المياه التي يشربونها، والتي لم يبذلوا أيّ جهد في إحضارها، يعرفون وضع السدود لحصر المياه لكي لا تصل إلى أولئك الأشخاص الذين يوجدون أسفل المجرى، يعلمون أين يحفرون القنوات لتغيير اتّجاه النهر لكي تسقي حقولهم الخصبة الخاصّة.

لذلك السبب عندما يجتمعون معًا، كانوا يتحدثون علانية وبشكل صريح، يتقاسمون الحكمة التي تقول: "أنا آكل هذا، وأنت تأكل ذلك".

ألا تصدقينني؟ ألم تكوني داخل الكهف؟ بينما أنا وأنت نتحدث هنا، في رأيك عمّ يتحدثون هناك؟ اسمعي، سأحكي لك، لأنّه يقال حتى الحكيم يجب أن يتعلّم الحكمة، قبل قليل ونحن نتحدّث كان كيميندير وا كانيوانجي يقف على المنصّة، ويجب عليك أن تكوني هناك لرؤية كيميندير وا كانيوانجي، فمه يشبه منقار نقار الماشية الأحمر، ووجنتاه ناعمتان مثل وجنتَي المولود الجديد، وساقاه ضخمتان ولا شكل لهما مثل جذع شجرة الموز العملاقة، أو مثل أرجل شخص يعاني من داء الفيلة، لكن مرضه هو بكلّ بساطة ناتج عن السمنة جرّاء الأكل المفرط، عنقه يتألّف من طيات الدهون مثل جلد اليرقة ذات الشعر، لكن هذا الجسد المدهش، وهاتان الساقان، وهذا العنق كان مغطى ببدلة بيضاء وربطة عنق على شكل فراشة.

أطلق عليه كيميندير خلال حالة الطوارئ بسبب طريقة سحقه للعمال والمزارعين حتى الموت، كان مفتّشًا في الدائرة ودرج على جعل الرجال والنساء ينبطحون في صفوف على الأرض، ثم يدوس أجسادهم بسيارة لاند روفر، عندما حصل الاستقلال تسلق كيميندير السلّم الإداري بسرعة

ليصبح السكرتير الدائم للأمن، بعد ذلك عمل لصالح الشركات الأجنبية، خصوصًا المرتبطة منها بالمالية، والآن أصبح يمتلك ما لا يحصى من المزارع. كانت مشاريعه في التصدير والاستيراد متعدّدة أيضًا، لديه العديد من الخدع في جعبته، يمكن رؤية مهاراته في النهب والسرقة من مسافة بعيدة.

اليوم من الممكن تتويج كيمينديري ملكًا للنهب والسرقة الحديثة وخدمة الأجانب، الأفكار التي ستجعله يتفوّق على بقية اللصوص والناهبين الآخرين تبيّن أنّه يفهم جيّدًا أنّ عرق العمال ودماءهم هما مصدر الثروة، ومع ذلك لا يحاول إخفاء تلك الحقيقة، كما أنه يخبر زعماء الوفود الأخرى أنّ امتصاصنا لدماء العمّال وعرقهم، والتهام أدمغتهم يجب أن يكون حسب معايير محددة، الخطّة العلمية التي سينفذها هي أن يؤسس حقلًا للأبحاث باعتباره مرحلة أولى في عملية طويلة لتجريب أفكاره، الفكرة بسيطة ومعقّدة في آن واحد.

كيمينديري يريد أن يضع سياجًا من الأسلاك الشائكة حول المزرعة مثل الأسلاك التي استُعملت لتسييج مخيمات الاعتقال إبّان حالة الطوارئ في كينيا الاستعمارية.

كيمينديري يخطّط لحبس العمّال هناك في أقفاص مثل الحيوانات، ويقوم بتثبيت الآلات الكهربائية على أجسادهم لجمع عرقهم أو الطاقة التي تنتج العرق والدماء والأدمغة، ثمّ سيقوم بتصدير هذه السلع الثلاث إلى الدول الأجنبية لتغذية الصناعات هناك، سيحصل كيمينديري من كلّ غالون من العرق أو الدماء أو الأدمغة على عمولة ثابتة ومحددة.

وارينغا: وكيف سيصدر تلك السلع الثلاث؟

الصوت: سيقوم بتشييد خطوط الأنابيب، يصبّ الدماء داخلها، ويضخّها بواسطة آلة إلى الدول الأجنبية المستوردة مثل النفط تمامًا، الشركة

التي تدير المشروع ستسمّى شركة مصدري كينيو ساكسون- دماء ولحوم البشرية.

وارينغا: لكن ألن يرفض العمّال استغلال أجسادهم بتلك الطريقة؟ ألن يرفضوا نهب أرواحهم؟

الصوت: لماذا لم تحمِ جسدك من الاستغلال؟ على أيّ حال، لن يعلم العمّال أبدًا الأشياء التي تحدث لهم، ولن يشعروا أو يشاهدوا أبدًا تلك الآلات والأنابيب في أجسادهم، ولو سنحت لهم الفرصة لرؤيتها فلن يعيروا انتباهًا لذلك العبء.

وارينغا: لماذا؟

الصوت: لأنّ الأشخاص الذين على شاكلة كيمينديري ليسوا حمقى كما تعتقدين، سيقدم لهم كيمينديري عالمْين فقط، عالم الآكلين وعالم المأكولين، لذلك لن يعرف العمّال أبدًا عن وجود عالم ثالث، وعن الإسقاط الثوري لنظام الآكلين والمأكولين، سيفترضون دائمًا بأنّ عالمَي الآكلين والمأكولين هما عالمان سرمديان.

وارينغا: كيف تمكّنت من الاحتيال عليهم بهذه الطريقة؟

الصوت: ستُبنى الكنائس والمساجد في المزرعة بناءً على الميول الدينية للعمال، وسيوظّف القساوسة كلّ أحد، سيقرأ العمّال المواعظ التي ستعلّمهم أنّ جمع العرق البشري للعمال والدماء البشرية والأدمغة البشرية ونظام نهب طاقة الجهد البشري والمهارات البشرية هبة الرّب، ولذلك يرتبط بالخلاص الأبدي لأرواحهم. إنّه مكتوب في الكتب المقدسة: طوبى للحزانى لأنهم يتعزّون، طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ، لأنّهم يشبعون، طوبى لأنقياء القلب لأنّهم يعاينون الله، طوبى لمن يتقيّد بالوصايا الأربعة، "لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق، لا تشتهِ شيئًا مما لقريبك"، لأنهم سيرثون الثروة

في الجنة، نشيد في حقل الأبحاث، نشيد شامبا[16]، سوف يسير بهذا الشكل:

حتى وإن صرخت وحزنت
بسبب آثامك
إن لم تحمل الصليب
فلن تجد الراحة أبدًا

سوف يبني كيميندري أيضًا المدارس التي سيتعلم فيها أبناء العمّال أنّ نظام امتصاص الدماء البشرية وأكل اللحم البشري كان يهيمن منذ نشوء الكون وسيبقى مهيمنًا دائمًا حتى نهاية العالم، ولا يوجد أيّ شيء يمكّن الأشخاص من وضع حدٍّ لهذا النظام، سيسمح للأطفال بقراءة الكتب التي تمجّد نظام شرب الدماء البشرية وأكل اللحم البشري، ولن يسمح لهم بطرح أسئلة حول أوضاع حياتهم وحياة آبائهم، أو الأسئلة التي ربما تخلق الشكوك حول قداسة وشرب الدماء البشرية وأكل اللحم البشري وضرورتها، سيؤدّون تلك الأناشيد والأغاني فقط، ويقرأون الأدب الذي يمجّد نظام شرب الدماء البشرية وأكل اللحم البشري.

سوف يقوم كيميندري ببناء قاعة سينمائية تعرض الأفلام للناس وترفّه عنهم بالحفلات الغنائية والمسرحيات، لكن كلّ هذه الفعاليات ستمجّد أفعال شاربي الدماء البشرية وآكلي اللحم البشري وتقاليدهم وثقافتهم ، وسيعرض ضحايا هذه الوحشية دائمًا على أنهم سعداء ويشعرون بالراحة والرضا التام.

سيقوم كيميندري بطباعة صحف يقتصر دورها على تشويه سمعة

---

16 شامبا : المزرعة أو قطعة الأرض باللغة السواحيلية. م.

أولئك الذين يعارضون نظام شرب الدماء البشرية وأكل اللحم البشري، والاحتفاء بالعطايا الخيرية لكيمينديري وأصدقائه، لم يختر أيّ أسماء للصحف بعد لكن عناوين مثل شامبا تايمز أو شامبا دايلي فلاغ أو شامبا ويكلي نيوز أند فيوز من المحتمل أن تكون مناسبة.

سيقوم كيمينديري ببناء الحانات ونوادي المشروبات الروحية والمشروبات الكحولية الأخرى مثل شانغا ولاجر، لكي تفسد الكحول عقول أولئك الذين يجزعون بسبب الطقوس المسيحية والإسلامية.

هذا يعني بأنّ الكنائس والمدارس والشعر والأغاني والسينما وحانات البيرة والنوادي والصحف ستلعب دور السموم التي تغسل الأدمغة، والتي ستكون الغاية منها إقناع العمّال بأنّه لا يوجد في هذا العالم أيّ شيء أعظم من العبودية لطبقة كيمينديري، لكي يتطلّع كلّ عامل إلى اليوم الذي يموت فيه، عندما يصبح جسمه سمادًا لكي يجعل المزرعة أكثر إنتاجية. إنّ سموم غسل الدماغ الفكرية والروحية والثقافية ستجعل العمّال يؤمنون حرفيًا بأنّ طاعة طبقة كيمينديري هي من طاعة الرّب، وأنّ إغضاب أسيادهم أو معارضتهم هو إغضاب أو معارضة للربّ.

لكن لكي يعيش كيمينديري في أمن وأمان فإنه سيقوم ببناء السجون والمحاكم، وسيوظّف القوّات المسلحة حتى لا يقوم أيّ شخص بمعارضة قوانين نظام شامبا القانوني أو ينوي مغادرة حدود الحقل، ومن يخالف ذلك سوف تتمّ معاقبته بالحبس أو الاعتقال في حفرة شديدة الظلام، أو أن يُرمى بالرصاص ويُرمى للضباع أو في تلال نغوغ.

وارينغا: آكلو لحوم البشر! هل ذلك ممكن؟

الصوت: جاكينتا، هل نسيت بأنّ هذه هي تعاليم كنيستك الدينية؟

وارينغا: وهي؟

الصوت: هل نسيتِ أنها تقول: إنّ شرب الدماء البشرية وأكل اللحم البشري أمر مبارك على الأرض وفي السماء. ماذا تقولين وأنت تضربين صدرك ثلاث مرات؟

لحم الرّب هو الذي يغفر ذنوب العالم
فارحمنا.
لحم الرّب هو الذي يغفر ذنوب العالم
امنحنا السكينة.

وارينغا: لا، لا، هي لم تكن بتلك الطريقة.

الصوت: تذكّري القربان المقدّس الذي اعتدتِ يا وارينغا على أكله في كنيسة هولي روزاري في ناكورو. يقول القسيس بعد أن يقدم لك قطعة من الخبز:

انظروا ها هو المسيح الذي
ينقّي العالم من كل خطاياه.

ثم سيقول لك أن تقومي بهذا الأمر كما طلب اليسوع:

خذوا، كلوا هذا هو جسدي
المكسور لأجلكم، اصنعوا هذا لذكري
آمين.

ثم يقدّم لك القسيس نفسه النبيذ الأحمر، ويطلب منك أن تشربيه كما أمر المسيح في أحدى المرات:

هذه الكأس
هي العهد الجديد بدمي
اصنعوا هذا كلّما شربتم
لذكري
دائمًا وإلى الأبد
آمين.

وارينغا: تلك مجرّد طقوس دينية، إنّها ليست مسألة أن يأكل أحدهم الآخر، القربان المقدّس يرمز إلى عيد الفصح.

الصوت: ما هو عيد الفصح؟

وارينغا: لا أعلم، إنّه إحد أعياد اليهود والكنيسة المسيحية.

الصوت: لا تهتمي، طبقة كيميندير ي تلعب دور الرمزية المركزية للديانة المسيحية، إن أتباع كيميندير ي هم التلاميذ المسيحيون الحقيقيون.

وارينغا: لا، إنّه ليس كذلك.

الصوت: لَمَ ليس كذلك؟ أليست هي الديانة نفسها التي تناقش بأنّ العبد لا يمكن أن يكون متساويًا مع سيّده؟ أليست هي الديانة نفسها التي تقول للمظلوم لا تنتظر قانون العين بالعين والسنّ بالسنّ؟

وارينغا: العين بالعين والسنّ بالسنّ؟ كيف سيكون العالم لو حدث الكثير من العنف؟

الصوت: آه، يكون العنف فقط عندما يطالب الرجل الفقير بتعويض

عن عينه أو سنه، ماذا عن طبقة كيمينديري التي تفقأ عينَي الفقير بالعصا، أو عندما يضربونه بالسوط؟ ما رأيك عندما يقتلعون سنّ العامل بواسطة عقب البندقية؟ أليس ذلك عنفًا؟ لذلك ستواصل طبقات كيمينديري، وغيتوتو، ونغونجي حياتها بالركوب على ظهور الملايين من العمّال، وأنت أيّها الناس سوف تستمرّون في الذهاب إلى الكنائس والمساجد كلّ أسبوع لتستمعوا إلى تعاليم العبودية.

أقول لكم:
لا تقاوموا الشرّ
وإذا ضربك أحدهم على خدّك الأيمن
فأدر له خدّك الأيسر أيضًا
وإن رفع أحد ما دعوى ضدك
وأخذ منك المعطف
دعه يأخذ العباءة أيضًا.

أنت، على سبيل المثال، عندما نهش العجوز الثري من نغوريكا جسدك ماذا فعلت؟ قرّرت بألا تدخلي في أيّ شجار، قلت لنفسك ما دام قد استغلّ جسدك، فمن الممكن أن يقتلك أيضًا.

وارينغا: ما الشيء الذي كان من الممكن أن أفعله؟

الصوت: كان من الممكن أن تطالبي باسترجاع عينك وسنّك.

وارينغا: أنا امرأة، أنا ضعيفة، لم يكن هناك أيّ شيء بإمكاني القيام به، لم أتمكّن من الذهاب إلى أيّ مكان، ولم أتمكّن من إيجاد أيّ شخص لطلب المساعدة منه.

الصوت: ما الأمر الذي كنت تأملين فيه؟ إنّ الرجال الذين افترسوك سينقذونك من العبودية التي فرضوها هم بأنفسهم؟ مشكلتك يا وارينغا، هي إنّك لا تثقين بنفسك، لا تعرفين من أنت، كنت دائمًا تودّين أن تكوني وردة مرهفة لتزيّن حياة الطبقة التي ينتمي إليها المدير كيهارا، لديك جسد بضّ، متع الحياة كلّها أمامك، ولو لم تعتادي على تسريح شعرك بالأمشاط الساخنة، وتبييض بشرتك بمراهم مثل آمبي، فإنّ جسدك الفاتن سيجذب ألف رجل ورجل حوله. سواد بشرتك أكثر نعومة وأكثر لطفًا من أغلى الزيوت العطرية، وعيناك السوداوان أكثر لمعانًا من النجوم في الليل، ووجنتاكِ تشبهان فاكهتين أكثر نضجًا من العلّيق، وشعرك الناعم الفاحم في سواده يجعل كلّ الرجال يرغبون في الجلوس تحت ظلّه للاحتماء من الشمس.

الآن، لنضف قوة شبابك وجمالك إلى قوة ثروتك، وعندما تخلّصين قلبك من كلّ الأعباء التي يورّثها الفقر سيركع الرجال أمام جسدك، بعضهم سيفرح عندما يلمس التراب الذي تدوسه قدماك فقط، الآخرون يقفون بجانب الطريق ويأملون أن يلمسهم ظلّك عندما تمرّين بجانبهم.

وارينغا: ما الذي عليّ فعله؟

الصوت: تعالي، تعالي، اتّبعيني وسوف آخذك إلى جبال إيلموروغ، سأجعلك ترين كلّ أمجاد العالم، دعيني أعرض عليك القصور التي تسيّجها الأزهار من كلّ لون من ألوان قوس قزح المختلفة، سآخذك في جولة إلى ملاعب الغولف ذات البساط الأخضر، أرافقك إلى النوادي الليلية التي تصدح بالموسيقى القادرة على استدراج الطيور من السماء، وأحملك على متن سيارة تمشي بسرعة فوق الطريق الدائري المعبّد بكلّ كياسة شاب ينزلق عبر جسد امرأة عبق، كلّ تلك العجائب سوف تكون ملكًا لكِ.

وارينغا: لي أنا؟

الصوت: سوف أمنحها لك.

وارينغا: تمنحها لي؟

الصوت: نعم، لو ركعت أمامي وأنشدت أناشيد الثناء لي.

وارينغا: ما اسمك؟

الصوت: أنا الظالم، والاستغلالي، والكاذب، والمغتصب، يعبدني أولئك الذين يعشقون الاستيلاء على نتاج الآخرين، سلّمي روحك لي، وسأحرسها لك.

وارينغا: وتلك الأصوات التي أسمعها ترتفع بالثناء الذاتي في الكهف، هل يقومون بالإنشاد لك؟

الصوت: آه، كلّ أولئك هم أتباعي، ومكرهم هو منحة مني، وفي المقابل أعطوني أرواحهم لكي أحرسها لهم. لذلك أنا على علم بكلّ الأمور التي قاموا بها في الماضي، وكلّ ما يقومون به اليوم، وكلّ ما سيقومون به في الغد، وخلال السنوات القادمة، لماذا تتراجعين إلى الخلف؟

وارينغا: ارحل بعيدًا! دعني وشأني، أيّها الشيطان خذ خدعك وقدّمها لقومك، لو منحتك روحي فما الذي سيتبقى لي؟

الصوت: أنت لا تثقين بي، أليس كذلك؟ بعد كلّ الذي سمعته بأذنيك وشاهدته بعينيك، ألم تكوني في الكهف؟

وارينغا: نعم، كنت هناك.

الصوت: واستمعت لشهادة مويريري؟

وارينغا: نعم.

الصوت: وركبت معه في الحافلة نفسها ليلة الأمس؟

وارينغا: نعم، لابدّ أنّه أخبرك بأنّ شهادته فاجأتني، لأنّه في حافلة الماتاتو كان هو الذي يحكي لنا الحكاية الرمزية بخصوص الرجل الذي كان في رحلة إلى بلاد بعيدة فقام بنداء خدمه وأعطاهم بضائعه، أعطى لواحد

منهم خمس مواهب، والثاني موهبتين، والثالث...

الصوت: أُعطيَ موهبة واحدة، أنا أعرف الحكاية الرمزية، فأنا قارئ شره للإنجيل، ولا يخفى عليّ أيّ شيء تحت الشمس، لقد كنت هناك في بداية الصراع في السماء، الرّب وأنا توأم، هو سيّد الجنة، وأنا سيّد الجحيم، هذا العالم هو أرض صراعنا؛ إنّه المكان الذي نتصارع فيه أنا والرب من أجل السيطرة على الأرواح البشرية.

وارينغا: البرهان، أحتاج إلى البرهان.

الصوت: اليوم، أنا أتطلّع إلى استقبال مويريري وا موكيراي، الذي على وشك أن يسحبه إلى مملكتي أولئك الذين يريدون أن يشتروا بركاتي.

وارينغا: ماذا؟

الصوت: لن تري مويريري وا موكيراي مرّة أخرى على وجه الأرض.

وارينغا: ستتمّ تصفيته؟ لماذا؟ من سيفعل ذلك؟

الصوت: لسانه سيكلّفه حياته، ألم يكن هو الشخص الذي نادى بالاعتماد على الذات في النهب والسرقة؟ ألم يقل إنّه يجب على الناهبين واللصوص المحليين أن يرفضوا تقاسم الغنيمة مع الأجانب، وإنّه يجب على كلّ لصّ أن يسرق من وطنه؟ لقد أصبح اللصوص الأجانب من أمريكا، وأوروبا، واليابان غاضبون، وقالوا لبعضهم: ألم نكن نحن من أدخل السرقة والنهب الحديث إلى البلاد؟ ألم نوضح لكلّ هؤلاء الأشخاص فنون النهب والسرقة الحديثة؟ ألم نكن نحن الأشخاص الذين منحناهم المهارات الضرورية لكي يبدؤوا بها؟ والآن، مويريري يريد أن ينقلب علينا، ويطلب منّا ترِك أمّه له، ألم نكن نحن من احتفظ بها عشيقة لنا على الرغم من أنه اعترف بذلك، كان يجب علينا أن نغتصبها في المقام الأول؟ وإلى اليوم مازلنا نحتفظ بها؟ والآن، يطلب منا مويريري أن نجمع حقائبنا ونترك فخذَي أمّه،

لقد اتّخذ قرار بأنّه يجب التضحية بمويريري وا موكيراي لتهدئة الأجانب، وأن نقنع الأجانب بألا يأخذوا مهاراتهم والفتات من طاولاتهم، سيتمّ اغتيال مويريري من قِبَل...

وارينغا: من قِبَل من؟

الصوت: روبن مواؤرا.

وارينغا: مواؤرا؟ مالك حافلة ماتاتو ماتاتا أو مواؤرا آخر.

الصوت: مواؤرا هو فرد من زبانية الشيطان.

وارينغا: زبانية الشيطان؟ مواؤرا؟ كيف ذلك؟ هذه معجزة تهزم كلّ المعجزات، العصابة التي طردتني من مسكني في جيريشو بالأمس.

الصوت: لِمَ أنت مندهشة؟ ألم تصدقّي بأنّ مواؤرا بإمكانه أن يفعل شيئًا مثل هذا؟ لا تتفاجئي، ولا تندهشي. لقد قام مواؤرا بتلك المهمة مرارًا وتكرارا، وقد بدأ القيام بهذه المهمة إبّان مرحلة الطوارئ. في تلك الأيام كان فردًا صارمًا في الحرس الوطني، يعمل مع زمرة من االقتلة يتزعمهم الأوروبي الملقّب نيانغويكو، الذي كان يرعب الناس في الوادي المتصدّع، لكن قبل أن ينضمّ إلى نيانغويكو، عمل مع فرقة أخرى يتزعمها كيمينديري، الشخص نفسه الذي كنّا نذكر مناقبه الآن. كان مواؤرا يتلقّى خمسة شلنات على كلّ فرد يقتله من أتباع الماو ماو، يهجم على القرى ليلًا، وعلى النساء المسنّات، والأطفال، والشبّان، والشابّات، والرجال المسنين، من دون أن يفرّق بينهم. على العموم لم يكن أتباع الماو ماو يحملون أيّ شارات تدلّ على هوياتهم. في الصباح، كان مواؤرا يحمل الرؤوس إلى نيانغويكو الذي يعطيه هبات سخية جزاءً على الجرائم التي يرتكبها، في الحقيقة إنّ نيانغويكو هو الذي أعطى السيارة التي يستعملها مواؤرا حافلة صغيرة لنقل الركاب. الآن، خذي هذا الأمر في الحسبان ، إذا كان بمقدوره أن يقوم

بجريمة القتل من أجل خمسة شلنات في ذلك الوقت، فما الذي يمنعه الآن عندما يعده نيانغويكو بمنحه مركبة جديدة؟

وارينغا: أنا لا أصدّق هذا، لا أصدّق أيّ شيء من هذا الأمر، لماذا تدفعني إلى الحزن بهذه القصص التي سوف تجعلني أسهر بينما أنا بحاجة إلى نوم هادئ قبل أيّ شيء؟ لم أتمكّن من النوم طوال الأيام الأربعة الماضية.

الصوت: لأنه.. لأنه.. أريد أن أقدّم لك وظيفة جيدة.

وارينغا: وظيفة؟ أين؟

الصوت: في ناكورو، نغوريكا.

وارينغا: لا، لا، لقد تركتها ورائي، أيّها الشيطان.

3

استيقظت وارينغا، بإحساس متوتر بسبب الخوف.

قال لها غاتويريا: "هذه أنت هنا تنامين بهدوء، كنت أركض في كلّ أنحاء المنطقة بحثًا عنك".

لِمَ تشعر وارينغا بسعادة قط أكبر من التي شعرت بها في الدقيقة التي فتحت عينيها وشاهدت غاتويريا واقفًا بجانبها.

"اتّكأت على هذه الشجرة، لابدّ أنّني غفوت"، قالت له وارينغا، وهي تتثاءب وقفت وتمدّدت ثم تثاءبت مرة أخرى، نظرت حولها: "لم أحصل على ما يكفي من النوم ليلة أمس، عندما عدت إلى المنزل تحدّثت مع والدتي لوقت طويل".

"كانت رحلة أمس طويلة جدًّا"، وكانت الماتاتو تزحف في الطريق مثل خنفساء الروث".

فكّرت وارينغا في أن تقصّ حلمها الغريب على غاتويريا، وبعد ذلك

قرّرت ألا تفعل ذلك، قالت لنفسها: الحلم حلم ولا يوجد أيّ شخص لا تراوده الكوابيس من حين لآخر.

سألت وارينغا غاتويريا وهي تضحك كي تبعد الخوف الذي تشعر به: "هل انتهت الاحتفالية"؟

قال غاتويريا: "لا، لكن هيا بنا نرحل"، ثم أضاف بالإنجليزية " ' " فالجمرة تحترق عند المقبض".

سألت وارينغا: "ماذا قلت؟ ".

قال غاتويريا بحزن: "الكهف في حالة فوضى، جاءت الشرطة".

سألت وارينغا بحماس: "وهل ألقوا القبض على أتباع غيتوتو وغاتيكا، أوه، سوف يكون ذلك رائعا".

أجاب غاتويريا بصوت منخفض: "لا، لقد اعتقلوا وانغاري".

"وانغاري، اعتقلوا وانغاري، ألم تذهب لكي تحضرهم هي بنفسها؟ ".

قال غاتويريا بغضب: "نعم، لقد ارتكبت وانغاري خطأ عندما ذهبت لكي تبحث عن شاتها المفقودة برفقة أعوان اللصّ الذي سرق الشاة، لقد رأيتهم يقيّدون أيديها بالسلاسل ويرمون بها في مؤخرة ماريا السوداء[17].

سألت وارينغا: "لكن لماذا؟ ".

"لأنّها، حسب ادّعائهم، كانت تنشر بعض الشائعات والكراهية، وتزرع بذور الصراع في دولة معروفة بالسلم والاستقرار".

تذكرت وارينغا حلمها حديث العهد.

سألت وارينغا: "إنه كلما طالب الفقراء باسترجاع عيونهم وأسنانهم فإن سلام الوطن يهدد وينتهك ؟".

آلمت أسئلة وارينغا قلب غاتويريا، فتدفّقت كلماته مثل النهر الفائض

---

17 ماريا السوداء: هو الاسم الذي يُطلق على شاحنة الاعتقال المغلقة في كينيا. م.

كليًا والذي وجد نقطة ضعيفة لكي يفجّر ضفّتيه.

"أوه، ليتك كنت هناك لكي تشاهدي منظر شرطة إيلموروغ، رعاة السلم، فعلًا، وهم يهاجمون سيدة عزلاء. لقد قدّموا بهراوات مرفوعة، ودروع جاهزة، وبنادق مهيأة، كما لو أنّهم في حرب يقودها رئيس الفرقة الأمنية غاكونو يا وارينغا، إنّها حكاية لم أكن لأصدّقها أبدًا لو لم أكن حاضرًا وشاهدًا على الحدث بأكمله بأمّ عيني، اسمعي، لقد غادر كيمينديري وا كاينوانجي المنصّة في هذه اللحظة...".

قاطعت وارينغا غاتويريا: "انتظر دقيقة، من هو الشخص الذي ذكرته؟ كيمينديري وا كاينوانجي، هل يوجد فعلًا شخص يحمل ذلك الاسم، أم أنك كنت تحلم؟ "

أجاب غاتويريا "ليتني كنت أحلم، كان كيمينديري وا كاينوانجي بالفعل هناك، لكن من الصعب أن أحدّد إن كان كائنًا بشريًا أم إنّه دودة سمينة ذات شعر ومنقار. على أيّ حال لقد انهى كيمينديري حديثه للتوّ، وربما تتساءلين هل كان (حديثًا أم إسهالًا لفظيًا)، بدأ بتقديم بعض التفاصيل عن ثروته، وبعد ذلك تفاخر بخصوص رغبته في تأسيس معمل للتجارب للتحقّق من جدوى تصدير جهد العمّال للدول الأجنبية عبر الأنابيب، ولكي نتحقّق مما إذا يمكن تصنيع السماد انطلاقا من أجسادهم لتأمين الاستمرارية الإنتاجية في مزارع الأثرياء هنا وفي الخارج. وبشكل مفاجئ، لاحظت أنّ كلّ الناس الحاضرين في الكهف يفتحون أفواههم، وينظرون إليّ بعيون متعطشة للدماء البشرية واللحم البشري، فانتابني الخوف وبدأت أبحث عن مخرج آمن بشكل يائس ".

صرخت وارينغا: "أرجوك، دعنا نجلس، إن ساقيّ ترتعشان".

جلس غاتويريا ووارينغا على العشب، ثم واصل غاتويريا قصته.

"في تلك اللحظة جاءت الشرطة، وكانت وانغاري أول من دخل الكهف، ويتبعها مباشرة رئيس الشرطة غاكونو، أوه، لم يسبق لي أن صادفت سيدة بتلك الشجاعة حيث صعدت إلى المنصة بكل هدوء وأسكتت كلّ الكهف بقوة نظراتها التي كانت كألسنة من اللهب، وبعد ذلك وبّخت اللصوص بصوت لا يتخلله ولو ذرة من الخوف: "هؤلاء هم الأشخاص الذين كانوا يجورون علينا نحن الفلاحين، والذين يحرموننا من الملابس والطعام والنوم، هؤلاء هم الرجال الذين سرقوا الإرث الذي ورثناه عن واياكي وا هينغا وكيماثي وواكيروي، وعن كلّ الوطنيين الشجعان الذين ضحّوا بدمائهم لتحرير كينيا، هؤلاء هم كلاب الحراسة الإمبرياليين، أبناء الشيطان، قيّدوا أيديهم بالسلاسل، وقيّدوا أرجلهم بالسلاسل، وارموهم في السجن الأبدي، هناك حيث صرير أسنان لا ينتهي، هذا هو مصير كلّ أولئك الذين يبيعون للأجانب إرث آبائنا ومناضلينا المؤسسين".

يا وارينغا كيف يمكنني أن أصف المشهد بشكل مناسب؟ يبدو أنّ كلّ الأشخاص الموجودين في الكهف أصيبوا بالذهول بسبب قوة كلام وانغاري، أوه، وانغاري كانت جميلة كما أقول لك، أوه، نعم، لقد لمع وجهها عندما وقفت أمامنا جميعًا، وبدا أنّ شجاعتها قد أفقدتها عدة سنوات من عمرها، كان النور الذي يشعّ في وجهها ينير قلوب كلّ الحاضرين، وصوتها يحمل قوة قاضي الشعب وسلطته.

بعد ذلك رأيت رئيس مراسم الاحتفال يقف ويوجّه نظره إلى رئيس الشرطة الذي يقف صامتًا بلا حركة، لماذا كلّ هذا يا رئيس الشرطة؟ أهذا انقلاب أم ماذا؟ سأل بغضب شديد.

قام غاكونو الذي لفت الأنظار بإلقاء التحية، وبدأ يعتذر ويتوسل إلى الأجانب بصوت مرتعش، كان يتحدّث والخوف ينفذ إلى داخل لحمه

وعظامه، ولا يعرف استخدام الفارزة والنقطة: "أنا متأسّف سيدي حقًّا متأسف، صراحة لم أكن أعلم بأنّكم أنتم من يجتمع هنا، كنت أعتقد بأنّ الاجتماع الاعتيادي للصوص والناهبين من نجيروكا، تعلمون أولئك الذين يعبثون بممتلكاتكم وفي بعض الأحيان يقتحمون المصارف التي يمتلكها الأجانب كالضيوف الذين كانوا هنا، تلك السيدة أحضرت لنا تقارير تفيد بأنّ الناهبين والسارقين الذين ابتزوا البلاد وأفلسوها كلها يختبئون هنا ويتفاخرون باستغلالهم، ومرة أخرى أودّ منكم أن تعرفوا إنّ هذا الخطأ لم يصدر عني لأنّه في يوم السبت تلقّيت اتّصالًا هاتفيًا من نيروبي يقول إنّ إحدى السيدات سوف تحضر معلومات مفيدة عن الناهبين واللصوص، وعندما شاهدت السيدة هناك...".

"لا تهتم"، قاطع رئيس مراسم الاحتفال: "سوف نتحدّث عن ذلك الأمر فيما بعد، ونكتشف العدو الذي خطّط لكلّ هذه الأمور ويجني ثمار الخلاف الذي أحدثه بيننا وبين أسيادنا الأجانب الذين هم في ضيافتنا، يجب أن نعتمد على أنفسنا، إيه؟ سوف نواجههم بكلّ ضراوة، وسوف نقتلع أولئك الذين يعتقدون بأنّهم أكثر ذكاء منا، إنّنا نشعر بالحرج الشديد من هذه المسرحية المخزية التي تمت تأديتها أمام الضيوف الدوليين، أيّها الرئيس غاكونو، قم بعملك، الشفرة هي نفسها، تصرّف كما تفعل عندما تكون غاضبًا، بعد ذلك تعال وألق التحية على ضيوفنا الأجانب على كأس من الويسكي".

أطلق غاكونو صفّارته فاقتحمت الشرطة الكهف مسلّحة بالهراوات والمسدسات، أشار غاكونو إلى وانغاري، ثم سارعوا إلى المنصّة وقاموا بالهَجوم عليها ثم وضعوا الأغلال في يديها، لكن حتى وإن عاكسها القدر فإنّه لم يظهر على وانغاري أيّ خوف، كانت تسأل بصوت ثابت: "إذن، أنتم

الشرطة تخدمون طبقة واحدة فقط؟ وأنا التي مضيت وائتمنت حبي لوطني إلى عصبة من الجرذان المحتالين الذين يودّون أن يقضوا على الروح الوطنية! بعد ذلك رفعت وانغاري صوتها تنشد أغنية عندما همزوها وضربوها بالهراوات والعصي وبصقوا في وجهها:

عندما تسمعوا قطرات المطر
لا تظنوا أنّها أمطار رعدية
لا، إنّها دماؤنا نحن الفلاحين
ونحن نقاتل دفاعًا عن أرضنا

واقتيدت إلى الخارج وهي مازالت تغنّي بتحدٍ، ارتفعت يداها المكبلتان بالسلاسل عاليًا فوق رأسها، كانت الحلقات تلمع كأنها عِقْد شجاعة، وانغاري، هي بطلة بلادنا.

توقف غاتويريا، كأنّ صوت وانغاري الشجاع يرنّ في أذنيه.

قال غاتويريا مرة أخرى ببطء: "وانغاري، بطلة بلادنا"، آنذاك جلست هناك مصعوقًا بسبب الجريمة التي ارتكبت أمام عينَيَّ، عندما شاهدت غاكونو وهو يعود إلى الكهف ويتمتم "امرأة مجنونة، مجنونة"، وذهب إلى الطاولة التي يشغلها منظّم الاحتفالية والضيوف الأجانب، ثم جلس وبدأ يتحدث ويضحك وهو يحمل كأس الويسكي، وقف مويريري وا موكيراي وطلب الإذن للدفاع عن نفسه بسبب بعض العبارات التي قالها رئيس مراسم الاحتفال، لم يسمح له بالحديث فالتفت إلى الجهة الأخرى وهو يستشيط غضبًا، ثم وقف عند طاولة مواؤرا، طلب من مواؤرا أن يلتحق به في فندق غرين رينبو لأنّه يودّ أن يذهب إلى منزله هذه الليلة بواسطة

ماتاتو ماتاتا ماتامو، ووعده بأنّه لن يتخلّى عن دفع الأجرة.

عندما أوشك مويريري وا موكيراي على المغادرة نظر إليّ توقّف، ثم قال بمرارة: "الآن، انظر نتيجة الوثوق بالنساء! إياك أن ترمي دررك أمام الحقراء".

لم ينتظر الردّ، لكنّه رحل على الفور، وفجأة أحسست بغضب يستشيط بداخلي، وركضت نحوه لكي أقول له أمرًا واحدًا أو أمرين حتى وإن أفضى ذلك إلى العراك بيننا، لكنني لم أتمكّن من العثور عليه.

وعندما كنت أقف هناك أتساءل عن المكان الذي ذهب إليه مويريري وا موكيراي، رأيت روبن مواؤرا ورئيس مراسم الاحتفال وكيمينديري وا كانيوانجي يخرجون من الكهف، ويتحدّثون بحماس مثل أصدقاء قدامى. كان كيمينديري يقول لمواؤرا: "نعم، نعم، لقد عرفتك في اللحظة التي شاهدتك فيها، ما زلت أتذكّر الوظيفة التي كنت تقوم بها قبل أن تلتحق بنيانغويكو".

ذهبوا إلى مسافة أبعد ثم توقفوا، يتّحدون بشكل معمّق، ولم أتمكّن من سماع كلّ ما قالوه لكن بعض الكلمات التي دفعتها الرياح إلى المكان الذي كنت أقف فيه: "زبانية الشيطان، رجال أعمال نافذين، أحدهم... اليوم... هذه الليلة... الاتّصال بهم هاتفيًا... نعم، سوف يلتقون بكم على الطريق... كينيني.."، لم أنتظر لسماع المزيد، ما سمعته ورأيته إلى الآن كان كافيًا جدًّا بالنسبة لي.

سكت غاتويريا، أما بالنسبة لوارينغا فقد كان قلبها ينبض إذ إن ما حدث في الكهف متطابق تقريبًا كلمة كلمة وفعلًا بفعل مع ما رأته في الحلم، من الممكن ألّا يكون ذلك حلمًا بل وحي؟

سألت وارينغا غاتويريا: "ماذا عن موتوري ومناصريه؟"، أجاب غاتويريا: "لم يَكن موتوري قد وصل بعد في الوقت الذي غادرت فيه المكان".

سألت وارينغا "لو جاء إلى الكهف الآن، ألن يتمّ اعتقاله هو أيضًا؟"، قال

غاتويريا: "لا أعلم، يبدو أنّني لم أعد متأكدًا من شيء، الأمور تغلي في ذهني مثل حساء يطبخ في قدر".

وهذا الأمر لا يحدث في رأس غاتويريا وحده، فقد كانت وارينغا تدير العديد من الأمور في ذهنها أيضًا، وكانت تفكر في كثير من الأسئلة، هل من الضروري أن تحكي لغاتويريا عن حلمها؟ كيف سيتمكّنون من تحرير موتوري من السلاسل ومن قبضة الشرطة؟ وماذا تستطيع أن تفعل لكي تجنّب مويريري وا موكيراي مخطط روبن مواؤرا وعصابته من زبانية الشيطان لاغتياله؟ كيف يمكنها أن تتأكد أنّ كلّ شيء لم يكن إلا حلمًا؟

قرّرت وارينغا ألا تحكي لغاتويريا عن الحلم، لكنها ستبذل قصارى جهدها لتمنع مويريري وا موكيراي من التنقّل بواسطة حافلة مواؤرا هذه الليلة، والأمر الذي يجب أن تقوم به على الفور هو منع موتوري من المجيء إلى الكهف.

اقترحت وارينغا: "هيا بنا نذهب ونحذّر موتوري من الخطر المحدّق به، هيا بنا ننقذه من مصير وانغاري قبل فوات الأوان".

4

بدأ غاتويريا ووارينغا المشي باتّجاه نجيروكا، وكلٌّ منهما يحمل حملًا ثقيلًا من الأفكار والشكوك.

كان غاتويريا منشغلًا بصورة وانغاري في زنزانة الشرطة، ويداها وقدماها مكبلتان بالسلاسل.

كانت أفكار وارينغا يسيطر عليها صوت مويريري وا موكيراي عندما كان يحكي لهم قصة الرجل المسافر إلى بلاد بعيدة، وكيف نادى عند عودته على كلّ خدمه لكي يحاسبهم على المواهب التي منحها لهم.

بعد ذلك جاء من أعطاه موهبة واحدة وقال: سيدي، أنا أعرف أنك رجل قاسٍ تجني في مكان لم تزرع فيه، وتجمع من مكان لم تحصد منه.

توقّفت وارينغا فجأة وسحبت غاتويريا من كمّه لكي يتوقّف، توقّف غاتويريا بدوره وسأل وارينغا: "ما الخطب؟ ".

"اسمع هذه الأصوات تغني أغنية جديدة".

الفصل التاسع

1

كانت أشعة شمس الغروب تسقط على مرتفعات غولدن في إيلموروغ مثل ألسنة اللهب التي تنعكس على الحديد اللامع للسيوف والرماح، وكان غاتويريا ووارينغا يقفان فوق البساط المعشوشب لمضمار ملعب الغولف في إيلموروغ، وعيناهما وأذناهما تنجذب بقوة نحو الطريق المتوجّهة إلى نجيروكا التي تأتي منها الأصوات التي تغنّي:

تعالوا فرادى وجماعة
وشاهدوا المنظر الرائع
لمطاردة الشيطان
وكلّ تلامذته
تعالوا فرادى وجماعة

قال غاتويريا: "لا بدّ أنه موتوري وجماعته"، أجابت وارينغا: "إذن هيا بنا نسرع"، وبدأت تركض باتّجاه الأصوات، بدأت الأصوات تقترب أكثر فأكثر:

تعالوا فرادى وجماعة

وشاهدوا المنظر الرائع

لمطاردة الشيطان

وكلّ تلامذته

تعالوا فرادى وجماعة

بعد دقائق قليلة، كان غاتويريا ووارينغا يقفان إلى بجانب الطريق المؤدّي إلى إيلموروغ، مندهشين من المنظر الذي يشاهدانه أمامهما.

حشد كبير ولافت من النساء والرجال والأطفال أم ناظريهما ، وكان في طريقه إلى الكهف ، كما كان الكثير من الأطفال يركضون إلى جانب حشود الناس، وبعضهم يتقافزون، وآخرون ينضمّون إلى الغناء.

قال غاتويريا: "يا له من حشد كبير!".

أجابت وارينغا: "يبدو أن موتوري قد جمع نجيروكا كلها".

قال غاتويريا: " لا أعلم إن كنّا سنتمكّن من العثور عليه ".

قالت وارينغا: " لنقف هنا، آمل أن يتمكّن من رؤيتنا ويأتي إلينا".

قال غاتويريا: "حتى لو أخبرناه بقدوم الشرطة، فذلك لن يغيّر في الأمر شيئًا".

قالت وارينغا "لماذا؟".

أجاب غاتويريا: "لأنني لا أرى أن هذا الحشد سينسحب".

وقفا هناك على جانب الطريق يشاهدان الحشد الطويل، وينتظران موتوري، كان الناس لايزالون يتقاطرون، بعضهم يغنّي، بعضهم يصفّر، بعضَهم ينفخ في الأبواق الكبيرة والنايات، لكن ملتزمون كلّهم بإيقاع الأغنية، كما أنَّ خطى أقدامهم وحركاتهم متناسقة مع إيقاعها، والكثير منهم

يرتدون قطعًا من القماش ملابسا ، والكثير منهم حفاة، لكن كانت توجد مجموعة صغيرة ترتدي ملابس أنيقة، وأقمصة نظيفة، ومعاطف، وسراويل.

فجأة شعرت وارينغا أنّ قلبها توقّف عن النبض لبرهة، ولم تعرف إن كانت تصدّق ما تراه عيناها، كأنّها عادت إلى حلمها الذي لا بداية له ولا نهاية.

صرخت في وجه غاتويريا: " انظر! انظر! انظر إليه!".

"من؟ ما الخطب؟"، سأل غاتويريا بسرعة، "موتوري؟ ".

قالت وارينغا: "انظر إلى الرجل الذي أخبرتك عنه ليلة أمس! انظر إلى الرجل الذي شاهدته بالأمس!"، كأنّها تغني أنشودة.

"لكنه من؟ "

"الرجل الذي أعطاني بطاقة الدعوة المزيّفة في موقف الحافلات عند فندق كاكا، هل تستطيع رؤيته؟ ".

"أين؟ "

"هناك، بين المجموعة التي تبدو أنّها ترتدي ملابس جيدة نوعًا ما، الرجل ذو اللحية القصيرة، مهلاً!"، قال غاتويريا، "أنا أعرفه" .

سألت وارينغا: " من يكون؟ ".

"إنه طالب في الجامعة".

"طالب؟ "

"إنّه رئيس اتّحاد طلبة جامعة إيلموروغ".

سألت وارينغا: "وماذا يفعل بين الحشد؟" أجاب غاتويريا: "ربّما هو واحد منهم"، سألت وارينغا: "إذن، ادّعاء مويريري وا موكيراي بأنّ بطاقات الدعوة المزيّفة التي تسمي هذه التظاهرة باحتفالية الشيطان مصدرها الطلّاب كانت صحيحة في نهاية الأمر؟".

وفي تلك اللحظة، فتحت حقيبة يدها وأخرجت البطاقة التي سلّمها لها

الطالب مع البطاقة التي أعطاها لها مويريري وا موكيراي، قارنتهما بشكل سريع كأنّها تراهما للمرة الأولى، ثم قامت بإعادتهما إلى الحقيبة.

قال غاتويريا: "الآن، عرفت من دون أدنى شكّ من هم الأشخاص الذين وضعوا البطاقات المزيّفة في صندوق مكتبي في الجامعة".

وأخذ يهزّ رأسه كأنّ كلّ الأمور أصبحت واضحة بالنسبة له.

راقبا الحشد، وذهناهما مشغولان بالأسئلة.

كان بعض الناس يحملون لافتات عليها شعارات مختلفة: نحن نرفض نظام النهب والسرقة؛ فقرنا مصدر ثروتهم، اللصّ والساحر توأم، أمّهم هو الاستغلال؛ خلية النحل التي سوف ندحرج فيها اللصوص والناهبين أسفل منحدرات تلّ الموت أصبحت جاهزة وقد أعدّها العمّال؛ ما هي أكبر سرقة؟ سرقة عرق العمّال ومجهوداتهم ودمائهم. ما هو أكبر نهب؟ نهب دماء الجموع، والعديد من اللافتات الأخرى التي لا يمكن أن يميّزها الشخص الذي يقف على جانب الطريق، أولئك الأشخاص الذين لا يحملون أيّ لافتات كانت لديهم بعض الهراوات يضعونها فوق أكتافهم كأنها أسلحة.

قال غاتويريا: "إنه جيش في الحقيقة".

سألت وارينغا: " جيش من العمّال؟ ".

"نعم، والفلاحون، والتجار الصغار، والطلاب بقيادة العمّال ".

أضاف غاتويريا: "سوف ينقلون المعركة إلى الكهف".

ضحكت وارينغا وهي تتخيّل المعركة التي ستنشب في الكهف بين قوات العمّال وقوات اللصوص والناهبين.

في هذه الأثناء، كان أولئك الذين يتواجدون في مقدمة الحشد قد تجاوَزوا كلّ من غاتويريا ووارينغا، قالت وارينغا لغاتويريا: "يبدو أنَّ موتوري ليس بينهم؟ ".

2

كإجابة على سؤالها انتبه موتوري إلى وجودهما في تلك اللحظة، فترك الحشد وجاء إلى حيث يقفان، ثم تحدث بسرعة ودون توقف كأن كأنّ نهر كلماته فاض وتدفّق على ضفتيه.

هل ستغادران حالًا في حين أن المعركة بدأت للتو؟ هل تريدان تفويت الحفل الخارق لمطاردة طبقة الاستغلاليين من عرينهم في الكهف؟ انظرا إلى أنصارنا يضربون خطاهم بقوة وفخر على الأرض استجابة إلى نداء الجماهير. لقد اكتشفتُ أنّ كلّ العمل التحضيري أنجزه عمّال إيلموروغ أنفسهم، وأنا قدمت القليل من المساعدة فقط. هل ترون تلك المجموعة الصغيرة التي يبدو أنّها ترتدي ملابس جيدة إلى حدٍّ ما؟ أولئك هم طلاب إيلموروغ من المدارس المجاورة ومن الجامعات، هذا الأمر رائع حقًّا، إنّ أجيال المستقبل ستتغنى بهذا اليوم من السطوح وفوق الأشجار وقمم الجبال، من كينيا إلى إيلغون، ومن إيلغون إلى كيلمنجارو، من تلال نغوغ إلى نياندارو، فقد وجدت أنا موتوري وا كاهونيا ميثوري الطلاب والعمّال ينظّمون الحشود منذ مدة، ويحثّون كلّ أولئك الذين يسكنون في نجيروكا على الانضمام إليهم للهجوم على اللصوص والناهبين المحليين وأصدقائهم الأجانب، قمت بإيصال المعلومات التي كنت قد جمعتها، وقد طُلب مني إسداء النصح في هذا الموضوع. تجوّلنا في جميع أنحاء نجيروكا وعندما يعلم أيّ شخص بأنّني قد سمعت الناهبين واللصوص يتفاخرون، كان يسارع إلى البحث عن عصا ثم يعود لكي يلتحق بالحشد والهتاف، ماذا يمكنني أن أقول لكما أكثر من هذا؟ أحضرا أبواقكما لكي نحتفل بعظمة هذا اليوم، تعالا لنستمتع جميعًا، تعالا لكي نتسكّع بفخر لأنّ بعض الأشخاص المتعلمين قد فتحوا آذانهم، وبدؤوا يستمعون لصرخات الناس، لقد فتحوا أعينهم، وبدؤوا يبصرون النور الذي

ينبعث من منظّمة العمّال والمزارعين، هل عادت وانغاري؟ ".

قال غاتويريا عندما وجد فرصة للتفوه بكلمة: "لقد جئنا لمقابلتك".

"لماذا؟" أين هي وانغاري؟ "

قالت له وارينغا: " لقد اعتقلتها الشرطة".

"اعتقلوها؟ ".

قال غاتويريا: "نعم، لأنّها أطلقت إشاعات تهدف إلى نشر العنف وتهديد السلم والاستقرار في البلاد".

"أين اعتقلوها؟ داخل الكهف؟ ".

أجابت وارينغا "نعم ".

راح موتوري يتحدث بألم وبمرارة: "بصفتي عاملا أعرف جيّدًا بأنّ قوات تطبيق القانون واستتباب الأمن تعمل إلى جانب أولئك الذين ينهبون العمّال نتاج جهدهم الذي يبذلونه، وإلى جانب أولئك الذين يسرقون الطعام والأرض من الفلاحين، إنّ السلم والاستقرار والأمن الذي يدافعون عنه بالمركبات المصفحة هو سلم واستقرار وأمن الأثرياء الذين يحتفلون بالخبز والخمر الذي انتُزِع من أفواه الفقراء، نعم، إنّهم يحمون الآكلين من غضب الجياع والعطاش، هل سبق لك أن شاهدت القوات المسلحة تهاجم ربّ العمل بسبب رفضه الزيادة في أجور عمّاله؟ ماذا يقع عندما يدخل العمّال في إضراب عن العمل؟ ولديهم الشجاعة للحديث عن العنف، من يزرع بذور العنف في البلاد؟ لذلك السبب كنت أرغب أن تقوم وانغاري بالبحث عنهم لكي ترى بنفسها، ولكي تتبدّد كلّ الشكوك، وسوف تطرح على نفسها هذا السؤال: هل سبق لي أن رأيت الشرطة تُرسل لإسكات الأثرياء؟ ".

قال غاتويريا: "اسمع، جئنا لكي نحذّرك من أنه قد يعتقلونك أنت أيضًا، رئيس شرطة إيلموروغ موجود في الكهف ".

أجاب موتوري ببطء: "أنا مسرور لأنّكما قدمتما لكي تحذراني، إن هذا مصدر سرور كبير بالنسبة لي، أنتما وأنا التقينا في الماتاتو ليلة أمس فقط وجئتما لكي تنقذاني من الخطر، لكنني لن أهرب، نحن لن نهرب، بالنسبة لنا نحن العمّال فإنّنا لا نعرف التراجع إلى الخلف، إلى أين نستطيع الهرب؟ دعوني أخبركما، أنا متأكّد من أنّ نظام النهب والسرقة لن ينتهي أبدًا في هذه البلاد طالما الناس مرعوبون من الهراوات والمسدسات، لا بدّ أن نكافح ونقاتل ضدّ ثقافة الخوف، وهناك علاج واحد فقط: منظمة قوية للعمال وفلّاحي الأرض، فضلًا عن أولئك الأشخاص الذين أصبحت عيونهم وآذانهم مفتوحة ومتيقظة الآن، وهؤلاء الطلّاب أظهروا الطرف الذي يتوجّب على التعليم أن يخدمه. يا صديقيّ، يتوجب عليكما المجيء والانضمام إلينا أيضًا، ادعمونا بتعليمكم ووعيكم، ولا تديرا ظهريكما إلى الناس، تلك هي الطريقة الوحيدة".

3

بعد أنّ قال موتوري هذا لكل من غاتويريا ووارينغا تركهما وهرع للانضمام إلى حشد العمّال.

نظرت وارينغا وغاتويريا إلى بعضهما، اهتز كلاهما بسبب مناداة موتوري باللجوء إلى السلاح.

قبل ذلك بلحظة، عندما كانا يأكلان اللحم ويشربان الجعة، لم يكونا يعتقدان بأنّهما سينضمّان إلى حشد العمّال الغاضبين والحفاة المتّجهين لمهاجمة الكهف بالهراوات واللافتات، لكن صوت أحد العمال كان يناديهما الآن لاختيار الطرف الذي سيستخدمان به علمهما.

قبل ذلك بلحظة، وعلى الرغم من أنّهما أصيبا بالغثيان جرّاء الحديث

الذي دار في الكهف، إلا أنهما كانا يميلان إلى رؤية تلك الأمور على أنّ تحدث في عالم إنّ تربطه أيّ علاقة بحياتهما، لكن صوت العامل يناديهما ويقول لهما إنّ أيّ إنسان لا يستطيع أن يسير في طريقين في آن واحد.

تبيّن لهما بعد أن مضت اللحظة الماضية أنهما أصبحا مشاهدين لرقصة يرقصها الآخرون، والآن يحثّهم صوت العامل على الدخول إلى الحلبة، وألا يكتفيا بالوقوف في الجانب ومشاهدة الرقصة التي تُؤدّى. الآن، سأل غاتويريا نفسه: "نحن المثقفين من بين العمّال مع أيّ طرف؟ هل نحن مع طرف المنتجين؟ أم نحن مع أولئك الذين يتغذّون على عرق الآخرين؟ هل نحن مع طرف العمّال والفلّاحين أم مع الاستغلاليين؟ أم نحن مثل الضباع التي تحاول أن تسير في طريقين مختلفين في الوقت نفسه؟

كانت وارينغا تشعر بالأحاسيس نفسها وكانت تراجع الأفكار نفسها: نحن الموظفين، في أعمال الطباعة والسكرتارية مع أيّ طرف؟ نحن الذين نتلقّى ونطبع ما يمليه علينا المدير كيهارا ومن على شاكلته، مع أيّ طرف في هذه الرقصة؟ أنحن مع العمّال؟ أم مع الأثرياء؟ من نحن؟ من نحن؟ سمعت النساء في العديد من المناسبات يقلن: شركتنا تقوم بهذا الشيء وذلك الشيء؟ في شركتنا نوظّف العديد من العمّال الذين يكسبون الكثير، شركتنا حقّقت هذا القدر من الأرباح، بينما وهنّ يتحدثن، من الممكن ألا يكون لديهنّ شلن واحد لأجرة الحافلة في المساء. نعم، كنت أسمع الفتيات يتفاخرن برؤسائهن، وعندما تتحقق جيّدًا في الأمور التي يتفاخرن بها لا تجد هناك أيّ شيء، بضع مئات من الشلنات في الشهر الواحد لسيدة تُعيل أطفالها، ونحن نسمّي ذلك بتفاخر بالراتب الشهري؟ لقد قمنا بالتضحية بأربعة أشياء مقابل ذلك الشيء القليل:

أولا: سواعدنا نعم، نحن الذين نطبع كلّ وثائقهم وكلّ رسائلهم، أيدينا أصبحت أيديهم؛ قوّتنا أصبحت قوّتهم.

ثانيا، أدمغتنا، نعم، لا يوجد أيّ رئيس يرغب في فتاة ذات أفكار مستقلة وموقف مستقل؛ لا يوجد رئيس سعيد بسكرتيرته التي تستفسر عن الأشياء، أو التي تفتح عينيها جيّدًا لكي تلاحظ ما وقع لها من قِبَل المدير كيهارا، ربّ العمل دائمًا على حقّ، علّقي دماغك على أصابعك أو فخذيك.

ثالثًا، إنسانيتنا، نعم، لأنّ المدير كيهارا ومن على شاكلته يعلّقون إحباطهم علينا نحن، عندما يتشاجرون مع زوجاتهم في المنزل يحضرون غضبهم معهم إلى المكتب؛ عندما تسوء الأمور في مشاريعهم يصبّون جامّ غضبهم في المكتب، يُهينوننا لكننا نلتزم الصمت لأنّه يفترض أن نمتلك قلوبا ذات بأس شديد لا تهتزّ من الدموع.

رابعا، أفخاذنا، نعم، لأنّه باستثناء القلّة المحظوظة منّا، فإنّ أغلبيتنا يمكنهن الحصول على وظائف أو الحفاظ عليها فقط بالسماح لأمثال المدير كيهارا بنهش أفخاذنا، نحن زوجاتهم الحقيقيات، لكنا لسنا زوجاتهم الشرعيات بطبيعة الحال. نعم، نحن زوجات مخصّصات لسيارات بي. إم. دبليو. خلال رحلة نهاية الأسبوع إلى المسلخ، وعلى كلّ حال يوجد اختلاف كبير بين ماعز الذبح وماعز الرعي.

من نحن؟ من نحن؟ من نحن؟ كان قلب وارينغا ينبض في تزامن مع سؤالها، ويزيد من المشاكل التي لا يستطيع أيّ أحد أن يزوّدها بالحلول لأنّها متعلّقة بالقرار الذي يجب عليها أن تتّخذه هي بنفسها بالنسبة للجانب الذي ستختاره في صراع حياتها.

4

وجدت وارينغا وغاتويريا الكهف بأكمله يفوح برائحة الحطام المحترق والدخان، كان المكان كلّه محاطًا بالحشد القادم من نجيروكا الذين كانوا يواصلون غناء:

تعالوا فرادى وجماعة
وشاهدوا المنظر الرائع
لمطاردة الشيطان
وكلّ تلامذته
تعالوا فرادى وجماعة

كان المشهد عند الباب المؤدّي إلى الكهف مضحكا ومحزنا في الوقت نفسه، حيث كان الكثير من اللصوص والناهبين يحاولون أن يحشروا كروشهم الكبيرة للخروج عبره كلهم في آن واحد، في مشهد مضحك ومحزن في الوقت نفسه، وكلّ لصّ تمكّن من حشر جسده للخروج عبر البوابة يمشي بتثاقل نحو سيارته مثل فرس النهر، وبعد ثانية يثير الغبار عندما ينطلق مسرعًا بسيارته وهو يتلو صلواته من كلّ قلبه. أمّا أولئك الذين لا كروش لهم، معشر الهزيلين، فكانوا يقفزون من النوافذ، وعندما يلامسون الأرض وينطلقون مثل السهام يلحق العمّال بكل واحد منهم ويصرخون: "ها هو ذا، ها هو ذا، أمسكوه، أمسكوه، اقبضوا على اللص".

لم يكن لدى وارينغا نظرة واضحة عن كلّ الأشياء التي تقع في كلّ جانب نظرًا للمكان الذي كانت تقف فيه، كانت الساحة عبارة عن فوضى من الأقدام التي تركض عند مُطاردة مالكي القصور والمنازل

الفخمة في إيلموروغ من قبل قاطني منازل الصفيح من نجيروكا، لكن وارينغا تمكّنت من مشاهدة الحفل الرائع لغيتوتو وا غاتنغورو ونديتيكا وا نغونجي، عند محاولتهما للهرب مثل عنكبوتين يحملان البيض بينما يضرب الأشخاص الذين يطاردونهم أردافهما بالعصيّ، وعند وصولهما إلى سيارتيهما كانا يلهثان وعرق الألم والتعب والخوف يتقاطر منهما على الأرض مثل مطر غزير.

لم تكن وارينغا وحدها التي ابتسمت، كان الجو ممتلئًا بضجيج الضحك الساخر لسكّان نجيروكا عندما كانوا يسخرون من قاطني مرتفعات غولدن وهم في هربهم يحاولون أن يخلعوا ستراتهم، وربطات عنقهم، وأحذيتهم، وأحزمتهم، وكلّ شيء يمكن أن يجعلهم التخلص منه أخفّ وزنًا.

لكن عندما شاهد الحشد اللصوص الأجانب أثناء مغادرة الكهف تحوّلت ضحكاتهم إلى تهديدات صاخبة، كان الأشخاص يزأرون مثل ألف أسد غاضب انتُزعت منهم أشبالهم، ثمّ أمسكوا عصيهم وهراواتهم وقضبانهم الحديدية واتّجهوا نحو اللصوص الأجانب الذين كانوا محاطين بحرّاسهم المحليين، استلّ أحد اللصوص المحليين سلاحه ليطلق النار لكن الصفير الغاضب للحشد جعل يده ترتعش لتطير الرصاصة في الهواء من دون أن تصيب أيّ شخص، توقّف الحشد وبعد ذلك تقدّم إلى الأمام مرة أخرى، واهتزّت الأرض على وقع خطوات أقدام الأشخاص الذين يركضون.

لقد نجا الناهبون الأجانب السبعة القادمون من أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية واليابان، فلم يمزّقهم الجماهير إلى قطع صغيرة بسبب قرب سيارتهم منهم، ولأنّ سائقيهم كانوا قد أداروا المحرّكات من قبل، استعدادًا للهروب السريع.

كان هناك لصان نسيا بأنّهما يمتلكان سيارات فهربا سيرًا على الأقدام،

أُضرمت النيران في السيارات، بعد لحظة لم يتبقّ أيّ لصّ أو ناهب في منطقة الكهف، فقد صنع لهم الخوف أجنحة وتمكنوا جميعًا من الهرب بسرعة.

5

تجمهر الناس الآن خارج الكهف وهم يتوقّعون خطابات وإرشادات من زعمائهم، كان أول من تحدث هو موتوري وا كاهونيا ميثوري.

أصدقائي، لا بدّ أن أناديكم بأبناء عشيرتي، لأنّ الأشخاص المجتمعين هنا ينتمون إلى عشيرة واحدة، عشيرة العمّال، أعتقد أننا شاهدنا كلّ احتفالية أولئك الذين لديهم كروش لا تحمل الأطفال أبدًا، والذين جاؤوا لكي يهينونا، تلك الكروش لم تنتفخ بسبب المرض، لقد أصبحت بدينة بسبب عرق مجهودنا ودمائنا، تلك الكروش عقيمة، وملّاكها عقيمون، ماذا عنا نحن، العمّال و البنائين؟ نبني المنازل فيسكنها الآخرون ويُرمى بنا خارجًا تحت المطر. نصنع الملابس فيأخذها الآخرون ويلبسون ملابس جيدة فيما نحن الخياطين نبقى عراة. ننتج الطعام فيأكله الآخرون؛ ونحن الزارعين ننام وبطوننا تهدر بأصوات الجوع طوال الليل. انظروا إلى هنا، نشيد المدارس الجيدة فيجد أطفال الآخرين أماكن فيها، وأبناؤنا يذهبون للبحث عن الطعام في أكوام القمامة وفي سلال النفايات. اليوم لدينا موقف، اليوم وهنا نرفض أن نكون ذلك القِدْر الذي يطهو الطعام لكنه لا يتذوّقه أبدًا".

تنحّى موتوري جانبًا، فصفّق له الحشد بحرارة وزغردت النساء.

كان رئيس اتحاد طلبة إيلموروغ هو ثاني شخص يتحدّث.

أحست وارينغا عندما شاهدته بإحساس غريب، كيف يمكن أن يحدث هذا؟ كيف يمكن أن يتبع موتوري الشخص الذي أنقذها ذات مرة من الموت تحت القطار في ناكورو، الرجل الذي أنقذها من الموت من تحت

الحافلة في نيروبي بالأمس؟ كانت وارينغا تحدّق بلحيته المشذّبة التي تتحرك في تزامن مع كلماته.

"نحن، اتحاد الطلاب في إيلموروغ، سواء في المدارس الابتدائية أو الثانوية أو في الجامعات، نساند العمّال بشكل مطلق في نضالهم المشروع ضدّ نظام النهب والسرقة الحديثة. إنّ العمّال هم الجبهة الأمامية للكفاح ضدّ الاستعمار الثقافي، آخر مرحلة للإمبريالية. عندما علمت منظمة العمّال في إيلموروغ بتجمّع اللصوص المحليين والدوليين أبلغتنا بالخبر بوصفنا منظمة للطلاب، ونحن الطلاب جلسنا وسألنا أنفسنا: ماذا يمكننا أن نفعل لكي نُظهر تضامننا مع العمّال؟ في تلك اللحظة، قمنا بطبع البطاقات لكي نوضّح للناس طبيعة الاحتفالية، ولكي نبيّن لهم بأنّها ستكون أشبه باحتفالية للشيطان ينظّمها إبليس ملك الشياطين، لنضع أيدينا بأيدي العمّال الآن في حربهم العادلة ضد شاربي الدماء البشرية، وآكلي اللحوم البشرية، والعديد من الجرائم الأخرى التي ارتكبتها الإمبريالية في مرحلتها من الاستعمار الثقافي، ولنضع أيدينا بأيدي العمّال في نضالهم لبناء مسكن سوف ينفعنا نحن البنّائين. ما هو الأمر العظيم الذي يمكن لتعليمنا أن يقوم به لأجل وطننا؟ لذلك نحن الطلاب قلنا إنه لا يجب أن نتخلّف في الوراء، ولابدّ أن نشارك في هذا المشهد الرائع الذي سوف نقوم فيه نحن الشعب بطرد الشيطان وكلّ أتباعه".

قوبل كلام رئيس اتّحاد الطلبة بتصفيق حار وحفاوة كبيرة، وكانت زغاريد النساء مثل أبواق الحرب.

ثالث شخص تحدّث هو زعيم عمّال إيلموروغ، كان يرتدي معطفًا فضفاضًا، وقبعة ذات شكل مخروطي خلعها قبل أن يتحدّث. كان لديه بعض الشعيرات البيضاء في رأسه.

"أولًا، أودّ أن أشيد بشجاعة الطلاب من الجامعة ومن المدارس المجاورة، إذا كان يجب على شبابنا ألا يحملوا الأسلحة فما الذي سيحصل عند الدفاع عن الأرض؟ إلى أين سيؤدّي هذا الأمر بالوطن ؟ كلمة امتنان أيضًا إلى أولئك الذين جاؤوا من نيروبي إلى إيلموروغ استجابة لندائنا. الآن، سأقول كلمة واحدة فقط وأطرح سؤالًا واحدًا فقط، لدينا نوعان من الاتّحاد: اتّحاد العمّال واتّحاد الأثرياء، مع أيّ طرف أنتم؟ ما هي المبادئ التي تؤمنون بها، لأنّ كلّ طرف لديه مذهبه؟

إنّ خطاب الأثرياء والإمبرياليين على هذا الشكل:

طوبى لمن الوجع ويخففه
لأنّه لن يُقبض عليه أبدًا
طوبى لمن يحرق منزل رجل آخر
وفي الصباح يشاطره أحزانه
حتى يُنعت بالرحيم
طوبى لمن ينهب خمسة شلنات من رجل آخر
ثم يرجع له نصف شلن لشراء الملح
حتى يُنعت بالكريم
أما بالنسبة لمن يعضّ ولا يعرف كيف يخفف الوجع
ولمن يسرق الشعب
ولا يحاول أن يخدعهم بكلمات معسولة
الويل له
إذا فاق الشعب يومًا ما
فإنّ أولئك الناس سوف يرون من مؤخراتهم

ومن الممكن أن ينقلوا مرضهم إلينا
نحن القادرين على إخفاء أفعالنا الخبيثة
بأردية النفاق الدينية

أمّا خطاب العمّال فيجري على هذه الشاكلة:

نؤمن بأننا، نحن العمّال، ننتمي إلى عشيرة واحدة
وبالتالي يجب علينا ألا نسمح لأنفسنا
أن نتفرق بسبب الدين أو اللون أو القبيلة
نؤمن أنّه في ظلّ منظّمة العمّال
تكمن قوتنا
لأن أولئك الذين ينتظمون لا يضلون طريقهم أبدًا
وأولئك الذين لا ينتظمون يبعثرهم صوت
رصاصة واحدة
لذلك أنا أومن باتحاد العمّال
لأنّ الاتّحاد هو قوتنا
نؤمن بأنّ الإمبريالية ووكلاءها المحليين هم
أعداء تقدم العمّال والفلاحين
والوطن بأكمله
ولذلك، أحمل على عاتقي دائمًا أن أكافح ضدّ الاستعمار الثقافي
لأنّ الاستعمار الثقافي هو آخر ركلة ماكرة للإمبريالية التي تحتضر
هيا بنا جميعًا نغنّي الآن نشيد العمّال..

بعد ذلك، بدؤوا يغنّون، فانضمّ الجميع للغناء. كانت أصواتهم ترتفع

صوتا واحدا جاعلين الأرض التي تقف عليها وارينغا تهتزّ، وبينما كانت الأغنية تُؤدّى أحست وارينغا بشخص ما يشدّ فستانها من الخلف، التفتت بسرعة فوجدت أنّ موتوري يودّ لفت انتباهها كي تتبعه، وانسحب الاثنان إلى مكان مخفي خلف الكهف.

بدأ موتوري على الفور بالكلام: "اسمعي، وكانت عيناه مثبتتين على عيني وارينغا ووجهها في محاولة منه لقراءة جميع الزوايا في قلبها، هل يمكنني أن أثق بك بخصوص عبء صغير حتى الغد؟".

سألت وارينغا: "أيّ عبء؟ ".

قال موتوري وهو يحدّق بوارينغا: "أنبوب معدني يقوم بإطلاق النيران القاتلة والدخان".

قالت وارينغا نفسها: "ولِمَ لا؟ إذا قدّمت لي وعدًا أنّك سوف تأخذه غدًا".

قال موتوري: "ليس لدينا وقت لتضييعه، لقد رأيتك في الماتاتو ليلة أمس، ورأيتك طوال النهار في الكهف، وقرّرت أنّه يمكن الوثوق بك بأمر يتعلّق بسرّ العامل. عندما تركتك رفقة غاتويريا تقفان إلى جانب الطريق ذهبت وشاركت الناس في معركتهم ضدّ اللصوص، هل لاحظت قوة اتّحاد الناس؟ كان أولئك اللصوص مسلّحين، لكن لم يتمكّن أيّ أحد منهم من استعمال سلاحه لأنّهم تيبسوا رعبًا بسبب عيون الحشد الضخم وضجيجه. كيهاهو وا غاثيكا هو الشخص الوحيد الذي حاول أن يصوّب مسدسه تجاهي، لكنني قمت بمطاردته في هذا الاتّجاه حيث نوجد الآن، كنت سريعًا في مطاردته وضربت ذراعه قبل أن يطلق النار، كان كيهاهو يصرخ من الألِم حين رمى السلاح وانطلق هاربًا كالسهم، أخذت المسدس الذي حاول أن يقتلني به، ها هو ذا، إنّه صغير جدًّا إلى درجة أنّه قد لا يظهر في راحة يدك أو داخل جيب قمصيك، هل ترين كيف يلمع بشكل جميل، هذا هو

إنتاج يدَي العامل، لكنه وكما تعلمين، لا يستعمل للدفاع عن العمّال، فنحن العمّال نصنع أشياء تستخدم لاضطهادنا، لكن انظري مرة أخرى إلى نتاج يدي العامل كيف يعود إليه، لقد كان مثل هذا الأنبوب الحديدي على زند العامل هو من أنقذ كينيا من الاستعمار، وحتى اليوم، إنّ مسدسات كهذه يجب أن تكون بأيدي العمّال ليتمكّنوا من الدفاع عن وحدة بلادهم وثروتها وحريتها. لكن دعيني أتوقّف عن تقديم الوعظ في هذه الليلة فمن المحتمل أن يكون هناك المزيد من المشاكل. خذي هذا المسدس وضعيه في حقيبة يدك، وحتى نلتقي غدًا صباحًا عند الساعة العاشرة في موقف الحافلات في نيروبي لا تعرضيه على أيّ شخص، أو تخبري أحدًا عنه، حتى لو كان غاتويريا. أولئك الأشخاص المتعلمون، غالبًا، لا يعلمون أيّ جانب يساندون، إنّهم يتأرجحون من جانب إلى آخر مثل قطرة الماء فوق ورقة الأشجار، اذهبي الآن واعتني بنفسك، هذا المسدس هو دعوة إلى احتفالية العمّال التي ستعقد في وقت مستقبلًا".

سلّم غاتويريا المسدس إلى وارينغا ثم رحل بعد ذلك ، فأحست بإحساس غريب ينتابها، قلبها كان يرتعش، وبعد ذلك أحسّت بسيل من الشجاعة في كلّ جسدها، اعتقدت أنّه لا يوجد أيّ خطر في العالم لا يمكنها مواجهته الآن، كلّ شكوكها ومخاوفها تبدّدت بسبب السرّ الذي أمّنها عليه موتوري، فكّرت أن تسأله عن المناسبة التي أنقذها فيها من الموت تحت القطار قبل زمن بعيد، في ناكورو، لكن فكرة أخرى باغتتها فنادت على موتوري، وتوقّف.

"قبل أن ترحل أريد أن أعرف شيئًا منك"، قالت وارينغا: "من أنت؟ ".

أجاب موتوري: "أنا، أنا وكيل منظمة عُمّالية سرية في نيروبي، لكن لا تسألي أيّ أسئلة أخرى، حيثما أكون فأنا أعمل مع هذه المنظمة، اعتني

بنفسك وتذكّري أنّك لست وحيدة".

ثم ذهب كلٌّ منهما في طريقه.

عادت وارينغا إلى غاتويريا وهي تحمل سرّ موتوري معها، وبعد ذلك قرّرت بأنّه من الأفضل أن تحمل السرّ معها إلى منزلها فورًا.

مازال العمّال يغنّون.

قالت وارينغا لغاتويريا إنّها تريد أن تذهب إلى المنزل قبل حلول الظلام لأنّها متعبة جدًّا.

شعر غاتويريا بالإحباط وخيبة الأمل لأنّه اعتقد بأنه قادر على مرافقة وارينغا إلى المنزل، لكنّه لم يجد سبيلًا ليقّدم نفسه مرافقا لها، قال: "أودّ أن أبقى هنا لكي أرى كيف سينتهي هذا المشهد، لكن كيف يمكنني أن ألتقي بك غدًا؟ ".

اتّفقا على المقابلة في فندق صن شاين عند الساعة الثانية عشرة في اليوم التالي، أرادت وارينغا أن تغنّي أغنية لغاتويريا اعتادت أن تسمعها ليلة البدء في حياة جديدة.

الآن تراني

الآن تراني

الفجر بدأ يبزغ

الحياة والموت سيّان بالنسبة لي

فالفجر بدأ يبزغ

عندما كانت تمشي على طول الطريق، اكتسب قلب وارينغا أجنحة جديدة مستعدة للطيران عندما كانت تمشي على طول الطريق، فكرت

في انتظار سيارة أجرة لكنها بعد ذلك تذكرت مواؤرا وحافلته ماتاتو ماتاتا ماتامو والمصير الذي ينتظر مويريري وا موكيراي، فقررت أن تذهب في البداية إلى فندق غرين رينبو لكي ترى إنْ كان بمقدورها أن تمنع مويريري وا موكيراي من السفر إلى نيروبي هذه الليلة.

لم تستطع وارينغا أن تدرك الأمر الذي يدفعها لتقوم بهذا الأمر، لكنّها أحسّت بأنّها مدينة بنوع من الدين، لأنّها هي بدورها أنقذها الغرباء من الموت في مناسبتين، وتذكّرت حلمها الأخير، هل كان حلمًا أم رؤيا؟ طرحت وارينغا السؤال نفسه مرة أخرى: هل كان الصوت حقيقة أم وهمًا؟

لا، لقد كان صوت إبليس، صوت الغواية، وعلى الرغم من أنّ الصوت رسم صورة حقيقية عن الأمور التي تقع في البلاد، وأشار إلى ملاحظات مناسبة عن كينيا خلال الاستعمار الثقافي، إلّا أن الطريق التي أظهرها سبيلا للهروب كان مضلّلًا، ومن الممكن أن يكلّف وارينغا حياتها، لقد أغراها للسير في طريق واسعة ومزيّنة بأزاهير الفردانية والمصلحة الشخصية، لقد أغراها لكي تبيع جسدها مرة أخرى، هل كانت ستأخذ في الاعتبار بيع روحها للشيطان وتبقى مجرد هيكل إنسان مثل ندينغوري وا كاهامي؟ من أجل المال فقط؟ يا ربّ، لا! سقطة واحدة تكفي، قالت بحزم كأنّ السرّ الذي كانت تحمله لموتوري قد منحها شجاعة كبيرة لقتال الشيطان وهزيمته بالرغم من كلّ عروضه المغرية التي تهدف إلى إقناع الوطنيين لبيع بلادهم.

قبل أن تصل وارينغا إلى فندق غرين رينبو شاهدت شاحنتين عسكريتين محملتين عن آخرهما بالجنود المدجّجين بالسلاح ومتجهتين نحو الكهف. وخلفهما كانت توجد ثلاث مدرعات، أوه، يا إلهي، سيكون الهلاك حاضرًا في الكهف الآن، قالت وارينغا لنفسها، فكّرت في العمّال المجتمعين خارج الكهف، فكّرت في غاتويريا وموتوري وفي أرواح الناس.

تذكّرت وارينغا السرّ الذي كانت تحمله، فأسرعت لأنّ الشمس أفلت لكنّ الظلام لم يحل بعد.

وبسبب الأفكار المتضاربة التي كانت تدور في ذهن وارينغا، لم تدرك أنّها قد وصلت إلى فندق غرين رينبو حيث يقطن مويريري وا موكيراي، إلّا بعد أن شاهدت لافتته المضيئة بأضواء نيون.

سأل موظف الاستقبال وارينغا "مويريري وا موكيراي؟" ليتأكّد من أنّه سمع سؤالها بوضوح.

"نعم".

"لقد غادر للتو، أنهى إجراءات إقامته في الفندق قبل خمس دقائق".

سألت وارينغا: "كيف ذهب؟ ".

بواسطة حافلة ماتاتو ماتاتا ماتامو فورد ت، لوحة التسجيل رقم 333 م م م، لم يسبق لي أن شاهدت حافلة صغيرة مغطّاة بالعديد من الشعارات الضخمة كهاته، "إذا كنت تريد الإشاعات الحقيقية، اركب الماتاتو ماتاتو ماتامو... إذا كنت تريد النميمة.... "

تركت وارينغا موظف الاستقبال يكاد يفقد وعيه من شدة الضحك.

كانت تتساءل مع نفسها: "لماذا كلّ هذه الأشياء؟ لماذا كلّ هذه الأشياء؟ ".

فجأة تجمّدت دماؤها في أوردتها، عبر كلّ إيلموروغ، كلّ أنحاء إيلموروغ، لا يمكنك أن تسمع أيّ شيء سوى طلقات الرصاص وصرخات الناس المخيفة.

6

في اليوم التالي ذهبت وارينغا إلى موقف الحافلات لكي تلتقي مع موتوري لكنه لم يكن حاضرا هناك.

بعد ذلك ذهبت كي ترى غاتويريا في فندق صن شاين، كانت تشعر

بالخوف لأنّه في نجيروكا وإيلموروغ بصفة عامة كان يدور موضوع احتفالية الكهف فقط، وكيف انتهت بالعديد من القتلى. قالت مجموعة من الناس إنّ عشرين شخصًا قد فارقوا الحياة؛ وقال آخرون إنهم كانوا خمسين شخصًا؛ ومع ذلك فقد حصرت مجموعة أخرى القتلى في مئة شخص، لكن القاسم المشترك بين كلّ ادّعاءاتهم هو حقيقة أنّ الجنود والشرطة اغتالوا الناس، وآخرون اعتقلهم رئيس الشرطة غاكونو.

كان غاتويريا هو الذي أخبر وارينغا عن الوضع بشكل دقيق.

"لقد قتلت قوات حفظ الأمن وقانون البورجوازية خمسة عمّال، وقتل العمّال جنديين، غير أنّ هناك العديد من الجرحى ضمن كلا الطرفين".

سألت وارينغا بتوتّر: "وماذا عن موتوري؟ "

موتوري؟ موتوري لقد اعتُقل مع رئيس اتّحاد الطلبة، لم يتمكّنوا من اعتقال زعيم العمّال لأنّ الآخرين أخفوه، لقد اختفى تحت الأرض لكنّهم يواصلون البحث عنه.

سكت غاتويريا ووارينغا، وجلسا في الخارج مثل أبوين مكلومين حول طاولة في إحدى حدائق الفندق الممتلئة بالعشب والأزهار بينما أصبح الشاي الذي طلباه باردًا جدًّا في الكوبين.

قبل أن تقول وارينغا أيّ شيء، أضاف غاتويريا، ببطء: "لكن الأمر الذي جعلني أشعر بالمرارة هو هذا: في هذا الصباح لم تذكر المحطة الإذاعية في إيلموروغ موت العمّال الخمسة وعدد الجرحى وحالتهم الحرجة، لكن المحطة الإذاعية نفسها وجدت الوقت الكافي لكي تخبر المستمعين بموت الجنديين وموت مويريري وا موكيراي".

" مويريري وا موكيراي؟ ".

"نعم، لقد لقي حتفه جرّاء حادث مروري في كينيني أثناء عودته إلى

نيروبي ليلة أمس كما ذكرت الإذاعة".

سألت وارينغا، وهي مندهشة: "ومواؤرا؟ روبن مواؤرا؟

"إنّه على قيد الحياة، لقد نجا بأعجوبة".

الفصل العاشر

1

سبت آخر بعد مرور سنتين على رفض وارينغا لإغراءات الشيطان في مضمار إيلموروغ للغولف. لقد مرت سنتان كاملتان على احتفالية عرين اللصوص والناهبين التي أنتجت حسرة تتعلق بالموت والسجن: سنتان من التغيير الكبير في حياة وارينغا وغاتويريا.

سنتان.

من أين سأبدأ؟ أم هل يجب عليّ أن أعدل عن التدخّل في حياة الآخرين؟

الشخص الذي يحاكم الآخرين لا يعرف كيف سيُحكم عليه هو بدوره.

الظبي لا يكره من يراقبه بقدر ما يكره من يصرخ معلنًا عن مكان وجوده.

لكنني أنا بدوري كنت حاضرة في ناكورو، شاهدت بعينيّ وسمعت بأذني.

كيف لي أن أنكر حجة عيني وأذني؟ كيف لي أن أهرب من الحقيقة؟

لقد تجلّت لي.

لقد تجلّت لي.

من أين سأحصل على تسلسل أحداث قصتي؟

اسمع، لقد مرّت سنتان.

الآن، لا يمكنني أن أواصل سرد حكايتي بالسرعة نفسها التي أعتمدتها من قبل، فبذور اليقطينة ليست من نوع واحد، لذلك سأغيّر منسرعة السرد وطريقته.

إذن، تعال يا صديقي، تعال يا صديقي، تعال معي لكي آخذك إلى الطرقات التي مرّت منها وارينغا، تعال لكي نقتفي آثار خطواتها ونرى بعيون قلوبنا ما رأته، ونسمع بآذان قلوبنا ما سمعته، لكي لا نكون على عجلة في إصدار الأحكام بناءً على الإشاعات والنيات السيئة.

يمكن للحقيقة أن تكسر قوسًا مستعدًّا.

ذلك جيد، يا صديقي.

فليكن ذلك.

أوه، فليكن ذلك، تعال، يا سكينة الرّب.

أسرع، يا صديقي، وأنت أيضًا، يا محبّ العدالة، أسرع، اركض بسرعة أكثر، فيجب على المرء أن يصل إلى السوق مبكرًا قبل أن تذبل الخضروات بسبب الشمس.

2

ها هي وارينغا.

تعيش الآن في منطقة نغارا في نيروبي، في غرفة واحدة في الطابق الرابع لبناية تتكوّن من سبعة طوابق، البناية كلّها تسمى منزل مارارو.

تمّ تقسيم الطابق الأول إلى عدّة غرف سكنية تناسب أيّ شخص يستطيع أن يدفع الإيجار، وكلّ غرفة هي مطبخ وغرفة جلوس وغرفة نوم مجتمعين معًا، في هذه اللحظة تمّ حجز جميع الغرف، فالطير الذي أتعبه

الطيران يحطّ على أقرب شجرة.

خارج البنايات يوجد عدة محطات للخدمة التي تمتلكها شركات الوقود الأجنبية: ايسو، شيل، ب. . كالتكس، موبيل أويل، أجي ، وتوتال، على بعد ياردات قليلة بالقرب من طريق مورانغ يوجد الكثير من الأكشاك لبيع الأغذية الطازجة والمطبوخة.

يوجد منزل مارارو على ملتقى الطرق، لذلك فإنّ ضجيج السيارات يجعل من الصعب الحصول على ما يكفي من النوم، خصوصًا إذا كنت زائرًا للمنطقة.

لكن وارينغا لا تهتمّ للضجيج.

لقد اعتادت على ذلك، لأنّ ضجيج السيارات هو مصدر نشاطها.

أوه، وارينغا، اعملي بجهد لتطوير بلادنا.

إنّ وارينغا هذه ليست كالتي عرفناها قبل سنتين، وارينغا هذه ليست تلك التي كانت تظنّ بأنها لا تجيد سوى الطباعة للآخرين؛ المرأة التي كانت تحرق بشرتها بكريمات آمبي وسنو فاير لكي تغيّر لون بشرتها لترضي عيون الآخرين، وتشبع شهواتهم وتعطشهم للبشرة البيضاء؛ المرأة التي كانت تعتقد بأنّه لا توجد إلّا طريقة واحدة لتجاوز مشاكل الحياة، وهي الانتحار.

لا، إنّ وارينغا تلك ليست كوارينغا الجديدة هذه.

قرّرت وارينغا الحالية ألا تسمح لنفسها بأن تكون مجرد زهرة يقتصر دورها على تزيين الأبواب والنوافذ وطاولات حياة الأشخاص الآخرين، وتنتظر أن تُرمى فوق كومة القمامة عندما يتلاشى رونق جسدها، وارينغا الحالية قررت الاعتماد على نفسها في كلّ الأوقات، وأن تلج وسط ميدان معارك الحياة لكي تكشف قوّتها الحقيقية وتحقّق إنسانيتها الحقيقية.

النظافة استحمام، والبطل يُعرف في أرض المعركة فقط، ويُعرف الراقص الجيد في حلقة الرقص فقط.

يا وارينغا، يا بطلة الكدح، إنّ بطولة الحياة يمكن اكتشافها فقط في معركة الحياة.

هذا السبت، على سبيل المثال، تستيقظ وارينغا مبكرًا، تضخّ الضغط الهوائي في وابور الشعلة، تشعله وتضع عليه الإبريق لكي تحضر الشاي، وقبل أن يغلي الماء تكون قد انتهت من غسل وجهها وتسريح شعرها أمام المرآة، وتجميعه في أربعة ضفائر، شعرها أسود، طويل وناعم، ماذا قلت لكم؟ وارينغا الحالية توقّفت عن حرق شعرها بالأمشاط الحديدية الساخنة منذ مدّة طويلة مضت، وها هي تجرّب وشاحًا تزيّن به شعرها، ارتدت بنطالًا جينز أزرق باهتًا، وقميصًا خاكيًا. انظروا إليها، ملابسها تناسبها تمامًا كما لو أنّها خلقت فيها.

تذهب وارينغا إلى خزانة الملابس وتختار الفستان الذي سترتديه لاحقًا بعد العمل، والآخر الذي سترتديه يوم غد الأحد. وضعت الثوبين في حقيبة سفر صغيرة. اليوم بعد العمل تنوي الذهاب إلى إيلموروغ لرؤية والديها، وغدًا ستذهب في رحلة أخرى إلى ناكورو لرؤية والدي غاتويريا.

لكن كلتا الرحلتين لم تمنعا وارينغا من التركيز في مهنتها، اليوم ستغيّر محرّك إحدى المركبات، ويجب عليها أن تنهي تلك المهمة قبل الساعة الواحدة تمامًا.

وارينغا، يا بطلتنا المهندسة.

شربت شايها، والآن، تبحث داخل حقيبة يدها لكي تتأكّد من وجود كلّ شيء تحتاجه هناك، المشط، وبعض الكريمات، ومرآة اليد، والمنديل، ومفتاح ربط صغير. كيف وضعت مفتاح الربط الصغير داخل حقيبة يدها؟ لابد أنّها فعلت ذلك بالخطأ، نعم بالطبع، والمسدس الذي قدّمه لها موتوري لكي تحتفظ به يوجد هناك أيضًا، وارينغا لا تتخلّى عن المسدس

أبدًا، إنّه صغير جدًّا إلى درجة أنّ أيّ شخص لا يفهم في المسدسات سوف يظن بأنّه لعبة للأطفال. الآن، أصبحت مستعدة للذهاب ولمّا وصلت عند الباب تذكّرت أنّها تركت جهاز فحص الأسلاك فوق عتبة النافذة فعادت إليه. في العادة كانت تعلّقه في أحد جيوب قميصها مثل القلم، لا تتركه خلفها أبدًا، حتى في مكان عملها مع بقية الأدوات الأخرى، فالمسدس وجهاز فحص الأسلاك هما درعاها الأكثر أهمية بالنسبة لها.

ها هي وارينغا، تمشي على طول طريق نغارا، تنعطف نحو الطريق الذي يتّجه بجانب سينما شان، تعبر من نهر نيروبي، وتمشي عبر غروغان فالي، الآن، هي في شارع ريفر، تسير باتّجاه المرأب بين شارعَي توم مبويا وريفر، بالقرب من طريق مونيوا.

عندما تمشي وارينغا ، يتوقف الناس للنظر إليها، كان بنطال الجينز الأزرق الباهت والقميص الخاكي ومعطفها القصير الأزرق الذي بدوره بهت لونه أيضًا تليق بها كلها على نحو جميل، ليس فقط هذه الملابس، في هذه الأيام ملابسها تناسبها جيّدًا، فاليوم لديها فساتين مصممة أو تقوم بشراء الجاهزة منها، لكنها تناسب شكل قوامها ولون جسدها الجميل وحركته. إنّ قوامها هو الذي يملي عليها ما تلبسه الآن، وليس ذوق الأخريات وقوامهن.

لكن ليست ثيابها فقط هي التي جعلتها في الوضع الذي عليه الآن.

اليوم وارينغا تسير مفعمة بالطاقة والطموح وعيناها السوداوان تشعّان بنور الشجاعة الداخلية، شجاعة ونور شخص لديه أهداف محددة في الحياة، نعم، تركيز وشجاعة وثقة الشخص الذي حقّق شيئًا ما بواسطة الاعتماد على الذات، ما هي الغاية وراء مشي الشخص باستحياء في بلاده؟ وارينغا، الجمال الأسود، وارينغا ذات العقل واليدين والجسد والقلب، تمشي بتناسق إيقاعي مع رحلة الحياة، إنّها وارينغا، العاملة.

أولئك الأشخاص الذين لم يألفوها من المحتمل ألا يدركوا بأنّ هذه الفتاة هي مهندسة في الميكانيكا، وتختصّ في محرّكات المركبات ومحرّكات الاحتراق الداخلي الأخرى، أولئك الذين يحبّون أن يستخفّوا بعقل سيداتنا وذكائهن وقدراتهن ربما لا يصدّقون بأنّ وارينغا خبيرة في الخراطة، والتركيبات، في الصهر واللحام، وفي تشكيل الحديد لكي يصْلح لأغراض متنوعة.

إنّ الناس يعشقون الاستخفاف بذكاء نسائنا وقدراتهن الفكرية إذ يقولون إن المهن المناسبة للمرأة هي الطبخ، وإعداد الأسرّة وفتح فخذيها في سوق الجنس. وارينغا الحالية رفضت كلّ تلك الأشياء، قائلة إنّ فخذيها ملكها، وعقلها ملكها، ويداها ملكها، وجسدها ملكها، ولا بدّ أن تمنح كلّ أملاكها الدور الذي يناسبها في الأوقات الملائمة وفي الأماكن الصحيحة، ولن تسمح لأيّ جزء منها أن يكون المتحكّم الوحيد في حياتها ويبدد كلّ الأجزاء الأخرى، ذلك هو السبب الذي جعل وارينغا الحالية تقول وداعًا لوظيفة السكرتارية، وأقسمت بأنّها لن تقوم بعملية الطباعة للأشخاص الذين على شاكلة المدير كيهارا، الرؤساء الذين يكون شرطهم الوحيد لتوظيف الفتاة هو لقاء لمدة خمس دقائق من الجنس بعد مشروب مُسْكر.

هكذا ذهبت وارينغا إلى كلية متعددة التخصّصات لتلقي دورة في الهندسة التي كانت تحلم بها دائمًا عندما كانت في مدرسة ناكورو الثانوية قبل أن يدخل العجوز الثري في حياتها ويبدأ معها رقصة القناص والطريدة، عندما تدخل إلى ورشة الهندسة وتشعر بأنّ جسمها يهتزّ بسبب المثقاب الكهربائي، وهي تقذف شرارات من النار في كلّ الاتّجاهات، أو عندما تطرق الحديد الذي صهرته الأفران الضخمة الحارقة، كانت تشعر دائمًا بأنّها مغمورَة بسرور من تشاهد قوة عقلها وجسدها في الكفاح ضدّ الطبيعة مثل تحويل الحديد المصهور، على سبيل المثال إلى منتجات من شأنها أن تساهم

بتطوير الحياة البشرية.

لكن المهارة التي أسعدتها كثيرًا هي قدرتها على تفكيك محرّكات الاحتراق الداخلي وتجميعها، كانت رائحة احتراق الديزل أو البنزين هي العطر الأكثر نشوة وسُكْرًا، وضجيج الآلات في الورشة، وثقب الحديد بالحديد، وملء الحديد بالحديد، وطرْق الحديد بالحديد، وضجيج العمّال الذين يرفعون أصواتهم فوق ضجيج الحديد على الحديد. بالنسبة لوارينغا، كانت هذه الضوضاء مثل أغنية جميلة تؤدّيها أفضل الجوقات الموسيقية.

موسيقى المصنع الحديث ذلك الأمر جيد.

لقد قضت وارينغا سنتين في كلية العلوم الهندسية، والآن بقيت سنة كاملة حتى تكمل الدراسة.

كانت السنة الأولى هي الأصعب بالنسبة لها، فالطلاب الذكور في فصلها كانوا يسخرون منها، لكنهم عندما شاهدوها وهي تكافح مع الأدوات الحديدية كما يفعلون تمامًا، أو عندما تتصبّب عرقًا أمام الأفران الحارقة مثلهم تمامًا، وعندما تواجه كلّ التحديات، بدأت سخريتهم تتضاءل، وبدؤوا يكتمون ملاحظاتهم الساخرة، لكن كلّ الأفعال والملاحظات الساخرة انتهت بشكل مفاجئ عندما ظهرت نتائج الفصل الأول، وجاءت وارينغا في المرتبة الرابعة لصفٍّ يحتوي على خمسة وعشرين طالبًا، وبدلًا من السخرية تزايد احترامهم لها، وبدؤوا يتعاملون معها بصفتها أحد رفقائهم في رحلة الكفاح.

كانت تعاني أيضًا من بعض المشاكل المالية، فأغلبية الطلاب في الكلية يحصلون على الدعم المادي من أرباب العمل الذين يدفعون كلّ رسومهم الدراسية وكلّ التكاليف الأخرى، لكن وارينغا لم يكن لديها أيّ سند مادي، كانت تدفع الرسوم بطريقتها الخاصة، فالأموال التي ادّخرتها عندما

كانت تعمل سكرتيرة في شركة تشامبيون للإنشاء لم تكن كافية لتسديد الرسوم والإيجار والطعام.

لقد عرض عليها غاتويريا المساعدة لتسديد رسومها وإيجارها، لكنها رفضت ذلك إذ لم تكن ترغب في أن ترهن نفسها مع غاتويريا أو مع أيّ شخص آخر بخيوط الشكر على العمل الخيري، الاعتماد على الذات هو الاعتماد على الذات، وهكذا تمكنت من القيام بذلك عن طريق القيام بشتى المهن مثل قصّ الشعر في صالون نسائي، أو طبع البحوث والمقالات التي كان يحضرها لها غاتويريا من الجامعة.

خلال السنة الأولى لم تحصل على ما يكفي من الراحة، عندما تكون متفرّغة من المعهد تقوم بمراجعة كتبها، وعندما لا تكون منحنية على كتبها كانت تحاول أن تكسب المال عن طريق القيام بمهن غريبة هنا وهناك، وعندما لا تقوم بأيٍّ من تلك الأشياء كانت تحضر لحصص الجودو والكاراتيه في نادي كينيا للفنون القتالية في منطقة نغارا. قرّرت أن تكون قادرة على الدفاع عن نفسها وأن وتقف مع نفسها بكلّ الوسائل.

تبدّدت مشكلة المال في السنة الثانية، حدث ذلك عندما حصلت وارينغا على فرصة تقديم خدماتها ميكانيكية تعمل لحسابها في مرآب مويهوتوري كيوانجا، بالقرب من طريق مونيوا.

كانت وارينغا تتذكّر دائمًا اليوم الأول الذي مرّت فيه بالمرأب المكشوف ظهيرة يوم جمعة حوالى الساعة الثانية. كانت جائعة جدًّا لكن عندما شاهدت الرجال يعملون في تصليح محرّكات المركبات قرّرت، بشكل مفاجئ أن تسألهم إذا كان بالإمكان أن يسمحوا لها بالانضمام إليهم لكسب بعض السنتَات، عندما سمع الميكانيكيون طلبها انفجروا بالضحك، وانتصب أحدهم وكان مستلقيًا أسفل إحدى الشاحنات التي فتح غطاء محرّكها

مسبقًا، وقف ونظر إلى وارينغا باشمئزاز، كان عقله يبحث عن كلمات لكي يجرحها: "أيّتها المرأة، لماذا لا تذهبين وتبيعين الجعة في الحانة؟ هنا لا يوجد صندوق موسيقى يعمل بالعملات لتقفي أمامه وتحرّكي تنورتك لجذب الرجال"، كظمت وارينغا غيظها لأنّ المتسوّل يجب ألاّ يكون حسّاسًا جدًّا من الشتائم، لكنّها قرّرت المواصلة لأنّ الرجل الذي يرغب بالتبوّل عليه أن يذهب إلى دورة المياه فهي لا تأتي إليه. ردّت عليه: " أنا لا أقف هنا بسبب رغبتي في تحريك تنورتي من أجل جذب الرجال".

وقف ميكانيكي آخر كان مستلقيًا أسفل شاحنة أخرى وأعلن بصوت عالٍ، ويحمل نوعًا من السخرية وبشكل متعمد لكي يسمع كلّ أولئك الذين يوجدون إلى جانبه: "لماذا لا تأتين إلى هنا وتقومين بإزالة هذا المحرّك الذي سبّب لنا الصداع طوالالنهار وتفكيكه، وتخبريننا عن سبب العطل؟".

قوّت وارينغا نفسها وأحست فجأة بالشجاعة تتدفق في جسدها من دون أن تتحرك من المكان الذي تقف عليه، قالت وارينغا للرجل إنّه لا حاجة إلى إزالة المحرك، وقالت له بصيغة الأمر: "قم بتشغيل المحرّك فقط"، بعد تشغيل المحرك انتقلت وارينغا إليه ونظرت له لمدة دقيقة فقط. في هذه اللحظة أوقف كلّ الميكانيكيين والعديد من المارّة أيضًا الأعمال التي كانوا يقومون بها، وتجمهروا حول الشاحنة لكي يشاهدوا امرأة قادرة على العصف بقلعة الرجل، أزالت وارينغا عينيها من على المحرّك وبدأت تنظر حولها على الأرض التي تقف عليها الشاحنة بحثًا عن شيء ما، وجدت قطعة من الخشب تشبه الملعقة ذات المقبض الكبير، التقطتها وضربتها فوق إحدى الأحجار لإزالة الغبار عنها، وضعت أحد طرفي القطعة الخشبية على جانب المحرّك ثم وضعت الطرف الآخر في أذنها بالطريقة نفسها التي يضع فيها الطبيب السماعة على صدر المريض وينصت إلى نبضات قلبه، وضعت

وارينغا القطعة الخشبية في مواضع مختلفة من المحرّك، ولم يفهم المشاهدون حولها ما كانت تقوم بِه. توقّفت بشكل مفاجئ ولمدّة من الوقت. ركّزت على حركة المكبس الثالث القريب، بعد ذلك نادت على الرجل الذي يعمل على المحرّك، وأعطته القطعة الخشبية وطلبت منه أن يستمع، فعل ما طلبته منه، فسخر بعض المتفرجين منه بينما قام الآخرون بالتعليقات الساخرة حول الرجال الذين يطيعون الأوامر الصبيانية لنساء مجنونات، من شاهد هذا الضرب من الجنون الذي يتمثّل في محاولة البحث عن عطل المحرّك باستعمال عصا من الخشب؟

طلبت منه وارينغا أن يصف الشيء الذي يستطيع أن يسمعه، ردّ الرجل فورًا: "أستطيع أن أسمع فقط نوعًا من ضجيج الطحن، مثل ضجيج قطع الحديد المعوجّة التي يأكل بعضها بعضا".

سألته وارينغا: "إذن، ما هي المشكلة؟"، الآن حبس الجميع أنفاسِهم، وصمتوا. الرجل الذي تصرّف كخبير منذ لحظة مضت بدأ ينظر حوله الآن بشكل عنيف بحثًا عن المساعدة من الأشخاص الذين يوجدون حوله، وعندما فشل في الحصول على مساعدة في اختباره خفّض عينيه وأحسّ بكرة تغلق حنجرته، وتمتم قائلًا: "لا أعلم ".

قالت له وارينغا إنّ الصوت المزعج ناتج عن تلف سبيكة ذراع المكبس الذي يربط المحرّك بالعمود المرفقي، بدأ الناس المحيطون بالتصفيق وغادر الآخرون المكان وهم يحرّكون رؤوسهم قائلين: "حقًّا مازلنا بانتظار رؤية ما يفوق ذلك، إذن، نساؤنا حصلْن على هذا التعليم الرائع"، رحّب بها العمّال الآخرون واحدة منهم، وسمحوا لها باستعمال أدواتهَم إلى أن تشتري عدّتها الخاصة.

ومنذ ذلك الوقت تطوّرت صداقة عميقة بين وارينغا وبين العمال

الآخرين، وكلما رأوها في العمل أكثر ولا حظوا بأنّها لا تتجنّب أيّ نوع من العمل واحترموها أكثر.

في أحد الأيام أحضر رجل سيارته لكي يفحصها، وعندما لاحظ أنّ وارينغا هي التي فتحت غطاء المحرّك انتابه الشكّ بشكل واضح، لكنه عندما لاحظ جمالها بدأ يضايقها بخفّة، وبعد ذلك لمس نهدها، رفعت وارينغا رأسها ونظرت إليه بعينين لا يخالطهما الضحك وبصوت ليس فيه أيّ مرح ولا أيّ غضب وحذرته بهدوء وبحزم بعدم مضايقتها: "أنا عاملة، لا بدّ أن تقدر أو تحتقر عملي بناءً على أدائي في العمل، لكن نهدي ليس جزءًا من هذه المهمة، جمالي أو قبحي لا علاقة له بالمهمة التي بين يدَيّ"، الرجل اعتبر ردّة الفعل هذه تظاهرا بالامتناع المعتاد عند النساء في بداية الأمر حيث إنّها تنوي الإيقاع به، ولذلك عندما انحنت وارينغا في العمل مرة أخرى ربّت على أردافها.

لا يمكنني أن أصف لكم الدرس الذي لقنته وارينغا لذلك الرجل، والذي لن ينساه ربما إلى الأبد، فقد استدارت كالبرق وفي رمشة عين هاجمته بالعديد من ركلات الجودو وحركات الكراتيه التي جعلته يرى النجوم في وضح النهار، وعندما أشبعته ضربًا بركلات الجودو في النهاية توسّل لها لكي تتوقف: "أنا آسف، وقف الرجل على قدميه وأخذ مفاتيح سيارته ثمّ أدار محرّك سيارته وترك الغبار خلفه فوق الطريق عندما انطلق بعيدًا.

انتشرت سمعة وارينغا في جميع أنحاء المدينة، وازداد احترام العمّال الآخرين لها، وأثنوا على جدّيتها، واحترامها للوقت وشجاعتها.

وارينغا ابنة ثوّار إيريغي.

كان الجهد الذي يبذله كلّ عامل يذهب إلى جيبه، لكن مع نهاية كلّ شهر كان كل عامل يساهم بمبلغ محدّد من أجل المصلحة المشتركة، ومن

هذه المبالغ كانوا يدفعون إيجار أرض المرآب لمجلس مدينة نيروبي والنفقات المشتركة الأخرى، وعندما تقع أيّ مشكلة غير متوقعة لأيٍّ من العمّال فإنّه يسمح له بالاقتراض من هذه المبالغ لكي يسدّد نفقاته أو تسدّد نفقاتها، لم يكن أيّ أحد في ذلك المجتمع العمالي يستغلّ عرق أيّ عامل آخر، كلّ واحد منهم يستلم حسب قدرته، سمعته وسرعة يديه. وفي العمل عندما يكون لدى أيٍّ واحد منهم الكثير من الزبائن كان يمرّر بعضه مع منافعه المالية للعامل الذي لديه عمل أقلّ. لم يصبحوا أغنياء أبدًا بسبب المقاولة، لكن العمل الذاتي كان يوفّر لهم الحاجيات الأساسية للمعيشة، كان طموحهم هو بناء مرآب حديث بملكية جماعية فوق ذلك الموقع في يوم من الأيام، ولقد اتّصل زعيمهم بمجلس المدينة ووعدهم بذلك الموقع.

وهكذا، خلال السنة الثانية، كانت وارينغا لا تزال في كلية العلوم الهندسية تحضر إلى الحصص الدراسية، أو داخل غرفتها في نغارا تقوم بأشغال الرسم جزءا من الواجب المدرسي، أو في مرآب مويهوتوري كيوانجاني.

وارينغا ذاهبة إلى المرآب هذا السبت لتكمل مهمّتها قبل الشروع في رحلتها إلى إيلموروغ.

تدخل إلى فندق بالقرب من المرآب لأنّها تخزن في ذلك المكان وزرة العمل وعدّتها، وكان أغلب العمّال الذين يأتون إلى الفندق من أجل احتساء كوب من الشاي أو القهوة يعرفونها، كما كانوا يتبادلون العديد من الملاحظات والنكت المضحكة بما فيها تلك التي تتعلق بالرجال والنساء، لكن الملاحظات الفكاهية والنكت الجريئة كانت مبنية على الاحترام المتبادِل، لقد اعتبروها واحدة منهم حيث كانوا يشعرون بأنّها تنتمي إليهم.

ترتدي وارينغا الوزرة المملوءة بالزيوت، وتسلّم حقيبة الرحلات البرية وحقيبة يدها لمصلحة الأمانة في الفندق.

تخرج وتعبر الشارع.

يوجد المرآب في الجهة المقابلة للشارع.

بدأ قلبها ينبض بشكل أسرع، لماذا تجمّع العمّال كلهم في مجموعة صامتة، لماذا تبدو وجهوهم مكلومة هكذا؟ لماذا يبدو عليهم القلق في هذه الساعة المبكرة؟

أسرعي، يا وارينغا! أسرعي، هيا يا وارينغا! تحرّكي، يا وارينغا!

"لماذا يبدون بهذا الحزن الشديد؟".

"لا تسألي أيّ أسئلة، يا صديقتي؟ ".

"لا، أخبروني".

"لقد تمّ بيع موقعنا للتو".

"من الذي باعه؟".

"مجلس المدينة".

"ولمن؟ لمن بيع إرثنا؟ ".

"إلى كيهارا ومجموعة من الأجانب من الولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا واليابان".

"إلى المدير كيهارا".

"إنّه يمتلك غالبية نيروبي تقريبًا، إنّهم يخططون لبناء فندق سياحي كبير فوق الموقع".

"لكي يكون للنساء مرافق لازمة لبيع أجسادهن للأجانب".

"لماذا لا يعترفون بأنّهم يبنون مصنعًا للدعارة العصرية".

"ذلك صحيح جدًّا، هذه الفنادق السياحية تهدف إلى تنشئة أمة من العاهرات، والخادمات، والطبّاخات، والأطفال الذين يلمّعون الأحذية، والذين يرتبون الأسّرة والحمّالين. "

"اختصر ذلك في جملة واحدة، وقل: لتنشئة عبيد يلبّون نزوات الأجانب".

المدير كيهارا، احتفالية الشيطان، الأجانب، البيوت المالية، والآن السياحة؟ كانت الأفكار حول كلّ ذلك تتراقص في ذهن وارينغا، وبشكل مفاجئ تذكّرت موتوري ووانغاري ورئيس اتّحاد الطلبة، متى سيطلق سراحهم من الاعتقال إذا كان ذلك سيحدث؟ تشعر وارينغا أنّها تختنق غضبًا.

عندما يُزال السرخس من إحدى الأراضي تُزرع مكانه أشجار التين، لكنَّ كلتا النبتتين تضرّان بالأرض. قال أحد العمال محدثا نفسه: إنني أهرب من البريد نحو الصقيع فحسب. قال أحد العمّال يحدّث نفسه.

قالت وارينغا بصوت مثقل بالدموع ردًّا على العامل الآخر: "سوف يكون الأمر فظيعًا لو سمحنا لهم بقطع أيدينا من دون إبداء أي مقاومة".

لكن قلبها كان يستشيط بغضب ثائر متمرد.

3

إنها ظهيرة السبت من اليوم نفسه، وارينغا وغاتويريا في طريقهما إلى إيلموروغ، القيادة لسيارة حمراء من نوع تويوتا كورولا، فهما يودان قضاء الليلة في إيلموروغ والتوجه بالسيارة إلى ناكورو غدًا صباحًا.

يودّان أن يخبرا والديها بأنهما سوف يتزوجان.

كان غاتويريا يرتدي جينزًا رماديًا، وقميصًا أبيض وسترة جلدية بنية اللون، أما وارينغا فقد استبدلت الجينز الذي لبسته في نغارا بداية ذلك اليوم، وترتدي الآن فستانا طويلًا من الكتّان عليه رسوم أزهار بيضاء وأخرى حمراء، شعرها مربوط على شكل ضفائر تبدأ من مقدمة رأسها إلى الخلف. من سيقول إنّ هذه وارينغا التي كانت ترتدي الجينز بداية ذلك

اليوم؟ ومن سيقول إنّ هذه وارينغا التي كانت ترتدي الوزرة الممتلئة بالزيوت اليوم؟ ومن يستطيع أن يقول إنّ هذه الفتاة الجميلة هي خبيرة في الجودو والكاراتيه؟ من يتخيّل أنّ هاتين اليدين تتحركان بخفّة عندما تمسكان المسدس؟

كان غاتويريا يسرق النظرات إلى وارينغا، لم تتعب عيناه من مشاهدة جمالها أبدًا وعقله الباطن يقول له: "بعد شهور قليلة من الآن ستصبح هذه المرأة الجميلة معروفة باسم وارينغا وا غاتويريا، عندما خطرت بباله تلك الأفكار شعر بقشعريرة؛ وأحسّ أنّ لقلبه أجنحة يطير بها عاليًا ويرتفع؛ وإحساسا بالدفء ينتاب جسده بسبب دماء الحبّ، فبدأ قلبه يغنّي: سعيدة هي المرأة التي ينبض قلبها على صوت المحبوب وهو يناديها عند البوابة عندما يعود من الدفاع البطولي عن بلاده ضدّ هجوم العدو، سعيد هو الرجل الذي ينبض قلبه على صوت حبيبته وهي تسحب الماء أو تجمع النباتات في الوادي، سعداء هم الرجال والنساء الذين تنبض قلوبهم في صوت موحّد عندما يجلسون على المصطبة ليلًا لإبعاد الطيور عن أصابع الدخن، سعداء هم الرجال والنساء الذين تمرّ الدماء عبر أوردتهم وقلوبهم تنادي بعضها بعضا: ماذا بوسعي أن أفعل، يا حبيبتي بعد أن أضناني حبّي لك كثيرًا؟

في تلك اللحظات، أحسّ المتحدث أنّه يقول أبياتًا من الشعر للمغنّي جيكاندي، والمستمع ينصت إلى كلمات الحبيب وهي تنقر على أوتار القيثارة الذهبية الساكنة في القلب، ذلك ما يشعر به غاتويريا ووارينغا الآن في طريق سفرهما إلى إيلموروغ وهما يسألان بعضهما ألغازًا عن الحب.

تحدّث غاتويريا عن الموسيقى، وقرّر بعد احتفالية الشيطان مباشرة أن وقت البحث عن الموسيقى قد انقضى، وأنّ الطائفة التي تنادي وتقول: "سوف أقوم بذلك غدًا"، ستنتظر إلى الأبد ذلك الغد الذي لن يأتي، قرر آنذاك أنه

لن يتحدث عن تأليف الموشح الوطني حتى يكتمل العمل. ملحمة غنائية ستغنّيها مئات الأصوات، رفقة أوركسترا من مئات الآلات، قرّر أيضًا بألّا يناقش موضوع الزواج أو أن يقدّم وارينغا لوالديه حتى يعبر نهر التأليف الذي خطّط له بنجاح.

لمدّة سنتين، كان غاتويريا يركّز على عمله بشكل مطلق وكان يحبس نفسه في المكتب عندما يزوره الإلهام. في تلك الأوقات لم يكن يسمح لأيّ أحد بالدخول إلى مكتبه إذ تصبح المهمة عبثًا عندما لا تتمّ معالجتها.

لقد أكمل غاتويريا الآن ذلك العمل الموسيقي الفذّ، كما أنّه فاز بقلب وارينغا أيضًا، وعندما قبلت عرضه بالزواج منها أرسل رسالة إلى والده على الفور، أخبره بأنّه بعد سنوات من التجوال سيعود مصطحبًا حبيبته معه وثمار البحث عن الموسيقى.

ردّ عليه والده فورًا: "ابني الوحيد، قرارك بالعودة إلى المنزل وطلب البركة من والدك هو قرار جيد، وأملاكي الكثيرة مازالت تنتظر مديرًا لديه معرفة حديثة. عُدْ إلى المنزل بسرعة كي ألبسك أنسب العباءات والخاتم الذي ستضعه حول أصبعك، ولكي أتمكّن من ذبح عجل سمين لك، سنأكل ونمرح معًا لأنّك كنت ميتًا وعدت إلى الحياة مرة أخرى، كنت مفقودا وعثرنا عليك مرة أخرى، أحضر معك الفتاة التي تبتغيها لكي تسعد أجسادنا وأرواحنا معًا، لقد سمع الرّب صرخة قلوبنا.

قالت وارينغا لغاتويريا: "إذن، غدًا سوف يُذبح العجل السمين".

ردّ ضاحكًا: "بل أكثر من ذلك، رسالته توحي بأنّه يظنّ أنّني ذلك الابن المسرِف الذي ذهب إلى بلاد بعيدة وبذّر هناك ثروته على تكاليف العيش الرغيد والموسيقى والعاهرات، أنا متأكّد بأنّه كان يصلي من الأعماق، يتوسّل إلى الرّبّ لأعود إلى المنزل ربما وأتوقف عن رمي لآلئ حياتي أمام الناس الحقيرة".

"ماذا لو اكتشفوا بأنّك لم تتوقف عن رمي لآلئك الثمينة أمام الناس الحقيرة؟ ".

"لست خائفًا، عندما يشاهد ما أحضرته له فسوف يغمر قلبه السرور الكبير".

سألت وارينغا: "هل تقصدني أنا، أم تقصد المقطوعة الموسيقية؟"، والضحك يبدو على عينيها.

سأل غاتويريا: "كيف تقارنين جمالك بأوراق الموسيقى؟!" وهو يتظاهر بأنّه غاضب قليلًا.

"يبدو أنه ليس لديك أدنى فكرة، منذ احتفالية الشيطان تبدين كأنّك قد تغيّرت روحًا وجسدًا، بشرتك صارت شديدة السواد وأكثر نعومة وإشراقا من الزيت العطري، وعيناك السوداوان تلمعان أكثر من النجوم في الليل، وجنتاكِ مثل فاكهتين أكثر نضجا من العلّيق، شعرك أسود وناعم وأملس يجعل كلَّ الرجال يرغبون في الاحتماء في ظلّه من أشعة الشمس، صوتك أعذب من أصوات ألف من الآلات الموسيقية، وارينغا، يا حبيبتي، أنت موسيقى حياتي".

عبارته جعلت وارينغا تتلعثم بشكل مفاجئ، يعبر الظلّ وجهها وتختفي الابتسامة في عينيها، كيف للكلمات التي سمعتها قبل سنتين تنبع من شفاه غاتويريا الآن؟ كانت الكلمات عبارة عن حلم قبل سنتينمضت وهي لا تود أن تخبر غاتويريا بالخوف الذي انتابها فجأة وتريده أن يواصل في مغازلة جمالها وتحاول أن تغير المحادثة إلى مواضيع مختلفة.

تقول وارينغا: "أخبرني عن المعزوفة، في الحقيقة، لم أكن أعتقد بأنّ أيَ موسيقى يمكن أن تتطلب سنتين كاملتين لتأليفها".

"الموسيقى التي تسرد حكاية موطن المرء؟ الموسيقى التي ستعزف

باستعمال أوركسترا مؤلفة من مئات الآلات الموسيقية وتغنيها مئات الأصوات البشرية؟ وتذكّري، لابدّ أن تشيري إلى المكان الملائم لكلّ صوت ولكلّ آلة موسيقية. يا حبيبتي، هناك موسيقى وهناك الموسيقى؛ وهناك أغنية وهناك الأغنية. في الحقيقة، لو لم ألتقِ بك وأحدّق في عينيك، ولو لم يمنح الحب الجناحين لقلبي، لا أعلم إن كنت سأنتهي من تأليف هذه المقطوعة أم لا؟ لكنني عندما أحبس نفسي في المكتب، كنت أتمكّن من رؤية وجهك الجميل يومئ لي، يحثّني، ويقول لي: أكملها حبيبي لكي نتمكّن من الذهاب معًا، الهدية التي ستكون بانتظارك عندما تنهي العمل ستكون مميزة".

ولذلك السبب، قرّر غاتويريا أنّ هذا التأليف الموسيقي هو خاتم خطوبة وارينغا، لقد قرّر أنّه عندما يكمل المقطوعة سيقدمها لها هدية أمام والديه في ناكورو، وقرّر أيضًا أنّ أول عرض موسيقى سيقام ليلة زفافهم، غدًا سيكون أول اتّحاد لقلبيهما، خلال حفلة الغد، سيقدم لها غاتويريا مئتَي لوحة موسيقية، وهي ثمار سنتين من عمل قلبه.

تقول وارينغا لغاتويريا: "لقد سألتك عن الموسيقا وليس عن وجهي"، وهي تحاول أن تغيّر الموضوع.

يدير غاتويريا في ذهنه كلّ المشاكل التي واجهته خلال تأليف المقطوعة، ويتساءل كيف سيشرح عملًا من مئتَي صفحة في حفنة من الكلمات، كيف يمكن تلخيص عمل استغرق عامين من التأليف في دقيقتين؟

بطبيعة الحال، يستطيع غاتويريا في ذهنه إعادة هيكلة كلّ عملية، ومزج الأصوات المختلفة والنغمات المختلفة في شكل متناسق، كيف وأين تلتقي الأَصوات؟ كيف وأين تفترق؟ كلّ صوت يأخذ مساره الخاص؛ وفي النهاية، كيف وأين تلتقي مرة أخرى، تسبح الأصوات المختلفة معًا في انسجام مثل

نهر ثيربريكا الذي ينبع من السهول المنبسطة نحو البحر، كلّ الأصوات تمتزج ببعضها مثل ألوان قوس قزح، ويمكن قول الشيء نفسه عن الآلات. يستطيع أن يعرف في ذهنه أين تلتقي الآلات لكي تشكّل صوتًا واحدًا؛ أين تفترق الآلات؛ أين تحمل كلّ آلة في حدّ ذاتها الموضوع، لكن غاتويريا يستطيع أن يسمع الأصوات بكلّ وضوح والآلات الموسيقية تجتمع مع بعض في جوقة متناسقة واحدة، أحيانًا ترفع قلوب الجمهور إلى قمم الفرح، وأحيانًا أخرى تنزل قلوبهم إلى أعماق الحزن، ويمكن له أن يتصور الجمهور وهم يتمايلون في قاعة الحفل، ويغضبون من أولئك الذين باعوا روح الوطن للأجانب ويتحدثون بنشوة عن أولئك الذين أنقذوا روح الوطن من عبودية الأجانب. عموما، هو يأمل أن تكون مقطوعته هذه قادرة على حثّ الناس وإلهامهم بحبّ كينيا.

كلّ هذه الأشياء تدور في ذهن غاتويريا، كلّ تصور صوتي يطارد التصور الصوتي الآخر للسيطرة على أفكاره وخياله، وعندما كان يقود سيارة تويوتا كورلا الحمراء إلى إيلموروغ، تمكّن من سماع نغمات وأصوات الرجال والآلات الموسيقية وهي تناديه...

يحاول غاتويريا أن يشرح لوارينغا حركات النغمات والأصوات المختلفة، يشرح لها أنواع الآلات الموسيقية المحتمل استعمالها: وذلك لتمثيل العمال والمزارعين عندما ينقذون روح الوطن من العبودية الإمبريالية، يحاول أن يشرح صعوبات كتابة الموسيقى الإفريقية، لأنّ كتابة النوتات الموسيقية الأفريقية لم تُطوّر بعد، وتختلف عن النوتات الأوروبية.

وفجأة اكتشف غاتويريا أن وارينغا لا تنصت.

سألها: "ما الخطب؟".

"أنت ذكرت العمّال والفلاحين، وذكّرني ذلك بوانغاري وموتوري و... و...".

الحركة الأولى

أصوات من الماضي، قبل مجيء الإمبريالية البريطانية
يقطين جيكاندي
وانديني
الطبل، النايات
(الخشخيشات)، الأبواق
آلات النفخ الموسيقية
والآلات الإيقاعية

رقص	نساؤنا	اجتثاث الغابات
لعبة الألغاز	رجالنا	اجتثاث الأحراش
سرد الحكايات	أطفالنا	الحفر
الصلاة	الرجال الشباب	تفتيت كتل الطين
حلّ الصراعات	النساء الشابات	الزراعة
المشاركة في طقوس	الأولاد	الحرث
الاحتفالات	البنات	حماية الدخن من الطيور
الميلاد	الحشد	الحصاد
الولادة الثانية	الجماهير	الرعي
الزواجات		تشييد المساكن
الجماهير		أعمال الحديد
الرعي		صناعة الفخار
الجنازات		

صوت مجموعة من الرجال الشباب
خلال رعي القطيع
للدفاع عن ثروة الوطن
من الأعداء الأجانب لمنعهم من أكل
الأشياء التي أنتجها الآخرون
أصوات الدروع والرماح
أصوات الثوّار

الحركة الثانية

الأصوات الأجنبية
أصوات الإمبريالية
الطبول
الأبواق

بعد أرضنا بعد عملنا بعد العبيد بعد كلّ ظلال الأرض	الأجانب وجيوشهم	أهدافهم: ثرواتنا ماشيتنا محاصيلنا صناعتنا إبداعاتنا

الكفاح ضدّ القوات الأجنبية
أصوات الثوّار
الأبواق
الطبول
النايات

صوت القوات الأجنبية وهي تتراجع
أغاني النصر الوطنية
أغاني ويآكي، كواتاليل، مي كيتيليلي
غاكونجو...

الحركة الثالثة

الأصوات الأجنبية، معسولة، ناعمة بالنفاق
الطبول
النايات
البيانو، الأورغ
الجوقة المسيحية

يقومون بتأمين الولاء من: الرؤساء الأساقفة الإقطاعيون بائعي روح الوطن	الأجانب القساوسة المربيين الإداريين الجنود المسلحين	أهدافهم: الثروة وسائلهم: فرق تَسُد احبس أرواحهم

العلم الإمبريالي

صراع الحضارات
أسْر الناس.
تقسيم الوطن.
الأنشطة الثورية المحظورة.
بعض الشباب يرفعون أذرعتهم إلى الأعلى؛
الآن هم بلا أسلحة.
أصوات جنود الإمبرياليين.
أصوات السلاسل فوق الناس،
الأيدي مكبلة بالسلاسل،
الأقدام مكبلة بالسلاسل.

الحركة الرابعة

أصوات العبودية
البيانو
قيثارة
ساكسفون
طبول وأبواق
أصوات الناس يقطفون الشاي
أصوات الناس يقطفون القهوة
أصوات الناس يقطفون القطن
أصوات الناس يحصدون القمح
أصوات العمّال في أحد المصانع

الحركة الخامسة

رنّات وأصوات كفاح جديد
لإنقاذ روح الوطن
أبواق
طبول
نايات
أصوات البعث
أصوات أبطالنا
أصوات الماو ماو
أصوات الثورة
أصوات الوحدة الثورية للعمال
والفلاحين...

"ورئيس اتّحاد الطلبة؟ ".

"آه، نعم، ورئيس اتحاد الطلبة".

سأل غاتويريا: " هل تنسين ما حييتِ الثالوث المقدس؟ ".

ردت وارينغا: "الثالوث المقدس للعامل، والفلاح، والوطني"، توقّفت، ثم أكملت "لا، لا، لم أنسهم أبدًا، لم أنس أبدًا ظهورهم في المحكمة، يا إلهي، لن أنسى أبدًا محاكمة الثالوث المقدس".

4

تقريبًا حضرت إيلموروغ برمّتها إلى المحاكمة، كانت محكمة إيلموروغ ممتلئة عن آخرها بنوعين من الجمهور، في أحد الجانبين، جمهور على شاكلة كيهاهو وا غاثيكا، وغيتوتو وا غاتنغورو، نديتيكا وا نغونجي، كيمينديري وا كانيوانجي والعديد من أولئك الذين حضروا في احتفالية الشيطان. في الجهة الأخرى يوجد العمّال، والمزارعون، والطلاب، والتجّار الصغار، إلى غير ذلك. كان القاضي رجلًا أبيض يرتدي رداءً أحمر بلون الدم، فيما راح موظف المحكمة يدوّن بعض الأشياء وهو يترجم.

في قفص الاتّهام يوجد موتوري، ووانغاري ورئيس اتّحاد الطلبة، يحرسهم حرّاس السجن والشرطة، اتّهم الثلاثة بجريمة المسّ بالأمن العام في ميدان إيلموروغ للغولف خلال اجتماع نخبة من رجال الأعمال، وفي تلك العملية تسبّبوا بمقتل سبعة أشخاص.

تمّ استدعاء وارينغا وغاتويريا إلى مركز شرطة إيلموروغ، وبعد التحقيق معهم، عرض عليهما ما إذا كانا يرغبان في أن يشهدا في المحاكمة لكنهما رفضا ذلك. أمّا شهود الادّعاء فكانوا من أمثال غيتوتو وكيهاهو والشرطة، لكن الشاهد الرئيس لجهة الادّعاء هو روبن مواؤرا، السائق المالك لحافلة

ماتاتو ماتاتا ماتامو فورد ت لوحة التسجيل رقم 333 م م م.

قال مواؤرا للمحكمة إنّه في أحد أيام السبت أقلّ مسافريْن، وانغاري وموتوري، من نيروبي في سيارتهلكنه اكتشف منذ البداية أن وانغاري وموتوري لم يكونا أشخاصًا محلّ ثقة، حتى إنّ وانغاري رفضت أن تدفع الأجرة، وكانت تضرب على صدرها مدّعية بأنّ كلّ شيء في كينيا يجب أن يقدم مجانًا، ومن الواضح أن موتوري كان متّفقًا مع وانغاري، لأنّه هو من دفع أجرتها. كان موتوري ووانغاري يتحدّثان طوال الطريق إلى إيلموروغ، ولم يتحدّثا عن أيّ شيء سوى اتّحاد العمّال والفلاحين والحاجة إلى ذلك النوع من الشيوعية التي يدعمها طلاب الجامعة، قال: إنه بنفسه سمع بأذنيه وانغاري وهي تتفاخر بأنّها ستفسد الاحتفالية في الكهف بالاحتيال على شرطة نيروبي وإيلموروغ بأنّ ذلك كان تجمعًا للصوص والناهبين، مواؤرا سمع أيضًا موتوري يتفاخر بأنّه سوف يطارد العمّال والفلاحين، وسيدمّر الاحتفالية انتقامًا لطرده من وظيفته في شركة تشامبيون للإنشاء.

قال مواؤرا إنّ هذين الاثنين لهما ارتباط واضح مع شخص يُدعى موريري وا موكيراي، كان مويريري صامتًا في غالبية زمن الرحلة لكن الصمت كان عبارة عن نفاق واضح لأنّه عند نهاية الرحلة كان هو من سلم لموتوري ووانغاري بطاقات الدعوة للاحتفالية، وعندما لاحظ موريري وا موكيراي بأنّ البلبلة التي خطّط لها مع المتّهمين على وشك الانطلاق غادر الكهف بكلّ تأكيد وقام بتأجير حافلة مواؤرا الصغيرة في رحلة ليلية إلى منزله، لسوء الحظ انقلبت المركبة في كينيني، توفي موريري على الفور، وتعطّلت المركبة، ومواؤرا نجا بأعجوبة.

كان مواؤرا في منتصف رواية حكايته عندما سُلّمت مذكرة إلى المدّعي

الذي قرأها ثم صعد إلى الكرسي وهمس شيئًا ما في أذن القاضي، أعلن القاضي فورًا بأنّ التهم ضدّ المتهمين قد سحبت، وبالتالي أصبح موتوري، ووانغاري، ورئيس اتحاد الطلبة أحرارًا الآن، لم ينتظر الناس حتى سماع مادّة من القانون الجنائي التي أطلق سراح المتّهمين بموجبها، فصرخ العمّال والفلاحون والطلاب فرحًا.

ركضت وارينغا خارج المحكمة لكي تعانق وانغاري، وموتوري، ورئيس اتّحاد الطلبة.

أوشكت أن تسقط على الأرض من الصدمة، كانت المحكمة بأكملها محاطة بالجنود المسلّحين بالمسدسات والدروع والهراوات، وعندما خرجت وانغاري، وموتوري، ورئيس اتّحاد الطلبة من قاعة المحكمة قُوبلوا بالمسدسات والسلاسل.

بعد مرور اسبوعين فقط علم الناس أنّ وانغاري، وموتوري، ورئيس اتّحاد الطلبة رهن الاعتقال، وبعد مرور شهر من ذلك اشترى مواؤرا ثلاثة مركبات جديدة حولها إلى ثلاث حافلات ماتاتو، الشركة التي أنشأها كانت تسمى شركة النقل الحديث ماتاتو ماتاتا ماتامو، كان رئيس الاحتفالية أحد مديري الشركة؛ أما المدير الآخر فكان كيميندير وا كاينوانجي.

5

سألت وارينغا غاتويريا: "ألا يزالون على قيد الحياة؟ في بعض الأحيان، أعتقد أنّهم نقلوا إلى تلال نغوغ".

قال غاتويريا: "من يدري؟"، وهو لا يزال يقود سيارته التويوتا الحمراء: "لننتظر حتى الثاني عشر من ديسمبر، من الممكن أن يُطلَق سراحهم مع المحكومين العاديين".

قالت وارينغا: "آمين"، من أعماق قلبها: "ذلك اليوم هو اليوم الذي ستصدح فيه الموسيقى الحقيقية في روحي".

الفصل الحادي عشر

1

من الواضح أنّ مدينتنا إيلموروغ لم تتغير كثيرًا، بعد مرور سنتين كاملتين على احتفالية الشيطان عرفت إيلموروغ التقسيمات نفسها تلك التي كانت من قبل، لقد توسّعت منطقة مرتفعات غولدن، كانت المنازل الفاخرة ذات الجدران المزيّنة بالشموع في شمعدانات مذهبة، والسجاجيد الفارسية على أرضيات الغرف لا تزال تتزايد من ثروة الأثرياء المحليين النافذين، الشيء نفسه بالنسبة للأسّرة المصنوعة من الذهب والفضة. لقد صارت هذه الاشياء شائعة وعادية إلى درجة أنّ أحدًا من سكان المنطقة لم يندهش من الوضع. تزايدت الشركات الأجنبية خصوصًا الأمريكية، والكندية، والغرب ألمانية، والفرنسية، والبريطانية، والإيطالية واليابانية منها، فكانت السيارة هي مثال جيد على السيطرة المتزايدة للبضائع الأجنبية على حياتنا، (الحقيقة اليوم هي إنّه لا توجد صناعة وحيدة للسيارات في العالم، تويوتا، داتسون، مازدا، هوندا، سوبارو، فورد، كاديلاك، فوكس هول، فولفو، فيات، بيجو، رولزرويس، بنتلي، جاكوار، ألفا روميو، مرسيدس بنز، بي. ام. دبليو. وأنواع أخرى، إلا وتجدها تدور على طول طريق إيلموروغ)،

كما أنّ البيوت المالية والمحلات الأجنبية والشركات التي تلّقب نفسها بشركات التأمين والبنوك التي جمعت أموال الناس انتشرت في إيلموروغ بشكل فعلي، وكان مصرفان أمريكيان أحدهما من شيكاغو وآخر من نيويورك هما أحدث من بنى المستودعات التي تمثل قواعد لتجارة المال في هذه الأرض الغنية الثروات.

توسّعت نجيروكا أيضًا، المنازل الكرتونية، والخنادق المملوءة بالمياه العادمة، المعامل الأجنبية المحطمة، والغائط والبول جعل نجيروكا تتوسع قليلًا، وحتى القرى في ضواحي نجيروكا مثل قرية نغينديثيا، حيث يعيش والدَيْ وارينغا، فقد ابتلعتها نجيروكا.

العمّال، والعاطلون، والفقراء، وبائعو الخمور غير القانونية، وبائعو البرتقال والمندازي، والمتاجرون بأجسادهم كانوا مكدسين في ضاحية حي الفقر والقذارة، وفي نجيروكا أيضًا العديد من المحلات الصغيرة التي تبيع اللحوم، والبيض، وخضروات سوكوما ويكي، والملح، والجعة، والفلفل، والبصل والطحين.

كان مالكو هذه المحلّات والمساكن العشوائية من قاطني مرتفعات غولدن، بعضهم يزور نجيروكا لتحصيل الإيجارات والأرباح، لكن أغلبهم كان يوكل المهمة لعصابات تحصيل الإيجار، حتى زبانية الشيطان أسّسوا فرعًا لهم في إيلموروغ.

كان والدا وارينغا يعيشان في نجيروكا، لكنّهما ظلّا يدعوان القسم الذي يعيشان فيه باسم نغينديثيا، وكان منزلهما هناك أكبر قليلًا من المنازل الأخرى لأن وارينغا ساعدتهما على توسعته عندما كانت تعمل سكرتيرة ، ثم ساعدتهما أيضا في دفع رسوم الدراسة وشراء الطعام وذلك بفضل الأموال القليلة التي كانت تكسبها من محل تصليح السيارات. ساعدتهما

أيضًا في دفع رسوم الدراسة وشراء الطعام.

إنّ قرية نغينديثيا، في نجيروكا، في إيلموروغ، هي محطة غاتويريا ووارينغا الأولى.

2

إنّه يوم السبت، حوالي الساعة الخامسة مساءً، والد وارينغا موجود في الخارج، أمّا وامبوي، طفلة وارينغا، والأطفال الآخرون فقد ذهبوا للتسكع في نجيروكا، لكن الجميع على ما يرام. والدة وارينغا في الداخل.

أخبر غاتويريا ووارينغا والدتها عن نيتهما في الزواج ليكون لديهما فرصة لتأسيس بيت خاص بهما أسوة بالبقية. تنحنحت الأم، إنّها سيدة مسنة لكنها واحدة من أولئك الذين لا تظهر عليهم الشيخوخة، وكان فستانها المزين بزهور بيضاء وأخرى سوداء برغم أنّه باهت قليلًا يناسبها كثيرًا. راحت تنفث على صدرها كطريقة لمباركة الأحداث، لكن لديها سؤال لابدّ أن تسأله، سؤال واحد فقط.

"سوف أطرح سؤالي عليك، يا وارينغا، سأسألك أمام هذا الرجل الشاب ليستمع بدوره لإجابتك، لأنّه من الصعب سبر أغواركنّ أنتنّ فتيات الجيل الحالي، هل أخبرت هذا الرجل بأنّه لديك فتاة على وشك سن البلوغ، وأقصد ختانها، لو كان ختان الفتيات قائمًا كما كانت العادة في السابق؟".

سألت وارينغا وهي تضحك: "هل طفلتي الصغيرة وامبوي هي من تسميها بالفتاة؟"، لم أخفِ هذا الأمر، لقد أخبرت غاتويريا بكلّ شيء، فضلًا عن ذلك، لقد التقى معها عندما كان هنا آخر مرة خلال احتفالية الشيطان قبل سنتين، ومع ذلك، لا يمكن لأيٍّ شخص أن يقول إنّ وامبوي وغاتويريا لا تربطهما علاقة الدم، في رأيك ألا يشبهان بعضهما؟ من

الممكن، أن يكونا توأمًا، لكن غاتويريا رجل كبير في السن".

أكّدت والدة وارينغا ذلك: "أنت محقة تمامًا"، بدون أيّ تردّد: "إنّهما يشبهان بعضهما حقًّا".

سأل غاتويريا وهو متوتّر قليلًا: "ماهي علاقة الدم؟ ما هي أهمية شبه الناس ببعضهم؟ الطفل هو الطفل. لقد أتينا جميعًا من الرحم نفسه، رحم كينيا المشترك، وقد أزالت الدماء التي سفكت من أجل حريتنا تلك الفوارق بين هذه العشيرة وتلك، بين هذه الجنسية وتلك، اليوم لا توجد قبائل لوو، كيكويو، كامبا، لوهيا، ماسياي، ميرو، كالينجين أو توروكانا، نحن جميعًا أبناء من أمّ واحدة، أمّنا كينيا، أمّ كلّ الشعب الكيني".

ردّت والدة وارينغا: "لقد تفوّهت بكلام جيد أيّها الشاب، باركك الرّبّ وجعل حرثك خصبًا، اليوم فتياتنا لا يفكرن إلا في إلقاء أطفالهن الرّضع في المراحيض أو رميهم في سلّات المهملات حتى لا يرفضهن الشباب الراغبون بهنّ".

قالت وارينغا: "كنت سأقتل نفسي، وذلك بسبب رفض العجوز الثري الزواج مني، حقًّا، تخيّل أنّني رميت نفسي أمام القطار بسبب الجماعة التي وضعت موتوري والآخرين في المعتقل".

قالت والدة وارينغا: "الأحمق فقط هو الذي يرضع من ثدي أمه الميتة، الشباب هو مجرد حماقة في بعض الأحيان".

"انسِي الأمر"، حاول غاتويريا أن يمنع وارينغا من إعادة مناقشة القضية: "الماضي لا يعود".

قالت وارينغا: "أنا لم أعد أشعر بالأرق بسبب ما وقع لي"، وهي تضحك: "لو تزوّجَت من وايغوكو، ذي الشعر الكثيف على صدره فأين سأعثر على شاب وسيم مثلك؟ لكنني سمعت من أحد الأشخاص بأنّ أولئك الذين على شاكلة وايغوكو

يحلقون صدورهم لتصبح ناعمة بواسطة المال، المال هو الشباب المعاصر".

قالت والدة وارينغا: "المال ليس هو الحياة، سواء كان الرجل عجوزًا أو شابًا، الأهمّ هو السعادة التي تنبع من أفعال الناس فوق الأرض، وارينغا، لماذا لا تأخذي غاتويريا للتنزه في نواحي إيلموروغ، بينما أنا أعدّ لكم شيئًا للأكل؟ اذهبا وعندما تعودان ستجدان أنّ والدك قد عاد، آنذاك يمكنك أن تُطلعيه على كلّ خططك.

قال غاتويريا: "تلك فكرة جيدة، يا أماه"، ووقف: "أنا لم أمشِ في أطراف إيلموروغ منذ تلك الاحتفالية".

3

مرة أخرى توجّه غاتويريا ووارينغا إلى مرتفعات غولدن من أجل نسمة هواءٍ باردة ومنعشة، إنّه المساء، العشب في متنزه إيلموروغ أخضر وناعم، الأشجار هناك تفرد أغصانها وأوراقها مثل المظلات.

أوقف غاتويريا السيارة على جانب الطريق لأنّهما كانا يودّان المشي فوق العشب وبين الأشجار، صعدا أعلى المرتفع لمشاهدة السهول التي توجد في الأسفل حيث مزروعات القمح والشعير التي تعود ملكيتها لمعامل ثينجيتا لصنع الجعة.

هذه هي السعادة، عندما تتدفّق دماء الشباب في انسجام أسفل وادي الحبّ، غاتويريا ووارينغا يقفان معًا، كتفاهما يتلامسان، وهما ينظران إلى السهول المنخفضة والتلال البعيدة.

بدأت وارينغا الكلام: "أشعر دائمًا بالسعادة عندما أسمعك تقول ما قلته في المنزل".

سأل غاتويريا: "ماذا قلت؟ لقد قلت أشياء كثيرة".

أجابت وارينغا على الفور: "إنّه لا عيب في أن تصبح الفتاة حاملًا، وإنّ الطفل الذي يولد خارج إطار الزواج ليس علّة".

سألها غاتويريا: "ألم أقل لك أنّ تنسي الماضي، لنكن سعداء اليوم وغدًا، لقد تجاوزنا العقبة الأولى في رحلتنا، لقد باركت لنا والدتك زواجنا. قلبي ينبض بالسعادة، من يستطيع أن يقول إنّه أوفر حظًا مني؟ لقد ألفت الموسيقى التي كنت أطمح بتأليفها دائمًا، والآن، لديّ هدية ثمينة، جمال يفوق كلّ أشكال الجمال".

قالت له وارينغا: "أنت تقدّم لي الشهادة نفسها التي قدّمها لنا أولئك الناهبون واللصوص في إيلموروغ، ولا بدّ أن تتوقع شخصًا آخر للثناء عليك".

"لكنّني أقول الحقيقة، أنا أغنّي من شدّة السعادة، في رأيك ما هو الأمر الذي يجب عليّ أن أقوم به لكي تفجّر سعادتي ضفتيها؟".

قالت وارينغا: "أنا لا أستطيع أن أقرأ أيّ رسالة مختومة في مظروف قلبك"، كبحت ضحكتها عندما تذكّرت عبارات المدير كيهارا في المكتب: "قل لي ماذا تنتظر، لأتمكّن عندما تفيض سعادتك كالطوفان من أقفز إلى الضفة الأخرى لكي لا تجرفني".

أجاب غاتويريا: "أنا أنتظر مباركة والدَيّ في ناكورو غدًا".

سألت وارينغا فجأة: "صف لي والدَيك، وأنت هل تشبه والدك أم والدتك؟ ".

لم يسمع غاتويريا وارينغا تطرح مثل هذا النوع من الأسئلة من قبل، لم يكن يعلم كيف يجيبها. في أعماقه كان يخجل دائما من والديه بسبب أسلوبهما في تبنّي العادات الأجنبية على الدوام، كما أنّهما يعادلان الثقافة الأوربية بثقافة الرّبّ، حتى الآن لا يعرف غاتويريا كيف سيكون استقبال والدَيه لوارينغا غدًا، خصوصًا عندما يعلمان بأنّ لديها طفلة من

رجل آخر، لكنّه اتّخذ قرارًا بخصوص هذا الأمر: مهما كانت ردّة فعلهما، فسوف تكون وارينغا عروسة له. فضلًا عن ذلك، لا يعلم كيف ستستقبل وارينغا، بدورها، والدَيه، هل ستحتقرهما عندما تشاهدهما في الغدّ؟ هل ستغيّر رأيها فيه عندما تكتشف أنّ العادات الأجنبية التي يناقشانها ويدينانها في العديد من المناسبات مترسّخة في منزل والديه؟

هذه هي الشكوك التي منعت غاتويريا من الكشف لوارينغا عن بطاقة الدعوة التي أرسلها والداه للأصدقاء من أجل الحضور لحفلة الشاي المنظّمة لاستقبال غاتويريا وخطيبته. في البداية، لا يريدها أن تكتشف أسماء الأشخاص الأجنبية التي انتحلها والده لنفسه، كانت البطاقة مكتوبة بالذهب، ومزيّنة في الأطراف بالأزهار الذهبية، لكن الأمر الذي جعل غاتويريا يخجل بشكل أكبر هو أنّ البطاقة تحتوي على تحديد لباس المدعويين في هذه المناسبة، زيادة على اسم المحلات التي يمكنهم شراء الهدايا منها.

احتفالية، احتفالية

بساتين نغوريكا الرائعة

يتشرّف السيد والسيدة هيسبانيورا غرينواي غيتاهي بدعوة

السيد/ السيدة/ الآنسة/ الدكتور/ الأستاذ/ فخامة عضو البرلمان../.

إلى حفل الشاي للترحيب بعودة ابنهما إلى المنزل

السيد غاتويريا غيتاهي، وخطيبته

يوم الأحد بتمام الساعة الثانية

الزي:

الرجال: بزّات سوداء

النساء: فساتين طويلة، وقبعات، وقفازات.

إذا كنتم ترغبون في إحضار هدية بإمكانكم شراء واحدة من
من المحلّات الراقية الآتية:
محل لندن للرجال والنساء في إيلموروغ
محل المنظر الباريسي في نيروبي
محل سيدة روما للأزياء الراقية في ناكورو
أرجو الردّ على الدعوة في أقرب وقت ممكن
السيد والسيدة هـ غ. غيتاهي
بساتين نغوريكا الرائعة
برايفت باغ
ناكورو، كينيا، شرق أفريقيا
الهاتف اتش، سي. أو. في. 00 10000
أرفع عيني إلى الجبال من حيث يأتي عوني، (ترنيمة المصاعد لداوود).

عندما يفكر غاتويريا في البطاقة يشعر برغبة في البكاء، لا يوجد شيء أكثر فظاعة من الأشخاص الذين ابتلعوا العادات الأجنبية كليًا من دون أن يمضغوها حتى، لأنّ هؤلاء الأشخاص أصبحوا مجرد ببغاوات، تلك الشكوك التي منعت غاتويريا من عرض بطاقة الدعوة على وارينغا هي نفسها التي منعته من الردّ على سؤالها.

سألته وارينغا فجأة: "هل نسيت أوصاف والدَيك؟ لماذا لم تجب على سؤالي؟".

أجاب غاتويريا: "أغمضي عينيك حتى مساء بعد الغدّ، وهو يحاول أن يتحدّث بنبرة هادئة"، وعندما تفتحينهما تصوري مَن سوف تشاهدين، والدي غاتويريا، يا للهول، وبعد ذلك سوف تتبدّد كلّ شكوك وارينغا".

طوّق غاتويريا خصرها بينما كان يتحدث، واتكأت هي على كتفه.

تنهدت وارينغا: "آه، غدًا، فلتبزغ أيّها الفجر سريعًا لكي نشارك المياه المنعشة مع الطير المبكّر"، وبدا أنّ صوتها كان يأتي من مكان بعيد جدًّا.

نزلت دمعتان من عينيها كقطرتَي ندى تتشكلان على قشرة ناعمة لثمرة فاكهة ناضجة عندما ترتفع الشمس، الفرق الآن هو أنّ الشمس تغرب في مرتفعات غولدن.

سأل غاتويريا وهو يشعر بالقلق: "ما الأمر؟ ما المشكلة، حبيبتي؟ ما الذي أثقل قلبك بشكل مفاجئ؟ هل أنت غاضبة؟ لقد كنت أمزح معك فقط ".

4

أجابت وارينغا: "الأمر ليس كذلك، لا تأبه لدموعي، أحيانًا أبكي دون سبب معين، ألم أقل لك إنّهم طلبوا منا مغادرة المرآب حيث ورشة تصليح السيارات في مويهوتوري؟".

"تتركون الموقع؟ ترحلون منه؟ ولمن تتركون الموقع؟ ".

"للمدير كيهارا وشركته الجديدة، شركة براديس للسياحة والتنمية ".

"الرجل الذي طردك لأنّك رفضت مضاجعته؟ ".

قالت وارينغا: "نعم، لقد جرّدنا، بمعية أصدقائه الأجانب من ثيابنا في وضح النهار، وبعد ذلك تذكّرت الحكاية الرمزية التي سردها لهم مويريري وا موكيرِي، ثم أضافت بنبرة القسيس: "حتى يتحقّق كلام الرسول، عندما أخبرنا: "كلّ من له يُعطى فيزداد".

أكمل لها غاتويريا العبارة: "ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه"، وهو يتحدث بالنبرة ذاتها.

ضحك وارينغا وغاتويريا معًا، بعد ذلك توقفا عن الضحك في اللحظة

نفسها، وبعد دقيقة غاب كلّ واحد منهما في أفكاره الخاصة، ثم تنهّدت وارينغا وسألت:

"هل تتذكر بأنّني أخبرتك في السابق، في نجيروكا، عن الحلم الذي راودني عندما كنت طالبة في ثانوية في ناكورو؟ بخصوص الشيطان الذي صلبه أشخاص يرتدون الأسمال على الصليب، وفي اليوم الثالث أنزله أشخاص يرتدون بزّات سوداء وربطات عنق من على الصليب".

"بعد ذلك قاموا بالركوع أمامه وبالبكاء: "أرجوك أنقذنا، أرجوك أنقذنا"، نعم، ما زلت أتذكّر بأنّك أخبرتني بشيء كهذا، لكن تذكّري ما قلته لك، يوجد في العديد من الكنائس لوحات ومنحوتات على الجدران والنوافذ، صور كتلك يمكن أن تجلب الكوابيس للمرء".

قال غاتويريا وهو ينظر إلى وارينغا : "لكن لماذا تسألين؟".

"لأنّني حلمت الحلم ذاته ليلة أمس، تعلم فأنا قلما أذهب إلى الكنائس هذه الأيام، لكن حلم الليلة الماضية كان يختلف عن الحلم المعتاد. في حلم ليلة أمس لم ينتظر الأشخاص الذين يرتدون ربطات العنق انقضاء ثلاثة أيام حتى، ولم يقتربوا من الصليب خلسة، بل جاؤوا إثر وضع الشيطان على الصليب مباشرة، كانت تقودهم مركبات مصفّحة ذات مدافع كبيرة، أنزلوه إلى الأسفل، ثم بدؤوا بالثناء عليه، المركبات المصفّحة تحرسهم من كلّ جانب".

سأل غاتويريا: "والناس الذين يرتدون الأسمال، ماذا فعلوا عندما أُلقي القبض عليهم في المكان؟ ".

"لم أتمكّن من المشاهدة جيّدًا، لكن أعتقد بأنّهم تناثروا في الغابات والجبال، وهم يغنّون أغاني لم أسمعها من قبل، استيقظت قبل أن ينتهي الكابوس".

"لا تجعلي الكابوس يقلقك"، حاول غاتويريا أن يرفع معنويات وارينغا:

"لا تنسي بأنّه قبل سنتين شاهدت المركبات المصفّحة وهي تطارد الفلاحين والعمّال والطلاب الذين تمكّنوا من المجيء إلى المحكمة أثناء الاستماع لقضية موتوري ورفاقه، كان الحلم يتعلّق بالمركبات المصفّحة لأن عقلك يدرك بأنّك قادمة إلى إيلموروغ اليوم، هذا هو تفسيره".

قالت وارينغا، بارتياح: "يبدو أنّ الأمر كذلك، يجدر بك أن تكون مفسرًا للأحلام على شاكلة يحي حسين، لماذا لا تؤسّس مشروعًا لتفسير أحلام الناس؟ من الممكن أن يدرّ عليك ربحًا لا بأس به".

"بإمكاني أن ألقّب نفسي بالبروفيسور غاتويريا، مفسّر أحلام الناس وكوابيسهم ، إذا كنتم تحتاجون أيّ عشبة طبية لعلاج كلّ الأمراض، تعالوا للبروفيسور غاتويريا، إذا كنتم بحاجة إلى وصفة حب، تعالوا إليّ فأنا صانع المعجزات، كنت أوّل من يتنبّأ بقدوم اليوم الذي ستشرق فيه الشمس في الصباح وتغرب في المساء".

ثم ضحك الاثنان معًا.

5

حقًا أنّ الحبّ لا يعرف الخوف، حقًّا أنّ الحبّ لا يعرف الألم أو المشاكل أو الأحلام المزعجة، الحبّ لا يعرف الأمس أو أول أمس؛ إنّه يعرف الغد وبعد الغد، بداية السعادة الأبدية، مستقبل وارينغا وغاتويريا سوف يبدأ في الغد.

"لكن ليس هذان الأمرين: طردنا من الموقع والكوابيس، هما ما يدفعني إلى البكاء"، تشرح وارينغا لغاتويريا.

رد غاتويريا: "إذن، امسحي دموعك".

قالت وارينغا:"هذه الدموع لا يمكن مسحها اليوم لأنّها تولّدت من

خليط الأسف والفرحة".

"ماذا تعنين؟ ".

"لم أرجع إلى ناكورو منذ اليوم الذي حاولت أن انتحر فيه، كنت أقول مع نفسي: كانت ناكورو بداية حسرتي، وغدًا ستكون بداية سعادتي".

سأل غاتويريا: "ما العيب في ذلك؟ ناكورو الغد سوف تنتقم من ناكورو الأمس".

يحاول غاتويريا أن يخفّف من العبء الذي تحمله وارينغا داخل قلبها.

"نعم، ناكورو ستكون مصدرًا للدموع والسعادة".

قال غاتويريا: "آمين، إذن امسحي دموعك، لأنّ ناكورو هي أرض المعجزات، إنّها تولّد السعادة من الحسرة، لماذا لا تمسحين دموعك؟ دعيني أمسحها بقبلات الحب".

صرخت وارينغا: "نعم، أنت بروفيسور في الكذب"، وهي تدفع غاتويريا بيد لم تقصد بها إبعاده عنها: "أين تعلّمت هذه الطريقة الأجنبية في التقبيل؟ لا تنكر أنّك لم تتخلّ عن العادات الأجنبية أبدًا".

ردّ عليها غاتويريا: "اعترفي بأنّك تريدين قُبلات الرجال السود"، وهو يبتسم يقترب منه ، فانحنت بعيدا عنه، لكنهما يواصلان الحديث طوال الوقت، قال غاتويريا: "قبلات وهمسات في أسرّة الحب"، ثمّ بدأ يغني أشعار لموثونغوسي:

غاتويريا: حيث أمسكك الآن

حيث أمسكك الآن

هل تشعرين أنّني أضغط بشدّة؟

وارينغا: حيث تمسكني الآن

حيث تمسكني الآن
الوضع جيد هكذا
أيّها الرجل، أمسكني، ولا تفلتني

غاتويريا: ارقصي، وسنذهب إلى المنزل معًا
ارقصي، وسنذهب إلى المنزل معًا
يا حبيبتي
لأنّني لن أسمح لك بأن تتركيني خارجًا في البرد

عندما غنّى آخر بيت، أمسك وارينغا وعانقها، وسألها: "من علّمك أغاني ورقصات موثونغوسي؟ ".

ردّت وارينغا: "الرجل العجوز الذي أخبرتك عنه، الرجل من باهاتي، ناكورو، الذي قال لي حكاية نجينغوري، الشخص الذي باع نفسه للشيطان وأصبح محارة فارغة".

"لكن لم يطلب منك أن تستعمل الأغنية لأغراض شريرة، على التلّ الذي تشتدّ ظلمته".

"ألم تسمعي بأنّ الظلام يجعل الراقص السيئ يرقص بكلّ ثقة؟

سأرقص هنا على السطح
سأرقص هنا على السطح
أوه، يا وارينغا
لأنّ الوادي في الأسفل يخصّ المالك".

قالت وارينغا وهي تضحك: "ابتعد، أيّها الشرير، ألا ترى الندى فوق

العشب، وأنّ الظلام قد حلّ؟ ".

همس غاتويريا في أذنها: "تعالي إليّ يا حبيبتي وهو يشدّها إلى الأرض.
العشب سرير مجاني منحه الرّبّ لنا، والظلام غطاؤه ".

الفصل الثاني عشر

1

عندما أتى غاتويريا لكي يأخذ وارينغا صباح الأحد وجدها مستعدّة، ثيابها جميلة من رأسها حتى أخمص قدميها، فأصيب بالدهشة ولم يستطع التعرف عليها في البداية.

كانت وارينغا تلبس زي كيكويو، قماش بُنّي اللون، مطوي قليلًا من طرفه، ويمرّ تحت إبطها الأيسر، ويلتقي طرفا القماش ويثبّتان بدبابيس على شكل وردة فوق الكتف الأيمن كي يكون كتفها الأيسر عاريًا تمامًا، كان القماش طويلًا ويصل إلى كاحليها؛ وكان طرفاه مثبّتين على جانبها الأيمن بالدبابيس، حول خصرها وضعت حزامًا منسوجًا من القطن الأبيض، نهايته الطويلة والمرتخية تتدلّى إلى الأسفل ليصل إلى القماش عند كاحليها، في قدميها انتعلت زوجًا من الصندل مصنوعًا من جلد الفهْد، يطوّق عنقها عقد من العقيق الأبيض والأحمر والأزرق، والذي تربّع على نهديها بصورة رائعة، وتزيّن أذنيها بأقراط نيوري، كان شعرها أسود ناعمًا، ومنسدلًا.

عندما كانت تمشي، بدت وارينغا كأنها ابنة الحُسن، كأنها أُمٌّ لكلّ أشكال الجمال الذي خلقه خالق التوأمين، الحسن والجمال.

"هل يمكن لقطعة بسيطة من القماش أن تكون جميلة إلى هذا الحدّ؟"، كانت هذه هي أولى كلمات غاتويريا بعدما استعاد قدرته على الكلام.

"هل تقصد بأنّ القماش أكثر جمالًا مني؟ في تلك الحال عليّ أن أخلعه في الحال"، قالت وارينغا ممازحة.

"الجسم الناعم يُصنع من الزيت العطري"، قال غاتويريا بالنبرة المازحة نفسها: "لكن الزيت العطري لا يُصنع من الجسم الجميل"، لا تصنع الملابس امرأة، بل المرأة هي من تصنع الملابس".

"أحيانًا أشعر بالذنب عندما أزيّن جسدي"، قالت وارينغا بنبرة حزينة قليلًا.

سأل غاتويريا: "لماذا؟ ".

أجابت وارينغا: "هذه الأوقات ليست لنزيّن أجسادنا بالعقود والعطر، هذه أوقات لكي نجعل أجسادنا وأذهاننا على أهبة الاستعداد".

"لأجل ماذا؟".

من أجل "النضالات القادمة".

أجاب غاتويريا على الفور: "تلك النضالات ستأتي قريبًا، أمّا اليوم فهو اليوم، لا تخلعي ثوبك، لا يزال النضال من أجل ثقافات وطنية هو نضالًا وثيق الصلة بذلك"، بدأ في الغناء وانضمّت إليه وارينغا.

غاتويريا: لو كانت جنة الرّبّ قريبة جدًّا
لرفعت دعوى قضائية ضد النساء.
أجساد جميلة مُنحت لكُنّ مجانًا من الرّبّ
لماذا تدمرْنها بكريمات تبييض البشرة؟

وارينغا: أيها الشاب، أسرع، أسرع، فنحن سنمضي
أركض، أركض بسرعة، فنحن سنمضي إلى محكمة الجنة
منحكم الرّبّ عيونًا بالمجان
أوه، لماذا يسعد شعبنا عندما يشاهدون الأشياء الأجنبية؟

بمزاج مرح، صعدا إلى سيارتهما التويوتا للذهاب إلى ناكورو لوضع حدّ لكلّ الشكوك.

واصل غاتويريا اختلاس النظرات إلى وارينغا وهو يثني على الطريقة التي لبست بها القماش والعقيق، إلى أن اضطرت إلى تحذيره: "ركّز على عجلة القيادة، أيّها الشاب، أم أنّك تريد أن ننقلب مثل حافلة الماتاتو ماتاتا ماتامو؟ "

أجاب غاتويريا: "الحياة الدنيوية مثل غيمة عابرة، لو انقلبت بنا السيارة الآن فسأكون سعيدًا جدًّا لأنّك إذا وقفت عند باب الجنة وأنت بهذا اللباس فالملائكة التي تحتفظ بالمفاتيح ستسرع إلى فتح البوابة على مصراعيها، وحين تدخلين، فأنا، المذنب، ستكون لديّ فرصة بالدخول إلى الجنة أيضًا، وأعيش معك إلى الأبد برفقة الرّبّ".

"هذه الدنيا هي مسكني، لن أكون عابرة سبيل، لذلك عليك القيادة بحذر، فأنا لم أعد على عجلة للوصول إلى الجنة".

"أنت على صواب، وبما أنّ دنياكِ هي جنّتي أرى أنّ عليّ النظر إليك مرات متعددة، لأنّه لا يوجد شخص يقنع بنظرة واحدة إلى الجمال".

توقّفا في أماكن مثل نيفاشا وجيلجيل من أجل الشاي أو المشروبات الباردة لإضاعة الوقت إلى حين حلول الساعة الثانية، ولم يكن غاتويريا حزينًا بشأن ذلك، غمرت الفرحة قلبه عندما شاهد وارينغا تمشي، وهي

ترتدي ذلك القماش وعقدها وأقراطها، فضلًا عن حقيبة يدها المعلقة على أحد كتفيها، بالكاد تستطيع رؤية عقبَي كعبيها، وغاتويريا لم يكن بمفرده حيث توقّف العديد من المارّة للنظر إليها.

قال بعضهم: "أوه، تلك سيدة جميلة المنظر".

علّق آخرون قائلين: "انظر، لا يوجد تقليد لا يمكن تطويره كما ترون، حيثما تذهب سوف يندهش الناس من جمال تلك السيدة الشابة".

عندما عادا إلى السيارة، أكّد لها غاتويريا تعليقاتهم: "أولئك الأشخاص يقولون الحقيقة، لا يوجد أيّ تقليد، لا يمكننا، نحن شعب كينيا، أن نطوّره ونعمل على تأسيس عمارتنا، أغانينا وطريقتنا في أدائها، مسرحنا، أدبنا، تكنولوجيتنا، اقتصادنا. وعلى الرغم من أنّ مويريري وا موكيراي لم يرفض نظام أكل الأشياء التي أنتجها الآخرون، إلا أن بعض ما قاله كان صحيحا، لقد كان جوهر خطابه صائبًا: لا يجب علينا أن ننساق دائمًا وراء الأشياء الأجنبية، السير على خطى الآخرين، غناء الأغاني التي ألّفها الآخرون فقط، والانضمام إلى جوقة يؤدّيها مغنون منفردون من بلاد أخرى، نحن قادرون على تأليف أغانينا الخاصة، وإنتاج الأغاني التي يغنّيها المغنّي منفردًا، وغناء الأغاني لأنفسنا".

قالت وارينغا لغاتويريا: "من الممكن أن يؤدّي تأليفك هذا إلى خلق ثورة في الموسيقا الكينية"، ثم أضافت وهي تضحك، غاتويريا، !".

"أنا لست سياسيّاً، لذلك لا أعرف التشدق بالكلام فيما يخص موهبتي" قال غاتويريا "ثورة؟ كلماتك تذكّرني بما قاله المؤلف الروسي، إيغور سترافينسكي ذات مرة في كتابه شاعرية الموسيقى، قال إنّه لا توجد ثورة حقيقية في الموسيقى فكل مؤلف يضيف شيئًا لما ألفه الآخرون من قبل، لكنّي أقول آمين لأفكارك، يجب علينا، نحن الكينيين الشباب، أن نكون

النور الذي يضيء الطرق الجديدة لتقدم كينيا.

أنت، على سبيل المثال، مثال جيّد على الأشياء التي أقولها، التدريب الذي حصلت عليه في الهندسة الميكانيكية، التركيب، والتصليح وصناعة القوالب هي خطوة مهمّة جدًّا، إنّها نوع من الإشارات لكي تعرض الفتيات الأخرى قدراتهن ومؤهلاتهن".

لم تسمع وارينغا صوت غاتويريا لدقيقة، غير أنّها كانت تسمع صوت المحاضر وهو يتحدث عن كيفية عمل المحرك ذي الاحتراق الداخلي، خاصّة محرّك المركبات.

"لمحرّك المركبة عدّة أجزاء تمكّنه من الاشتغال، الطاقة التي تجعله يعمل تنبع من الاحتراق الداخلي للوقود، يلعب محرّك المركبة دورًا كدور القلب في جسم الإنسان، المحرّك هو الذي يقوم بتحويل خليط الوقود والهواء إلى طاقة تجعله يتحرّك، يوجد نوعان من محرّكات الاحتراق الداخلي، محرّك يعمل بالديزل، وآخر يعمل بالبنزين، لكن الآن سنتحدّث عن المحرّك الذي يعمل بالبنزين فقط، للمحرّك وحدة مكوّنة من أربع أو ست أسطوانات، ولكلّ أسطوانة مكبس مرتبط بالعمود المرفقي عن طريق ذراع المكبس، المكبس يلعب دور المدقّة التي تسحق الهواء والبنزين، يوجد صمامّان في كلّ أسطوانة، مدخل مزج البنزين والهواء، ومخرج للعادم، لكل أسطوانة سدّادة لهب، ويُمزج الهواء والبنزين في المبرّد.

الاحتراق يمرّ بأربعة مراحل، الإدخال، الضغط، الاحتراق أو الاشتعال والعادم، لنأخذ إحدى الأسطوانات، لنرَ كيف تعمل، الآن، عن طريق تدوير المحرّك، يبدأ العمود المرفقي بالدوران، يسحب المكبس إلى أسفل الأسطوانة، وينفتح مدخل الصمّام، يتمّ حقن الهواء والبنزين داخل الأسطوانة، لكي يملأ الفراغ، الآن، يبدأ المكبس الموجود أسفل الأسطوانة بالتحرّك نحو الأعلى، في

تلك العملية يقوم بضغط الهواء والبنزين، ويقوم بإغلاق مدخل الصمّام، يشتعل قابس الشمعة، ينفجر الهواء والبنزين المضغوط، الآن، طالما أنّ كلّ المداخل والمخارج مغلقة، تدفع الطاقة الناتجة عن انفجار المكبس إلى الأسفل، يتحرّك العمود المرفقي، وقبل أن يتحرّك المكبس مرة ثانية، ينفتح صمام المخرج؛ فينطلق الغاز من العادم، وهكذا دواليك، الطاقة القادمة من المحرّك يأخذها القابض، وعلبة التروس، ودوّاسة البنزين، التي تقوم بتوزيع تلك الطاقة إلى المحورين حيث تقوم بدورها بتوزيعها على العجلات، لكن يمكننا أن نقوم بشرح هذه التفاصيل مرة أخرى، درس اليوم هو بداية لأشياء عظيمة سوف نتطرق إليها. "

استيقظت وارينغا من ذكرياتها الماضية على صوت غاتويريا الذي تحدث بمرارة مفاجئة: "ماذا عن اليوم؟ تُستغلّ مؤهلات وقدرات نسائنا في الطباعة، أو الحانات، أو الأسرّة في تلك الفنادق التي شيّدناها في كلّ ركن من بلادنا لإرضاء السياح، كم هو مخزٍ لكرامتنا الوطنية عندما تكون النساء مجرد أزهار لتزيين أسرّة السياح الأجانب، لكي يقوموا، عندما يعودون إلى بلدانهم، بالثناء على كرم نسائنا في السرير، أذلك ثناء حقيقي أم ازدراء؟"

أجابت وارينغا: "لا يجب علينا أن نلوم الأجانب، حتى أنتم، الرجال الكينيين، تعتقدون بأنّ النساء لا يمكنهن القيام بأيّ عمل سوى طبخ طعامكم وتدليك أجسادكم. منذ عدة أيام، قلت لبعض الشباب إنّ طموحي هو تصميم وصناعة آلة بسيطة لتخفيف العبء عن النساء القرويات، الآلة البسيطة التي سوف تغتنم أعظم مصدر للطاقة على الأرض. لماذا نسي الناس كيف تمكّنت النساء الكينيات من صناعة السلاح خلال حرب الماو ماو ضدّ البريطانيين؟ ألا يستطيع الناس أن

يتذكّروا المهام المختلفة التي أدتها النساء في القرى عندما وضع الرجال في مخيّمات الاعتقال؟ أغنية الثناء تبدأ في البيت، إن لم تكونوا، أنتم أيها الرجال الكينيون، على درجة كبيرة من القمع والازدراء لما احتقرنا الأجانب الذين تتحدثون عنهم إلى هذه الدرجة.

قال غاتويريا بسرعة: "لا يهمّ ذلك، لا يهم ذلك"، وهو يهدّئ وارينغا، ثم أضاف: "لنتفق على أنّ هذه بداية جديدة لأشياء جيدة سوف تأتي في المستقبل"، كان طموحه ينبع من قناعته بأنّ الأمور ستتغير في نهاية الأمر.

بعد ذلك تذكّر غاتويريا بطاقة الدعوة لحفل اليوم، والطريقة التي قام بها والداه بتوصية الضيوف بالزي الذي سيرتدونه في الاحتفالية، ثم سكت وهو يتأمل الصدمة التي ستصيب والديه عندما يشاهدا زي وارينغا القماش، العقد العقيق وأقراط نيوري.

ضحك غاتويريا في أعماقه، فكّر في أن يقدم البطاقة لوارينغا لكنّه تخلّى عن الفكرة بعد ذلك.

قال مرة أخرى: "بداية الأشياء الجديدة والأكثر إنتاجية وعطاء سوف تأتي"، وهو يتحدّث مع نفسه كي يرفع معنوياته وليس معنويات وارينغا.

قالت وارينغا: "لنأمل ذلك"، لكن بعد وقفة، تراجعت عمّا قالته: "لا، يجب ألّا نكون مسرورين بالأمل، لن ننتظر الأمور كي تقع من تلقاء نفسها بعد اليوم، لماذا لا نجعل الأمور تحدث بالطريقة التي نرغب بها؟ ".

قال غاتويريا: "لنجعلها تحدث الآن".

كررت وارينغا: "لنجعلها تحدث الآن".

"ثورة متمرّدي ايريغي".

قالت وارينغا: "بداية جديدة لأرض جديدة".

صرخ غاتويريا: "لتكن كذلك"، وضغط بقدمه اليمنى على المسرّع بشدّة.

2

في الحقيقة رحلتهما إلى ناكورو كانت ممتعة، وبقيت ممتعة عندما مرّا على "لانيت"، وعندما انعطفا بسيارة التويوتا الحمراء باتّجاه نغوريكا، ظلّت رحلتهما ممتعة حتى عندما سارا إلى منزل السيد والسيدة هيسبانيورا غرينواي غيثاهي، في حدائق نغيروكا الرائعة.

وأنتم يا من كنتم هناك، ماذا يمكنني أن أقول؟

3

كانت رحلة وارينغا وغاتويريا ممتعة حتى وهما يسيران عبر بوابة بيت العائلة؛ بل بقيت ممتعة عندما وصلا إلى الحديقة ووقعت عيونهما على وجوه كيهاهو وا غاثيكا، وغيتوتو وا غاتنغورو، ونديتيكا وا نغونجي، وكيميينديري وا كانيوانجي، والعديد من الأشخاص الآخرين الذين شاهدوهما آخر مرة في احتفالية الشيطان في إيلموروغ قبل سنتين، كان روبن مواؤرا، صاحب شركة النقل الحديث ماتاتو ماتاتا ماتامو، بين الحضور باعتباره أقلّ بعض الضيوف الأجانب في سيارات الأجرة الجديدة الخاصة به.

لم تكد وارينغا تصدق ما تراه بعينيها، لكنّ عينيها لم تكونا تخدعانها، عمّتها وعمّها كانا هناك...

4

ماذا تقول؟ تلك الأشياء لا يمكن أن تحدث؟ امنحني القوة، أنت الذي طلبت مني أن أروي لك هذه الحكاية، امنحني اللغة، امنحني الكلَمات...

5

الشيء الذي وقع بعد ذلك حكاية رُويت مرات عدّة، لكنّها حكاية يصعب على أولئك الذين لم يحضروا هناك تصديقها، ألهمني اللغة، امنحني القوة، أنت الذي أمرتني أن أروي هذه الحكاية، امنحني الكلمات...

6

عندما سار غاتويريا ووارينغا داخل فناء المنزل استقبلهما خدم يرتدون زيًّا رسميًا موحدًا، سراويل مخطّطة، معاطف سوداء ذات ذيل طويل نوعًا ما، قبّعات، وقفّازات بيضاء، رافق هؤلاء وارينغا وغاتويريا نحو غرفة خاصة، حيث يوجد والد غاتويريا رفقة نخبة من أعيان البلاد، كان في انتظار استقبالهما حيث تمّ ترتيب الأمور ليكون والد غاتويريا هو من يستقبل عروس ابنه، ويكون أول من يمسّها، لا بدّ أن يكون صاحب المنزل هو من يستقبل عروس ابنه الوحيد حسب التقاليد الحديثة.

كان الضيوف مصطفّين على الجانبين، وقاموا بالتصفيق عندما مرت وارينغا وغاتويريا بالقرب منهم.

كان الرجال يرتدون بدلات سوداء، وقمصانًا بيضاء مكشكشة، وربطات عنق على شكل فراشة، أمّا النساء فكنّ يرتدين ثيابًا غالية بألوان مختلفة، لكن كلهنّ يرتدين قبعات وقفازات بيضاء.

على الأطراف الخارجية، وقف الضيوف والسياح الأجانب، يرتدون ثيابًا خفيفة مناسبة ليوم مشمس، ويستمتعون بمشاهدة المشهد الذي يعرض أمامهم كما لو أنّهم يدرسون العطاءات السخيفة التي أنتجتها بعثاتهم التحضرية.

نظرت وارينغا إلى عمّتها وعمّها لكي تبدّد الشكوك التي شعرت بها، شاهدتهما وهما يخفيان وجهيهما؛ ظنّت أنّهما أحسّا بالخجل من طريقة لباسها.

كان المدخل المؤدّي إلى الغرفة الخاصّة مفروشًا بسجادة حمراء، أمّا الغرفة فكانت مفروشة بسجادة خضراء سمكها أربع بوصات، ومن السقف تدلّت الثريات مثل باقات من الفواكه الزجاجية.

كان والد غاتويريا يجلس على كرسي مرتفع عليه العديد من الوسادت بألوان مختلفة، على جانبيه يجلس أصدقاؤه من أعيان البلد فوق كراسٍ مشابهة للكرسي الذي يجلس عليه، إلّا أنّها كانت أصغر قليلًا.

انتشر خبر عودة الابن الوحيد إلى بيته في جميع أنحاء المنطقة، وهذا ما جعل الناس يتوافدون إلى الحفل بأعداد كبيرة، نعم، خبر عودة الشخص المفقود إلى مسكنه لنيل مباركة والده وجميع المسنّين المحيطين به انتشر بطول البلاد وعرضها.

أحسّت وارينغا أنّها ممثلة في أحد الأفلام.

ذلك ما أحسّت به عندما خطّت أول خطوة، ووقفت على البساط الأحمر.

ذلك ما أحسّت به عندما دخلت إلى الغرفة الخاصة، ووقفت فوق البساط الأخضر.

ذلك ما أحسّت به عندما نظرت في أنحاء الغرفة.

وفجأة التقت عينا وارينغا بعينَي والد غاتويريا.

والد غاتويريا؟ أوه، لا!

التقت عينا وارينغا مع عيني العجوز الثري من نغوريكا، الذي كان يجلسَ على الكرسي المرتفع، ومستعدًا لاستقبالها.

والد غاتويريا؟ والد طفلتها وامبوي!

7

"أبي، هذه، هي"، هكذا بدأ غاتويريا بتقديم وارينغا، أوقفه والده بإشارة من يده، كان عجوزًا قوي البنية وصلعته التي قسمت شعره الأبيض إلى قسمين، تلمع تحت الضوء.

غير أنّ وجهه لم يفصح عن أيّ شيء.

صوته أيضًا لم يفصح عن شيء عندما طلب من الجميع مغادرة الغرفة، بما فيهم غاتويريا كي يتعرّف على خطيبة ولده، ولكي يتعرّف أبو الزوج على زوجة الابن.

"غاتويريا، اذهب والقِ التحية على والدتك، وخذ هؤلاء الضيوف ليلتحقوا ببقية الضيوف الآخرين، اغلق الباب خلفك رجاء. وأخبر والدتك وأكد عليها أنني لا أرغب في أن يزعجني أيّ شخص.

غادر الضيوف الغرفة وهم ينظرون إلى وارينغا بدهشة، بعضهم كان يتمتم مع نفسه: "شباب اليوم حقًّا جميلين، التقدّم في العمر يعتبر كارثة".

اعتقدوا أنّ الأمور كانت تسير كما خُطّط لها، لم يدرك أيّ شخص بأنّ تطوّرًا غير متوقع في مجريات الأمور قد يحدث، لا أحد، وأعني لا أحد، باستثناء وارينغا ووالد غاتويريا.

والد غاتويريا؟ والد وامبوي!

8

كانت يدا العجوز الثري من نغوريكا ترتعشان، مدّ ذراعيه ووضع يده على الإنجيل الذي كان على إحدى الطاولات أمامه، طوال هذا الوقت كانت عيناه مصوّبتين نحو وجه وارينغا، كانت شفتاه ترتعش أيضًا، لم يعرف من أين يبدأ.

احترقت جمرة الكلام عند مقبضها.

وقفت وارينغا في المكان، عيناها الجريئتان التقتا مع نظرة العجوز الثري، نقلت حقيبة يدها من كتفها الأيمن إلى كتفها الأيسر.

قال لها العجوز الثري: "ألا ترغبين في الجلوس؟"، وهو يقف ويدفع الكرسي باتجاهها.

لكن وارينغا لم تبرح مكانها، لم تنطق ولو بكلمة واحدة.

غاص العجوز في مقعده، لا تزال عيناه موجهتين نحو وارينغا:"هل علمت، هل علمت أنّ غاتويريا هو ابني، ابني الوحيد؟ ".

هزّت وارينغا رأسها.

وقف العجوز الثري مرة أخرى وقال لوارينغا: "هيا بنا نركع معًا ونصلّي".

هزّت وارينغا كتفيها غير مبالية، وبقيت واقفة.

"أرجوك، أتوسّل إليك، دعينا نصلِّ معًا لكي يدلّنا الرّب على الطريق".

لم تتحرك وارينغا، أمّا العجوز فركع على البساط أمام وارينغا.

كانت وارينغا تنظر إليه مثلما ينظر القاضي لسجين مذنب وهو يطلب الرحمة.

حاول العجوز الصلاة، لكن تمتمات الصلاة كانت عصيّة.

افترّت شفتا وارينغا بشكل خفيف، كادت تضحك، لكنّها لم تفعل.

فتح العجوز عينيه ونظر إلى الأعلى حيث عينا وارينغا اللتان تتراقصان من الضحك والسخرية.

ارتعشت شفتاه، تخلّى عن صلاته، ثم بدأ يذرع المكان جيئة وذهابًا، ويداه متشابكتان خلف ظهره، لكن بعد سير القليل من الخطوات كان يتوقف لكي يلمس الطاولة أو الكرسي الذي كان يجلس عليه.

لم تحوّل وارينغا نظرها عنه للحظة.

وبعد ذلك توقّف عن السير فجأة ووقف أمامها.

قال بصوت يشبه الغريق: "هذه محاكمة" ، ثم خفض نظره فلم يرغب في أن ينظر إلى وجه وارينغا مباشرة، ثم واصل بالصوت نفسه: أتعلمين أنّ كلّ ما خططت له أنت وغاتويريا مستحيل اليوم؟ ".

لم تقل وارينغا شيئًا، واصلت النظر إليه فقط.

بدأت قطرات العرق تلمع على صلعته الملساء.

وبشكل مفاجئ أحسّت وارينغا بالأسف على الرجل، بدأت تتحدث ثم توقّفت، لكنّ سهمًا حاد الطرف من الشفقة ثقب قلبها.

أحسّ العجوز الثري بتغيير طفيف في الوضع، اعتقد أنّه رأى صدعًا صغيرًا في جدران قلب صلب، فأسرع ليوسّع ذلك الصدع بالكلمات.

"يا جاكينتا! يا وارينغا! لا يوجد شيء لن أفعله اليوم، فعلًا ليس هناك ما لا أودّ فعله لك اليوم إذا قمت بإزالة هذا العبء عني، أرجوك، جاكينتا، أتوسّل إليك باسم السيدة التي ولدتك، إنّ سعادتي، ومكانتي، وثقتي، وأملاكي، وحياتي، كلّ ذلك بين يديك، خذي هذا العبء عني".

أحسّت وارينغا بالضحك يرتفع في قلبها، لم تعد لدغة الشفقة تؤلمها، لكنها لم تفتح فمها أو تقول إلا كلمة واحدة: "كيف؟ ".

لم يسمع العجوز صوت وارينغا لمدّة طويلة، رفع عينيه على الفور كأنّ كلمة وارينغا الوحيدة كانت رمحًا أصاب قلبه، نظر إلى عينيها السوداوين، وبدأ يتحدث بشكل أسرع وأسرع، معتقدًا أنّ بإمكانه توسيع صدع الشفقة داخل قلبها.

"اتركي غاتويريا، إنّه ابني الوحيد، وأنا أحبّه كثيرًا، بالرغم من أنّه ولد عاق ويودّ أن يشقّ طريقه بشكل مستقل بنفسه بدلًا من السير على خطواتي، فضلًا عن ذلك، غاتويريا هو ابنك تقريبًا، وهكذا فإنّ مشروعكما مستحيل

ما دمت على قيد الحياة، لأنّه سوف يكون مثل الابن الذي يتزوّج والدته، فكأنما يتزوج ابني زوجتي وأنا على قيد الحياة، لن أتمكّن من التنفس ليوم واحد آخر بسبب العار أمام أهلي وأمام الرّبّ.

سينهار بيتي، وأملاكي ستبقى بلا مدير، حياتي سوف تتكسّر إلى سبع قطع، جاكينتا، أنقذيني!".

"كيف؟ ".

ومرة أخرى اندهش العجوز الثري من نبرة صوت وارينغا، بدأ يذرع المكان جيئة وذهابا مرة أخرى، خطا خطوتين أو ثلاثة، بعد ذلك توقّف وكافح من أجل السيطرة على نفسه.

"أودّك أن تهجري غاتويريا ".

"كيف؟ ".

"عودا إلى نيروبي معًا، وعندما تصلان إلى هناك، أخبريه بأنّ قصّة حبكما قد انتهت، إنّه مجرد طفل، لن يشعر بشيء".

"وأنا؟ ".

فجأة أحسّ كأنّهما في الزمن الماضي، عندما كان يغرق وارينغا بالكلمات، أحسّ بالدماء تتدفّق من أوردته؛ أحسّ بحيويته تعود مرة أخرى، مدّ ذراعيه ليضع يديه على كتفيها، لكنه عندما شاهد عينيها المشعّتين أسقط يديه بسرعة على جانبيه، ومع ذلك لم يتمكّن من كبح الكلمات التي على شفتيه.

"كوني لي، تذكّري، أنّك كنت لي في الماضي، أظنّ بأنّني أنا الرجل الذي حولك من فتاة إلى امرأة، وأنت والدة طفلتي، على الرغم من أنّني لم أرها أبدًا".

"ماذا عن زوجتك؟ والدة غاتويريا؟ ".

هيمن حضور وارينغا على العجوز الثري، وسيطرت عليه الشهوة، بدأت الكلمات المعسولة تتدفّق من غير أدنى جهد، اقترب منها، تحدّث مثل المدير

كيهارا تمامًا، يبدو وكأنّهما درسا في مدرسة الإغراء نفسها، أو إنّهما قرآ الكتاب نفسه الذي يحتوي على مئة رسالة حبّ من أب إلى ابنته.

"جاكينتا، لا تلق بالًا إلى زوجتي، لا أحد يضع عطرًا فقد رائحته، أرجوك، سيدتي الصغيرة، يا ثمرتي، استمعي لكلماتي، خلّصيني من عار هذا اليوم، كوني امرأتي، وسوف أستأجر لك منزلًا في نيروبي، مومباسا أو في أيّ مكان تشائين، سأقوم بتأثيث المنزل بالأثاث نفسه والمفروشات التي ترينها في هذا المنزل، فضلًا عن المرتبات والستائر والأشياء المستوردة من الخارج، من هونغ كونغ، طوكيو، باريس، لندن، روما، ونيويورك، اطلبي أيّ شيء، وستحصلين عليه فورًا، أريدك أن تنزعي هذا الثوب وهذا العقد وهذه الأقراط المصنوعة من أعواد الذرة الجافّة، وارتدي الملابس والمجوهرات المصنوعة في أوروبا، سأشتريلك أيضا سيّارة صغيرة تقضين بها مشاويرك اليومية، مثل تويوتا كورونا، داتسون ب. 16، ألفاسود أو أي سيارة أخرى من اختيارك، جاكينتا، يا حبيبتي، يا ثمرتي، يا برتقالتي، عودي إليّ وعالجي مشاكل حياتك، وبيتي وطفلي".

"أيّ طفل؟ ".

" غاتويريا طبعًا".

"وامبوي؟ أليست طفلتك".

" لست غبيًا كما تظنين، قال كيكويو، من يكره البقرة يكره جلدها، والآن أقول لك: من يحبّ البقرة عليه أن يحبّ عجلها".

"وماذا لو رفضت أن أكون زهرتك، زهرة تزيّن شيخوختك؟ ".

توقّف العجوز الثري قليلًا ليفكّر بعمق، اسودّ وجهه؛ كان غاضبًا من عبارات وارينغا، تنحنح وتحدّث بصوت أجشّ ومرير كالرجل الذي لم يعتدّ على تحدي كلماته وأمانيه.

"دعيني أحدثك بالحكاية الرمزية، في زمن بعيد جدًّا، كان إبليس ملاكًا محبوبًا جدًّا من الرّبّ، كان يسمّى آنذاك لوسيفر، لكن في أحد الأيام أصيب ببعض الأرواح الشريرة، واشتاق إلى الجلوس على الجانب الأيمن للربّ، لكن كما تعلمين، ذلك المكان محجوز للابن الوحيد للربّ، ماذا فعل الرّبّ بلوسيفر؟ حتى نحن، أتباع الرّب على الأرض، لدينا وسائل لتحقيق أمانيه، أنت لست طفلة، لذلك لا أحتاج إلى أن أشرح لك ماذا يعني ذلك، أنا لم أكن حاضرًا في احتفالية إيلموروغ، لكنّني أعرف أنّه كان يوجد هناك شخص باسم مويريري وا موكيراي، كان واحدًا من أكثر الضيوف احترامًا؛ سمعت بأنّه حصل على أكبر عدد من بطاقات الدعوات لتوزيعها، لكن بعد أن أكل وشرب حتى التخمة، بدأ بالإساءة للربّ واحتقار الأشخاص الذين ينتمون إلى طبقته، رفض الامتثال لقوانين الرّبّ على الأرض، ربما كان أكثر احترامًا في الماضي، لكن أين موريري اليوم؟".

"اغتاله روبن مواؤرا، في حافلة ماتاتو ماتاتا ماتامو فورد ت، لوحة التسجيل رقم 333 م م م، في كينيني، بالقرب من ليمورو".

تلعثم العجوز الثري ثم أكمل.

"أنت تعلمين؟ إذًا لن أخفي عنك أيّ شيء.. كان مواؤرا زعيم جماعة تسمّى زبانية الشيطان، ربما سمعت عنهم، مهمّتهم هي تصفية أولئك الذين يرفضون تطبيق شرع الرّبّ على الأرض، الآن، ليس عليّ إلا أن أفتح فمي فقط ولن تتمكّني حتى من الوصول إلى جيلجيل، لكن عمّ نتحدث يا جاكينتا؟ لقد زغنا عن طريقنا، أعلم بأنّك لست حمقاء، أعلم بأنّك لن ترفضي الثراء، إذا كنت تريدين مزرعة في الوادي المتصدّع لكي تسيّريها بالهاتف من نيروبي أو مومباسا، فستكون لك، قولي لي ماذا تريدين، وسينفّذ على الفور".

"والناس في الخارج؟ ماذا سنقول لهم؟ ".

"دعي ذلك لي".

"سيد غيثاهي، أرجوك أن تتوقف عن التفكير في حياة الآخرين، هل بإمكاني أن أطرح عليك سؤالًا؟ ".

"بكل تأكيد، لا يُقاضى الشخص لأنّه يطرح الأسئلة".

"تريد أن ينتهي الحبّ بيني وبين غاتويريا، أليس كذلك؟ ".

"نعم، آمل ذلك".

"حسنًا، هل تريد أن تتزوجني؟ أعني، هل ستقيم طقوس زواج رسمية لكي أكون زوجتك الثانية؟ ".

"أرجوك، يا جاكينتا، توقّفي عن التظاهر بأنّك لا تفهمين، أنا من أتباع الكنيسة، أريدك أن تكوني لي فقط وسأجد طرقي الخاصة لزيارتك مثل سابق عهدنا، ألا تتذكرين؟ أرجوك، أنقذيني، أنقذي شرف اسمي، انقذي شرف ابني، جاكينتا، انقذي شرف بيتي، وسوف تشاهدين أمامك الرجل الذي يقدّر معنى الامتنان".

بعد ذلك وقعت المعجزة، حدّق العجوز الثري في وارينغا، صعق فجأة برونق جمالها الرائع، لقد احترق قلبه وجسمه بسبب شباب وارينغا، فقد السيطرة، ثم سقط على ركبتيه أمامها وبدأ يتوسّل إليها، "لم يسبق لي أن شاهدت جمالًا يشعّ بهذا النور، أنقذيني".

توسّل إليها وهو يحكم قبضتيه على ركبتيها، بينما الكلمات تنهمر من شفتيه مثل نهر فائض.

كانت وارينغا تقف في المكان الذي وقفت فيه منذ دخولها إلى الغرفة، بدأت تتحدّث مثل قاضي الشعب الذي يوشك على النطق بالحكم.

"أنت أيها المغتصب لحياة الناس، هل تتذكر اللعبة التي كنا نلعبها معًا،

لعبة القنّاص والطريدة؟ هل تتخيل أنّه في يوم ما قد تصبح الطريدة هي القناص؟ ما وقع وقع، ولا يمكن تجنّب وقوعه، أنا لن أنقذك لكن سوف أنقذ العديد من الفتيات الأخريات اللاتي لن تتدمر حياتهن بالكلمات المعطرة والمعسولة".

قاطعها العجوز قائلًا: "كنت أعلم بأنّك ستوافقين، يا عزيزتي التي أعشقها كثيرًا، يا فاكهتي الصغيرة، يا برتقالتي الصغيرة، يا زهرتي التي تبهج شيخوختي".

واصل الحديث، باستعمال يديه، لم يرَ وارينغا عندما فتحت حقيبة يدها، ولم يرها عندما أخرجت المسدس.

أمرته بصوت القاضي: "انظر إليّ".

عندما شاهد والد غاتويريا المسدس، توقّفت كلماته بشكل مفاجئ.

9

سمع الناس في الخارج صوت الطلقات النارية، عندما دخلوا إلى الغرفة، وجدوا والد غاتويريا جاثيًا، ومتشبثًا بركبتَي وارينغا، لكن ثلاث رصاصات دخلت إلى جسده.

سأل غاتويريا: "ما الخطب؟ ما الخطب، وارينغا؟ ".

"هناك يجثو السافل، البرغوث، السوسة، القملة، بقّة الفراش، إنّه نبتة الدّبق، الطفيلي الذي يتغذّى على حيوات الناس الآخرين"

10

غادرت وارينغا الغرفة، أفسح لها الناس الطريق، التقت كلٌّ من كيهاهو وا غاثيكا وغيتوتو وا غاتنغورو خارج الباب، وفجأة تذكّرت وانغاري

وموتوري ورئيس اتحاد الطلبة، الأشخاص الذين أنقذوها من عبوديتها العقلية، أحسّت بغضب لم تشعر به وهي تقتل غيثاهي.

"أنت أيضًا، وأنت"، وأطلقت النار على كيهاهو وغيتوتو ممزقة ركبتيهما إلى أشلاء.

هرب الناس في جميع الاتّجاهات، بعضهم كان يصرخ: "ألقوا القبض عليها، أمسكوها، إنّها مجنونة"، بينما يركضون للنجاة بأرواحهم.

حاول اثنان أن يمسكوا بها، لكنها واجهتهم بركلات الجودو وحركات الكاراتيه، ليسقطا أرضًا بعد ذلك، ذهبت وارينغا مبتعدة بكلّ هدوء، بينما الناس يشاهدونها على بعد مسافة آمنة.

كان نغونجي وا نديتيكا هو الوحيد الذي شوهد وهو يركض، وهو يحمل كرشه بكلتا يديه لكي يحمي نفسه من الوقوع ويصرخ على روبن مواؤرا: "أين أنت؟ أين أنت؟ وأين رجالك؟"، لكن مواؤرا كان قد أدار محرّك مركبته وأسرع هاربًا.

لم يعرف غاتويريا ما يقوم به، يتعامل مع جثمان والده؟ أم يهدّئ من روع والدته؟ أم يلحق بوارينغا؟ ولذلك، وقف في الفناء، يستمع إلى موسيقى داخل رأسه لا تدلّه على أيّ مكان.

وقف هناك في الفناء، كأنّه فقد القدرة على استعمال لسانه، وذراعيه، وساقيه.

رحلت وارينغا، من دون أن تنظر للخلف ولو مرة واحدة.

لكنّها كانت تعلم من كلّ قلبها أنّ أصعب نضالات رحلة حياتها تكمن في أيامها القادمة...



نغوغي وا ثيونغو (أو جيمس نغوغي) ولد في كينيا عام 1938وهو أحد رواد الأدب الأفريقي. حصل على جوائز عدة منها: جائزة لوتس للآداب 1973، جائزة نونيو العالمية للأدب (إيطاليا) 2001، جائزة دائرة نقاد الكتب الوطنية (أمريكا) 2012، القائمة القصيرة لجائزة مان بوكر الدولية عام 2009، وجائزة بارك كيونغ-ني عام 2016. من أعماله: لا تبك أيها الطفل (1964)، بتلات الدم (1977)، وشيطان على الصليب (1982).

تهاني فجر، شاعرة ومترجمة من الكويت. صدر لها في الشعر «صورة شخصية للحب»، وترجمت إلى العربية «كل رجال الملك» لروبرت بنوارن، و«لأنه مر.. لأنه قلبي» لستيفن كرين و«على شاطئ تشيسل» لإيان مكيوان..

شيطان على الصليب

تعتبر رواية شيطان على الصليب أحد أهم الروايات في الأدب الأفريقي. تنتقد بشكل مباشر الرأسمالية، وتهاجم الاستعمار القديم الذي خلف نظامًا جديدًا من الاستعمار الذي يعرف بالامبريالية الحديثة التي تستند على الاستثمار، وتدين عملاء الرأسمالية من أبناء الوطن. وقد كتبها نغوغي وا ثيونغو على ورق التواليت أثناء اعتقاله نهاية عام 1977، بعد عرض مسرحيته المثيرة للجدل «سأتزوج عندما أريد». وفي جميع أعماله، أكد وا ثيونغو على أنه يمكن استخدام الأدب لتفكيك الاضطهاد، ولتحقيق ذلك يجب أن يكون الأدب واضحًا ومكتوبًا مع مراعاة الجمهور المستهدف. ولهذا كتب شيطان على الصليب (وجميع أعماله اللاحقة) بلغة كيكويو (اللغة العامية) لأبناء بلده الذين أراد الوصول إليهم. ولأنه يفهم قوة الكلمات البسيطة والمباشرة، تكاد تكون الرواية بأكملها عبارة عن سلسلة من الخطب والأمثال تُروى من زوايا مختلفة. حيث يأخذ القارئ من خلال مواضيع معقدة مثل الرأسمالية الدولية وعدم المساواة بين الجنسين إلى قراءة الشخصيات تسرد قصصها الخاصة، وأبرزها وارينغا الفتاة الشابة المجتهدة التي يغويها رجل ثري كبير في السن فتقيم معه علاقة غير شرعية تتسبب في حملها وإنكار ذلك الرجل لها ولابنتها، أو من خلال الشاب الموسيقي الذي يبحث لتأليف لحن يجمع كل الكينيين بكافة أطيافهم وطبقاتهم، وغيرها من الشخصيات التي تلتقي في حافلة تأخذهم جميعًا لحضور مسابقة يستضيفها الأثرياء لتتويج سبعة «خبراء في السرقة والنهب».

Cover Disign: Hassan Almohtasib



